معالم التنزيل

٢١٢ ب م ٥ معالم التنزيل، تأليف البغوى: الحسين بن مسعود
-٥١٠هـ. بخط طور حسن بن حاجي عواض في القرن
الحادى عشر الهجرى تقديرا.
١٧٤٥ ج١ (٢٦٩ق) ٢٥ س ٢٧,٨×١٧ سم
نسخة حسنة، خطها نستعليق، بها أثار رطوبة
طبع.
الازهرية ١: ٢٩٧، كشف الظنون ٢: ١٧٢٦
١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- المؤلف.
ب- تاريخ النسخ.

ما انت يا مكلم الور
وما الا الا صبار ولا ذي الرين

شهدت شهادة لا اشك فيها بان الله ليس
والله اعبد رسول الى الثقلين ارسله الينك

معالم التنزيل

لشيخ محيي الدين الوفائي

دع المقادير تجري في اعنتها ولا تبيتن الا خالي البال
ما بين غمضة عين انتباهتها تقلب الدهر من حال الى حال

معالم التنزيل
البغوي

لبعض العارفين

دع اسماعك عن هذا ومن ذاكا واكسر اوانيك واخرج منك عن اناكا
وكن بلاك واياك السوى اناكا اذا اراد كمال حضرتك هناكا

لي في محبتكم شهود اربع وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبي وارتعاش مفاصلي جريان دمعي واعتقال لساني

وانا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
الى سلط

الجلد الاول من معالم
التنزيل للنسفي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال [...] جل السيد محيي السنة ناصر الحديث مفتي الشرق
رضي الله عنه وعن والديه الحمد لله ذي العظمة والكبرياء والعزة والبقاء والرفعة والعلاء
والمجد والسناء تعالى عن الانداد والشركاء وتقدس عن الامثال والنظراء والصلوة
على نبيه وصفيه خاتم الانبياء وامام الاتقياء عدد ذرات الثرى ونجوم السماء والحمد لله
الملك السلام المهيمن العلام شارع الاحكام ذي الجلال والاكرام الذي اكرمنا بدين
الاسلام ومن علينا بنبينا محمد عليه التحية والسلام وانعم علينا بكتابه المفرق بين الحلال
والحرام والصلوة على حبيبه وخيرته من خلقه محمد سيد الانام عدد ساعات الليالي والايام
وعلى آله واصحابه نجوم الظلام وعلى جميع الانبياء والملائكة البررة الكرام اما بعد
فان الله جل ذكره ارسل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين بشيرا للمؤمنين
ونذيرا للمنكرين فاكمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة واتم به مكارم الاخلاق
ومحاسن الافعال وانزل عليه بفضله نورا هدى به من الضلالة وانقذ به من
الجهالة حكم بالفلاح لمن تبعه وبالخسار لمن اعرض عنه بعد ما سمعه اعجز
الخليقة عن معارضته وعن الاتيان بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على
الخلق مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن قراءته امر فيه وزجر وبشر
وانذر وذكر المواعظ ليتذكر وقص عن احوال الماضين ليعتبر وضرب
فيه الامثال ليتدبر ودل على آيات التوحيد ليتفكر ولا حصول لهذه المقاصد
منه الا بدراية تفسيره واعرابه ومعرفة اسباب نزوله واحكامه والوقوف
على ناسخه ومنسوخه وخاصه وعامه ثم هو كلام معجز وبحر عميق لا نهاية
لاسراره ولا دراك لحقائق معانيه وقد الف ائمة السلف في انواع
علومه كتبا كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف فشكر الله سعيهم ورحم
كافتهم فسألني جماعة من اصحاب المحصلين وعلى اقتباس العلم مقبلين كتابا في معالم التنزيل
وتفسيره فاجبتهم اليه معتمدا على فضل الله وتيسيره وممتثلا وصية رسول الله صلى

الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عليه السلام قال ان رجالا ياتونكم من
اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا واقتداء بالماضين
من السلف في تدوين العلم ابقاء على الخلف وليس على ما فعلوه مزيد ولكن لا بد في كل
زمان من تجديد ما طال به العهد وقصر للطالبين فيه الجد والجهد تنبيها للمتوقفين
وتحريضا للمتثبطين فجمعت بعون الله وحسن توفيقه فيما سالوا كتابا وسطا بين الطويل
الممل والقصير المخل ارجو ان يكون مفيدا لمن اقبل على تحصيله مريدا وما نقلت فيه من
التفسير عن عبد الله بن عباس حبر هذه الامة ومن بعده من التابعين وائمة السلف مثل
مجاهد وعكرمة وعطاء بن ابي رباح والحسن البصري وقتادة وابي العالية ومحمد بن
كعب القرظي وزيد بن اسلم والكلبي والضحاك ومقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان
والسدي وغيرهم فاكثرها مما اخبرنا به الشيخ ابو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي الخوا
رزمي فيما قراته عليه عن الاستاذ ابي اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي عن
شيوخه واما تفسير عبد الله بن عباس ترجمان القرآن الذي قال فيه النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم علمه الكتاب وقال اللهم فقهه في الدين قال ابو اسحق انبا ابو محمد
عبد الله بن حامد اخبرنا ابو الحسن احمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي نبا عثمان بن
سعيد الدارمي نبا عبد الله بن صالح ان معاوية بن صالح حدثه عن علي بن ابي طلحة
الوالبي عن عبد الله بن عباس وقال انبا ابو القسم الحسن بن محمد بن حبيب نبا عبد الله بن محمد
الثقفي نبا ابو جعفر محمد بن نفرويه الماذرائي نبا محمد بن سعيد بن محمد بن الحسن
بن عطية بن سعيد العوفي حدثنا عمي الحسين بن الحسن بن عطية حدثني ابي
عن جدي عطية عن ابن عباس وقال انبا ابو القسم الحسن بن محمد بن الحسن نبا
احمد بن ابراهيم الطريقي المروزي نبا ابو العباس احمد بن الخضر الصيرفي نبا
ابو داود سليمان بن معبد السنجي نبا علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي
عن عكرمة عن ابن عباس واما تفسير مجاهد بن جبر المكي قال انبا ابو محمد عبد
الله بن حامد الاصفهاني انبا ابو عبد الله محمد بن احمد بن بطة نبا عبد الله بن
محمد بن

نا زكريا بن سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي نبا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن ابي
نجيح عن مجاهد واما تفسير عطاء بن ابي رباح قال انبا ابو القسم الحسن بن محمد بن
الحسن النيسابوري حدثنا ابو عبد الرحمن احمد بن بشر بن طراح الطبري نبا
ابو محمد بكر بن سهل الدمياطي نبا عبد الغني بن سعيد الثقفي عن ابي محمد موسى
بن عبد الرحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء بن ابي رباح واما تفسير الحسن
قال حدثنا ابو القسم الحسن بن محمد بن عبد الله المكتب حدثنا ابي نبا ابو الحسن محمد بن
احمد بن الصلت المعروف بابن شنبوذ المقرئ نبا سعيد بن محمد المستهل بن واصل
عن ابي صالح عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن ابي الحسن البصري واما تفسير قتادة
قال انبا ابو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهاني انبا ابو علي حامد بن محمد
الهروي نبا ابو يعقوب اسحق بن الحسن بن ميمون الحربي نبا ابو احمد الحسين بن محمد
المروزي نبا شيبان بن عبد الرحمن النحوي عن قتادة وقال انبا ابو القسم الحسيني
انبا ابو زكريا العنبري نبا جعفر بن محمد بن سوار نبا محمد بن رافع عن عبد
الرزاق عن معمر عن قتادة بن دعامة السدوسي واما تفسير ابي العالية واسمه
رفيع بن مهران قال حدثنا ابو القسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر انبا ابو عمرو
احمد بن محمد بن ابي منصور العمركي بسرخس نبا ابو الحسن احمد بن اسحق بن ابراهيم بن
مزيد نبا ابو علي الحسن بن محمد بن موسى الازدي عن عمار بن الحسن بن بشير الهمداني
عن عبد الله بن ابي جعفر عن ابيه عن الربيع بن انس عن ابي العالية الرياحي واما تفسير القرظي
قال حدثنا ابو القسم الحسن بن محمد بن حبيب نبا ابو العباس محمد بن الحسن الهروي نبا رجاء بن
عبد الله انبا مكي بن سليمان الهروي عن ابي معشر عن محمد بن كعب القرظي واما تفسير زيد
بن اسلم قال انبا الحسن بن محمد بن الحسن قال كتب الي احمد بن كامل بن خلف ان محمد بن
جرير الطبري حدثهم قال نبا يونس بن عبد الاعلى الصدفي انبا عبد الله بن وهب
اخبرني عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه واما تفسير الكلبي فقد قرات بمرو على
الشيخ ابي عبد الله محمد بن الحسن المروزي في شهر رمضان سنة اربع وستين واربعمائة

قال انبا ابو سعيد محمد بن احمد بن يونس الخطيب الكشميهني في محرم سنة خمس واربعمائة
انبا ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن محمد بن معروف المروزي نبا محمد بن علي الانصاري
المحتسب نبا علي بن اسحق وصالح بن محمد السمرقنديان قالا نبا محمد بن مروان السدي عن محمد
بن السائب الكلبي عن ابي صالح باذان مولى ام هانئ عن ابن عباس واما تفسير الضحاك بن
مزاحم الهلالي قال الاستاذ ابو اسحق الثعلبي نبا ابو القسم الحسن بن محمد السدوسي نبا
ابو عمرو احمد بن محمد العمركي بسرخس نبا جعفر بن محمد بن سوار نبا احمد بن حميد المر
وزي نبا ابو معاذ عن عبيد بن سليمان الباهلي عن الضحاك واما تفسير مقاتل بن حيان
قال انبا عبد الله بن حامد الوزان قال نبا احمد بن محمد بن عبدوس نبا اسمعيل بن قتيبة
نبا ابو خالد يزيد بن صالح الفراء انبا بكير بن معروف السلمي البلخي الازدي
ابو معاذ عن مقاتل بن حيان واما تفسير مقاتل بن سليمان قال انبا ابو اسحق ابراهيم
بن محمد المهرجاني انبا ابو محمد عبد الخالق بن الحسين بن السقطي المعروف بابن ابي
روبة نبا عبد الله بن ثابت نبا يعقوب المقرئ ابو محمد قال حدثنا ابي قال حدثني الهذيل
ابن حبيب ابو صالح الدنداني عن مقاتل بن سليمان واما تفسير السدي قال انبا ابو القسم
الحسين بن محمد بن الحسن انبا ابو الطيب محمد بن عبد الله بن المبارك الشعيري نبا احمد بن
محمد بن نصر اللباد نبا عمرو بن طلحة القناد عن اسباط عن السدي وما نقلته عن المبتدا اسم كتاب
لوهب بن منبه وعن المغازي لمحمد بن اسحق فاخبرنيه ابو سعيد الشريحي قال انبا احمد بن
محمد بن ابراهيم الثعلبي قال انباني ابو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحق الاز
هري قال انبا ابو محمد الحسن بن محمد بن اسحق بن الازهري انبا ابو الحسن محمد بن احمد بن
البراء العبدي قال قرات على ابي عبد الله عبد المنعم بن ادريس عن ابيه عن وهب بن منبه
واخبرنا ابو سعيد الشريحي انبا ابو اسحق الثعلبي انبا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ
انبا ابو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف المعقلي نبا احمد بن عبد الجبار العطاردي نبا يونس
بن بكير عن محمد بن اسحق بن يسار المدني واخبرنا ابو سعيد الشريحي انبا ابو اسحق الثعلبي انبا
محمد عبد الله بن محمد بن احمد بن عقيل الانصاري انبا ابو الحسن علي بن الفضل الخزاعي نبا ابو شعيب

عبيد الله بن الحسن الحراني ثنا النفيلي ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحق فهذه اسانيد اكثر
ما نقلته عن هؤلاء الائمة وهي مسموعة من طرق سواها تركت ذكرها حذرا عن الاطالة وربما
حكيت عنهم او عن غيرهم من الصحابة والتابعين قولا سمعته بغير هذه الاسانيد ذكرت اسانيده بعضها في
موضعه من الكتاب ان شاء الله عز وجل ثم ان الناس كما انهم متعبدون باتباع احكام القرآن وحفظ حدوده
فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف الامام الذي اتفقت عليه
الصحابة وان لا يجاوزوا فيما يوافق الخط عما قرأ به القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة
والتابعين واتفقت الامة على اختيارهم وقد ذكرت في الكتاب قراءة من اشتهر منهم بالقراءة واختيا
راتهم على ما قرأته على الامام ابي نصر محمد بن احمد بن علي الكوفي الكروزي رحمه الله تلاوة وروايته
قال قرأت على ابي القسم طاهر بن علي الصيرفي قال قرأت على ابي بكر احمد بن الحسين ابن مهران
باسناده المذكور في كتابه المعروف بكتاب الغاية وهم ابو جعفر يزيد بن القعقاع وابو عبد
الرحمن نافع بن عبد الرحمن المدنيان وابو معبد عبد الله بن كثير الداري المكي وابو عمران عبد الله
بن عامر الشامي وابو عمرو زبان بن العلاء المازني وابو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي البصريان
وابو بكر عاصم بن ابي النجود الاسدي وابو عمارة حمزة بن حبيب الزيات وابو الحسن علي بن حمزة
الكسائي الكوفيون فاما ابو جعفر فانه اخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وابي هريرة وغيرهما وهم
قرأوا على ابي بن كعب واما نافع فانه قرأ على ابي جعفر القارئ وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج
وشيبة بن نصاح وغيرهم من التابعين الذين قرأوا على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال الاعرج
قرأت على ابي هريرة وقرأ هو على ابي بن كعب واما عبد الله بن كثير فانه قرأ على مجاهد بن جبر
وقرأ مجاهد على ابن عباس وقرأ ابن عباس على ابي بن كعب واما ابو عمرو فانه قرأ على مجاهد وسعيد
بن جبير وهما قرأا على ابن عباس وقرأ ابن عباس على ابي بن كعب
وقرأ ابي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبد الله بن عامر فانه قرأ على
المغيرة بن ابي شهاب المخزومي وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان واما عاصم فانه قرأ على ابي
عبد الرحمن السلمي وقرأ ابو عبد الرحمن على علي بن ابي طالب قال عاصم فكنت ارجع من عند
ابي عبد الرحمن فاقرأ على زر بن حبيش وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود واما حمزة

فانه قرأ على عبد الرحمن بن ابي ليلى وسليمان الاعمش وحمران بن اعين وغيرهم وقرأ
عبد الرحمن بن ابي ليلى على جماعة من اصحاب علي وقرأ الاعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى على جماعة
من اصحاب عبد الله وقرأ حمران على ابي الاسود الدؤلي وقرأ ابو الاسود على عثمان وعلي واما
الكسائي فانه قرأ على حمزة واما يعقوب فانه قرأ على ابي المنذر سلام بن سليمان الخراساني وقرأ
سلام على عاصم فذكرت قراءة هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها وما ذكرت من احاديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثناء الكتاب على وفاق اية او بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من
السنة وعليهما مدار الشرع وامور الدين فهي من الكتب المسموعة من الحفاظ وائمة الحديث
واعرضت عن ذكر المناكير وما لا يليق بحال التفسير فارجو ان يكون مباركا على من اراده وبالله
التوفيق ‧‧ فصل في فضائل القرآن وتعليمه اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي
انبأنا ابو محمد عبد الرحمن بن ابي شريح انبأنا ابو القسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي
ثنا علي بن الجعد انبأنا شعبة عن علقمة بن مرثد قال سمعت سعيد بن عبيدة يحدث عن ابي عبد
الرحمن السلمي عن عثمان قال شعبة قلت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال خيركم من تعلم القرآن
وعلمه صحيح وقال الحرث الاعور مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت
على علي فقلت يا امير المؤمنين الا ترى ان الناس قد خاضوا في الاحاديث قال او قد فعلوها قلت
نعم قال اما اني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت فما المخرج منها يا رسول
الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل
من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو
الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا
يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا
يهدي الى الرشد من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم
خذها اليك يا اعور قال ابو عيسى هذا حديث لا نعرفه الا من هذا الوجه واسناده مجهول وفي الحديث
مقال وقال عقبة بن عامر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار قيل معناه
من جمع القرآن وقرأه ثم تمسه النار يوم القيمة وعن عبد الله قال ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا
مأدبته

ما استطعتم ان هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة
لمن تبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد
فاتلوه فان الله عز وجل يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن
بالالف واللام والميم ورواه بعضهم عن ابن مسعود مرفوعا وعن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عم بمعناه وعن عامر بن واثلة ابي الطفيل ان نافع بن عبد الحرث لقي عمر بن الخطاب رضي
الله عنه بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على اهل الوادي قال استخلفت
عليهم ابن ابزى قال ومن ابن ابزى قال مولى من موالينا قال عمر فاستخلفت عليهم مولى فقال
يا امير المؤمنين انه رجل قارئ للقرآن عالم بالفرائض قاض فقال عمر اما ان نبيكم صلى الله عم
قال ان الله يرفع بالقرآن اقواما ويضع به آخرين صحيح وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عم ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب قال ابو عيسى هذا حديث صحيح
وعن واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عم قال اعطيت مكان التورية السبع الطوال واعطيت
مكان الانجيل المئين واعطيت مكان الزبور المثاني واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت
العرش لم يعطها نبي قبلي واعطاني ربي المفصل نافلة **فصل في فضائل تلاوة القرآن**
وعن عائشة عن النبي صلى الله عم قال مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة ومثل الذي
يقرأه وهو عليه شاق له اجران صحيح وقال هشام الدستوائي عن قتادة بهذا الاسناد
الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة وعن ابي موسى الاشعري ان
نبي الله صلى الله عم كان يقول مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب و
ريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي
يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة
طعمها مر ولا ريح لها وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عم قال يقال يعني لصاحب القرآن
اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها قال ابو عيسى
هذا حديث حسن صحيح وعن ابي امامة انه حدثه قال سمعت النبي صلى الله عم يقول اقرؤوا
القرآن فانه يأتي شافعا لاصحابه اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما تأتيان يوم

القيمة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما اقرؤوا البقرة فان
اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة صحيح وعن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال كنت
جالسا عند النبي صلى الله عم فسمعته يقول تعلموا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا
يستطيعها البطلة ثم سكت ساعة ثم قال تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان وانهما
تظلان صاحبهما يوم القيمة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف وان القرآن
يأتي صاحبه يوم القيمة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني فيقول ما اعرفك
فيقول انا صاحبك القرآن الذي اظمأتك بالهواجر واسهرت ليلك وان كل تاجر من وراء تجارته
وانك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى
والداه حلتين لا يقوم لهما اهل الدنيا فيقولان بما كسينا هذا فيقال لهما باخذ ولدكما القرآن ثم
يقال اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان او ترتيلا غريب
وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عم قال من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن
قرأ آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيمة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عم ايحب احدكم اذا
رجع الى اهله ان يجد فيه ثلث خلفات عظام سمان قلنا نعم قال فثلث آيات يقرأ بهن احدكم
في صلوته خير له من ثلث خلفات عظام سمان صحيح وعن سهل هو ابن معاذ الجهني عن ابيه عن النبي صلى الله عم
قال من قرأ القرآن فاحكمه وعمل بما فيه البس والداه يوم القيمة تاجا ضوءه احسن من ضوء الشمس
في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه فما ظنكم بالذي عمل به روي ان عمران بن حصين مر على رجل
يقرأ على قوم فلما قرأ سأل فقال عمران انا لله وانا اليه راجعون سمعت رسول الله صلى الله عم يقول من
قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء اقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس رواه ابو عيسى محمد بن
غيلان عن ابي احمد عن سفيان عن الاعمش عن خيثمة عن الحسن عن عمران بن حصين قال وقال محمد بن
اسمعيل هو خيثمة البصري الذي روى عنه جابر الجعفي وليس هو خيثمة بن عبد الرحمن **فصل في
وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم** وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عم من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عم قال من قال في القرآن
بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وعن جندب قال قال رسول الله صلى الله عم من قال في القرآن برأيه فاصاب فقد
اخطأ

غريب وسئل ابو بكر الصديق رضى عنه عن قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى
اذا قلت فى كتاب الله ما لا اعلم وقال ابو الدرداء لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقران وجوها كثيرة قال
قلت لا يتوجب ما معنى قول ابى الدرداء فيجعل يفكر فقلت هو ان ترى له وجوها فهاب الاقدام عليه فقال
هو ذاك قال شيخنا الامام رضى عنه فجا الوعيد فى حق من قال فى القران برايه وذكر فيمن قال فيه بغير علم شيئا
من غير علم فاما التاويل وهو صرف الاية الى معنى محتمل موافق لما قبلها وبعدها غير مخالف للكتاب
والسنة من طريق الاستنباط فقد رخص فيه لاهل العلم واما التفسير وهو الكلام فى اسباب نزول الاية
وشانها وقصتها فلا يجوز الا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل واصل التفسير من التفسرة وهى الدليل من الماء
الذى ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض كذلك المفسر يكشف عن شان الاية وقصتها واشتقاق
التاويل من الاول وهو الرجوع يقال اولته فال اى صرفته فانصرف وعن عبد الله بن مسعود عن النبى
عليه السلام انه قال ان القران نزل على سبعة احرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع ويروى لكل حرف حد
ولكل حد مطلع واختلفوا فى تاويله قيل الظهر لفظ القران والبطن تاويله وقيل الظهر ما حدث عن اقوام
انهم عصوا فعوقبوا فهو فى الظاهر خبر وباطنه عظة وتحذير ان يفعل احد منكم ما فعلوا فيحل به ما
حل بهم وقيل معنى الظهر والبطن التلاوة والتفهم يقول لكل آية ظاهر وهو ان يقرا كما انزلت
قال الله تعالى ورتل القران ترتيلا وباطن وهو التدبر والتفكر قال الله تعالى كتاب انزلناه اليك
مبارك ليدبروا آياته ثم التلاوة تكون بالتعلم والحفظ بالدرس والتفهم يكون بصدق النية
وتعظيم الحرمة وطيب الطعمة وقوله ولكل حرف حد اراد له حد فى التلاوة والتفسير لا يجاوز فى التلاوة عن المصحف وفى
التفسير عن المسموع وقوله لكل حد مطلع اى مصعد يصعد اليه من معرفة علمه ويقال المطلع الفهم
وقد يفتح الله على المتدبر والمتفكر من التاويل والمعانى ما لا يفتح على غيره وفوق كل ذى علم عليم سورة
فاتحة الكتاب ولها ثلثة اسماء معروفة فاتحة الكتاب وام القران والسبع المثانى سميت فاتحة
الكتاب لان بها افتتح القران وسميت ام القران وام الكتاب لانها اصل القران منها بدئ القران وام الشئ
اصله ويقال لمكة ام القرى لانها اصل البلاد دحيت الارض من تحتها وقيل لانها مقدمة وامام
لما يتلوها من السور يبدا بكتابتها فى المصاحف وبقراءتها فى الصلوة والسبع المثانى لانها
سبع آيات باتفاق العلماء وسميت مثانى لانها تثنى فى الصلوة فتقرا فى كل ركعة وقال مجاهد

سميت مثانى لان الله تعالى استثناها لهذه الامة فذخرها لهم وهى مكية على قول الاكثرين وقال
مجاهد مدنية وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولذلك سميت مثانى والاول اصح انها مكية
لان الله تعالى من على الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى والمراد بها فاتحة الكتاب وسورة
الحجر مكية فلم يكن يمن عليه بها قبل نزولها بسم الله الرحمن الرحيم قوله بسم الباء
اداة تخفض ما بعدها مثل من وعن والمتعلق به الباء محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره ابدا بسم الله
او قل بسم الله واسقطت الالف من الاسم طلبا للخفة لكثرة استعمالها وطولت الباء قال القتيبى
ليكون افتتاح كتاب الله بحرف معظم كان عمر بن عبد العزيز يقول لكتابه طولوا الباء واظهروا السين
وفرجوا بينهما ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طول الالف
على الباء ليكون دالا على سقوط الالف الا ترى انه لما كتبت الالف فى اقرا باسم ربك ردت الباء الى صيغتها
ولا تحذف الالف اذا اضيف الاسم الى غير الله ولا مع غير الباء والاسم هو المسمى وعينه وذاته قال الله تعالى انا
نبشرك بغلام اسمه يحيى اخبر ان اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال ما تعبدون من دونه الا
اسماء سميتموها واراد الاشخاص المعبودة لانهم كانوا يعبدون المسميات وقال سبح اسم ربك
ثم يقال للتسمية ايضا اسم واستعماله فى التسمية اكثر من المسمى واختلفوا فى اشتقاقه قال المبرد من
البصريين هو مشتق من السمو وهو العلو فكانه علا على معناه وظهر عليه وصار معناه تحته وقال
ثعلب من الكوفيين هو من الوسم والسمة وهى العلامة فكانه علامة لمعناه والاول اصح لانه يصغر
على السمى ولو كان من السمة لكان يصغر على الوسيم كما يقال فى الوعد وعيد ويقال فى تصريفه
سميت ولو كان من الوسم لقيل وسمت قوله الله قال الخليل وجماعة هو اسم علم خاص
لله عز وجل لا اشتقاق له كاسماء الاعلام للعباد مثل زيد وعمرو وقال جماعة هو مشتق ثم
اختلفوا فى اشتقاقه فقيل من اله الاهة اى عبد عبادة وقرا ابن عباس ويذرك والاهتك
اى عبادتك معناه انه المستحق للعبادة دون غيره وقيل اصله اله قال الله تعالى وما كان معه من اله اذا
لذهب كل اله بما خلق قال المبرد هو من قول العرب ألهت الى فلان اى سكنت اليه قال الشاعر
ألهت اليها والحوادث جمة فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون بذكره ويقال ألهت اليه
اى فزعت اليه قال الشاعر ألهت اليها والركائب وقف وقيل اصله ولاه فابدلت الواو

بالهمزة مثل وشاح واشاح واشتقاقه من الوله لان العباد يولهون اليه اي يفز
عون اليه في الشدائد ويلجؤن في الحوائج كما يوله كل طفل الى امه وقيل هو من الوله وهو ذها
ب العقل لفقد من يعز عليك قوله الرحمن الرحيم قال ابن عباس هما اسمان رقيقان احد
هما ارق من الاخر واختلفوا فيهما منهم من قال هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم ومعناه ذو
الرحمة ذكر احدهما بعد الاخر تطميعا لقلوب الراغبين قال المبرد هو انعام بعد انعام وتفضل بعد
تفضل ومنهم من فرق بينهما فقال الرحمن بمعنى العموم والرحيم بمعنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق
في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق والرحيم بمعنى المعافي في الآخرة والعفو في الاخرة للمؤمنين على
الخصوص ولذلك قيل في الدعاء يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة فالرحمن من تصل رحمته الى الخلق
على العموم والرحيم من تصل رحمته اليهم على الخصوص ولذلك يدعى غير الله رحيما ولا يدعى رحمانا فا
لرحمن عام المعنى خاص اللفظ والرحيم عام اللفظ خاص المعنى والرحمة ارادة الله الخير لاهله وقيل هي ترك
عقوبة من يستحقها واسداء الخير الى من لا يستحق فهي على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل واختلفوا
في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاها الى انها ليست من فاتحة الكتاب ولا من
غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك وذهب قراء مكة والكوفة واكثر فقهاء الحجاز الى انها
من الفاتحة وليست من سائر السور وانما كتبت للفصل وذهب جماعة الى انها من الفاتحة ومن كل سورة
الا سورة التوبة وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي لانها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن
واتفقوا على ان الفاتحة سبع آيات فالآية الاولى عند من يعدها من الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم وابتداء
الاية الاخيرة صراط الذين ومن لم يعدها من الفاتحة قال ابتداؤها الحمد لله رب العالمين وابتداء الآية
الاخيرة غير المغضوب عليهم واحتج من جعلها من الفاتحة ومن السور بانها كتبت في المصحف بخط القرآن
بما روي عن ابن جريج قال اخبرني ابي عن سعيد بن جبير ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم هي
ام القرآن قال ابي وقراها علي سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الاية السابعة قال
سعيد قراتها على ابن عباس كما قراتها عليك ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم الاية السابعة قال ابن عباس قد
اخرجها لكم فما اخرجها لاحد قبلكم ومن لم يجعلها من الفاتحة احتج بما روي عن انس بن مالك انه قال قمت
وراء ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فكلهم كان لا يقرا بسم الله الرحمن الرحيم اذا افتتح

والشام
كشاف

الصلوة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان رسول الله صلعم لا يعرف ختم السورة حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم
وعن ابن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى نزل بسم الله الرحمن الرحيم وقال الشعبي كان رسول
الله صلعم يكتب في بدء الامر على رسم قريش باسمك اللهم حتى نزل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها فكتب
بسم الله حتى نزلت قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن حتى نزلت انه من سليمان
وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب مثلها قوله الحمد لفظه خبر كانه يخبر ان المستحق للحمد هو الله عز وجل وفيه
تعليم الخلق تقديره قولوا الحمد لله والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة
يقال حمدت فلانا على ما اسدى الي من النعمة وحمدته على علمه وشجاعته والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد اعم
من الشكر اذ لا يقال شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان
قولا والشكر بالاركان فعلا قال الله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقال اعملوا آل داود شكرا قوله
لله فاللام فيه للاستحقاق كما يقال الدار لزيد قوله رب العالمين الرحمن الرحيم فالرب يكون
بمعنى المالك كما يقال لمالك الدار رب الدار ويقال رب الشي اذا ملكه ويكون بمعنى التربية
والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا اتمها واصلحها فهو رب مثل طب وبر فالله تعالى مالك
العالمين ومربيهم ولا يقال للمخلوق هو الرب معرفا انما يقال رب كذا مضافا لان الالف واللام
للتعميم وهو لا يملك الكل والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه واختلفوا في العالمين قال ابن عباس هم الجن
والانس لانهم المكلفون بالخطاب قال الله عز وجل ليكون للعالمين نذيرا وقال قتادة ومجاهد والحسن
جميع المخلوقين قال الله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما واشتقاقه
من العلم والعلامة سموا به لظهور اثر الصنعة فيهم قال ابو عبيدة هم اربع امم الملائكة والانس والجن
والشياطين مشتق من العلم ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلفوا في مبلغهم قال سعيد بن المسيب
لله الف عالم ستمائة في البحر واربعمائة في البر وقال مقاتل ثمانين الف عالم اربعين الفا في البحر واربعين
الفا في البر وقال وهب ثمانية عشر الف عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب الا كفسطاط في الصحراء
وقال كعب الاحبار لا يحصي عدد العالمين احد الا الله قال عز وجل وما يعلم جنود ربك الا هو قوله مالك
يوم الدين قرا عاصم والكسائي ويعقوب مالك وقرا الاخرون ملك فقال قوم معناهما واحد مثل
فرهين وفارهين وحذرين وحاذرين ومعناهما الرب يقال رب الدار ومالكها وقيل المالك والملك

هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر عليه غير الله قال ابو عبيدة مالك
اجمع واوسع لانه يقال مالك العبد والطير والدواب ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون مالكا
لشيء الا وهو يملكه وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه وقال قوم ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك
ملكا ولانه اوفق لساير القرآن مثل قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق والملك القدوس ملك الناس قال
ابن عباس ومقاتل والسدي ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب قال مجاهد الدين الحساب قال الله
تعالى ذلك الدين القيم اي الحساب المستقيم وقال قتادة الدين الجزاء ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعا يقال
كما تدين تدان قال محمد بن كعب القرظي ملك يوم لا ينفع فيه الا الدين وقال يمان بن رباب الدين
القهر يقال دنته فدان اي قهرته فذل وقيل الدين الطاعة اي يوم الطاعة وانما خص يوم الدين
بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها لان الاملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا امر الا له قال الله تعالى الملك
يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال والامر يومئذ لله قرا ابو عمرو الرحيم
ملك بادغام الميم في الميم وكذلك يدغم كل حرفين من جنس واحد او مخرج واحد او قريبي المخرج سواء كان
الحرف ساكنا او متحركا الا ان يكون الحرف الاول مشددا او منونا او منقوصا او تاء الخطاب او مفتوحا
قبله ساكن في غير المثلين فانه لا يدغمهما وادغام المتحرك يكون في الادغام الكبير وافق حمزة في ادغام
المتحرك في قوله بيت طائفة والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا والذاريات
ذروا ادغم التاء فيما بعدها من الحروف وافقه حمزة والكسائي في ادغام الصغير وهو ادغام الساكن
كن في المتحرك الا في الراء عند اللام والدال عند الجيم وكذلك لا يدغم حمزة الدال عند السين والصاد والزاي
ولا ادغام لساير القراء الا في احرف معدودة قوله اياك ايا كلمة ضمير خصت
بالاضافة الى المضمر ويستعمل مقدما على الفعل يقال اياك اعني واياك اسئل ولا يستعمل مؤخرا
الا منفصلا فيقال ما عنيت الا اياك قوله نعبد اي نوحدك ونطيعك خاضعين والعبادة
الطاعة مع التذلل والخضوع وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده يقال طريق معبد اي مذلل واياك
نستعين نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا فان قيل لم قدم ذكر العبادة على الا
ستعانة والاستعانة تكون قبل العبادة قيل هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله
نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتاخير يقال الاستعانة نوع تعبد

فكانه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها اهدنا الصراط المستقيم اهدنا
اي ارشدنا وقال علي وابن كعب ثبتنا كما يقال للقائم قم حتى اعود اليك اي دم على ما انت
عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية
لان الالطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب اهل السنة الصراط وسراط با
لسين رواه رويس عن يعقوب وهو الاصل سمي سراطا لانه يسترط السابلة ويقرأ
بالزاي وقرا حمزة باشمام الزاي وكلها لغات صحيحة والاختيار الصاد عند اكثر القراء لموا
فقة المصحف والصراط المستقيم قال ابن عباس وجابر هو الاسلام وهو قول مقاتل وقال
ابن مسعود هو القرآن وروي عن علي مرفوعا الصراط المستقيم كتاب الله وقال سعيد بن
جبير طريق الجنة قال سهل بن عبد الله طريق السنة والجماعة قال بكر بن عبد الله المزني طريق رسول
الله عم واصله في اللغة الطريق الواضح صراط الذين انعمت عليهم اي مننت عليهم بالهداية
والتوفيق قال عكرمة مننت عليهم بالثبات على الايمان والاستقامة وهم الانبياء عليهم السلام
وقيل هم كل من ثبته الله على الايمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم الاية وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى عم قبل ان غيروا دينهم وقال
ابو العالية هم آل رسول الله صلى الله عم وابو بكر وعمر وقال شهر بن حوشب هم اصحاب رسول الله عم
قرا حمزة عليهم واليهم ولديهم بضم الهاء ويضم يعقوب كل هاء قبلها ياء ساكنة تثنية وجمعا الا
قوله بين ايديهن وارجلهن والآخرون بكسرها فمن ضم الهاء ردها الى الاصل لانها مضمومة عند
الانفراد ومن كسر فلاجل الياء الساكنة والياء اخت الكسرة وضم ابن كثير وابو جعفر كل ميم جمع ضما
مشبعا في الوصل اذا لم يلقها ساكن فان لقيها ساكن فلا تشبع ونافع مخير ويضم ورش عند الف
القطع واذا تلقته الف وصل وقبل الهاء كسرة او ياء ساكنة ضم الهاء والميم حمزة والكسائي
وكسرهما ابو عمرو وكذلك يعقوب اذا انكسر ما قبله والآخرون بضم الميم وكسر الهاء لاجل الياء او لكسر ما قبلها
وضم الميم على الاصل غير المغضوب عليهم يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب
هو ارادة الانتقام من العصاة وغضب الله تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين انما يلحق الكافرين
ولا الضالين اي وغير الضالين عن الهدى واصل الضلال الهلاك والغيبوبة يقال ضل الماء
في اللبن اذا هلك وغاب وغير هاهنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز العطف كما يقال فلان غير محسن
ولا مجمل فاذا كان غير بمعنى سوى فلا يجوز العطف عليها بلا ولا يجوز في الكلام عندي سوى عبد الله ولا زيد

وقرا عمر بن الخطاب رض صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين وقيل المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل وقال سهل بن عبد الله غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والسنة للقارى ان يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة آمين موصولا عن الفاتحة بسكتة وهو مخفف ويجوز ممدودا ومقصورا ومعناه اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس وقتادة معناه كذلك يكون فاوجب هذا وهو اسم من اسماء الله تعالى وقيل هو طابع الدعاء وقيل خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم كخاتم الكتاب يمنعه من الفساد وظهور ما فيه وعن ابي هريرة ان النبي عم قال اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين وان الامام يقول آمين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه صحيح فصل في فضائل فاتحة الكتاب روى عن ابي هريرة قال مر رسول الله صلعم على ابي بن كعب وهو قايم يصلي فصاح به فقال تعال يا ابي فعجل ابي في صلوته ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما منعك يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك اليس الله عز وجل يقول يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم قال ابي لا جرم يا رسول الله لا تدعوني الا اجبتك وان كنت مصليا قال اتحب ان اعلمك سورة لم تنزل في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها فقال ابي نعم يا رسول الله قال لا تخرج من باب المسجد حتى تعلمها والنبي صلعم يمشي يريد ان يخرج من المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال له ابي السورة يا رسول الله فوقف فقال نعم كيف تقرا في صلوتك فقرا ابي ام القرآن فقال رسول صلعم والذي نفسي بيده ما انزل في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وانها هي السبع من المثاني التي اتاني الله عز وجل حديث حسن صحيح وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلعم عنده جبرائيل اذ سمع نقيضا من فوقه فرفع جبرائيل بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فاتى النبي عم فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا منها الا اعطيته صحيح وعن العلا بن عبد الرحمن انه سمع ابا السايب مولى هشام بن زهرة يقول سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله صلعم من صلى صلوة لم يقرا فيها بام القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا ابا هريرة اني احيانا اكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرا بها يا فارسي في نفسك فاني سمعت رسول الله صلعم يقول قال الله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال قال رسول الله صلعم اقراوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد

الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي يقول العبد ملك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين هذه الاية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهولاء لعبدي ولعبدي ما سال صحيح سورة البقرة مدنية بسم الله الرحمن الرحيم الم قال الشعبي وجماعة الم وساير حروف الهجاء في اوايل السور من المتشابه الذي استاثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفايدة ذكرها طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق رض في كل كتاب سر وسر الله في القرآن اوايل السور وقال علي رض ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي قال داود بن ابي هند كنت اسال الشعبي عن فواتح السور فقال يا داود ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فواتح السور فدعها واسال عما سوى ذلك وقال جماعة هي معلومة المعاني فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسمائه كما قال ابن عباس في كهيعص الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل في المص انا الله الملك الصادق وقال الربيع بن انس في الم الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المجيد وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال معنى الم انا الله اعلم ومعنى المص انا الله اعلم وافصل ومعنى الر انا الله ارى ومعنى المر انا الله اعلم وارى وقال محمد بن كعب الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه قال الزجاج وهذا احسن فان العرب تذكر حرفا من كلمة تريدها كقولهم قلت لها قفي فقالت قاف اي وقفت وعن سعيد بن جبير قال هي اسماء الله تعالى مقطعة لو احسن الناس تاليفها لعلموا اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون الرحمن وكذلك ساير الا انا لا نقدر على وصلها وقال قتادة هذه الحروف اسماء القرآن وقال مجاهد وابن زيد هي اسماء السور وبيانه ان القايل اذا قال قرات المص عرف السامع انه قرا السورة التي افتتحت بالمص وروي عن ابن عباس انها اقسام وقال الاخفش انما اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه المنزلة ومباني اسمائه الحسنى ذلك الكتاب اي هذا الكتاب وهو القرآن وقيل هذا فيه مضمر اي هذا ذلك الكتاب قال الفرا كان الله قد وعد نبيه صلعم ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق عن كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك وقيل هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك ان انزل عليك في التورية والانجيل على لسان النبيين قبلك وهذا للتقريب وذلك للتبعيد وقال ابن كيسان ان الله تعالى انزل قبل سورة البقرة سورا كذب بها المشركون ثم انزل سورة البقرة فقال ذلك

الكتاب يعني ما تقدم البقرة من السور ولا شك فيه والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كما يقال للمخلوق خلق
وهذا الدرهم ضرب فلان اي مضروبه واصل الكتب الضم والجمع يقال للجند كتيبة لاجتماعها سمي الكتاب
كتابا لانه جمع حرف الى حرف لا ريب فيه اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو
خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق اي لا ترفثوا ولا تفسقوا قرا ابن كثير فيه
بالاشباع في الوصل وكذلك كل هاء كناية قبلها ساكن يشبعها وصلا ما لم يلقها ساكن ثم ان كان الساكن
قبل الهاء ياء يشبعها بالكسر ياء وان كان غيرها يشبعها بالضم واوا هدى للمتقين يدغم الغنة عند
اللام والراء ابو جعفر وابن كثير وحمزة والكسائي زاد حمزة والكسائي عند الياء وزاد حمزة عند
الواو والاخرون لا يدغمونها ويخفي ابو جعفر النون والتنوين عند الخاء والغين هدى للمتقين
اي هو هدى اي رشد وبيان لاهل التقوى وقيل هو نصب على الحال اي هاديا تقديره لا ريب
في هدايته للمتقين والهدى ما يهتدي به الانسان للمتقين اي للمؤمنين قال ابن عباس المتقي
من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو ماخوذ من الاتقاء واصله الحجز بين شيئين ومنه
يقال اتقى بترسه اي جعله حاجزا بين نفسه وما يقصده وفي الحديث كان اذا احمر الباس اتقينا
برسول الله صلعم اي اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو وكان المتقي يجعل امتثال امر الله
والاجتناب عما نهاه حاجزا بينه وبين العذاب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الاحبار
حدثني عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت
وتشمرت قال كعب ذلك التقوى وقال ابن عمر التقوى ان لا ترى نفسك خيرا من احد وقال
عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله فما رزق بعد ذلك فهو
خير الى خير وقيل هو الاقتداء بالنبي صلعم وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان الاية وقال شهر بن حوشب المتقي الذي يترك ما لا باس به حذرا لما به باس
وتخصيص المتقين بالذكر تشريفا لهم او لانهم هم المنتفعون بالهدى الذين يؤمنون
موضع الذين خفض نعتا للمتقين يؤمنون يصدقون وحقيقة الايمان التصديق بالقلب قال
تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق وهو في الشريعة الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل
بالاركان فسمي الاقرار والعمل ايمانا لوجه من المناسبة لانه من شرائعه والاسلام هو الخضوع
والانقياد فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق قال الله تعالى قالت
الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وذلك ان الرجل قد يكون مستسلما في الظاهر

غير مصدق في الباطن ولا يكون مصدقا في الباطن غير منقاد في الظاهر وقد فصل جواب النبي صلعم
عنهما حين سأله جبرائيل عم وهو ما روي عن يحيى بن يعمر قال كان اول من تكلم في القدر يعني بالبصرة معبد
الجهني فخرجت انا وحميد بن عبد الرحمن نريد مكة فقلنا لو لقينا احدا من اصحاب رسول الله عم فسألناه
عما يقول فلقينا عبد الله بن عمر فاكتنفته انا وصاحبي احدنا عن يمينه والآخر عن شماله فعلمت انه
سيكل الكلام الي فقلت ابا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يتقفرون هذا العلم ويطلبونه
يزعمون ان لا قدر وان الامر انف قال فاذا لقيت اولئك فاخبرهم اني منهم بريء وانهم مني
براء والذي نفسي بيده لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئا
حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ثم قال حدثنا عمر بن الخطاب رض قال بينا نحن عند رسول الله
صلعم اذ اقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه
منا احد فاقبل حتى جلس بين يدي رسول الله صلعم وركبته تمس ركبته فقال يا محمد اخبرني عن
الاسلام فقال رسول الله صلعم تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي
الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا فقال صدقت فتعجبنا من
سؤاله وتصديقه ثم قال فما الايمان قال ان تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث
بعد الموت والجنة والنار وبالقدر خيره وشره قال صدقت ثم قال فما الاحسان قال ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت ثم قال اخبرني عن الساعة فقال ما المسؤول عنها
باعلم بها من السائل قال صدقت قال فاخبرني عن اماراتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى العراة
الحفاة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثلاثة ايام
قال لي رسول الله صلعم يا عمر هل تدري من الرجل قال قلت الله ورسوله اعلم قال ذاك جبرائيل اتاكم يعلمكم
امر دينكم وما اتاني في صورة الا عرفته فيها الا في صورته هذه فالنبي عم جعل الاسلام في هذا
الحديث اسما لما ظهر من الاعمال والايمان اسما لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لان الاعمال ليست
من الايمان والتصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين
ولذلك قال ذاك جبرائيل اتاكم يعلمكم امر دينكم والدليل على ان الاعمال من الايمان ما روي عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلعم الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وقيل الايمان ماخوذ من الامان فسمي المؤمن مؤمنا

لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والله تعالى مؤمن لانه يؤمن العباد من عذابه بالغيب والغيب
مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغايب غيب كما قيل للعادل عدل وللزاير زور والغيب ما كان
مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كلما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك مثل الملا
يكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقال الحسن
بالاخرة وقال زر بن حبيش وابن جريج بالوحي نظيره اعنده علم الغيب وقال ابن كيسان
بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا اصحاب محمد صلعم وما
سبقونا به فقال عبد الله ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن احد قط ايمانا
افضل من ايمان بغيب ثم قرا الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون قرا ابو جعفر وابو عمرو وورش
يومنون بترك الهمزة وكذلك يترك ابو جعفر كل همزة ساكنة الا في انبئهم ونبئهم ونبئنا ويترك
نافع كلها الا ان يكون علامة للجزم نحو نبئهم وانبئهم وتسؤهم وان نشا وننسأها ونحوها
او يكون خروجا من لغة الى اخرى نحو مؤصدة ورءيا ويترك ورش كل همزة ساكنة كانت فاء
الفعل الا تؤوي وتؤويه ولا يترك من عين الفعل الا الرؤيا وبابه او ما كان على وزن فعل
مثل ذئب ويقيمون الصلوة اي يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها واركانها وهيئاتها
يقال قام بالامر واقام الامر اذا اتى به معطى حقوقه والمراد بها الصلوات الخمس ذكر
بلفظ الواحد كقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب
يعني الكتب والصلوة في اللغة الدعاء قال الله تعالى وصل عليهم اي ادع لهم وفي الشريعة اسم
لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء وقيل في قوله تعالى ان الله
وملائكته يصلون على النبي الاية ان الصلوة من الله في هذه الاية الرحمة ومن الملائكة الاستغفار
ومن المومنين الدعاء ومما رزقناهم اعطيناهم والرزق اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد
والعبد واصله في اللغة الحظ والنصيب ينفقون يتصدقون قال قتادة ينفقون في طاعة الله
وسبيله واصل الانفاق الاخراج عن اليد والملك ومنه نفاق السوق لانه تخرج فيه السلعة
والذين يومنون بما انزل اليك يعني القرآن وما انزل من قبلك من التورية والانجيل وساير الكتب المنزلة
على الانبياء عم ويترك ابو جعفر وابن كثير وقالون واهل البصرة كل مدة تقع بين كلمتين والا
خرون يمدونها وهذه الاية في المومنين من اهل الكتاب وبالاخرة اي بالدار الاخرة سميت الدنيا

دنيا لدنوها من الاخرة وسميت الاخرة آخرة لتاخرها وكونها بعد فناء الدنيا هم يوقنون
يستيقنون انها كائنة من الايقان وهو العلم وقيل الايقان واليقين علم
عن استدلال ولذلك لا يسمى الله موقنا ولا علمه يقينا اذ ليس علمه عن استدلال اولئك اي اهل
هذه الصفة واولاء كلمة معناها الكناية عن جماعة نحو هم والكاف للخطاب كما في ذلك على هدى اي
رشد وبيان وبصيرة من ربهم واولئك هم المفلحون اي الناجون والفائزون فازوا بالجنة
ونجوا من النار ويكون الفلاح بمعنى البقاء اي الباقون في النعيم المقيم واصل الفلاح القطع و
الشق ومنه سمي الزراع فلاحا لانه يشق الارض وفي المثل الحديد بالحديد يفلح فهم المقطوع لهم
بالخير في الدنيا والاخرة ان الذين كفروا يعني مشركي العرب قال الكلبي يعني اليهود والكفر
هو الجحود واصله من الستر ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته وسمي الزراع كافرا
لانه يستر الحب بالتراب والكافر يستر الحق بجحوده والكفر على اربعة انحاء كفر انكار وكفر جحود وكفر
عناد وكفر نفاق فكفر الانكار هو ان لا يعرف الله اصلا ولا يعترف به وكفر الجحود هو ان يعرف
الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفر العناد هو
ان يعرف بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر ابي طالب حيث يقول ولقد علمت بان دين محمد من
خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا واما كفر النفاق
هو ان يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الانواع سواء في ان من لقي الله تعالى بواحد
منها لا يغفر له سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام
مع تخويف وتحذير فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا وحقق ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
الهمزتين في ءانذرتهم وكذلك كل همزتين تقعان في اول الكلمة والاخرون يلينون الثانية ام
حرف عطف على الاستفهام لم حرف جزم لا يلي الا الفعل لان الجزم يختص بالافعال تنذرهم
لا يومنون وهذه الاية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله ثم ذكر سبب تركهم
الايمان فقال ختم الله طبع الله على قلوبهم فلا تعي خيرا ولا تفهمه وحقيقة الختم الاستيثاق
من الشي كي لا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما فيه ومنه الختم على الباب قال اهل السنة اي حكم
على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الازلي وقالت المعتزلة جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة
بها وعلى سمعهم اي على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به واراد على اسماعهم
كما قال على قلوبهم وانما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع وعلى ابصارهم غشاوة

هذا ابتداء كلام غشاوة اي غطاء فلا يبصرون الحق وقرأ ابو عمرو والكسائي ابصارهم بالامالة وكذلك
كل الف بعدها راء مجرورة في الاسماء كانت لام الفعل يميلانه ويميل حمزة منها ما تكرر فيه الراء كالقرار ونحوه
زاد الكسائي امالة جبارين والجوار والجار وبارئكم ومن انصاري وسارعوا وبابه وكذلك يميل
ولا يكون الالف التي هي بمنزلة لام الفعل او كان علما للتانيث اذا كان قبلها راء فعلم التانيث مثل الكبرى
والاخرى ولام الفعل مثل ترى وافترى بكسر الراء فيها ولهم عذاب عظيم اي في الآخرة وقيل
الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى والعذاب كل ما يعني الانسان ويشق عليه
قال الخليل العذاب ما يمنع الانسان عن مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش ومن الناس
من يقول آمنا بالله نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن
قيس واصحابهم حيث اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واعتقدوا خلافها واكثرهم
من اليهود والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي كما قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من
قبل فنسي وقيل لظهوره من قولهم آنست اي ابصرت وقيل لانه يستأنس به
وباليوم الآخر اي بيوم القيامة قال الله تعالى وما هم بمؤمنين يخادعون الله اي يخادعون
الله واصل الخدع في اللغة الاخفاء ومنه المخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع فالمخادع يظهر خلاف
ما يضمر والخدع من الله تعالى في قوله وهو خادعهم ان يظهر لهم ويعجل من النعيم في الدنيا خلاف ما
يغيب عنهم من عذاب الآخرة وقيل اصل الخدع الفساد معناه يفسدون ما اظهروا من الايمان
بما اضمروا من الكفر وقوله وهو خادعهم اي يفسد عليهم نعيمهم في الدنيا بما يصيرهم اليه من عذاب
الآخرة فان قيل ما معنى قوله يخادعون الله والمفاعلة للمشاركة وقد جل الله تعالى عن المشاركة في
المخادعة قيل قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقوله عافاك الله وعاقبت فلانا وطارقت
النعل وقال الحسن معناه يخادعون رسول الله كما قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله اي اولياء
الله وقيل ذكر الله ههنا تحسين والقصد بالمخادعة الذين آمنوا كقوله تعالى فان لله خمسه
وللرسول وقيل معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم والذين آمنوا اي ويخادعون
المؤمنين بقولهم اذا رأوهم قالوا آمنا وهم غير مؤمنين وما يخادعون قرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو يخادعون كالحرف الاول وجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد وقرأ الباقون
وما يخدعون على الاصل الا انفسهم لان وبال خداعهم راجع اليهم لان الله تعالى يطلع نبيه
صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى وما يشعرون

اي لا يعلمون انهم يخدعون انفسهم وان وبال خداعهم يعود اليهم في قلوبهم مرض اي شك
ونفاق واصل المرض الضعف وسمي الشك في الدين مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف
البدن فزادهم الله مرضا لان الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية كلما كفروا بآية ازدادوا
كفرا ونفاقا وذلك معنى قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم
وقرأ ابن عامر وحمزة فزادهم بالامالة وزاد حمزة امالة زاد حيث وقع وزاغ وخاب
وخاف وحاق وضاق وطاق والآخرون لا يميلونها ولهم عذاب اليم مؤلم يخلص
وجعه الى قلوبهم بما كانوا يكذبون ما للمصدر اي بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرأ
الكوفيون يكذبون بالتخفيف اي بكذبهم اذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين واذا قيل قرأ الكسائي
قيل وغيض وجيء وحيل وسيق وسيء وسيئت بروم اوائلهن الضم ووافق ابن
عامر في سيق وحيل وسيء وسيئت ووافق اهل المدينة في سيء وسيئت لان اصلها قول بضم
القاف وكسر الواو مثل قتل وكذلك في اخواته فاشير الى الضمة ليكون دالا على الواو المنقلبة
وقرأ الباقون بكسر اوائلهن استثقلوا الحركة على الواو فنقلوا كسرتها الى فاء الفعل وانقلبت
الواو ياء لكسرة ما قبلها لهم يعني المنافقين وقيل لليهود اي قال لهم المؤمنون لا تفسدوا
في الارض بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل معناه لا تكفروا والكفر
اشد فسادا في الدين قالوا انما نحن مصلحون يقولون هذا القول كذبا كقولهم آمنا
وهم كاذبون الا كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب انهم هم المفسدون انفسهم بالكفر
والناس بالتعويق عن الايمان ولكن لا يشعرون اي لا يعلمون انهم مفسدون لانهم
يظنون ان الذي هم عليه من ابطان الكفر صلاح وقيل لا يعلمون ما اعد الله لهم من العذاب
واذا قيل لهم اي للمنافقين وقيل لليهود آمنوا كما آمن الناس عبد الله بن
سلام وغيره من مؤمني اهل الكتاب وقيل كما آمن المهاجرون والانصار قالوا انؤمن
كما آمن السفهاء اي الجهال فان قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم انؤمن
كما آمن السفهاء قيل انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين بذلك عنهم فرد الله عليهم فقال الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون انهم كذلك
والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم من قولهم ثوب سفيه اي رقيق وقيل السفيه الكذاب الذي
يتعمد بخلاف ما يعلم قرأ اهل الكوفة والشام السفهاء الا بتحقيق الهمزتين وكذلك كل همزتين

وتعناه في كلمتين اتفقتا او اختلفتا والآخرون بتحقيق الاولى وتليين الثانية في المختلفتين طلبا
للخفة فان كانتا متفقتين مثل هؤلاء ان واولياء اولئك وجاء امر قرأ ابو عمرو والبزي عن
ابن كثير بهمزة واحدة وقرأ ابو جعفر وورش والقواس ويعقوب بتحقيق الاولى وتليين الثانية
وقرأ قالون بتحقيق الثانية لان ما يستأنف اولى بالهمزة مما يسكت عليه واذا لقوا
الذين آمنوا يعني هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار قالوا آمنا كايمانكم واذا خلوا
رجعوا ويجوز ان يكون من الخلوة والى بمعنى الباء اي بشياطينهم وقيل الى بمعنى مع كما قال تعالى ولا
تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم شياطينهم اي رؤساءهم وكهنتهم قال ابن
عباس وهم خمسة نفر من اليهود كعب بن الاشرف بالمدينة وابو بردة في بني اسلم وعبد الدار في
جهينة وعوف بن عامر في بني اسد وعبد الله بن السوداء بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان
تابع له والشيطان المتمرد العاتي من الجن والانس ومن كل شيء واصله البعد يقال بئر شطون
اي بعيدة العمق سمي الشيطان شيطانا لامتداده في الشر وبعده من الخير وقال مجاهد الى اصحابهم
من المنافقين والمشركين قالوا انا معكم اي على دينكم انما نحن مستهزئون بمحمد واصحابه بما نظهر
من الاسلام قرأ ابو جعفر مستهزون ويستهزون فمستهزون واستهزوا وليطفوا وليواطوا ويستنبونك وخا
طين وخاطون ومتكين ومتكون وبالون والمنشون بترك الهمزة فيهن الله يستهزئ بهم اي
يجازيهم جزاء استهزائهم سمى الجزاء باسمه لانه في مقابلته كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
قال ابن عباس هو ان يفتح لهم باب من الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار وقيل
هو ان يضرب للمؤمنين نور يمشون به على الصراط فاذا وصل المنافقون اليه حيل بينهم وبين المؤ
منين كما قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية قال الحسن الله يظهر المؤمنين على نفاقهم
ويمدهم يتركهم ويمهلهم والمد والامداد واحد واصله الزيادة الا ان المد اكثر ما يأتي
في الشر والامداد في الخير قال الله تعالى في المد ونمد له من العذاب مدا وقال في الامداد وامددناكم باموال
وبنين في طغيانهم ضلالتهم واصله مجاوزة الحد ومنه طغى الماء يعمهون اي يترددون في الضلالة
متحيرين اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي استبدلوا الكفر بالايمان فما ربحت
تجارتهم اي ما ربحوا في تجارتهم اضاف الربح الى التجارة لان الربح يكون فيها كما تقول العرب
ربح بيعك وخسرت صفقتك وما كانوا مهتدين من الضلالة وقيل مصيبين في تجارتهم
مثلهم شبههم وقيل صفتهم والمثل قول سائر في عرف الناس يعرف به معنى الشيء وهو

احد اقسام القرآن السبعة كمثل الذي يعني الذين بدليل سياق الآية نظيره والذي
جاء بالصدق وصدق به استوقد اوقد نارا فلما اضاءت النار ما حوله اي
حول المستوقد واضاء لازم ومتعد يقال اضاء الشيء بنفسه واضاء غيره وهو ههنا متعد ذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك
والسدي نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة
فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي في ظلمة خائفا متحيرا
فكذلك المنافقون باظهار كلمة الايمان امنوا على اموالهم واولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم
وقاسموا الغنائم فذلك نورهم فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم
في القبر وقيل في القيامة حيث يقولون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم وقيل ذهاب نورهم
باظهار عقيدتهم على لسان النبي عم وضرب النار مثلا ثم لم يقل اطفأ الله ناره لكن عبر باذ
هاب النور عنه لان النار نور وحرارة فيذهب نورهم ويبقى الحرارة عليهم قال مجاهد
اضاءة النار اقبالهم الى المسلمين والهدى وذهاب نورهم اقبالهم الى المشركين والضلالة وقال
عطاء ومحمد بن كعب نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي صلعم واستفتاحهم به على مشركي
العرب فلما خرج كفروا به ثم وصفهم الله تعالى فقال صم اي هم صم عن الحق اي لا يقبلونه واذا
لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا بكم خرس عن الحق لا يقولونه او انهم لما ابطنوا خلاف ما اظهروا
فكأنهم لم ينطقوا بالحق عمي اي لا بصائر لهم ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهم لا يرجعون
عن الضلالة الى الحق او كصيب اي كاصحاب صيب فهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين
معناه ان شئت فمثلهم بالمستوقد وان شئت باهل الصيب وقيل او بمعنى الواو يريد
وكصيب كقوله تعالى او يزيدون يعني ويزيدون والصيب المطر وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل
فهو صيب من صاب يصوب اي نزل من السماء اي من السحاب وقيل هي السماء بعينها
والسماء كل ما علاك فاظلك وهي من اسماء الاجناس يكون واحدا وجمعا فيه اي في الصيب
وقيل في السماء اي في السحاب ولذلك ذكره وقيل السماء تذكر وتؤنث قال الله السماء منفطر به
وقال اذا السماء انفطرت ظلمات جمع ظلمة ورعد هو الصوت الذي يسمع من السحاب
وبرق هو النار التي تخرج منه قال علي وابن عباس واكثر المفسرين الرعد اسم ملك يسوق
السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به الملك السحاب وقيل الصوت زجر السحاب

وقيل تسبيح الملك وقيل الرعد نطق الملك والبرق ضحكه وقال مجاهد الرعد اسم الملك ويقال لصوته
ابصار ... والبرق لمع ملك يسوق السحاب وقال شهر بن حوشب الرعد ملك يزجي السحاب
فاذا تبددت ضمها فاذا اشتد غضبه طار من فيه النار وهي الصواعق وقيل الرعد صوت انخناق
الريح بين السحاب والاول اصح يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق
جمع الصاعقة وهي الصيحة التي يموت من يسمعها او يغشى عليه ويقال لكل عذاب مهلك صاعقة وقيل
الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله على من يشاء روي عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه ان رسول
الله صلعم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك
وعافنا قبل ذلك حذر الموت اي مخافة الهلاك والله محيط بالكافرين عالم بهم وقيل
جامعهم قال مجاهد يجمعهم فيعذبهم وقيل مهلكهم دليله قوله تعالى الا ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا و
يميل ابو عمرو والكسائي الكافرين في محل النصب والخفض ولا يميلان اول كافر به يكاد البرق
اي يقرب يقال كاد يفعل اذا قرب ولم يفعل يخطف ابصارهم يختلسها والخطف استلاب
بسرعة كلما كل حرف جملة ضمت الى ما للجزاء فصارت اداة للتكرار ومعناهما متى ما اضاء لهم
مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا اي وقفوا متحيرين فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم
بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها ان الساري لا يمكنه المشي
فيها ورعد من صفته ان يضم السامعون اصابعهم الى آذانهم من هوله وبرق من صفته ان يقرب
ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدة توقده فهذا مثل ضربه الله للقرآن وصنيع الكافرين والمنا
فقين معه فالمطر القرآن لانه حياة الجنان كما ان المطر حياة الابدان والظلمات ما في القرآن
من ذكر الكفر والشرك والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى
والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب اليه
لان الايمان عندهم كفر والكفر موت يكاد البرق يخطف ابصارهم اي القرآن يبهر قلوبهم
وقيل هذا مثل ضربه الله للاسلام فالمطر الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والر
عد ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم في آذانهم
يعني ان المنافقين اذا رأوا في الاسلام بلاء او شدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكا
فرين جامعهم يعني لا ينفعهم هربهم لان الله من ورائهم يجمعهم فيعذبهم يكاد البرق يعني دلائل الا
سلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم مشوا فيه يعني ان المنافقين
ان يخرجهم

اذا اظهروا كلمة الايمان آمنوا فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة وقيل معناه كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام
ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم عليهم يعني رأوا شدة وبلاء تأخروا وقاموا اي وقفوا كما قال الله
تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف ولو شاء الله لذهب بسمعهم اي باسماعهم وابصارهم
الظاهرة كما ذهب باسماعهم وابصارهم الباطنة وقيل لذهب بما استفادوا من العز والامان
الذي لهم بمنزلة السمع والبصر ان الله على كل شيء قدير قادر قرأ ابن عامر وحمزة
شاء وجاء حيث كان بالامالة يا ايها الناس قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب اهل مكة
ويا ايها الذين آمنوا خطاب اهل المدينة وههنا عام الا من حيث انه لا يدخله الصغار والمجانين
اعبدوا وحدوا قال ابن عباس كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد ربكم الذي خلقكم
والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق والذين من قبلكم اي وخلق الذين من قبلكم لعلكم
تتقون لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بان تصيروا في ستر ووقاية من
عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء كما قال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى اي
ادعواه الى الحق وكونا على رجاء التذكر وحكم الله من ورائه واجب الذي جعل لكم الارض فراشا
اي بساطا وقيل مناما وقيل وطاء اي ذللها ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها والجعل ههنا بمعنى
الخلق والسماء بناء اي سقفا مرفوعا وانزل من السماء اي السحاب ماء يعني المطر فا
خرج به من الثمرات من انواع النبات رزقا لكم طعاما لكم وعلفا لدوابكم فلا تجعلوا
لله اندادا اي امثالا تعبدونهم كعبادة الله وقال ابو عبيدة الند الضد وهو من الاضداد
والله تعالى بريء من المثل والضد وانتم تعلمون انه واحد خالق لهذه الاشياء وان كنتم في ريب
اي في شك معناه واذ كنتم لان الله تعالى علم انهم شاكون مما نزلنا على عبدنا يعني القرآن فاتوا
امر تعجيز بسورة والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول والآخر من أسأرت اي
افضلت حذفت الهمزة وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البناء لارتفاعه سميت
سورة لان القارئ ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكماله سور القرآن
من مثله اي مثل القرآن ومن صلة كقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقيل
الهاء في مثله راجع الى محمد صلعم يعني من مثل محمد امي لا يحسن الخط والكتابة قال محمود
فههنا من مثله دون سائر السور لان من للتبعيض وهذه السورة اول القرآن بعد الفاتحة
فادخل من ليعلم ان التحدي واقع على جميع سور القرآن ولو ادخل من في سائر السور لكان التحدي
الى الدعوى

اي افعلوا مثله بعض السور وادعوا شهداءكم اي استعينوا بآلهتكم التي تعبدونها من دون
الله وقال مجاهد ناسا يشهدون لكم ان كنتم صادقين ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه
فلما تحداهم عجزوا فقال فان لم تفعلوا فيما مضى ولن تفعلوا ابدا فيما بقي وانما قال ذلك
لبيان الاعجاز لان القران كان معجزة النبي صلعم حيث عجز الانسان بمثله فاتقوا النار اي فآمنوا
واتقوا بالايمان النار التي وقودها الناس والحجارة قال ابن عباس واكثر المفسرين يعني
حجارة الكبريت لانها اكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وهو دليل على عظم تلك النار وقيل اراد بها الاصنام
لان اكثر اصنامهم كانت منحوتة من الحجارة كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
اعدت هيئت للكافرين وبشر الذين آمنوا اي اخبر والبشارة كل خبر صدق يتغير به
بشرة الوجه ويستعمل في الخير والشر وفي الخير اغلب وعملوا الصالحات اي فعلوا الفعلات
الصالحات يعني المؤمنين من اهل الطاعة قال عثمان بن عفان رض وعملوا الصالحات
اي اخلصوا الاعمال كما قال فليعمل عملا صالحا اي خالصا عن الرياء قال معاذ العمل الصالح
الذي فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص ان لهم جنات جمع جنة
والجنة البستان الذي فيه اشجار مثمرة سميت بها لاجتنانها وتسترها بالاشجار وقال
الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم تجري من تحتها الانهار اي من تحت
اشجارها ومساكنها الانهار اي المياه في الانهار لان النهر لا يجري وقيل من تحتها اي بامرهم
كقوله تعالى حكاية عن فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي اي بامري والانهار جمع نهر سمي
به لسعته وضيائه ومنه النهار وفي الحديث انهار الجنة تجري من غير اخدود كلما رزقوا منها
رزقوا اطعموا منها اي من الجنة من ثمرة ومن صلة رزقا طعاما قالوا هذا الذي
رزقنا من قبل وقبل رفع على الغاية قال الله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد قيل من
قبل في الدنيا وقيل الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا ثمرة بعد اخرى
ظنوا انها الاولى واتوا به بالرزق متشابها قال ابن عباس ومجاهد والربيع متشابها في
الالوان مختلفا في الطعوم وقال الحسن وقتادة متشابها اي يشبه بعضها بعضا في الجودة اي كلها
خيار لا رذالة فيها وقال محمد بن كعب يشبه ثمر الدنيا غير ان ثمرها اطيب وقيل متشابها في الاسم
مختلفا في الطعم قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسامي وعن جابر قال قال رسول
الله صلعم اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون

يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشحهم المسك ولهم فيها اي في
الجنات ازواج نساء وجواري يعني من حور العين مطهرة من الغائط والبول والحيض
والنفاس والبصاق والمخاط والمني والولد وكل قذر قال ابراهيم النخعي في الجنة جماع ما شئت
ولا ولد وقال الحسن هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل مطهرة
من مساوي الاخلاق وهم فيها خالدون دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر
ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون
ولا يمتخطون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وازواجهم الحور العين
على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم ستون ذراعا في السماء وعن ابي سعيد قال قال رسول
الله صلعم اول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة صورة وجوههم مثل صورة القمر ليلة البدر والزمرة
الثانية على لون احسن كوكب في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى
مخ سوقهن دون لحومها ودمائها وحللها وعن انس قال قال رسول الله صلعم لو ان امراة من
نساء الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها
خير من الدنيا وما فيها وعن سليمان بن موسى قال حدثني كريب انه سمع اسامة بن زيد يقول قال
رسول الله صلعم الا هل من مشمر للجنة وان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة
تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام
في ابد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن
المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله فقال القوم ان شاء الله وروى عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلعم اهل الجنة جرد مرد كحلى لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم وعن علي قال ان في
الجنة لسوقا ليس فيها بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة
دخلها وان فيها لمجتمع الحور العين ينادين باصوات لم يسمع الخلائق مثلها نحن الخالدات فلا
نبيد ابدا ونحن الناعمات فلا نبأس ابدا ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا
وكنا له ورواه ابو عيسى عن هناد واحمد بن منيع عن ابي معاوية مرفوعا وقال هذا حديث
غريب وعن انس ان رسول الله صلعم قال ان في الجنة لسوقا يأتونها كل يوم جمعة فتهب ريح
الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا
حسنا

وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم
بعدنا حسنا وجمالا ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها سبب
نزول هذه الاية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال ان الذين تدعون من
دون الله لن يخلقوا ذبابا وقال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت
قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر
مثل هذه الاشياء فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي اي لا يترك ولا يمنعه الحياء ان يضرب مثلا شبها
ما بعوضة ما صلة اي مثلا بالبعوضة وبعوضة نصب بدل عن المثل والبعوض صغار البق
سميت بعوضة كانها بعض البق فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وقال ابو عبيدة اي فما دونها
كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك اي واجهل فاما الذين آمنوا بمحمد والقرآن
فيعلمون انه يعني المثل هو الحق الصدق من ربهم واما الذين كفروا يضل به كثيرا
من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادوا ضلالا ويهدي به اي بهذا المثل كثيرا من المؤمنين
فيصدقونه والاضلال هو الصرف عن الحق بالباطل وقيل هو الهلاك يقال ضل الماء في اللبن اذا
هلك وما يضل به الا الفاسقين الكافرين واصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة
اذا خرجت من قشرها قال الله تعالى ففسق عن امر ربه اي خرج ثم وصفهم فقال الذين
ينقضون يخالفون ويتركون واصل النقض الكسر عهد الله امر الله الذي عهد اليهم يوم
الميثاق بقوله الست بربكم قالوا بلى وقيل اراد به العهد الذي اخذه على النبيين وسائر الامم ان
يؤمنوا بمحمد صلعم في قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية وقيل اراد به العهد الذي عهد اليهم
في التورية ان يؤمنوا بمحمد صلعم ويبينوا نعته من بعد ميثاقه توكيده والميثاق العهد
المؤكد ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني الايمان بمحمد وبجميع الرسل عليهم السلام
لانهم قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقال المؤمنون لا نفرق بين احد من رسله
وقيل اراد به الارحام ويفسدون في الارض بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان
بمحمد صلعم والقرآن اولئك هم الخاسرون المغبونون ثم قال لمشركي العرب على وجه
التعجب كيف تكفرون بالله بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين ثم ذكر الدلائل فقال
وكنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فاحياكم في الارحام والدنيا ثم يميتكم عند
انقضاء آجالكم ثم يحييكم بالبعث ثم اليه ترجعون تردون في الآخرة فيجزيكم باعمالكم قرأ

يعقوب ترجعون كل القرآن بفتح التاء والياء على تسمية الفاعل هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا لكي تعتبروا وتستدلوا وقيل لتنتفعوا ثم استوى الى السماء قال ابن عباس
واكثر مفسري السلف اي ارتفع الى السماء وقال ابن كيسان والفراء وجماعة النحويين اي
اقبل على خلق السماء وقيل قصد لانه خلق الارض اولا ثم عمد الى خلق السماء
فسواهن سبع سموات خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدع وهو بكل شيء
عليم قرأ ابو جعفر وابو عمرو والكسائي وقالون وهو وهي بسكون الهاء اذا كان قبل الهاء
واو او فاء او لام زاد الكسائي وقالون ثم هو وقالون ان يمل هو واذ قال ربك اي وقال
ربك واذ زائدة وقيل معناه واذكر اذ قال ربك وكذلك كل ما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا
سبيله واذ واذا حرفا توقيت الا ان اذ للماضي واذا للمستقبل وقد يوضع احدهما موضع الآخر
قال المبرد اذا جاء اذ مع المستقبل كان معناه ماضيا كقوله واذ يمكر بك يريد واذ مكروا
واذا جاء اذا مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى واذا جاء نصر الله
اي يجيء للملائكة جمع ملك واصله مألك من المألكة والالوكة والالوك وهي الرسالة فقلب
فقيل ملأك ثم حذفت الهمزة طلبا للخفة لكثرة استعماله ونقلت حركتها الى اللام فقيل
ملك واراد به الملائكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى خلق السماء والارض وخلق الملائكة
والجان فاسكن الملائكة السماء واسكن الجان الارض فعبدوا دهرا طويلا في الارض
ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجن وهم خزان
الجنان اشتق لهم اسم من الجنة رأسهم ابليس فكان رئيسهم ومرشدهم واكثرهم علما فهبطوا
الى الارض وطردوا الجان الى شعوب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الارض وخفف الله عنهم
العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تارة
في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا
لاني اكرم الملائكة عليه فقال الله له ولجنده اني جاعل خالق في الارض خليفة
اي بدلا منكم ورافعكم الي فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة ههنا
آدم سماه خليفة لانه خلف الجن اي جاء بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه خليفة الله
في ارضه لاقامة احكامه وتنفيذ قضاياه قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي
ويسفك الدماء بغير حق اي كما فعل بنو الجان فقاسوا بالشاهد على الغائب والا فهم ما كانوا يعلمون الغيب

ونحن نسبح بحمدك قال الحسن نقول سبحان الله وبحمده وهو صلاة الخلق و
عليها يرزقون وعن ابي ذر ان رسول الله صلعم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته
او لعباده سبحان الله وبحمده وقيل ونحن نصلي بامرك قال ابن عباس كل ما في القرآن من التسبيح
فالمراد منه الصلوة ونقدس لك اي نثني عليك بالقدس والطهارة وقيل ونطهر انفسنا
لطاعتك وقيل ونتنزهك واللام صلة وقيل لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل
على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة فيه قال اني اعلم ما لا تعلمون من المصلحة فيه وقيل اني اعلم
ان في ذريته من يطيعني ويعبدني من الانبياء والاولياء والصلحاء وقيل اني اعلم فيكم من يعصيني
وهو ابليس وقيل اني اعلم انهم يذنبون وانا اغفر لهم قرا اهل الحجاز والبصرة اني اعلم بالفتح
وكذلك كل ياء اضافة استقبلها الف مفتوحة الا في مواضع معدودة ويفتحون في بعض المواضع
عند الالف المضمومة والمكسورة وعند غير الالف وبين القراء في تفصيله اختلاف وعلم آدم
الاسماء كلها سمي آدم لانه خلق من اديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته ابو محمد
وابو البشر فلما خلقه الله عز وجل علمه اسماء الاشياء وذلك ان الملائكة قالوا لما قال الله تعالى اني
جاعل في الارض خليفة ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم
منه لانا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره فاظهره الله تعالى فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على ان الا
نبياء افضل من الملائكة وان كانوا رسلا كما ذهب اليه اهل السنة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل اسم ما كان وما يكون الى يوم القيمة وقال الربيع
بن انس اسماء الملائكة وقيل اسماء ذريته وقيل صنعة كل شيء قال اهل التاويل ان الله عز وجل
علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من اولاده بلغة فتفرقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم
بلغة ثم عرضهم انما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل
يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والاناث بلفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل
شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص فالكناية راجعة الى الشخوص فلذلك قال عرضهم
فقال انبئوني اخبروني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في اني لا اخلق خلقا الا كنتم
افضل واعلم منه فظهر عجزهم ثم قالوا اي قالت الملائكة اقرارا بالعجز سبحانك تنزيها لك
لا علم لنا الا ما علمتنا معناه انك اجل من ان نحيط بشيء من علمك الا ما علمتنا انك انت
العليم بخلقك الحكيم في امرك والحكيم له معنيان احدهما الحاكم وهو القاضي العدل والثاني المحكم

للامر كيلا يتطرق اليه الفساد واصل الحكمة في اللغة المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل ومنه
حكمة الدابة لانها تمنعها من الاعوجاج فلما ظهر عجزهم قال يا آدم انبئهم اخبرهم
باسمائهم فسمى آدم كل شيء باسمه وذكر الحكمة التي لاجلها خلق فلما انباهم باسمائهم
قال الله الم اقل لكم يا ملائكتي اني اعلم غيب السموات والارض ما كان
منها وما يكون لانه قد قال لهم اني اعلم ما لا تعلمون واعلم ما تبدون قال الحسن وقتادة
يعني قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون قولهم لن يخلق خلقا اكرم عليه منا
وقال ابن عباس هو ان ابليس مر على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه فقال
لامر ما خلق هذا ثم دخل في فيه وخرج من دبره وقال انه خلق لا يتماسك لانه اجوف ثم قال
للملائكة الذين معه ارايتم ان فضل هذا عليكم وامرتم بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع
امر ربنا فقال ابليس في نفسه والله لئن سلطت عليه لاهلكنه ولئن سلط علي لاعصينه فقال
الله تعالى واعلم ما تبدون يعني الملائكة من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية واذ
قلنا للملائكة اسجدوا لآدم قرا ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء على جوار الف اسجدوا
وكذلك قرا رب احكم بضم الباء وسغلطه النحاة جدا ونسبوه الى الغلط فيه واختلفوا في ان هذا
الخطاب مع اي الملائكة كان فقال بعضهم مع الذين كانوا سكان الارض والاصح انه مع جميع
الملائكة لقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقوله اسجدوا فيه قولان الاصح ان السجود كان
لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال امره وكان ذلك سجود تعظيم وتحية
لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله تعالى وخروا له سجدا ولم يكن فيه وضع الوجه
على الارض انما كان انحناء فلما جاء الاسلام ابطل ذلك بالسلام وقيل معنى قوله اسجدوا لآدم
اي الى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله كما جعلت الكعبة قبلة للصلوة والصلوة لله عز وجل
فسجدوا يعني الملائكة الا ابليس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما
عصى غير اسمه وصورته فقيل ابليس لانه ابلس من الرحمة اي يئس واختلفوا فيه فقال ابن
عباس واكثر المفسرين كان ابليس من الملائكة وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله
تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق فهو اصل الجن كما ان آدم اصل الانس ولانه خلق من النار
والملائكة خلقوا من النور ولان له ذرية ولا ذرية للملائكة والاول اصح لان خطاب السجود
كان مع الملائكة وقوله كان من الجن اي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة وقال سعيد بن جبير من الذين

يعلمون في الجنة وقال قوم من الملائكة الذين كانوا يصوغون حلي اهل الجنة وقيل انه
من الملائكة خلقوا من النار سموا جنا لاستتارهم عن الاعين وابليس كان منهم
الدليل عليه قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وهو قولهم الملائكة بنات الله ولما اخرجه
الله من الملائكة جعل له ذرية ابى اى امتنع فلم يسجد واستكبر اى تكبر عن السجود لآدم
وكان اى وصار من الكافرين وقال اكثر المفسرين وكان في سابق علم الله من الكافرين
الذين وجبت لهم الشقاوة وعن ابي هريرة عن النبي صلعم قال اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد
اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت
فلي النار وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وذلك ان آدم لم يكن له في الجنة
من يجانسه فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من قصيراه من شقه الايسر سميت حواء لانها
خلقت من حي خلقها الله عز وجل من غير ان احس به آدم ولا وجد له الما ولو وجد الما ما عطف
رجل على امرأة قط فلما هب من نومه رآها جالسة عند رأسه كاحسن ما خلق الله فقال لها
من انت قالت زوجتك خلقني الله لك تسكن الي واسكن اليك وكلا منها رغدا واسعا كثيرا
حيث شئتما ومتى شئتما واين شئتما ولا تقربا هذه الشجرة يعني الاكل قال بعض العلماء
وقع النهي على جنس من الشجر وقال الآخرون على شجرة مخصوصة واختلفوا في تلك الشجرة قال ابن
عباس ومحمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقال ابن مسعود شجرة العنب وقال ابن جريج شجرة التين
وقال قتادة شجرة العلم وفيها من كل شيء وقال علي شجرة الكافور فتكونا فتصيرا من الظالمين
اى من الضارين بانفسكما بالمعصية واصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فازلهما اى استزل
آدم وحواء اى دعاهما الى الزلة وقرأ حمزة فازالهما اى نحاهما الشيطان فيعال من
شطن اى بعد سمي به لبعده عن الخير وعن الرحمة عنها اى عن الجنة فاخرجهما مما كانا فيه من
النعيم وذلك ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس آدم وحواء فمنعته الخزنة فاتى الحية
وكانت صديقة لابليس وكانت من احسن الدواب لها اربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان
الجنة فسألها ابليس ان تدخله في فمها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته
الجنة وقال الحسن انما رآهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها وقد كان آدم حين دخل
الجنة ورأى ما فيها من النعيم فقال لو ان خلدا فاغتنم الشيطان ذلك منه فاتاه من قبل
الخلد فلما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان انه ابليس فبكى وناح نياحة احزنتهما

وهو اول من ناح فقالا ما يبكيك قال ابكي عليكما تموتان وتفارقان ما انتما
فيه من النعمة فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل
ادلك على شجرة الخلد فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما من الناصحين فاغترا وما ظنا
ان احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى اكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى اكلها وكان
سعيد بن المسيب يحلف بالله ما اكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا
سكر قادته اليها فاكل قال ابراهيم بن ادهم اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن
عباس وقتادة قال الله تعالى لآدم الم تكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب
وعزتك ولكني ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال
العيش الا كدا فاهبط من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا فعلم صنعة الحديد وامر بالحرث
فحرث وزرع ثم سقى حتى اذا بلغ حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم اكله
فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله قال سعيد بن جبير عن ابن عباس ان آدم لما اكل من الشجرة
التي نهي عنها قال الله عز وجل يا آدم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حواء
قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها ودميتها في الشهر مرتين فرنت حواء
عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك فلما اكلا منها تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما واخرجا
من الجنة فذلك قوله وقلنا اهبطوا انزلوا الى الارض يعني آدم وحواء وابليس فهبط
آدم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نود وحواء بجدة وابليس بالابلة والحية
باصبهان بعضكم لبعض عدو اراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية وبين
المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس قال الله ان الشيطان لكم عدو وعن عكرمة عن
ابن عباس قال لا اعلمه الا رفع الحديث انه كان يأمر بقتل الحيات وقال من تركهن خشية
او مخافة ثائر فليس منا وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث ما سالمناهن منذ حاربناهن
ولكم في الارض مستقر موضع قرار ومتاع بلغة ومستمتع الى
حين الى انقضاء آجالكم فتلقى فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم وقيل هو
التعلم آدم من ربه كلمات قراءة العامة آدم برفع الميم كلمات بخفض التاء وقرأ
ابن كثير آدم بالنصب كلمات برفع التاء يعني جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت
سبب توبته واختلفوا في تلك الكلمات قال سعيد بن جبير وهي طلحة والحسن هي قوله ربنا

ظلمنا انفسنا الاية وقال محمد بن كعب القرظي هي قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب
عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب
عملت سوءا فظلمت نفسي فاغفر لي انك انت العزيز الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انت ارحم الراحمين وقال عبيد بن عمير هي ان آدم
قال يا رب ارايت ما اتيت اشيء ابتدعته من تلقاء نفسي ام شيء قدرته علي قبل ان تخلقني
قال الله تعالى لا بل شيء قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يا رب كما قدرته علي فاغفر لي وقيل
هي ثلثة اشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحوى على ما فاتهما من نعيم الجنة
مائتي سنة ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما ولم يقرب آدم حوى مائة سنة وروى المسعودي عن
يونس بن خباب وعلقمة بن مرثد انهما قالا لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع
داود اكثر حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت
دموع آدم اكثر حيث اخرجه الله من الجنة قال شهر بن حوشب بلغني ان آدم لما هبط الى الارض
مكث ثلثمائة سنة لا يرفع راسه حياء من الله عز وجل فتاب عليه فتجاوز عنه انه هو التواب
يقبل توبة عباده الرحيم بخلقه قلنا اهبطوا منها جميعا يعني هؤلاء الاربعة
وقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والهبوط الثاني من السماء الدنيا الى الارض فاما
يأتينكم اي فان ياتكم يا ذرية آدم مني هدى اي رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب
ورسول فمن تبع هداي فلا خوف قرا يعقوب فلا خوف بالفتح كل القران والاخرون بالضم والتنوين عليهم فيما يستقبلهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة والذين كفروا جحدوا وكذبوا بآياتنا القران
اولئك اصحاب النار يوم القيمة هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا يموتون
فيها يا بني اسرائيل يا اولاد يعقوب ومعنى اسرائيل عبد الله وايل هو الله وقيل
صفوة الله وقرا ابو جعفر اسرائيل بغير همزة اذكروا احفظوا والذكر يكون بالقلب
ويكون باللسان وقيل اراد به الشكر وذكر بلفظ الذكر لان في الشكر ذكرا وفي الكفران نسيانا
قال الحسن ذكر النعمة شكرها نعمتي اي نعمي لفظها واحد ومعناها جمع كقوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها التي انعمت عليكم اي على اجدادكم واسلافكم هي النعم التي خصت
بها بنو اسرائيل من فلق البحر وانجائهم من فرعون باغراقه وتظليل الغمام عليهم في التيه وانزال

المن والسلوى وانزال التورية في نعم كثيرة لا تحصى وقال غيره جميع النعم التي لله عز
وجل على عباده واوفوا بعهدي بامتثال الامر اوف بعهدكم بالقبول والثواب
قال قتادة ومجاهد اراد بهذا العهد ما ذكر في سورة المائدة ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى ان قال لاكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله اوف بعهدكم وقال الحسن
هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة فهو شريعة التورية
وقال مقاتل هو قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقال الكلبي عهد الى
بني اسرائيل على لسان موسى عم اني باعث من بني اسماعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالنور الذي
ياتي به غفرت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى الله عم واياي فارهبون فخافوني
في نقض العهد واثبت يعقوب الياءات المحذوفة في الخط مثل فارهبون فاتقون
واخشون والاخرون يحذفونها على الخط وآمنوا بما انزلت يعني القران مصدقا موافقا
لما معكم يعني التورية في التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلعم نزلت في كعب بن الاشرف
واصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم ولا تكونوا اول كافر به اي بالقران يريد
من اهل الكتاب لان قريشا كفرت قبل اليهود بمكة معناه ولا تكونوا اول من كفر بالقران فيتابعكم
اليهود على ذلك فتبوؤا باثمكم واثامهم ولا تشتروا اي لا تستبدلوا بآياتي ببيان
صفة محمد صلعم ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا من الدنيا وذلك ان رؤساء اليهود وعلماءهم
كانت لهم ماءكل يصيبونها من سفلتهم وجهالهم ياخذون منهم كل عام شيئا
معلوما من زروعهم وضروعهم ونقودهم فخافوا انهم ان بينوا صفة محمد صلعم وتابعوه
ان تفوتهم تلك الماءكل فغيروا نعته وكتموا اسمه فاختاروا الدنيا على الاخرة واياي فاتقون
فاخشون ولا تلبسوا اي لا تخلطوا يقال لبس الثوب يلبس لبسا ولبس عليه الامر يلبس
لبسا اي خلط يقول لا تخلطوا ذكر الحق الذي انزلت عليكم من صفة محمد صلعم بالباطل
الذي تكتبونه بايديكم من تغيير صفته والاكثرون على انه اراد لا تلبسوا الاسلام باليهودية
والنصرانية قال مقاتل ان اليهود اقروا ببعض صفة محمد صلى الله عم وكتموا بعضها ليصدقوا
في ذلك فقال لا تلبسوا الحق الذي تقرون به بالباطل يعني بما تكتمونه فالحق بيانهم

والباطل بكتمانهم وتكتموا الحق اى لا تكتموه يعنى نعت محمد صلعم وانتم تعلمون انه نبى
مرسل واقيموا الصلوة يعنى الصلوات الخمس لمواقيتها وحدودها واتوا الزكوة ادوا زكوة
اموالكم المفروضة وهى ماخوذة من زكى الزرع اذا نما وكثر وقيل من تزكى اى تطهر وكلا المعنيين
موجود فى الزكوة لان فيها تطهيرا وتنمية للمال واركعوا مع الراكعين اى صلوا مع المصلين محمد
صلعم واصحابه ذكر بلفظ الركوع لان الركوع ركن من اركان الصلوة ولان صلوة اليهود لم يكن فيها ركوع
فكانه قال صلوا صلاة ذات ركوع قيل اعادته بعد قوله واقيموا الصلوة لهذا اى صلوا مع الذين فى
صلوتهم ركوع فالاول مطلق فى حق الكل وهذا فى اقوام مخصوصين وقيل هذا حث على اقامة
الصلوة جماعة كانه قال صلوا مع الذين سبقوكم بالايمان اتامرون الناس بالبر بالطاعة
نزلت فى علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا سأله عن
امر محمد صلعم اثبت على دينه فان امره حق وقوله صدق وقيل هو خطاب لاحبارهم حيث امروا
اتباعهم بالتمسك بالتوريه ثم خالفوا وغيروا نعت محمد صلعم وتنسون تتركون انفسكم فلا تتبعونه
وانتم تتلون الكتاب تقرؤن التوريه فيها نعته وصفته افلا تعقلون انه حق فتتبعونه
والعقل ماخوذ من عقال الدابة وهو ما يشد به ركبة البعير فيمنعه من الشرود فكذلك العقل
يمنع صاحبه من الكفر والجحود عن انس بن مالك ان رسول الله صلعم قال رايت ليلة اسرى بى رجالا
تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء خطباء من امتك
يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب وعن اسامة قال سمعت رسول
الله صلعم يقول يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه اى تنقطع امعاؤه فى النار
فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اهل النار عليه فيقولون اى فلان ما شانك اليس كنت تا
مرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر وآتيه وقال شعبة
عن الاعمش فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه واستعينوا على ما يستقبلكم من انواع البلايا وقيل
على طلب الاخرة بالصبر والصلوة اراد حبس النفس عن المعاصى وقيل اراد بالصبر على اداء الفرائض وقال
مجاهد الصبر هو الصوم ومنه سمى شهر رمضان شهر الصبر وذلك لان الصوم يزهده فى الدنيا والصلوة
ترغبه فى الاخرة وقيل الواو بمعنى على اى واستعينوا بالصبر على الصلوة كما قال الله تعالى وامر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها وانها ولم يقل وانهما ردا الكناية الى كل واحد منهما اى وان كل خصلة منهما كما قال

تعالى كلتا الجنتين آتت اكلها اى كل واحد منهما وقيل معناه واستعينوا بالصبر وانه لكبيرة وبالصلوة وانها
لكبيرة فحذف احدهما اختصارا وقال المؤرج رد الكناية الى الصلوة لانها اعم كقوله تعالى والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها رد الكناية الى الفضة لانها اعم وقيل رد الكناية الى الصلوة
لان الصبر داخل فيها كما قال الله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ولم يقل يرضوهما لان رضا الرسول
داخل فى رضا الله عز وجل وقال الحسين بن الفضل رد الكناية الى الاستعانة لكبيرة ثقيلة الا
على الخاشعين يعنى المؤمنين وقال الحسن الخائفين وقيل المطيعين وقال مقاتل بن حيان
المتواضعين واصل الخشوع السكون قال الله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن اى سكنت الى طاعة
الله عز وجل الذين يظنون يستيقنون والظن من الاضداد يكون شكا ويقينا كالرجاء يكون
امنا وخوفا انهم ملاقوا ربهم معاينوا ربهم فى الاخرة وهو رؤية الله تعالى وقيل المراد
من اللقاء الصيرورة اليه وانهم اليه راجعون فيجزيهم باعمالهم يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى
التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين اى عالمى زمانكم وذلك التفضيل وان
كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء واتقوا يوما واخشوا عذاب يوم لا تجزى
لا تقضى نفس عن نفس شيئا اى حقا لزمها وقيل لا تغنى شيئا من الشدائد ولا يقبل منها شف
اعة قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو عمرو بالتاء لتانيث الشفاعة وقرأ الباقون بالياء لان الشفيع والشف
اعة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة فالتذكير على المعنى والتانيث على اللفظ كقوله تعالى قد جاءكم مو
عظة من ربكم وقال فى موضع آخر فمن جاءه موعظة اى لا تقبل منها شفاعة اذا كانت كافرة ولا يؤ
خذ منها عدل اى فداء سمى به لانه مثل المفدى والعدل المثل ولا هم ينصرون اى يمنعون
من عذاب الله واذ نجيناكم يعنى اسلافكم واجدادكم فاعتدها منة عليهم لانهم نجوا بنجاتهم
من آل فرعون اتباعه واهل دينه وفرعون هو الوليد بن مصعب بن الريان وكان من القبط
من العماليق وعمر اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يكلفونكم ويذيقونكم سوء العذاب
اشد العذاب واسوأه وقيل يصرفونكم فى العذاب مرة هكذا ومرة هكذا كالابل السائمة
فى البرية وذلك ان فرعون جعل بنى اسرائيل خدما وخولا وصنفهم فى الاعمال فصنف يبنون وصنف
يحرثون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن منهم فى عمل وضع عليه الجزية وقال وهب كانوا اصنا
فا فى اعمال فرعون فذوو القوة يسلخون السوارى من الجبال حتى قرحت اعناقهم وايديهم ودبرت
ظهورهم من قطعها ونقلها وطائفة ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطائفة يضربون

اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضربون عليهم الخراج ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدي ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجن وقيل تفسير قوله يسومونكم سوء العذاب ما ذكر بعده
وهو قوله يذبحون ابناءكم فهو مذكور على وجه البدل من قوله يسومونكم سوء العذاب يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم يتركون على احياء وذكر ان فرعون رأى في منامه كان نارا اقبلت
من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني اسرائيل فهاله
ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال
ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قيل انه
قتل في طلب موسى اثني عشر الف صبي وقال وهب بلغني انه ذبح في طلب موسى تسعين الف وليد قالوا
واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع
في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون
ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها وولد موسى في السنة
التي يذبحون فيها وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل البلاء المحنة اي في سومهم اياكم سوء
العذاب محنة عظيمة وقيل البلاء النعمة وفي انجائي اياكم منهم نعمة عظيمة والبلاء يكون بمعنى النعمة
وبمعنى الشدة فالله تعالى يختبر على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر قال الله تعالى ونبلوكم بالشر و
الخير فتنة واذ فرقنا بكم البحر قيل معناه فرقنا لكم وقيل فرقنا البحر بدخولكم اياه وسمي
البحر بحرا لاتساعه ومنه قيل للفرس بحر اذا اتسع في جريه وذلك انه تعالى لما دنا هلاك فرعون امر
الله تعالى موسى ان يسري ببني اسرائيل من مصر ليلا فامر موسى قومه ان يسرجوا في بيوتهم
الى الصبح واخرج الله كل ولد زنا في القبط من بني اسرائيل اليهم وكل ولد زنا في بني اسرائيل من القبط
الى القبط حتى رجع كل الى ابيه والقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم
حين اصبحوا حتى طلعت الشمس وخرج موسى في ستمائة الف وعشرين الف مقاتل لا يعدون ابن
العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا
ما بين رجل وامرأة وعن ابن مسعود رض قال كان اصحاب موسى ستمائة وسبعين الفا وعن عمرو بن ميمون
قال كانوا ستمائة الف فلما ارادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى
مشيخة بني اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف عم لما حضره الموت اخذ علينا عهدا ان لا

21

نخرج من مصر حتى نخرج عظامه معنا فلذلك استد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا
فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم اين موضع قبر يوسف الا اخبرني به ومن لم يعلم فصمت
اذناه عن قولي فكان يمر بين رجلين ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت ارأيتك
ان دللتك على قبره ان تعطيني كل ما سألتك فابى عليها وقال حتى اسأل ربي فامره الله عز وجل
بايتاء سؤالها فقالت اني عجوز كبيرة لا استطيع المشي فاحملني واخرجني من مصر هذا في الدنيا واما في
الآخرة فاسألك ان لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في جوف الماء في النيل فادع الله
حتى يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله ان يؤخر طلوع الفجر الى ان يفرغ من امر يوسف فحفر
موسى ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من مرمر وحمله حتى دفنه بالشام ففتح لهم الطريق فساروا
وموسى على ساقتهم وهارون على مقدمتهم ونذر بهم فرعون فجمع قومه وامرهم ان لا يخرجوا في طلب بني
اسرائيل حتى يصيح الديك فوالله ما صاح الديك تلك الليلة فخرج فرعون في طلب بني اسرائيل وعلى
مقدمته هامان في الف الف وسبع مائة الف فكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وكان فرعون
وقال محمد بن كعب كان في عسكر فرعون مائة الف حصان ادهم سوى سائر الشيات وكان فرعون
يكون في الدهم وقيل كان فرعون في سبعة آلاف الف وكان بين يديه مائة الف ناشب ومائة الف اصحاب
حراب ومائة الف اصحاب الاعمدة فسارت بنو اسرائيل حتى وصلوا الى البحر والماء في غاية الزيادة
فنظروا فاذا هم بفرعون حين اشرقت الشمس فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى كيف نصنع واين ما وعدتنا
هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا قال الله فلما تراءى الجمعان
قال اصحاب موسى انا لمدركون فقال موسى كلا ان معي ربي سيهدين فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك
البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق ابا خالد باذن الله فا
نفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل
طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا فخاضت بنو اسرائيل البحر كل
سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل
اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان تشبكي فصار الماء شبكات كالطاقات يرى بعضهم بعضا
ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا فلقنا بكم البحر فانجيناكم من آل فرعون والغرق واغرقنا آل فرعون وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فرآه
منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر انفلق من هيبتي حتى ادرك عبيدي الذين ابقوا ادخلوا البحر

فجلسوا بالافنية محتبين وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو
ملعون مردود توبته واصلت القوم عليهم الخناجر فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقر
يبه وصديقه وجاره فلم يمكنه المضي لامر الله قالوا يا موسى كيف نفعل فارسل الله عليهم ضبابة
وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلونهم من الصباح الى المساء فلما كثر القتل
دعا موسى وهارون وبكيا وتضرعا وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله
السحابة وامرهم ان يكفوا عن القتل فكشفت عن الوف من القتلى روي عن علي انه قال كان عدد
القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول
الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي تكفر عنه ذنوبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم اى
ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم وتجاوز عنكم انه هو التواب العائد للتوبة الرحيم بخلقه
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وذلك ان الله امر موسى ان يأتيه في ناس
من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلا من قومه من خيارهم وقال لهم
صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا فخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا
نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنى موسى الى طور سيناء من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل
كله فدخل في الغمام وقال للقوم ادنوا فدنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا
كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد من بني ادم ان ينظر اليه فضرب دونه الحجاب
وسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه واسمعهم الله اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض
مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا
له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة معاينة وذلك ان العرب تجعل العلم بالقلب رؤية فقال جهرة ليعلم
ان المراد منها العيان فاخذتكم الصاعقة اي الموت وقيل نار جاءت من السماء فاحرقتهم وانتم
تنظرون اي ينظر بعضكم الى بعض حين اخذكم الموت وقيل تعلمون والنظر يكون بمعنى العلم فلما هلكوا
جعل يبكي ويتضرع ويقول ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم لو شئت اهلكتهم
من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم رجلا بعد رجل
بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم
من بعد موتكم احييناكم والبعث اثارة الشيء من محله يقال بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث
لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام في التيه يقيكم حر الشمس والغمام من الغم واصله التغطية والستر سمي
السحاب

غماما لانه يغطي وجه الشمس وذلك انهم لم يكن لهم في التيه كن يسترهم فشكوا الى موسى فارسل الله غماما ابيض
رقيقا اطيب من غمام المطر وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم الليل اذا لم يكن قمر وانزلنا عليكم المن
والسلوى اي في التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين وقال مجاهد هو شيء كالصمغ كان يقع على
الاشجار طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال الزجاج جملة المن ما يمن الله به من غير تعب عن
سعيد بن زيد قال قال النبي صلعم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان هذا المن يقع
كل ليلة على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا
ربك ان يطعمنا اللحم فانزل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه بعث
الله سحابة فمطرت السماني في عرض ميل وطول رمح وكان الله ينزل عليهم المن والسلوى كل صباح من
طلوع الفجر الى طلوع الشمس فياخذ كل واحد ما يكفيه يوما وليلة واذا كان يوم الجمعة اخذ كل واحد منهم
ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات حلالات ما رزقناكم
ولا تدخروا لغد فخبأوا لغد فقطع الله ذلك عنهم ودود وفسد ما ادخروا فقال الله تعالى وما ظلمونا وما
بخسوا حقنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون باستيجابهم عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل
عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لولا بنو اسرائيل
لم يخنث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر واذ قلنا ادخلوا هذه
القرية سميت القرية قرية لانها تجمع اهلها ومنه المقراة للحوض لانه يجمع الماء قال ابن عباس
هي اريحا وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق
وقيل بلقاء وقال مجاهد بيت المقدس وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وتدمر وقال
مقاتل ايلياء وقال ابن كيسان الشام فكلوا منها حيث شئتم رغدا موسعا عليكم وادخلوا
الباب يعني بابا من ابواب القرية وكان لها سبعة ابواب سجدا اي ركعا خضعا منحنين قال
وهب فاذا دخلتموه فاسجدوا شكرا لله تعالى وقولوا حطة قال قتادة حط عنا خطايانا امروا
بالاستغفار وقال ابن عباس لا اله الا الله لانها تحط الذنوب ورفعها على تقدير قولوا مسألتنا حطة
نغفر لكم خطاياكم من الغفر وهو الستر فالمغفرة تستر الذنوب وقرأ اهل المدينة بالياء وضمها
وفتح الفاء وقرأ ابن عامر بالتاء وضمها وفي الاعراف قرأ جميعا ويعقوب بالتاء وضمها وقرأ الآخرون
فيهما بنصب النون وكسر الفاء وسنزيد المحسنين ثوابا من فضلنا فبدل فغير الذين ظلموا
انفسهم وقالوا قولا غير الذي قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم حطا سمقاثا

سنحق ثم اى حنطة حمرا استخفافا بامر الله تعالى وقال بى ملد طوطى بهم اباب يحقفوار دسهم
فابوا ان يدخلوها سجدا فدخلوا يزحفون على استاههم ى الحنطة فى العفيرى كما بدلوا القول وقالوا
قولا غير الذى قيل لهم عن همام بن منبه انه سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله صلعم قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا ودخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة فى شعيرة فانزلنا على الذين ظلموا رجزا عذابا من السماء قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم فى ساعة
واحدة سبعون الفا بما كانوا يفسقون يعصون ويخرجون من امر الله واذ استسقى موسى
طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا فى التيه فسألوا موسى ان يستسقى لهم ففعل فاوحى الله اليه
كما قال فقلنا اضرب بعصاك وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها
شعبتان تتقدان فى الظلمة نورا واسمها عليق حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبيا حتى وصلت
الى شعيب فاعطاها موسى قال مقاتل اسم العصا نبعة الحجر اختلفوا فيه قال وهب لم يكن حجرا
معينا بل كان موسى يضرب اى حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثنى
عشر سبطا ثم تسيل كل عين فى جدول الى السبط الذى امر بسقيهم وقال الآخرون كان حجرا معينا
بدليل انه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر راس الرجل كان يلقيه
فى مخلاته فاذا احتاجوا الى الما وضعه وضربه بعصاه وقال عطا كان للحجر اربعة اوجه وقيل كان من
الكذان فيه اثنا عشر حفرة ينبع من كل حفرة عين ما عذب فاذا فرغوا واراد موسى حمله ضربه
بعصاه فيذهب الما وكان يسقى كل يوم ستمائة الف وقال سعيد بن جبير الحجر الذى وضع موسى ثوبه
عليه ليغتسل ففر بثوبه ومر به على ملا من بنى اسرائيل حين رموه بالادرة فلما وقف اتاه
جبرئيل فقال ان الله يقول ارفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة فرفعه ووضعه فى مخلاته
قال عطا كان يضرب موسى اثنى عشرة ضربة فيظهر على موضع كل ضربة مثل ثدى المراة فيعرق
ثم يسيل وينفجر الانهار واكثر اهل التفسير يقولون انبجست وانفجرت واحد وقال ابو عمرو ابن
العلا انبجست عرقت وانفجرت سالت فذكر قوله تعالى فانفجرت اى فضرب فانفجرت اى سالت
منه اثنتا عشرة عينا على عدد الاسباط قد علم كل اناس مشربهم موضع شربهم لا يدخل
سبط على غيره فى شربه كلوا واشربوا اى وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من الما
فهذا كله من رزق الله اى الذى ياتيكم بلا مشقة ولا تعثوا فى الارض مفسدين والعيث اشد الفساد
يقال عثى يعثى عثيا وعثا يعثو عثوا وعاث يعيث عيثا واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام

واحد وذلك انهم انجعوا او سئموا من اكل المن والسلوى وانما قال طعام وهما اثنان لان
العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ
وانما يخرج من الملح دون العذب وقيل كانوا ياكلون احدهما بالآخر فكان طعاما واحدا وقال
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كانوا يعجنون المن بالسلوى فيصير واحدا فادع لنا فسأل
لاجلنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها قال ابن عباس
الفوم الخبز وقال عطا الحنطة وقال القتيبى الحبوب التى تؤكل كلها وقال الكلبى الثوم وعدسها
وبصلها قال لهم موسى أتستبدلون الذى هو ادنى اى اخس وارذى بالذى هو خير اشرف
وافضل وجعل الحنطة ادنى فى القيمة وان كان هو خيرا من المن والسلوى او اراد انها اسهل وجودا
على العادة ويجوز ان يكون الخير راجعا الى اختيار الله لهم واختيارهم لانفسهم اهبطوا مصرا
يعنى فان ابيتم الا ذلك فانزلوا مصرا من الامصار وقال الضحاك هو مصر موسى وفرعون والاول
اصح لانه لو اراده لم يصرفه فان لكم ما سألتم من نبات الارض وضربت عليهم جعلت عليهم
والزموا الذلة الذل والهوان قيل بالجزية وقال عطا ابن السائب هو الكستيج والزنار وزى
اليهودية والمسكنة الفقر سمى الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود وان
كانوا اغنياء كانهم فقراء وقيل الذل الذلة وفقر القلب فلا ترى فى اهل الملل اذل واحرص على المال
من اليهود وباءوا بغضب من الله رجعوا ولا يقال باء الا بشر وقال ابو عبيدة احتملوا واقروا به ومنه
الدعا ابوء بنعمتك وابوء بذنبى اى اقر ذلك اى الغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله بصفة
محمد صلعم وآية الرجم فى التورية ويكفرون بالانجيل والقرآن ويقتلون النبيين تفرد نافع بهمز النبى
وبابه فيكون معناه المخبر من انبا ينبئ ونبا ينبئ والقراءة المعروفة ترك الهمزة وله وجهان احدهما
هو ايضا من الانبا وتركت الهمزة فيه تخفيفا لكثرة الاستعمال والثانى هو بمعنى الرفيع ماخوذ من النبوة
وهى المكان المرتفع فعلى هذا يكون النبيين على الاصل بغير الحق اى بلا جرم فان قيل لم قال بغير الحق
وقتل النبيين لا يكون الا بغير الحق قيل ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وتارة بغير الحق وهو
مثل قوله تعالى قل رب احكم بالحق ذكر الحق وصفا للحكم لان الحكم ينقسم الى الجور والحق ويروى ان اليهود
قتلت سبعين نبيا فى اول النهار وقامت سوق بقلهم فى آخر النهار ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
يتجاوزون امرى ويرتكبون محارمى ان الذين آمنوا والذين هادوا يعنى اليهود سموا به لقولهم

بالسنتهم من غير مواطاة القلوب
وهم المنافقون كانه قال

انا هدنا اليك اى ملنا اليك وقيل لانهم هادوا اى تابوا عن عبادة العجل وقيل لانهم مالوا عن
دين الاسلام وعن دين موسى عم وقال ابو عمرو بن العلاء لانهم يتهودون اى يتحركون عند قراءة
التورية ويقولون ان السموات والارض تحركت حين اتى الله موسى التورية والنصارى
سموا به لقول الحواريين نحن انصار الله وقال مقاتل لانهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة وقيل
لاعتزائهم الى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى عم والصابئين قرأ اهل المدينة الصابين
والصابون بترك الهمزة والباقون بالهمزة واصله الخروج يقال صبأ فلان اذا خرج من دين
الى دين آخر وصبأت النجوم اذا خرجت من مطالعها وصبأ ناب البعير اذا خرج فهولاء سموا
به لخروجهم من دين الى دين قال عمر وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح
اهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم قال مجاهد هم قبيلة نحو الشام
بين اليهود والمجوس قال الكلبي هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط رؤوسهم ويجبون
مذاكيرهم قال قتادة هم قوم يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة اخذوا
من كل دين شيئا قال عبد العزيز بن يحيى انقرضوا من آمن بالله واليوم الآخر فان قيل كيف يستقيم
قوله من آمن بالله وقد ذكر في ابتداء الاية ان الذين آمنوا قيل اختلفوا في حكم الاية فقال بعضهم اراد
بقوله ان الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين فقال قوم هم الذين آمنوا قبل المبعث وهم
طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني
وابي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبحيرا الراهب ووفد النجاشي فمنهم من ادرك النبي صلى عم
وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين
هادوا والذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا وماتوا
على ذلك قالوا وهذان الاسمان لزماهم زمن موسى وعيسى حيث كانوا على الحق كالاسلام لامة محمد عم والصا
بئين زمن استقامة امرهم من آمن بالله اى مات منهم وهو مؤمن لان حقيقة الايمان بالموافاة ويجوز ان
يكون الواو مضمرا اى ومن آمن بعدك يا محمد الى يوم القيمة وقال بعضهم ان المذكورين بالايمان في اول الاية
على طريق المجاز دون الحقيقة ثم اختلفوا فيهم فقال بعضهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل
اراد بهم المنافقين الذين آمنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية
والنصرانية بعد التبديل والصابئين بعض اصناف الكفار من آمن بالله واليوم الآخر من هذه الاصناف بالقلب واللسان

وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم انما ذكر بلفظ الجمع لان من تصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر
والمونث ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة واذ اخذنا ميثاقكم عهدكم يا معشر اليهود
ورفعنا فوقكم الطور وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم وهو قول مجاهد وقالوا ما من لغة في
الدنيا الا وهي في القرآن وقال الاكثرون ليس في القرآن لغة غير لغة العرب لقوله تعالى قرآنا عربيا وانما هذا
واشباهه وفاق وقع بين اللغتين وقال ابن عباس امر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله
حتى قام على رؤسهم وذلك ان الله تعالى انزل التورية على موسى عم فامر موسى قومه ان يقبلوها ويعملوا
باحكامها فابوا ان يقبلوها للاصار والاثقال التي فيها وكانت شريعة ثقيلة فامر الله جبرائيل عم فقلع
جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل كالظلة وقال لهم
ان لم تقبلوا التورية ارسلت هذا الجبل عليكم وقال عطاء عن ابن عباس رفع الله فوق رؤسهم الطور
وبعث الله نارا من قبل وجوههم وان هم البحر الملح من خلفهم خذوا ما آتيناكم اعطيناكم بقوة بجد
واجتهاد ومواظبة واذكروا وادرسوا ما فيه وقيل احفظوه واعملوا به لعلكم تتقون لكي تنجوا
من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى فان قبلتم والا رضختكم بهذا الجبل واغرقتكم في هذا البحر
واحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم منها قبلوه وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم
سجود فصار سنة في اليهود ولا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب
عنا ثم توليتم اعرضتم من بعد ذلك من بعد ما قبلتم التورية فلولا فضل الله عليكم ورحمته
يعني بالامهال والادراج وتاخير العذاب عنكم لكنتم لصرتم من الخاسرين من المغبونين بالعقوبة
وذهاب الدنيا والآخرة وقيل من المعذبين في الحال كانه رحمهم بالامهال ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت اى جاوزوا الحد واصل السبت القطع وقيل سمي بذلك يوم السبت لان الله تعالى قطع فيه الخلق وقيل
لان اليهود امروا فيه بقطع الاعمال والقصة فيه انهم كانوا زمن داود عم بارض يقال لها ايلة فحرم
الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى يخرجن
خراطيمهن من الماء لامنها حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل البحر فلا يرى
منها شيء فذلك قوله اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم ثم ان الشيطان
وسوس اليهم قال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا
منه اليها الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فاقبل الموج بالحيتان الى الحياض

فلا يقدر على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل كانوا ينصبون الحبائل
والشصوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل عليهم عقوبة فتجرؤوا
على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا وقد احل لنا فاخذوا واكلوا وملحوا وباعوا واشتروا وكثر مالهم
فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلثة اصناف صنف امسك ونهى وصنف
امسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة وكان الناهون اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله
لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وعبروا بذلك سنتين فلعنهم داود وغضب الله عليهم
لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا بابهم
فلما ابطؤوا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعا قردة لها اذناب يتعاوون قال قتادة صار
الشبان قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلثة ايام ولم يتوالدوا
قال الله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة امر تحويل وتكوين خاسئين مبعدين مطرودين
قيل فيه تقديم وتاخير اي كونوا خاسئين قردة ولذلك لم يقل خاسئات والخسأ الطرد والابعاد
وهو لازم ومتعد يقال خسأته فخسأ وخسئ خسوءا مثل رجعته رجعا فجعلناها اي جعلنا عقوبتهم
بالمسخ نكالا اي عقوبة وعبرة والنكال اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة
جزاء عليه ومنه النكول في اليمين وهو الامتناع واصل النكل القيد وجمعه انكال لما بين يديها
قال قتادة اراد بما بين يديها ما سبقت من الذنوب اي جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدم من ذنوبهم
قبل نهيهم عن اخذ الصيد وما خلفها ما حضرت من الذنوب التي اخذوا بها وهي العصيان
باخذ الحيتان وقال ابو العالية والربيع عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لما بعدهم ان يستنوا
بسنتهم وما الثانية بمعنى من وقيل جعلناها اي جعلنا قرية اصحاب السبت عبرة لما بين يديها اي القرى
التي كانت مبنية في الحال وما خلفها ما يحدث من القرى من بعد ليتعظوا وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره
فجعلناها وما خلفها اي ما اعد لهم من العذاب في الاخرة نكالا وجزاء لما بين يديها اي لما تقدم من
ذنوبهم باعتدائهم في السبت وموعظة للمتقين للمؤمنين من امة محمد صلعم فلا يفعلوا مثل فعلهم واذ
قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة البقرة هي الانثى من البقر يقال هي ماخوذة
من البقر وهو الشق سميت به لانها تشق الارض للحراثة والقصة فيه انه كان في بني اسرائيل
رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى فالقاه

بفنائهم ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا
فاشتبه امر القتيل على موسى قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التورية فسألوا موسى ان يدعو الله
ليبين لهم بدعائه فامرهم بذبح بقرة فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا
هزوا اي تستهزئ بنا نحن نسالك عن امر القتيل وتامرنا بذبح البقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين
في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه قرا حمزة هزؤا وكفؤا بالتخفيف وقرا الاخرون بالتثقيل وبترك
الهمزة حفص قال موسى اعوذ بالله امتنع بالله ان اكون من الجاهلين من المستهزئين بالمؤ
منين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لان الجواب لا على وفق السؤال جهل فلما علم القوم
ان ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوه ولو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزأت
عنهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة وذلك انه كان في بني اسرائيل رجل
صالح له ابن طفل وله عجلة اتى بها الى غيضة وقال اللهم اني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات
الرجل فصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا
بوالدته وكان يقسم الليل ثلثة اثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح
انطلق فاحتطب على ظهره فياتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويعطي
والدته ثلثه فقالت له امه يوما ان اباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع
اله ابرهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع
الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فراها ترعى
فصاح بها وقال اعزم عليك باله ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين
يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله وقالت ايها الفتى البار بوالدته اركبني
فان ذلك اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة باله
بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله
وينطلق معك لفعل لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الا
حتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم ابيعها قالت بثلثة دنانير ولا تبع
بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليري خلقه قدرته
وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلثة
دنانير واشترط عليك رضا والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستامر والدتك فقال الفتى

لو اعطيتني وزنها ذهبًا ثم اخذه الا برضا امي فردها الى امه فاخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة
دنانير على رضى مني فانطلق بها الى السوق واتى الملك فقال استأمرت امك فقال الفتى انها امرتني
ان لا انقصها من ستة على ان استأمرها فقال الملك فاني اعطيك اثني عشر على ان لا تستأمرها فابى
الفتى ورجع الى امه واخبرها بذلك فقالت ان الذي ياتيك ملك في صورة آدمي ليجربك فاذا اتاك
فقل اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا فقال له اذهب الى امك وقل لها امسكي هذه البقرة فان
موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل من بني اسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير فامسكوها
وقدر الله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكا
فاة له على بره بوالدته فضلًا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ما سنها
قال موسى انه يقول يعني فسأل الله فقال انه يعني ان الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر
اي لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي لا تلد يقال منه فرضت تفرض فروضا والبكر الفتاة
الصغيرة التي لم تلد قط وحذفت الهاء منهما للاختصاص بالاناث كالحائض عوان نصف بين
ذلك اي بين السنين يقال عونت المرأة تعوينا اذا زادت على الثلاثين قال الاخفش العوان التي
نتجت مرارا وجمعها عون فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكرروا السؤال قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها شديد الصفرة وقال
قتادة صاف وقال الحسن الصفراء السوداء والاول اصح لانه لا يقال اسود فاقع انما يقال اصفر فاقع
واسود حالك واحمر قاني واخضر ناضر وابيض يقق للمبالغة تسر الناظرين اليها ويعجبهم حسنها
وصفاء لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اسائمة ام عاملة ان البقر تشابه علينا ولم يقل تشابهت
لتذكير لفظ البقر كقوله تعالى اعجاز نخل منقعر وقال الزجاج اي جنس البقر تشابه علينا اي التبس و
واشتبه امره علينا فلا نهتدي اليه وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها قال رسول الله صلعم وايم
الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل
يقال رجل ذليل بين الذل ودابة ذلول بينة الذل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث
اي ليست بساقية مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها لا لون لها سوى لون جميع جلدها
قال عطاء لا عيب فيها قال مجاهد لا بياض فيها ولا سواد قالوا الآن جئت بالحق اي بالبيان
التام الشافي الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها الا مع الفتى فاشتروها بملء مسكها
ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلاء ثمنها وقال محمد بن كعب وما كادوا يجدونها باجتماع

٢٧

اوصافها وقيل ما كادوا يفعلون من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها واذ قتلتم نفسا هذا اول
القصة وان كانت مؤخرة في التلاوة واسم القتيل عاميل فادارأتم فيها اصله تدارأتم فادغمت التاء
في الدال وادخلت الالف مثل قوله اثاقلتم قال ابن عباس ومجاهد معناه فاختلفتم وقال الربيع بن
انس تدافعتم اي يحيل بعضكم على بعض من الدرء وهو الدفع فكان كل واحد يدفع عن نفسه فيها
والله مخرج مظهر ما كنتم تكتمون فان القاتل كان يكتم القتل فقلنا اضربوه يعني القتيل
ببعضها اي ببعض البقرة واختلفوا في ذلك البعض فقال ابن عباس واكثر المفسرين ضربوه بالعظم
الذي يلي الغضروف وهو المقتل وقال مجاهد وسعيد بن جبير بعجب الذنب لانه اول ما يخلق
وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق وقال الضحاك بلسانها قال الحسين بن الفضل لانه آلة الكلام وقال
عكرمة والكلبي بفخذها الايمن وقيل ببعض منها لا بعينه ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله
واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر
ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة وفيه اضمار تقديره فضرب فحيي كذلك يحيي الله الموتى كما
احيا عاميل ويريكم آياته لعلكم تعقلون قيل تمنعون انفسكم من المعاصي اما حكم هذه المسألة
في الاسلام اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان واللوث ما
يغلب به على القلب صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت او صحراء فتفرقوا عن قتيل يغلب على القلب
ان القاتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية كلهم اعداء للقتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على القلب انهم قتلوه
فادعى الولي على بعضهم يحلف المدعي خمسين يمينا على من يدعي عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الا
يمان عليهم ثم بعد ما حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطأ وان ادعوا قتل
عمد فمن ماله ولا قود على قول الاكثرين وذهب بعضهم الى وجوب القود وهو قول عمر بن عبد العزيز
وبه قال مالك واحمد وان لم يكن على المدعى عليه لوث فالقول قول المدعى عليه مع يمينه ثم يحلف يمينا واحدة
ام خمسين يمينا فيه قولان احدهما يمينا واحدة كما في سائر الدعاوى والثاني يحلف خمسين يمينا تغليظا
لامر الدم وعند ابي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدأ بيمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام
خمسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا عرفوا له قاتلا ثم ياخذ الدية من سكانها والد
ليل على ان البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما روي عن سهل بن ابي حثمة ان عبد الله بن سهل
ومحيصة بن مسعود خرجا الى خيبر فتفرقا لحاجتهما فقتل عبد الله بن سهل فانطلق هو وعبد الرحمن اخو
المقتول وحويصة بن مسعود الى رسول الله صلعم فذكروا له قتل عبد الله بن سهل فقال رسول الله صلعم تحلفون

خسيرا وتستحيون دم صاحبكم اوتى تليكم فقالوا يا رسول الله لم نشهد ثم يخطر فقال رسول الله صلعم فتبرئكم
يهود بخمسين يمينا فقالوا يا رسول الله وكيف نقبل ايمان قوم كفار فوداه النبي صلعم من عنده قال بشير بن
يسار قال سهل لقد ركضتني فريضة من تلك الفرائض في مربد لنا اخرجه مسلم عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب
وجه الدليل من الحديث ان النبي صلعم بدا بايمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث وهو ان عبد الله بن سهل وجد قتيلا
في خيبر وكانت العداوة ظاهرة بين الانصار واهل خيبر وكان يغلب على القلب انهم قتلوه واليمين ابدا
تكون حجة لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث يقوى جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته وكان
القول قوله مع يمينه ثم قست قلوبكم يبست وجفت وجفاف القلب خروج الرحمة واللين عنه وقيل
غلظت وقيل اسودت من بعد ذلك من بعد ظهور الدلالات قال الكلبي قالوا بعد ذلك نحن لم نقتله فلم يكونوا
قط اعمى قلبا ولا اشد تكذيبا لنبيهم منهم عند ذلك فهي في الغلظة والشدة كالحجارة او اي بل
اشد قسوة وقيل او بمعنى الواو كقوله تعالى مائة الف او يزيدون بل يزيدون او ويزيدون وانما شبهها
بالحجارة ولم يشبهها بالحديد مع انه اصلب من الحجارة لان الحديد قابل لللين فانه يلين بالنار وقد لان لداود ع والحجارة لا
تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار قيل اراد به جميع الحجارة
وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى للاسباط وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء اراد به عيونا
دون الانهار وان منها لما يهبط ينزل من اعلى الجبال الى اسفله من خشية الله وقلوبكم لا تلين ولا
تخشع يا معشر اليهود فان قيل الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى قيل الله يفهمه ويلهمه فيخشى بالهامه ومذهب
اهل السنة ان لله تعالى علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلوة
وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره وان من شيء الا يسبح بحمده وقال والطير صافات كل قد علم صلاته و
تسبيحه وقال الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر الاية فيجب على المرء الايمان
به ويكل علمه الى الله روي ان النبي صلعم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل انزل عني فاني اخاف ان
تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك فقال له جبل حراء الي الي يا رسول الله وعن جابر بن سمرة قال قال رسول
الله صلعم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث واني لاعرفه الان وعن علي رضي قال كنت مع
رسول الله صلعم بمكة فخرجنا في نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر فلم نمر بشجرة ولا جبل الا قال السلام
عليك يا رسول الله وعن ابن جريج اخبرني ابو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول كان النبي صلعم اذا
خطب استند الى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية كحنين
الناقة حتى سمعها اهل المسجد حتى نزل رسول الله صلعم فاعتنقها فسكنت قال مجاهد لا ينزل حجر من اعلى

حزب

٢٨

الى اسفل الا من خشية الله ويشهد لما قلنا قوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من
خشية الله وما الله بغافل ساه عما تعملون وعيد وتهديد وقيل بتارك عقوبة ما تعملون بل
يجازيكم به قرا ابن كثير يعملون بالياء والاخرون بالتاء افتطمعون افترجون يريد محمدا صلعم واصحابه ان
يؤمنوا لكم تصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله يعني التورية
ثم يحرفونه يغيرون ما فيها من الاحكام من بعد ما عقلوه وعلموه كما غيروا صفة محمد صلعم واية
الرجم وهم يعلمون انهم كاذبون هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وجماعة وقال ابن
عباس ومقاتل نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك انهم لما رجعوا بعد ما سمعوا
كلام الله الى قومهم اما الصادقون فادوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه
ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فهذه تحريفهم وهم يعلمون انه الحق واذا لقوا
الذين آمنوا قال ابن عباس والحسن وقتادة يعني منافقي اليهود الذين آمنوا بالسنتهم اذا لقوا
المؤمنين المخلصين قالوا آمنا كايمانكم واذا خلا رجع بعضهم الى بعض كعب بن الاشرف و
كعب بن اسد ووهب بن يهودا وغيرهم من رؤساء اليهود لاموهم على ذلك قالوا اتحدثونهم بما فتح
الله عليكم بما قضى الله عليكم في كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق والفتاح القاضي وقال الكسائي
بما بينه الله لكم قال الواقدي بما انزل الله عليكم من العلم بصفة النبي صلعم ونعته وقال نظيره لفتحنا عليهم
بركات من السماء اي انزلنا وقال ابو عبيدة بما من الله عليكم واعطاكم ليحاجوكم به ليخاصموكم يعني اصحاب
محمد صلعم ويحتجوا بقولكم عليكم فيقولون قد اقررتم بانه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك انهم
قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلعم آمنوا به فانه حق ثم قال بعضهم لبعض اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم في الدنيا والاخرة وقيل انهم اخبروا المؤمنين بما عذبهم
الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما انزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند
ربكم ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله وقال مجاهد هو قول يهود قريظة بعضهم لبعض حين
قال لهم النبي صلعم يا اخوان القردة والخنازير فقالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج هذا الا منكم
افلا تعقلون قال الله اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون يخفون وما يعلنون يبدون يعني
اليهود ومنهم اميون اي من اليهود اميون لا يحسنون القراءة ولا الكتابة جمع امي منسوب الى
الام كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة لا يعلمون الكتاب الا اماني قرا ابو
جعفر اماني بتخفيف الياء كل القرآن حذف احدى اليائين استخفافا وقرا العامة بالتشديد وهو جمع

الأمنية وهي التلاوة قال الله تعالى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته أي في قراءته قال أبو عبيدة إلا تلاوة
وقراءة عن ظهر القلب لا يقرؤونه من كتاب وقيل يعلمونها حفظا وقراءة لا يعرفون معناه وقال ابن عباس
غير عارفين بمعاني الكتاب وقال مجاهد وقتادة إلا كذبا وباطلا قال الفراء الأماني الأحاديث المفتعلة
قال عثمان ما تمنيت منذ أسلمت أي ما كذبت وأراد بها الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم ثم
أضافوها إلى الله عز وجل من تغيير نعت النبي صلعم وغيره وقال الحسن وأبو العالية هي من التمني وهي أمانيهم
الباطلة التي يتمنونها على الله مثل قولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ولن تمسنا النار إلا أياما
معدودة وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فعلى هذا إلا بمعنى لكن معناه لا يعلمون الكتاب لكن
يتمنون أشياء لا تحصل لهم وإن هم وما هم إلا يظنون ظنا وتوهما لا يقينا قاله قتادة والربيع وقال
مجاهد يكذبون فويل قال الزجاج ويل كلمة يقولها كل واقع في هلكة وقيل هو دعاء الكفار على أنفسهم
بالويل والثبور وقال ابن عباس شدة العذاب وقال سعيد بن المسيب ويل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال
الدنيا لانماعت من شدة حرها وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلعم قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر
أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فهو كذلك للذين
يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وذلك أن أحبار اليهود
خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلعم المدينة فاحتالوا في تعويق
اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل
العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر فإذا سألهم سفلتهم
عن صفته قرؤوا ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته فيكذبونه قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت
أيديهم يعني كتبوا بأنفسهم اختلاقا من تغيير نعته صلعم وويل لهم مما يكسبون من المآكل
ويقال من المعاصي وقالوا يعني اليهود لن تمسنا النار لن تصيبنا النار إلا أياما معدودة
قدرا مقدورا ثم يزول عنا العذاب واختلفوا في هذه الأيام فقال ابن عباس وهي هكذا كان
اليهود يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما واحدا ثم ينقطع
العذاب بعد سبعة أيام وقال قتادة وعطاء يعنون أربعين يوما التي عبد آباؤهم فيها العجل
وقال الحسن وأبو العالية قالت اليهود إن ربنا عتب علينا في أمر فأقسم ليعذبنا أربعين يوما
فلن تمسنا النار إلا أربعين يوما تحلة القسم فقال الله عز وجل تكذيبا لهم قل يا محمد أتخذ
تم ألف استفهام دخلت على ألف الوصل عند الله عهدا موثقا أن لا يعذبكم إلا هذه المدة

فلن يخلف الله عهده وعده وقال ابن مسعود عهدا بالتوحيد يدل عليه قوله تعالى إلا من اتخذ عند
الرحمن عهدا يعني قول لا إله إلا الله أم تقولون على الله ما لا تعلمون ثم قال بلى وبلى وبل حرف استد
راك ومعناها نفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل من كسب سيئة يعني الشرك وأحاطت به خطيئته
وقرأ أهل المدينة خطيئاته بالجمع والإحاطة الإحداق بالشيء من جميع نواحيه قال ابن عباس وعطاء
والضحاك وأبو العالية والربيع وجماعة هي الشرك يموت عليه وقيل السيئة الكبيرة والإحاطة به أن يصر
عليها فيموت غير تائب قاله عكرمة والربيع بن خثيم وقال مجاهد هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل
ذنبا ارتفعت حتى تغشى القلب وهو الرين قال الكلبي أوبقته ذنوبه دليله قوله تعالى إلا أن يحاط بكم
أي تهلكوا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب
الجنة هم فيها خالدون وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل في التوراة والميثاق العهد الشديد لا تعبدون
إلا الله قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لا يعبدون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء لقوله وقولوا للناس
حسنا معناه أن لا تعبدوا فلما حذف أن صار الفعل مرفوعا وقرأ أبي بن كعب لا تعبدوا على النهي
وبالوالدين إحسانا أي ووصيناهم بالوالدين إحسانا برا بهما وعطفا عليهما ونزولا عند أمرهما
فيما لا يخالف أمر الله تعالى وذي القربى أي وبذي القربى والقربى مصدر كالحسنى واليتامى جمع
يتيم وهو الطفل الذي لا أب له والمساكين يعني الفقراء وقولوا للناس حسنا صدقا وحقا في شأن محمد صلعم
فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموا أمره هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وابن جريج
ومقاتل وقال سفيان الثوري مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول والمعاشرة
بحسن الخلق وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتح الحاء والسين أي قولا حسنا وأقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة ثم توليتم أعرضتم عن العهد والميثاق إلا قليلا منكم وذلك أن قوما منهم آمنوا
وأنتم معرضون كإعراض آبائكم وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم لا تريقون دماءكم
أي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكأنكم سفكتم دماء
أنفسكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم أي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تسيئوا جوار
من جاوركم فتلجئوهم إلى الخروج بسوء جواركم ثم أقررتم بهذا العهد أنه حق وقبلتم وأنتم
تشهدون اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتقرون بالقبول ثم أنتم هؤلاء يعني يا هؤلاء وهؤلاء
للتنبيه تقتلون أنفسكم أي بعضكم بعضا وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم
بتشديد الظاء أي تتظاهرون أدغمت التاء في الظاء وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الظاء

محذوف تاء التفاعل وابقوا تاء الخطاب كقوله تعالى ولا تعاونوا ومعناهما جميعا تتعاونون
والتظاهر التعاون بالاثم والعدوان بالمعصية والظلم وان ياتوكم اسارى وقرا حمزة اسرى
وهما جمع اسير ومعناهما واحد تفدوهم بالمال وتنقذوهم وقرا اهل المدينة وعاصم والكسائي
ويعقوب تفادوهم اي تبادلوهم اراد مفاداة الاسير بالاسير وقيل معنى القراءتين واحد ومعنى
الاية قال السدي ان الله اخذ على بني اسرائيل في التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم
بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه فكانت
قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكانوا يقتتلون في حرب سمير فيقاتل بنو قريظة
وحلفاؤهم النضير وحلفاءهم واذا غلبوا اخربوا ديارهم واخرجوهم منها واذا اسر رجل من
الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وان كان الاسير من عدوهم فتعيرهم العرب وتقول كيف تقاتلونهم
وتفدونهم قالوا انا امرنا ان نفديهم فيقولون فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحيي ان تستذل حلفاؤنا
فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفي الاية تقديم وتاخير ونظمها
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم
وان ياتوكم اسارى تفدوهم وكان الله قد اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك
المظاهرة عليهم مع اعدائهم وفداء اسرائهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله افتؤمنون ببعض
الكتاب وتكفرون ببعض قال مجاهد يقول ان وجدته في يد غيرك فديته وانت تقتله بيدك فما
جزاء من يفعل ذلك منكم يا معشر اليهود الا خزي عذاب وهوان في الحيوة الدنيا فكان خزي قريظة
القتل والسبي وخزي بني النضير الجلاء والنفي عن منازلهم الى اذرعات واريحا من الشام ويوم
القيمة يردون الى اشد العذاب وهو عذاب النار وما الله بغافل عما تعملون قرا ابن كثير ونافع
وابو بكر بالياء والباقون بالتاء اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله عز وجل ولقد اتينا اعطينا موسى الكتاب
التورية جملة واحدة وقفينا اتبعنا من بعده بالرسل رسولا بعد رسول واتينا عيسى بن مريم
البينات الدلالات الواضحات وهي ما ذكر الله في سورة ال عمران والمائدة وقيل اراد الانجيل وايد
ناه بروح القدس قرا ابن كثير القدس بسكون الدال وقرا الاخرون بضمها وهما لغتان مثل الرعب
والرعب واختلفوا في روح القدس قال الربيع وغيره اراد بالروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى
اضافه الى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله كما قال فنفخنا فيه من روحنا وقيل اراد بالقدس

الطاهرة يعني الروح الطاهر سمى روحه قدسا لانه لم تتضمنه اصلاب الفحول ولم يشتمل عليه ارحام
الطوامث انما كان امرا من امر الله قال قتادة والسدي والضحاك روح القدس جبرئيل وقيل وصف
جبرائيل بالقدس اي بالطهارة لانه لم يقترف ذنبا قال الحسن القدس هو الله وروحه جبرائيل قال الله
تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وتاييد عيسى بجبرائيل انه امر ان يسير معه حيث سار حتى
صعد به الى السماء وقيل سمي جبرائيل روحا للطافته ولمكانه من الوحي الذي هو سبب حيوة القلوب
وقال ابن عباس وسعيد بن جبير روح القدس هو اسم الله الاعظم به كان يحيي الموتى ويري الناس العجائب
وقيل هو الانجيل جعل روحا كما جعل القران روحا لمحمد صلعم لانه سبب لحياة القلب فقال تعالى وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا فلما سمعت اليهود ذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص
علينا من الانبياء فعلت فاتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا فقال الله عز وجل افكلما جاءكم يا معشر
اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم تكبرتم وتعظمتم عن الايمان ففريقا طائفة كذبتم مثل
عيسى ومحمد وفريقا تقتلون اي قتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائر من قتلوا من الانبياء عليهم
السلام وقالوا يعني اليهود قلوبنا غلف جمع الاغلف وهو الذي عليه غشاء معناه عليها غشاوة فلا تعي
ولا تفقه ما تقول قاله مجاهد وقتادة نظيره قوله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة وقرا ابن عباس غلف
بضم اللام وهي قراءة الاعرج وهو جمع غلاف اي قلوبنا اوعية لكل علم فلا تحتاج الى علمك قاله ابن
عباس وعطاء وقال الكلبي معناه اوعية لكل علم فهي لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك لا تعقله
ولا تعيه ولو كان فيه خير لفهمته ووعته قال الله بل لعنهم الله طردهم الله وابعدهم من كل خير
بكفرهم فقليلا ما يؤمنون قال قتادة معناه لا يؤمن منهم الا قليل لان من امن من المشركين اكثر
ممن امن من اليهود اي فقليلا يؤمنون ونصب قليلا على الحال وقال معمر لا يؤمنون الا بقليل
مما في ايديهم ويكفرون باكثره اي فبقليل يؤمنون ونصب قليلا بنزع الخافض وما صلة على قولهما
وقال الواقدي معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا كقول الرجل لاخر ما اقل ما تفعل كذا اي لا تفعله اصلا
ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القران مصدق موافق لما معهم يعني التورية وكانوا يعني
اليهود من قبل من قبل مبعث محمد صلعم يستفتحون يستنصرون على الذين كفروا على مشركي العرب
وذلك انهم كانوا يقولون اذا حزبهم امر ودهمهم عدو اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في اخر
الزمان الذي نجد صفته في التورية فكانوا ينصرون فكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل [illegible]
[illegible]

زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا يعني محمدا صلعم من غير بني اسرائيل وعرفوا نعته وصفته كفروا به بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين بئس ما اشتروا به انفسهم بئس ونعم فعلان ماضيان وضعا للمدح والذم لا يتصرفان تصرف الافعال معناه بئس الذي اختاروا لانفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق وقيل الاشتراء هاهنا بمعنى البيع والمعنى بئس ما باعوا به حظ انفسهم اي اختاروا الكفر وبذلوا انفسهم للنار ان يكفروا بما انزل الله يعني القران بغيا اي ظلما واصل البغي الفساد يقال بغى الجرح اذا فسد والبغي الظلم واهله الظلمة والباغي طالب الظلم والحاسد يظلم المحسود ويجهده طلبا لازالة نعمة الله عنه ان ينزل الله من فضله النبوة والكتاب على من يشاء من عباده محمد صلعم قرأ اهل مكة والبصرة ينزل وبابه بالتخفيف الا في سبحان وشعبة ونزل من القران وحتى تنزل علينا فان ابن كثير يشددهما ووافق البصريون في الانعام على ان ينزل اية وزاد يعقوب بما ينزل في النحل ووافق حمزة والكسائي في تخفيف ينزل الغيث في سورة لقمان وعسق والاخرون يشددون الكل ولم يختلفوا في تشديد وما ننزله في الحجر فباءوا اي رجعوا بغضب على غضب اي مع غضب قال ابن عباس وهي هذا الغضب الاول بتضييعهم التورية وتبديلهم والثاني بكفرهم بمحمد صلعم قال قتادة الاول بكفرهم بعيسى والانجيل والثاني بالكفر بمحمد صلعم والقران وقال السدي الاول بعبادة العجل والثاني بالكفر بمحمد صلعم وللكافرين الجاحدين بنبوة محمد صلعم من الناس كلهم عذاب مهين مخزي يهانون فيه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعني القران قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني التورية يكفينا ذلك ويكفرون بما وراءه اي بما سواه من الكتب كقوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك اي سواه وقال ابو عبيدة بما بعده وهو الحق يعني القران مصدقا نصب على الحال لما معهم من التورية قل لهم يا محمد فلم تقتلون اي قتلتم انبياء الله من قبل وهم اصله بما فحذفت الالف فرقا بين الخبر والاستفهام كقولهم فيم وبم ان كنتم مؤمنين بالتورية وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء عليهم السلام ولقد جاءكم موسى بالبينات بالدلالات الواضحة والمعجزات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اي استجيبوا واطيعوا سميت الطاعة والاجابة سمعا على المجاز لانه سبب الطاعة والاجابة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك وقيل سمعنا بالاذان وعصينا بالقلوب قال اهل المعاني انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوا وتلقوه بالعصيان نسب ذلك الى القول اتساعا

واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل معناه ادخل في قلوبهم حب العجل وخالطها كاشراب اللون لشدة الملازمة يقال فلان مشرب اللون اذا اختلط بياضه بالحمرة وفي القصص ان موسى عليه السلام امر ان يبرد العجل بالمبرد ثم يذره في النهر وامرهم بالشرب منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان تعبدوا العجل من دون الله اي بئس ايمان يأمر بعبادة العجل ان كنتم مؤمنين بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله عز وجل قل لهم ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله وذلك ان اليهود ادعوا دعاوي باطلة مثل قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ولن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله عز وجل والزمهم الحجة فقال قل لهم يا محمد ان كانت لكم الدار الاخرة يعني الجنة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت اي فاريدوه واسألوه لان من علم ان الجنة ماواه حن اليها ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني ان كنتم صادقين في قولكم وقيل فتمنوا الموت اي ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة روي عن ابن عباس ان النبي صلعم قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه وما بقي على وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم عليهم انهم في دعواهم كاذبون واراد بما قدمت ايديهم ما قدموه من الاعمال واضاف الى اليد لان اكثر جنايات الانسان تكون باليد فيضاف الى اليد اعماله وان لم يكن لليد فيها عمل والله عليم بالظالمين ولتجدنهم اللام لام القسم والنون تاكيد القسم تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا قيل هو متصل بالاول اي واحرص من الذين اشركوا وقيل تم الكلام بقوله على حيوة ثم ابتداء ومن الذين اشركوا واراد بالذين اشركوا المجوس قال ابو العالية والربيع سموا مشركين لانهم يقولون بالنور والظلمة يود يريد ويتمنى احدهم لو يعمر الف سنة يعني تعمير الف سنة وهي تحية المجوس فيما بينهم عش الف سنة وكل الف نيروز ومهرجان يقول الله تعالى اليهود احرص على الحيوة من المجوس الذين يقولون ذلك وما هو بمزحزحه بمباعده من العذاب من النار ان يعمر اي طول عمره لا يبعده من العذاب وزحزح لازم ومتعد يقال زحزحته فتزحزح وتزحزح وزحزحته فتزحزح والله بصير بما يعملون قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل قال ابن عباس ان حبرا من احبار اليهود يقال له عبد الله بن صوريا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اي ملك ياتيك من السماء قال جبريل قال ذاك عدونا من الملائكة ولو كان ميكائيل لامنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والقتال

والله عادانا مرارا وكان اشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل
يقال له بخت نصر واخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما كان وقته بعثنا رجلا من اقوياء بني اسرائيل
في طلبه ليقتله فانطلق حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبرائيل وكبر بخت
نصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل
قالت اليهود ان جبرائيل عدونا لانه امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وقال قتادة وعكرمة
والسدي كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وممره على مدارس اليهود فكان اذا اتى
ارضه ياتيهم ويسمع منهم فقالوا له ما في اصحاب محمد احب الينا منك انهم يمرون بنا فيؤذوننا وانت
لا تؤذينا وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما اتيكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل
عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلعم وارى اثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي ياتيه من الملائكة
قال جبرائيل فقالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة
وان ميكائيل اذا جاء جاء بالخصب والسلم فقال لهم عمر تعرفون جبرائيل وتنكرون محمدا قالوا نعم قال
فاخبروني عن منزلة جبرائيل وميكائيل من الله عز وجل قالوا جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل
عدو لجبرائيل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبرائيل فهو عدو لميكائيل ومن كان عدوا لميكائيل
فانه عدو لجبرائيل ومن كان عدوا لهما فان الله عدو له ثم رجع عمر الى رسول الله صلعم فوجد جبرائيل قد سبقه
بالوحي فقرأ رسول الله صلعم هذه الايات فقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني بعد ذلك
في دين الله اصلب من الحجر فانه يعني جبرئيل نزله يعني القرآن كناية عن غير مذكور على قلبك يا محمد
باذن الله بامر الله مصدقا موافقا لما بين يديه لما قبله من الكتب وهدى وبشرى للمؤمنين من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبرئيل وميكال خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولهما في
قوله وملائكته تفضيلا وتخصيصا كقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان خص النخل والرمان
بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة والواو فيهما بمعنى او يعني من كان عدوا لاحد هؤلاء لان الكافر بالواحد
كافر بالكل فان الله عدو للكافرين قال عكرمة جبر وميك واسراف هي العبد بالسريانية وايل
هو الله ومعناهما عبد الله او عبد الرحمن وقرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم [illegible] مهموز بوزن
[illegible] قال حسان وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء وقرأ حمزة والكسائي
بالهمزة والاشباع بوزن سلسبيل وقرأ ابو بكر بالاختلاس وقرأ الاخرون بكسر الجيم غير
المهموز وميكائيل قرأ اهل البصرة وحفص بغير همز ولا ياء [illegible]

وكذبوا بمحمد وبجبريل وكذبوا بميكائيل وقال آخر ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر جبريل وميكال
وقرأ [illegible] ميكائيل وقرأ الاخرون بالهمز والاشباع بوزن ميكاعيل
[illegible] فقال [illegible] فانزل الله ولقد انزلنا اليك آيات بينات
واضحات مفصلات [illegible] وما يكفر بها الا الفاسقون الخارجون عن امر الله عز وجل
اوكلما [illegible] واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام عاهدوا عهدا يعني اليهود عاهدوا لئن خرج
محمد لنؤمنن به فلما خرج كفروا به قال ابن عباس لما ذكر رسول الله صلعم لهم ما اخذ الله عليهم وعهد
اليهم في محمد ان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد عهدا فانزل الله هذه الاية يدل
عليه قراءة ابي رجاء العطاردي اوكلما عوهدوا عهدا وقال عطاء هي العهود التي كانت
بين رسول الله صلعم وبين اليهود ان لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوها كفعل قريظة والنضير
دليله قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم نبذه طرحه ونقضه فريق طوائف منهم
من اليهود بل اكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله يعني محمدا صلعم مصدق لما معهم
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم يعني التورية وقيل القرآن كأنهم
لا يعلمون قال الشعبي كانوا يقرؤن التورية ولا يعملون بها وقال سفيان بن عيينة ادرجوها في الحرير
والديباج وحلوها [illegible] فذلك النبذ قوله تعالى واتبعوا يعني اليهود ما
تتلوا الشياطين اي ما تلت والعرب تضع المستقبل موضع الماضي والماضي موضع المستقبل وقيل
ما كانت تتلو اي تقرأ قال ابن عباس تتبع وقال عطاء تحدث وتكلم به على ملك سليمان
اي في ملكه وعهده وقصة الاية ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان آصف هذا ما علم آصف بن
برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه حين نزع الله الملك عنه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات
استخرجوها وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما علماء بني اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ
الله ان يكون هذا من علم سليمان واما السفلة فقالوا هذا علم سليمان واقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب
انبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم حتى بعث الله محمدا صلعم وانزل الله عليه براءة
سليمان هذا قول الكلبي قال السدي كانت الشياطين تصعد الى السماء فتستمع كلام الملائكة فيما يكون
في الارض من موت وغيره فياتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها
فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني اسرائيل ان الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس [illegible]
الكتب فجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال لا اسمع احدا يقول ان الشياطين تعلم الغيب

الا صخر بن عمير فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون امر سليمان ودفنه الكتب وخلف
من بعدهم خلف تمثل شيطان على صورة انسان فاتى نفرا من بني اسرائيل فقال هل ادلكم على كنز لا تاكلونه
ابدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم واراهم المكان وقام ناحية فقالوا ادن قال لا
ولكني هاهنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك انه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسي الا احترق فحفروا
واخرجوا تلك الكتب قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم
طار الشيطان وفشى في الناس ان سليمان كان ساحرا واتخذ بنو اسرائيل تلك الكتب فلذلك اكثر ما يوجد
السحر في اليهود فلما جاء محمد صلعم برأ الله سليمان من ذلك فانزل في عذر سليمان واتبعوا ما تتلو الشياطين
على ملك سليمان وما كفر سليمان بالسحر وقيل لم يكفر سليمان لانه لو سحر لعمل ولكن الشياطين كفروا
قرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن الشياطين مخففة النون والشياطين رفع وقرا الاخرون ولكن بتشديد
النون الشياطين نصب وكذلك ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى ومعنى لكن نفي الخبر الماضي واثبات المستقبل
يعلمون الناس السحر قيل معنى السحر العلم والحذق قال الله تعالى وقالوا يا ايها الساحر اي العالم والصحيح
ان السحر عبارة عن التمويه والتخييل والسحر وجوده حقيقة عند اهل السنة وعليه اكثر الامم ولكن العمل به
كفر حكي عن الشافعي انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به فهو من
عمل الشياطين يتلقاه الساحر منه بتعليمه اياه فاذا تلقاه منه استعمله في غيره وقيل انه يؤثر في قلب الا
عيان فيجعل الادمي على صورة الحمار ويجعل الحمار على صورة الكلب والاصح ان ذلك تخييل قال الله تعالى
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى لكنه يؤثر في الابدان بالامراض والموت والجنون وللكلام تاثير في الطباع
والنفوس وقد يسمع الانسان ما يكره فيحمى ويغضب وربما يحم منه وقد مات قوم بكلام سمعوه فهو
بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثر في الابدان قوله تعالى وما انزل على الملكين اي ويعلمون الذي انزل على
الملكين اي الهما وعلما فالانزال بمعنى الالهام والتعليم وقيل واتبعوا ما انزل على الملكين وقرا ابن عباس والحسن
الملكين بكسر اللام قال ابن عباس هما رجلان ساحران كانا ببابل وقال الحسن علجان لان الملائكة لا يعلمون
السحر ببابل وهي بابل العراق سميت بابل لتبلبل الالسن بها عند سقوط صرح نمرود اي تفرقها
قال ابن مسعود بابل ارض الكوفة وقيل جبل دنباوند والقراءة المعروفة على الملكين بالنصب فان قيل كيف
يجوز تعليم السحر من الملائكة قيل له تاويلان احدهما انهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر ويذكران
بطلانه ويامران باجتنابه والتعليم بمعنى الاعلام فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلم من صنعتهما والتاويل
الثاني وهو الاصح ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقي يتعلم السحر منهما فيكفر به ومن

يسعد يتركه فيبقى على الايمان ويزداد المعلمان بالتعليم عذابا ففيه ابتلاء للمعلم والمتعلم ولله
ان يمتحن عباده بما شاء فله الامر والحكم هاروت وماروت اسمان سريانيان وهما
في محل الخفض على تفسير الملكين الا انهما نصبا للعجمة والتعريف وكانت قصتهما على ما ذكره ابن
عباس والمفسرون ان الملائكة راوا ما تصعد الى السماء من اعمال بني آدم الخبيثة في زمن ادريس
عليه السلام فعيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم فهم يعصونك
فقال الله عز وجل لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم مثل ما ارتكبوا
فقالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى
الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وقال الكلبي قال الله
تعالى لهم اختاروا ثلثة فاختاروا عزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت غير اسمهما لما قارفا
الذنب وعزائيل فركب الله فيهم الشهوة واهبطهم الى الارض وامرهم ان يحكموا بين الناس
بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزائيل فانه لما وقعت الشهوة
في قلبه استقال ربه وسأله ان يرفعه الى السماء فاقاله فسجد اربعين سنة ثم رفع راسه ولم يزل بعد
ذلك مطاطئا راسه حياء من الله عز وجل واما الآخران فانهما ثبتا على ذلك فكانا يقضيان
بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء قال قتادة فما مر عليهما
شهر حتى افتتنا قالوا جميعا وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من اجمل النساء قال
علي بن ابي طالب رض وكانت من اهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما راياها اخذت بقلوبهما
فراوداها عن نفسها فابت فانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فابت وقالت
لا الا ان تعبدا ما اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه
الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي انفسهما
من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلوة لغير
الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمراة فزنيا فلما
فرغا راهما انسان فقتلاه قال الربيع بن انس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا وقال
بعضهم جاءتهما امراة من احسن الناس تخاصم زوجها فقال احدهما للاخر هل سقط في نفسك
مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال وهل لك ان تقضي لها على زوجها قال له صاحبه اما تعلم ما
عند الله من العذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسالاها نفسها فقالت

لا الآن تغضبا الى علي زوجي فتغضبا ثم سألاها نفسها فقالت لا الآن تقتلاه فقال احدهما اما
نعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال صاحبه اما نعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم
سألاها نفسها فقالت لا الآن لهما صنما تعبدانه ان اتيتما صليتما بين عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه
مثل القول الاول وقال صاحبه مثله فصليا معها فتمتعا بها فلما قال علي بن ابي طالب والكلبي والسدي
انها قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به الى السماء فقالا باسم الله الاكبر فقالت ما
انتما بمدركي حتى تعلماني فقال احدهما لصاحبه علمها فقال اني اخاف الله قال الآخر فاين رحمة
الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها هي
الزهرة بعينها وانكر الآخرون هذا وقالوا ان الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي اقسم الله بها فقال
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى زهرة لجمالها
فلما بغت مسخها الله شهابا قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود
الى السماء فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عم فاخبراه بامرهما
وسألاه ان يشفع لهما الى الله وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل
الارض فاستشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
فاختارا عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان واختلفوا في كيفية عذابهما فقال عبد الله
بن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال عطاء بن ابي رباح رؤوسهما مطرقة
تحت اجنحتهما قال قتادة كبلا من اقدامهما الى اصول افخاذهما قال مجاهد جعلا في جب ملئت
نارا قال عمر بن سعد منكوسان يضربان بسياط الحديد وروي ان رجلا قصد هاروت
وماروت لتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة جلودهما ليس بين
السنتهما وبين الماء الا اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله
الا الله فلما سمعا كلامه قالا له من انت قال رجل من الناس قالا من اي امة قال من امة محمد
قالا وقد بعث محمد قال نعم قالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل ومم استبشاركما
قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا قوله تع وما يعلمان يعني الملكين من احد اي احدا
ومن صلة حتى يقولا انما نحن فتنة ابتلاء ومحنة فلا تكفر اي لا تتعلم السحر فتعمل
به فتكفر واصل الفتنة الاختبار والامتحان من قولهم فتنت الذهب والفضة اذا اذبتهما
بالنار ليتميز الجيد من الردي وانما وحد وهما اثنان لان الفتنة مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع

وقيل انهما يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات قال عطاء والسدي فان ابى الا التعلم قالا له
ائت هذا الرماد فبل عليه فيخرج منه نور ساطع في السماء فتلك المعرفة وينزل شيء اسود شبه
الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله قال مجاهد ان هاروت وماروت لا يصل
اليهما احد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل سنة اختلافة واحدة فيتعلمون منهما ما يفرقون
به بين المرء وزوجه وهو ان يؤخذ كل واحد عن صاحبه ويبغض كل واحد منهما الى صاحبه
قال الله تعالى وما هم قيل اي السحرة وقيل الشياطين بضارين به من احد اي بالسحر من
احد اي احدا الا باذن الله اي بعلمه وتكوينه فالساحر يسحر والله يكون قال سفيان الثوري
معناه الا بقضائه وقدره ومشيئته ويتعلمون ما يضرهم يعني السحر يضرهم ولا ينفعهم ولقد
علموا يعني اليهود لمن اشتراه اي اختار السحر ماله في الآخرة في الجنة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا
باعوا به انفسهم حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق لو كانوا يعلمون فان
قيل اليس قد قال ولقد علموا لمن اشتراه فما معنى قوله لو كانوا يعلمون بعد ما اخبر انهم علموا قيل
كلاهما في اليهود ولكنهم لما لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا ولو انهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن واتقوا اليهودية والسحر لمثوبة من عند الله لكان ثواب الله اياهم خير لهم لو كانوا
يعلمون يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وذلك ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول
الله من المراعاة اي ارعنا سمعك اي فرغ سمعك لكلامنا يقال ارعى الى الشيء وراعاه وراعاه اي
اصغى اليه واسمعه وكانت هذه اللفظة شيئا قبيحا بلغة اليهود وقيل كان معناه عندهم اسمع
لا سمعت وقيل هو من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا بمعنى يا احمق فلما سمع
اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الآن وكانوا
يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف
لغتهم فقال لليهود لئن سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلعم لاضربن عنقه فقالوا
اولستم تقولونها فانزل الله تعالى لا تقولوا راعنا لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم النبي صلعم
وقولوا انظرنا اي انظر الينا وقيل انتظرنا وتأن بنا يقال نظرت فلانا وانتظرته ومنه قوله تعالى
انظرونا نقتبس من نوركم قال مجاهد فهمنا واسمعوا ما تؤمرون به اي واطيعوا وللكافرين
يعني اليهود عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب الآية وذلك ان المسلمين كانوا
اذا قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلعم قالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه

ولودّوا لو كان خيراً فانزل الله تكذيباً لهم ما يودّ ما يحب ويتمنى الذين كفروا من اهل
الكتاب يعني اليهود ولا المشركين جرّه بالنسق على من ان ينزّل عليكم من خير من ربكم
اي خير ونبوة ومن صلة والله يختص برحمته بنبوته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
والفضل ابتداء احسان بلا علة وقيل المراد بالرحمة الاسلام والهداية وقيل معنى
الآية ان الله تعالى بعث الانبياء من ولد اسحق فلما بعث النبي صلعم من ولد اسمعيل لم
يقع ذلك بودّ اليهود ومحبتهم واما المشركون فانهم لم يقع بودّهم لانه جاء بتضليلهم وعيب
آلهتهم فنزلت الآية فيه ما ننسخ من آية الآية وذلك ان المشركين قالوا ان محمدا يأمر
اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلاف ما يقوله وما يقوله الا من تلقاء نفسه يقول
اليوم قولا ويرجع عنه غدا كما اخبر الله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل
قالوا انما انت مفتر وانزل ما ننسخ من آية فبين وجه الحكمة في النسخ والنسخ في اللغة شيئان احدهما
بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو ان يحول من كتاب الى كتاب فعلى هذا الوجه كل
القرآن منسوخ لانه نسخ من اللوح المحفوظ والثاني بمعنى الرفع يقال نسخت الشمس الظل اي ذهبت
به وابطلته فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه منسوخا وهو المراد من الآية وهذا
على وجوه احدها ان يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للاقارب وآية عدة الوفاة
بالحول وآية التشديد في القتال وآية الممتحنة ونحوها قال ابن عباس في قوله ما ننسخ من آية قال
نثبت خطها ونبدل حكمها ومنها ان يرفع تلاوتها ويبقى حكمها مثل آية الرجم ومنها ان يرفع
اصلا عن المصحف وعن القلوب كما روي عن ابي امامة بن سهل بن حنيف ان قوما من الصحابة قاموا
ليلة ليقرؤوا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلعم فاخبروه فقال رسول
الله صلعم تلك سورة رفعت بتلاوتها واحكامها وقيل كانت سورة الاحزاب مثل سورة البقرة
فرفع اكثرها تلاوة وحكما ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما ان القبلة نسخت من
بيت المقدس الى الكعبة والوصية للاقارب نسخت بالميراث وعدة الوفاة نسخت من الحول الى اربعة
اشهر وعشر ومصابرة الواحد العشرة في القتال نسخت بمصابرة الاثنين ومنها ما يرفع ولا يقام
غيره مقامه كامتحان النساء والنسخ انما يعترض على الاوامر والنواهي دون الاخبار اما معنى
الآية فقوله ما ننسخ من آية قراءة العامة بفتح النون والسين من النسخ اي نرفعها وقرأ ابن عامر بضم
النون وكسر السين من الانساخ وله وجهان احدهما نجعله كالمنسوخ والثاني اي نجعل نسخة لك

يقال نسخت الكتاب كتبته وانسخته غيري اذا جعلته نسخة له او ننسها اي ننسها على قلبك وقال ابن عباس
نتركها لا ننسخها قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوه فتركهم وقيل ننسها اي نامر بتركها يقال
انسيت الشيء اذا امرت بتركه فيكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء النسخ من غير
اقامة غيره مقامه وقرأ ابن كثير وابو عمرو او ننسأها بفتح النون الاول والسين مهموزة اي نؤخرها
فلا نبدلها يقال نسأ الله في اجله وانسأ اجله وفي معناه قولان احدهما نرفع تلاوتها ونؤخر
حكمها كما فعل في آية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم والقول الثاني قال سعيد بن المسيب
وعطاء اما ما ننسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جعلاه من النسخ او ننسأها اي نؤخرها ونتركها
في اللوح فلا ننزل نأت بخير منها اي بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجركم لا ان آية خير من آية لان
كلام الله واحد كله خير او مثلها في المنفعة والثواب فكل ما نسخ الى الايسر فهو اسهل في العمل وما نسخ
الى الاشق فهو في الثواب اكثر الم تعلم ان الله على كل شيء قدير من النسخ والتبديل لفظه استفهام ومعناه
تقرير اي انك تعلم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم يا معشر الكفار عند نزول العذاب
من دون الله مما سوى الله من ولي قريب وصديق وقيل من والي وهو القيم بالامور ولا نصير ناصر
يمنعكم من العذاب ام تريدون ان تسألوا رسولكم نزلت في اليهود حين قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء
جملة كما اتى موسى بالتوراة فقال تعالى ام تريدون يعني اتريدون والميم صلة وقيل بل تريدون ان تسألوا
رسولكم محمدا صلعم كما سئل موسى من قبل سأله قومه ارنا الله جهرة وقيل انهم سألوا رسول الله صلعم فقالوا
لن نؤمن حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا كما ان موسى سأله قومه فقالوا ارنا الله جهرة ففيه منعهم عن السؤالات
المقترحة بعد ظهور الدلائل والبراهين ومن يتبدل يستبدل الكفر بالايمان فقد ضل اخطأ سواء
السبيل وسط الطريق وقيل قصد السبيل ود كثير من اهل الكتاب الآية نزلت في نفر من اليهود قالوا
لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن
اهدى سبيلا منكم فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر
بمحمد صلعم ما عشت فقال اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد
نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلعم
فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود كثير اي تمنى واراد كثير من اهل
الكتاب من اليهود لو يردونكم يا معشر المؤمنين من بعد ايمانكم كفارا حسدا نصب على
المصدر اي يحسدونكم حسدا من عند انفسهم اي من تلقاء انفسهم لم يأمرهم [illegible] بل من قبل

ما تبين لهم الحق في التورية ان قول محمد صدق ودينه حق فاعفوا اي اتركوا واصفحوا وتجاوزوا
فالعفو المحو والصفح الاعراض وهذا كان قبل آية القتال حتى يأتي الله بامره بعذابه القتل والسبي
لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير قال ابن عباس وقال قتادة وهو امره بقتالهم في قوله
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية وقال ابن كيسان بعلمه وحكمه فيهم حكم لبعضهم بالاسلام
ولبعضهم بالقتل والسبي والجزية ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا
اي تسلفوا لانفسكم من خير طاعة وعمل صالح تجدوه اي تجدوا ثوابه عند الله وقيل اراد بالخير المال
كقوله تعالى ان ترك خيرا اراد من زكوة او صدقة تجدوه عند الله التمرة واللقمة مثل احد ان الله بما
تعملون بصير وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا اي يهودا قال الفراء حذف الياء الزائدة
ورجع الى الفعل من اليهودية وقال الاخفش الهود جمع هائد مثل عائذ وعوذ وحائل وحول او نصارى
وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى
لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا النصرانية قيل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى
اجتمعوا في مجلس رسول الله صلعم مع اليهود فكذب بعضهم بعضا قال الله تعالى تلك امانيهم شهواتهم الباطلة
التي تمنوها على الله بغير الحق قل يا محمد هاتوا اصله آتوا برهانكم حجتكم ما زعمتم ان كنتم صادقين
ثم قال ردا عليهم بلى من اسلم اي ليس كما قالوا بل الحكم للاسلام وانما يدخل الجنة من اسلم
وجهه لله اي اخلص دينه لله وقيل اخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله واصل الاسلام
الاستسلام والخضوع وخص الوجه لانه اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه وهو محسن
في عمله وقيل مؤمن وقيل مخلص فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود
نزلت في يهود المدينة ونصارى اهل نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على النبي صلعم اتاهم احبار
اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت لهم اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى
والانجيل وقالت لهم النصارى ما انتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتورية فانزل الله
تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب
وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب قيل معناه ليس في كتابهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب
ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل كذلك قال الذين لا يعلمون يعني آباءهم الذين مضوا
مثل قولهم وقال مجاهد عوام النصارى وقال مقاتل يعني مشركي العرب كذلك قالوا في نبيهم محمد
صلعم واصحابه انهم ليسوا على شيء من الدين وقال عطاء امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح

وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا لنبيهم انه ليس على شيء فالله يحكم بينهم يقضي بين المحق والمبطل
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون من الدين ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه
الآية نزلت في طيطوس بن اسبيانوس الرومي واصحابه وذلك انهم غزوا بني اسرائيل فقتلوا
مقاتليهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه
الخنازير فكان خرابا الى ان بناه المسلمون في ايام عمر بن الخطاب رضي وقال قتادة والسدي هو
بخت نصر واصحابه غزوا اليهود وخربوا بيت المقدس واعانهم على ذلك النصارى طيطوس
الرومي واصحابه من اهل الروم قال السدي من اجل انهم قتلوا يحيى بن زكريا وقال قتادة حملهم
بغض اليهود على معاونة بخت نصر فانزل الله ومن اظلم اي اكفر واعتى ممن منع مساجد الله يعني
بيت المقدس ومحاريبه ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اي عمل في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها
بعد عمارتها رومي الا خائفا لو علم به قتل وقال قتادة ومقاتل لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى
الا متنكرا لو قدر عليه لعوقب قال السدي اخيفوا بالجزية وقيل هذا خبر بمعنى الامر اي اجيفوهم
بالجهاد حتى لا يدخلها احد منهم الا خائفا من القتل والسبي اي ما ينبغي لهم في الدنيا خزي عذاب
وهوان قال قتادة هو القتل للحربي والجزية على الذمي قال مقاتل والكلبي تفتح مدائنهم الثلاث
قسطنطينية ورومية وعمورية ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو النار وقال عطاء وعبد الرحمن
بن زيد نزلت في مشركي مكة واراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله صلعم واصحابه من حجه والصلوة فيه عام
الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله فقد سعوا في خرابه اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
خائفين يعني اهل مكة يقول افتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا اولى بها منهم ففتحها عليهم وامر
النبي صلعم مناديا فنادى الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك فهذا خوفهم وثبت الشرع ان لا
يمكن مشرك من دخول الحرام لهم في الدنيا خزي الذل والهوان والقتل والسبي والنفي ولله
المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب رسول
الله صلعم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلوة فتحروا القبلة
وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلعم
عن ذلك فنزلت هذه الآية وقال عبد الله بن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت
به راحلته وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلعم يصلي على راحلته في السفر حيث ما توجهت به

قال عكرمة نزلت في تحويل القبلة قال ابو العالية لما صرفت القبلة الى الكعبة عيرت اليهود المؤمنين وقالوا
ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة هكذا فانزل الله تعالى هذه الاية وقال
مجاهد والحسن لما نزلت وقال ربكم ادعوني استجب لكم قالوا اين ندعوه فنزل ولله المشرق والمغرب
ملكا وخلقا فاينما تولوا تحولوا وجوهكم فثم هناك وجه الله قال الكلبي فثم الله يعلم ويرى والوجه
صلة كقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان فثم قبلة الله والوجه
والوجهة والجهة القبلة وقيل رضاء الله ان الله واسع اي غني يعطي من السعة قال الفراء الجواد الذي
يسع عطاؤه كل شيء قال الكلبي واسع المغفرة عليم بنياتهم حيث ما صلوا ودعوا وقالوا اتخذ الله
ولدا قرا ابن عامر قالوا بلا واو وقرا الاخرون وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت في يهود المدينة حيث
قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب قالوا الملائكة بنات
الله سبحانه نزه وعظم نفسه روي عن ابن عباس عن النبي صلعم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم
ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه
اياي فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا بل له ما في السموات والارض عبيدا وملكا
كل له قانتون قال مجاهد وعطاء والسدي مطيعون وقال عكرمة ومقاتل مقرون بالعبودية
وقال ابن كيسان قائمون بالشهادة واصل القنوت القيام قال النبي صلعم افضل الصلوة طول
القنوت واختلفوا في حكم الاية فذهب جماعة الى ان حكم الاية خاص قال مقاتل هو راجع الى عزير
والمسيح والملائكة وعن ابن عباس انه قال هو راجع الى اهل طاعته دون سائر الناس وذهب
جماعة الى ان حكم الاية عام في جميع الخلق لان كل يقتضي الاحاطة بالشيء بحيث لا يشذ منه شيء ثم
سلكوا في الكفار طريقين قال مجاهد يسجد ظلالهم لله على كره منهم قال الله تعالى وظلالهم
بالغدو والاصال قال السدي هذا يوم القيمة دليله وعنت الوجوه للحي القيوم وقيل
القانتون مذللون مسخرون لما خلقوا له بديع السموات والارض اي مبدعهما ومنشئهما
من غير مثال سبق واذا قضى امرا اي قدره وقيل احكمه واتقنه واصل القضاء الفراغ ومنه
قيل لمن مات قضى عليه لفراغه من الدنيا ومنه قضاء الله وقدره لانه فرغ منه تقديرا وتدبيرا
فانما يقول له كن فيكون قرا ابن عامر كن فيكون بنصب النون في جميع المواضع الا في آل عمران
كن فيكون الحق وفي سورة الانعام كن فيكون قوله الحق وانما نصبها لان جواب الامر بالفاء يكون
منصوبا وقرا الاخرون بالرفع على معنى فهو يكون فان قيل كيف قال فانما يقول له كن فيكون والمعدوم

لا يخاطب قيل قال ابن الانباري معناه فانما يقول له اي لاجل تكوينه فعلى هذا ذهب معنى الخطاب
وقيل هو وان كان معدوما ولكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصح
الخطاب وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس اليهود وقال مجاهد النصارى وقال قتادة مشركوا
العرب لولا هلا يكلمنا الله عيانا بانك رسوله وكل ما في القران لولا فهو بمعنى هلا الا واحدا
وهو قوله فلولا انه كان من المسبحين معناه فلو لم يكن او تاتينا آية دلالة وعلامة على صدقك
قال الله تعالى كذلك قال الذين من قبلهم اي كفار الامم الخالية مثل قولهم تشابهت قلوبهم
اي اشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة وطلب المحال قد بينا الآيات لقوم يوقنون انا ارسلناك
بالحق اي بالصدق كقوله ويستنبؤنك احق هو اي صدق قال ابن عباس بالقران دليله
بل كذبوا بالحق لما جاءهم قال ابن كيسان بالاسلام وشرائعه دليله قوله عز وجل وقل جاء الحق
وقال مقاتل معناه لم نرسلك عبثا انما ارسلناك بالحق كما قال وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق بشيرا اي مبشرا لاوليائي واهل طاعتي بالثواب الكريم ونذيرا اي منذرا مخوفا
لاعدائي واهل معصيتي بالعذاب الاليم ولا تسأل قرا نافع ويعقوب ولا تسأل على النهي
قال عطاء عن ابن عباس وذلك ان النبي صلعم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت
هذه الاية وقيل هو على معنى قولهم لا تسأل عن شر فلان فانه فوق ما تحسب ليس على النهي وقرا
الاخرون ولا تسأل بالرفع على النفي بمعنى ولست بمسؤل عنهم كما قال تعالى فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب عن اصحاب الجحيم والجحيم معظم النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم وذلك انهم كانوا يسألون النبي صلعم الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم اتبعوه
فانزل الله هذه الاية معناه وانك ان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا
ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في القبلة وذلك ان يهود المدينة
ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلعم حين كان يصلي الى قبلتهم فلما صرف الله القبلة الى الكعبة
ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
دينهم وقبلتهم ولن ترضى عنك اليهود الا باليهودية ولا النصارى الا بالنصرانية والملة الطريقة
قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الذي لا زيادة عليه وما تنحوا انه انتم في عبا
دتكم الاصنام وغيرها فانما هو هوى والدليل عليه ولئن اتبعت اهواءهم قيل الخطاب مع رسول
الله صلعم والمراد به الامة كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك بعد الذي جاءك من العلم البيان

بان دين الله هو الاسلام والقبلة قبلة ابرهيم وهي الكعبة ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين اتيناهم
الكتاب قال ابن عباس نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب وكانوا اربعين رجلا
اثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا وقال الضحاك هم من آمن من اليهود
عبد الله بن سلام وشعبة بن عمرو وتمام بن يهوذا واسيد واسد ابنا كعب وابن يامين وعبد
الله بن صوريا وقال قتادة وعكرمة هم اصحاب محمد صلعم وقيل هم المؤمنون عامة يتلونه حق تلاوته
قال الكلبي يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس والهاء راجعة الى محمد صلعم وقال الاخرون
هي عائدة على الكتاب واختلفوا في معناه فقال ابن مسعود يقرؤونه كما انزل ولا يحرفونه ويحلون
حلاله ويحرمون حرامه وقال الحسن يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون علم ما اشكل عليهم
الى عالمه وقال مجاهد يتبعونه حق اتباعه اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون واذ ابتلى ابرهيم
ربه بكلمات فاتمهن قرأ ابن عامر ابرهام بالالف في اكثر المواضع وهو اسم اعجمي ولذلك لا
يجر وهو ابرهيم بن تارخ ابن ناحور وكان مولده بالسوس من ارض الاهواز وقيل ببابل وقيل
بكوثى وقيل بكسكر وقيل بحران ولكن اباه نقله الى بابل ارض نمرود بن كنعان ومعنى الابتلاء الا
ختبار والامتحان والامر وهو الصحيح وابتلاء الله العباد ليس ليعلم احوالهم بالابتلاء لانه عالم
بهم ولكن ليعلم العباد احوالهم حتى يعرف بعضهم بعضا واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها
ابرهيم ع م فقال عكرمة عن ابن عباس هي ثلثون سهما هن شرائع الاسلام لم يبتل احد بها
الدين فاقامه كله الا ابرهيم فكتب له البراءة فقال وابرهيم الذي وفى عشر في براءة التائبون
العابدون الى اخرها وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنين وسال سائل
وقد افلح المؤمنون وقوله الا المصلين في سال سائل وقال طاوس عن ابن عباس ابتلاه
بعشرة اشياء هن الفطرة خمس في الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك
وفرق الراس وخمس في الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء
بالماء وفي الخبر ان ابرهيم اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار
واول من راى الشيب فلما راه قال يا رب ما هذا قال الوقار قال يا رب زدني وقارا قال
مجاهد هي الايات التي بعدها في قوله قال اني جاعلك للناس اماما الى آخر القصة قال الربيع

وقتادة مناسك الحج قال الحسن ابتلاه بسبعة اشياء بالكواكب والقمر والشمس فاحسن فيها النظر
وعلم ان ربه دائم لا يزول وبالنار فصبر عليها وبالهجرة وبذبح ابنه وبالختان فصبر عليها
قال سعيد بن جبير هو قول ابرهيم واسمعيل اذ يرفعان البيت ربنا تقبل منا الاية فرفعاها بسبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال يمان بن رباب هن محاجته قومه قال الله تعالى
وحاجه قومه الى قوله وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم وقيل هي قوله الذي خلقني فهو يهدين الى آخر
الايات فاتمهن قال قتادة اداهن قال الضحاك قام بهن قال يمان عمل بهن قال الله اني
جاعلك للناس اماما يقتدى بك في الخير قال ابرهيم ومن ذريتي اي ومن اولادي ايضا فاجعل منهم
ائمة يقتدى بهم قال الله لا ينال لا يصيب عهدي الظالمين قرأ حمزة وحفص باسكان الياء
والباقون بفتحها اي من كان منهم ظالما لا يصيبه قال عطاء بن ابي رباح عهدي رحمتي قال السدي
نبوتي وقيل الامامة وقال مجاهد ليس لظالم ان يطاع في ظلمه ومعنى الاية لا ينال ما عهدت اليك
من النبوة والامامة من كان ظالما من ولدك وقيل اراد بالعهد الامان من النار وبالظالم المشرك
كقوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن واذ جعلنا البيت يعني الكعبة
مثابة للناس مرجعا لهم قال مجاهد وسعيد بن جبير يثوبون اليه من كل جانب ويحجون وقال
ابن عباس معاذا وملجأ وقال قتادة وعكرمة مجمعا وامنا اي مأمنا يأمنون فيه من ايذاء
المشركين فانهم ما كانوا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هم اهل الله ويتعرضون لمن حوله كما قال
الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وعن ابن عباس قال رسول الله
صلعم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة
لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس
يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم ولبيوتهم قال الا الاذخر واتخذوا قرأ نافع وابن عامر واتخذوا
بفتح الخاء على الخبر وقرأ الباقون بكسرها على الامر من مقام ابرهيم مصلى قال يمان المسجد كله مقام ابرهيم
وقال ابرهيم النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقيل اراد بمقام ابرهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة
وسائر المشاهد والصحيح ان مقام ابرهيم هو الحجر الذي في المسجد يصلى اليه الائمة وذلك الحجر الذي
قام عليه ابراهيم عند بناء البيت وقيل كان اثر اصابع رجليه بينا فيه فاندرس من كثرة المسح بالايدي
قال قتادة ومقاتل والسدي امروا بالصلوة عند مقام ابرهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله وعن
انس قال عمر وافقت الله في ثلث ووافقني ربي في ثلث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى

ای وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة

فانزل الله عز وجل واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر
فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله اية الحجاب قال وبلغني معاتبة النبي صلعم بعض
نسائه فدخلت عليهن قلت ان انتهيتن او ليبدلن الله رسوله خيرا منكن فانزل الله عز وجل
عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن ورواه محمد بن اسمعيل ايضا عن عمرو بن
عون نا حدثنا هشيم عن حميد عن انس قال قال عمر وافقت ربي في ثلث قلت يا رسول الله لو اتخذ
ت من مقام ابرهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى اما بدو قصة المقام روى
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما اتى ابرهيم باسمعيل وهاجر ووضعهما بمكة واتت على ذلك
ونزلها الجرهميون وتزوج اسمعيل منهم امراة وماتت هاجر استاذن ابرهيم سارة ان
ياتي هاجر فاذنت له وشرطت ان لا ينزل فقدم ابرهيم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت
اسمعيل فقال لامراته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم فيصيد
فقال لها ابرهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي وسالها عن عيشهم فقالت في ضيق
وشدة فشكت اليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرايه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه وذهب
ابرهيم فجاء اسمعيل فوجد ريح ابيه فقال لامراته هل جاءك احد قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا
كالمستخف بشانه وقال ما قال لك قالت قال اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه
قال ذاك ابي وقد امرني ان الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث ابرهيم
ما شاء الله ان يلبث ثم استاذن سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل
فجاء ابرهيم حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامراته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو
يجي الان ان شاء الله فانزل يرحمك الله فقال هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن
واللحم وسالها عن عيشهم فقالت نحن بخير وسعة فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز
او بر او شعير او تمر لكانت اكثر ارض الله برا او شعيرا وتمرا فقالت له انزل حتى اغسل راسك
فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن
ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر فبقي اثر قدميه عليه فقال لها اذا جاء زو
جك فاقرايه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح ابيه فقال
لامراته هل جاءك احد قالت نعم شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت
له كذا وغسلت راسه وهذا موضع قدميه فقال ذاك ابرهيم وانت العتبة امرني ان امسكك

وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ايضا قال ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري
نبلا تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد
ثم قال يا اسمعيل ان الله امرني بامر اتعينني عليه قال اعينك قال ان الله امرني ان ابني ههنا بيتا فعند
ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة وابرهيم يبني حتى ارتفع البناء جاء
بهذا الحجر فوضعه له فقام ابرهيم على حجر المقام وهو يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي الخبر الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا ما مسته
ايدي المشركين لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل اي امرناهما واوصينا اليهما
قيل سمي اسمعيل لان ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا وهو يقول اسمع يا ايل وايل هو الله فلما
رزق سماه به ان طهرا بيتي يعني الكعبة اضافه اليه تخصيصا وتفضيلا اي ابنياه على الطهارة
والتوحيد قال سعيد بن جبير وعطاء طهراه من الاوثان والريب وقول الزور وقيل بخراه وخلقاه قرا اهل
المدينة وحفص بيتي بفتح الياء ههنا وفي سورة الحج زاد حفص في سورة نوح عليه السلام للطائفين الدائرين
حوله والعاكفين المقيمين المجاورين والركع جمع الراكع السجود جمع الساجد وهم المصلون قال
الكلبي ومقاتل الطائفين هم الغرباء والعاكفين اهل مكة قال عطاء وهي اهل الطواف للغرباء
افضل والصلوة لاهل مكة افضل واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يعني مكة وقيل الحرم بلدا
امنا اي ذا امن يامن فيه اهله وارزق اهله من الثمرات انما دعا بذلك لانه كان بواد غير
ذي زرع وفي القصص ان الطائف كانت من مدائن الشام بارذن فلما دعا ابرهيم هذا
الدعاء امر الله جبرائيل حتى قلعها من اصلها وادارها حول البيت سبعا ثم وضعها موضعها الذي هي
الان فيه فمنها اكثر ثمرات مكة من امن منهم بالله واليوم الاخر دعا للمؤمنين خاصة قال الله تعالى
ومن كفر فامتعه قرا ابن عامر فامتعه خفيفا والباقون مشددا ومعناهما واحد قليلا اي سار
زق الكافر ايضا قليلا الى منتهى اجله وذلك ان الله تعالى وعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم وكافرهم
وانما قيد بالقلة لان متاع الدنيا قليل ثم اضطره اي الجئه في الاخرة الى عذاب النار وبئس المصير
اي المرجع يصير اليه قال مجاهد وجد عند المقام كتاب فيه انا الله ذو بكة صنعتها يوم خلقت الشمس
والقمر وحرمتها يوم خلقت السموات والارض وحففتها بسبعة املاك حنفاء ياتيها رزقها من
ثلث سبل مبارك لاهلها في اللحم والماء واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل روت
الرواة ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت
الارض

من جنتها فلما اهبط الله آدم الى الارض استوحش فشكى الى الله فانزل الله البيت المعمور من ياقوتة
من ياقوت الجنة له بابان من زمرد اخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال
يا آدم اني اهبطت اليك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما تصلي عند عرشي
وانزل الحجر وكان ابيض فاسود من لمس الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من ارض الهند الى مكة ماشيا
وقيض الله له ملكا يدله على البيت فحج البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا بر
حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام قال ابن عباس حج آدم اربعين حجة من
الهند الى مكة على رجليه وكان على ذلك الى ايام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة يدخله كل يوم
سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث جبرائيل حتى خبأ الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له
من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن ابرهيم ثم ان الله تعالى امر ابرهيم بعدما ولد له اسمعيل واسحق
ببناء بيت يذكر فيه فسأل الله تعالى ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت
وهي ريح خجوج لها رأسان شبه الحية وامر ابرهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها ابرهيم حتى
اتيا مكة فتطوقت السكينة على موضع البيت كتطوي الحجفة هذا قول علي والحسن رضي الله عنهما وقال
ابن عباس بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابرهيم في ظلها الى ان وافقت مكة ووقفت على
موضع البيت فنودي منها ابرهيم ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل ارسل الله جبرائيل ليدله على
موضع البيت فذلك قوله تعالى واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت فبنى ابرهيم واسمعيل البيت فكان
ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجر فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت يعني اسسه
واحدتها قاعدة وقال الكسائي جدر البيت قال ابن عباس انما بني البيت من خمسة اجبل طور سينا
وطور زيتا ولبنان وهي جبال بالشام والجودي وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعده من حراء
وهو جبل بمكة فلما انتهى ابرهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسمعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس
علما فاتاه بحجر فقال ائتني باحسن من هذا فمضى اسمعيل يطلبه فصاح ابو قبيس يا ابرهيم
ان لك عندي وديعة فخذها فاخذ الحجر الاسود فوضعه مكانه وقيل ان الله تعالى بنى في السماء
بيتا وهو البيت المعمور ويسمى ضراح وامر الملائكة ان يبنوا الكعبة في الارض بحياله على قدره
ومثاله وقيل اول من بنى الكعبة آدم واندرس زمن الطوفان ثم اظهره الله لابرهيم حتى بناه ربنا
تقبل منا فيه اضمار اي ويقولان ربنا تقبل منا بناءنا البيت انك انت السميع لدعائنا العليم
بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك ومن ذريتنا

كذا في الكشاف ... في حديث المعراج انما في السماء السابعة

اي منّا اولادنا امة جماعة والامة اتباع الانبياء مسلمة لك خاضعة لك وارنا علّمنا
قرأ ابن كثير ساكنة الراء وابو عمرو بالاختلاس والباقون بكسرها ووافق ابن عامر وابو بكر
في الاسكان في حم السجدة واصلها ارئنا فحذفت الهمزة طلبا للخفة ونقلت حركتها الى الراء ومن سكن
قال ذهبت حركتها مناسكنا شرائع ديننا واعلام حجنا وقيل مواضع حجنا وقال مجاهد
مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا واصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب
الله دعاءهما وبعث جبرئيل فاراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابرهيم
قال نعم فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات وتب علينا تجاوز عنا انك انت التواب الرحيم
ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة من ذرية ابرهيم واسمعيل وقيل في اهل مكة رسولا منهم
اي مرسلا واراد به محمدا صلعم ... رسول الله صلعم قال اني عند الله مكتوب
خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم باول امري انا دعوة ابرهيم وبشارة
عيسى ورؤيا امي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور اضاءت له قصور الشام واراد
بدعوة ابرهيم هذا فانه دعا ان يبعث في بني اسمعيل رسولا منهم قال ابن عباس كل الانبياء
من بني اسرائيل الا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين يتلو يقرأ عليهم آياتك يعني القرآن والآية
من القرآن كلام متصل الى انقطاعه وقيل هي جماعة حروف يقال خرج القوم بآيتهم اي بجماعتهم
ويعلمهم الكتاب اي القرآن والحكمة قال مجاهد فهم القرآن وقال مقاتل مواعظ
القرآن وما فيه من الاحكام قال ابن قتيبة هي العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيما حتى يجمعهما
وقيل هي السنة وقيل هي الاحكام والقضاء وقيل الحكمة الفقه قال ابو بكر بن دريد كل كلمة وعظتك
او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهي حكمة ويزكيهم اي يطهرهم من الشرك والذنوب وقيل
ياخذ الزكاة من اموالهم وقال ابن كيسان يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا للانبياء
بالبلاغ من التزكية وهو التعديل انك انت العزيز الحكيم قال ابن عباس العزيز الذي لا يوجد
مثله وقال الكلبي المنتقم بيانه قوله تعالى والله عزيز ذو انتقام وقيل المنيع الذي لا تناله
الايدي ولا يصل اليه شيء وقيل القوي والعزة القوة قال الله تعالى فعززنا بثالث اي
قوينا وقيل الغالب قال الله تعالى اخبارا وعزني في الخطاب اي غلبني ويقال من عز بز
اي من غلب سلب قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم وذلك ان عبد الله بن سلام دعا ابني

ذكره النقاش
فان لزم من عانق حاجا او غازيا فقد عانق الفضل
ومن السنة ان يتلقى الحاج بالترحيب ويصافح تبركا به ويأمر ان يستغفر له قبل ان يدخل بيته

اخيه ودعاهما الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله عز وجل قال في التورية اني باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر
ان يسلم فانزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابرهيم اي يترك دينه وشرعه يقال رغب في
الشيء اذا اراده ورغب عنه اذا تركه قوله ومن لفظ استفهام ومعناه التقريع والتوبيخ يعني ما
يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقال الكلبي ضل من قبل نفسه
وقال ابو عبيدة اهلك نفسه قال ابن كيسان والزجاج معناه جهل نفسه والسفاهة الجهل وضعف
الرأي وكل سفيه جاهل وذلك ان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف ان الله خلقها وقد
جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى داود اعرف نفسك واعرفني
فقال يا رب كيف اعرف نفسي وكيف اعرفك فاوحى الله اليه اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء
واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء وقال الاخفش معناه سفه في نفسه ونفسه على هذا القول نصب بنزع
حرف الصفة وقال الفراء نصب على التفسير كان الاصل سفهت نفسه فلما اضاف الفعل الى صاحبها خرجت
النفس مفسرة ليعلم موضع السفه كما يقال ضقت به ذرعا اي ضاق ذرعي به ولقد اصطفيناه اخترناه
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين يعني مع الانبياء في الجنة وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير
تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم اي استقم على الاسلام
واثبت عليه لانه كان مسلما قال ابن عباس قال له ذلك حين خرج من السرب وقال الكلبي اخلص
دينك وعبادتك لله وقال عطاء اسلم نفسك الى الله وفوض امورك اليه قال اسلمت اي فوضت
امري لرب العالمين قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين القي في النار
ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب قرأ اهل المدينة والشام واوصى بالالف وكذلك هو في مصاحفهم
وقرأ الباقون ووصى مشددا وهما لغتان مثل نزل وانزل معناه ووصى ابرهيم بنيه ووصى يعقوب
بنيه قال الكلبي ومقاتل يعني كلمة الاخلاص لا اله الا الله قال ابو عبيدة اي بالملة ورددت الكناية الى
الملة لانه ذكر ملة ابرهيم وان شئت رددتها الى الوصية اي وصى ابرهيم بنيه الثمانية اسمعيل وامه هاجر
القبطية واسحق وامه سارة وستة امهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابرهيم بعد
وفاة سارة ويعقوب سمي بذلك لانه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن امه
وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه قاله ابن عباس وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه يعني ووصى
يعقوب ايضا بنيه الاثني عشر يا بني معناه يا بني ان الله اصطفى اي اختار لكم الدين اي دين

الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون مؤمنون وقيل مخلصون وقيل مفوضون والنهي
في ظاهر الكلام وقع على الموت وانما نهوا في الحقيقة عن ترك الاسلام معناه داوموا على الاسلام
حتى لا يصادفكم الموت الا وانتم مسلمون وعن الفضيل بن عياض انه قال الا وانتم مسلمون اي
محسنون بربكم الظن وعن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بالله ام كنتم شهداء يعني اكنتم شهداء يريد ما كنتم شهداء
حضورا اذ حضر يعقوب الموت حين قرب يعقوب من الموت قيل نزلت في اليهود حين
قالوا للنبي صلعم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فعلى هذا القول يكون
الخطاب لليهود اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر العامل فيهما شهداء وقال الكلبي لما دخل
يعقوب مصر رآهم يعبدون النيران ... وقال عطاء ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى
يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب قال انظرني حتى اسأل ولدي واوصيهم ففعل
الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلي ما تعبدون من بعدي قالوا
نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق وكان اسمعيل عما لهم والعرب تسمي
العم ابا كما تسمي الخالة اما قال النبي صلعم عم الرجل صنو ابيه وقال في عمه العباس ردوا علي ابي
فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وذلك انهم قتلوه الها
واحدا نصب على البدل من قوله الهك وقيل نعرفه الها واحدا ونحن له مسلمون تلك امة جماعة
قد خلت مضت لها ما كسبت من العمل ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون يعني
يسأل كل عن عمله لا عن عمل غيره وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال ابن عباس
نزلت في رؤس يهود المدينة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وابي ياسر
بن اخطب وفي نصارى اهل نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المسلمين
في الدين كل فرقة تزعم انها احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التورية
افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت النصارى
نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت
بمحمد والقرآن وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فقال
الله عز وجل قل يا محمد بل ملة ابرهيم حنيفا بل نتبع ملة ابرهيم وقال الكسائي هو نصب
على الاغراء كانه يقول اتبعوا ملة ابرهيم وقيل معناه بل نكون على ملة ابرهيم فحذف على فصار

منصوبا حنيفا نصب على الحال عند نحاة البصرة وعند نحاة الكوفة نصب على القطع اراد بل ملة
ابرهيم الحنيف فلما اسقطت الالف واللام لم يتبع النكرة المعرفة فانقطع منه فنصب قال ابن عباس
الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام واصله من الحنف وهو ميل وعوج يكون في القدم
وقال سعيد بن جبير الحنيف هو الحاج المختتن وقال الضحاك اذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج
واذا لم يكن معه المسلم فهو المسلم قال قتادة الحنيفية الختان وتحريم الامهات والبنات والاخوات والعمات
والخالات واقامة المناسك وما كان من المشركين ثم علم المؤمنين طريق الايمان فقال جل ذكره قولوا
آمنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن وما انزل الى ابرهيم وهو عشر صحف واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط يعني اولاد يعقوب واحدهم سبط وهم اثنا عشر سبطا سموا بذلك لانه ولد لكل واحد
منهم جماعة وسبط الرجل حافده ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلعم والاسباط من
بني اسرائيل كالقبائل من العرب من بني اسمعيل والشعوب من العجم وكان في الاسباط انبياء ولذلك
قال وما انزل اليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم انبياء وما اوتي موسى يعني التورية وعيسى
يعني الانجيل وما اوتي اي اعطي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اي نؤمن بالكل لا نفرق
بين احد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون عن ابي هريرة
قال كان اهل الكتاب يقرؤون التورية بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال
رسول الله صلعم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما انزل الاية فان آمنوا
بمثل ما آمنتم به اي بما آمنتم به وكذلك كان يقرؤها ابن عباس والمثل صلة كقوله تعالى ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير اي ليس كهو شيء وقيل معناه فان آمنوا بجميع ما آمنتم به اي اتوا بايمان كايمانكم
وتوحيد كتوحيدكم وقيل معناه فان آمنوا مثل ما آمنتم والباء زائدة كقوله وهزي اليك بجذع
النخلة وقال ابو معاذ النحوي معناه فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا وان تولوا فانما
هم في شقاق قال ابن عباس وعطاء اي في خلاف ومنازعة يقال شاق مشاقة اذا خالف
كان كل واحد اخذ في شق غير شق صاحبه قال الله تعالى لا يجرمنكم شقاقي اي خلافي وقيل في عداوة
دليله قوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله اي عادوا الله فسيكفيكهم الله يا محمد اي يكفيك شر اليهود
والنصارى وقد كفى باجلاء بني النضير وقتل بني قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى وهو
السميع لاقوالهم العليم باحوالهم صبغة الله قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن
دين الله وانما سماه صبغة لانه تظهر اثر الدين على المتدين كما يظهر الصبغ على الثوب وقيل لان المتدين يلزمه

فلا يتغاير كالصبغ يلزم الثوب وقال مجاهد فطرة الله وهو قريب من الاول وقيل سنة الله
وقيل اراد به الختان لانه يصبغ صاحبه بالدم قال ابن عباس هو ان النصارى اذا ولد لهم ولد
فاتى عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم اصفر يقال له المعمودي وصبغوه به ليطهروه بذلك مكان الختان
فاذا فعلوا به ذلك قالوا الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله تعالى ان دينه الاسلام لا ما تفعله النصا
رى وهو نصب على الاغراء يعني الزموا دين الله قال الاخفش هو بدل من قوله ملة ابرهيم ومن
احسن من الله صبغة اي دينا وقيل تطهيرا ونحن له عابدون مطيعون قل يا محمد لليهود والنصارى اتحا
جوننا في الله اي في دين الله والمحاجة المجادلة في الله لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان الانبياء كانوا منا
وعلى ديننا وديننا اقدم فنحن اولى بالله منكم فقال الله تعالى قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم
اي نحن وانتم سواء في الله فانه ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي لكل واحد جزاء عمله
ونحن له مخلصون فكيف تدعون انكم اولى بالله ونحن له مخلصون وانتم به مشركون قال سعيد بن
جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله فلا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله قال الفضيل
ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله
عنهما ام يقولون يعني ايقولون صيغته الاستفهام ومعناه التوبيخ وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي وحفص بالتاء لقوله تعالى قل اتحاجوننا في الله وقال بعده ءانتم اعلم ام الله
وقرا الاخرون بالياء يعني يقول اليهود والنصارى ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى قل يا محمد ءانتم اعلم بدينهم ام الله وقد اخبر الله تعالى ان ابرهيم
لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم اخفى شهادة عنده من الله
وهي علمهم بان ابرهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا حق ورسول اشهد الله عليهم في كتبهم وما الله
بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون كرره
تاكيدا سيقول السفهاء اي الجهال من الناس ما ولاهم صرفهم وحولهم عن قبلتهم التي
كانوا عليها يعني بيت المقدس الى مكة والقبلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة
طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة فقال مشركو مكة قد تردد على محمد امره واشتاق
الى مولده وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع الى دينكم فقال الله تعالى قل لله المشرق والمغرب
ملكا والخلق عبيده يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم نزلت في رؤساء اليهود
قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا عدل

بين الناس فقال شهدا انا على حق وعدل فانزل الله وكذلك اي ومثل ذلك وقيل الكاف للتشبيه كما اخترنا

ابراهيم وذريته واصطفيناهم كذلك جعلناكم امة وسطا مردودة على قوله ولقد اصطفيناه

في الدنيا وسطا اي عدلا قال الله تعالى قال اوسطهم اي خيرهم واعدلهم وخير الاشياء اوسطها

وقال الكلبي يعني اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في الدين وعن ابي سعيد الخدري

قال قام فينا رسول الله صلعم يوما بعد العصر فما ترك شيئا الى يوم القيمة الا ذكره في مقامه ذلك

حتى اذا كانت الشمس على رؤس النخل واطراف الحيطان فقال اما انه لم يبق من الدنيا فيما مضى

منها الا كما بقي من يومكم هذا الا وان هذه الامة توفي سبعين امة هي اخرها واكرمها

على الله عز وجل لتكونوا شهداء على الناس يوم القيمة ان الرسل قد بلغتهم قال ابن جريج

قلت لعطاء ما معنى لتكونوا شهداء على الناس قال امة محمد شهداء على من يترك الحق من الناس

اجمعين ويكون الرسول محمد رسول الله عليكم شهيدا معدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع

الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا

من نذير فيسأل الانبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة

وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيؤتى بامة محمد صلعم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فيقول الامم الماضية

من اين علموا وانهم اتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت علينا

كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد صلعم فيسأل عن حال

امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم قال الاعمش ثنا ابو صالح عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله

صلعم يجاء بنوح يوم القيمة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يا رب فيسأل امته هل بلغكم فيقولون

ما جاءنا من نذير فيقال له من شهودك فيقول محمد صلعم وامته فقال رسول الله صلعم فيؤتى بكم

فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلعم وكذلك جعلناكم امة وسطا قال عدلا لتكونوا شهداء على

الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي تحويلها يعني بيت المقدس

فيكون من باب حذف المضاف ويحتمل ان يكون المفعول الثاني للجعل محذوفا على تقدير وما جعلنا

القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه التي انت عليها وهي الكعبة كقوله كنتم خير امة اي انتم

الا لنعلم من يتبع الرسول فان قيل ما معنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قيل

اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما

يوجد معناه لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل الا لنعلم اي لنرى ونميز من

يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه فيرتد وفي الحديث ان القبلة لما حولت ارتد قوم

من المسلمين الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه وقال اهل المعاني معناه الا لنعلم

من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كانه سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم

وضلالة قوم وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي كما قال الله تعالى فلم تقتلون انبياء الله اي فلم قتلتم

وان كانت اي وقد كانت لكبيرة اي تولية القبلة وقيل الكناية راجعة الى القبلة وقيل الى الكعبة

قال الزجاج وان كانت التحويلة لكبيرة ثقيلة شديدة الا على الذين هدى الله اي هداهم الله

قال سيبويه وان تأكيد شبيهة باليمين ولذلك دخلت اللام في جوابها وما كان الله ليضيع ايمانكم

وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس

ان كانت هدى فقد تحولتم عنها وان كانت ضلالة فقد دنتم الله بها ومن مات منكم عليها فقد مات

على الضلالة فقال المسلمون انما الهدى ما امر الله به والضلالة ما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات

منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول القبلة من المسلمين اسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن

معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجال اخرون فانطلق عشائرهم الى النبي صلعم وقالوا يا رسول الله

قد صرفك الله الى قبلة ابرهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله

عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلوتكم الى بيت المقدس ان الله بالناس لرؤف رحيم قرأ اهل

الحجاز وابن عامر وحفص لرؤف مشبع على وزن فعول لان اكثر اسماء الله على فعول وفعيل كالغفور

والشكور ونحوهما وابو جعفر يليّن الهمزة وقرأ الاخرون بالقصر مثل على وزن فعل

قال جرير ترى للمسلمين عليك حقا كفعل الوالد الرؤف الرحيم والرأفة اشد الرحمة قد نرى تقلب

وجهك في السماء هذه الاية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فانها راس القصة وامر

القبلة اول ما نسخ من امور الشرع وذلك ان رسول الله صلعم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر

الى المدينة امره الله ان يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى

قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة فصلى بعد الهجرة ستة عشر او سبعة عشر شهرا الى بيت المقدس

وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لانها كانت قبلة ابيه ابرهيم وقال مجاهد كان يحب ذلك من

اجل ان اليهود كانوا يقولون يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال لجبريل وددت لو حولني الله

الى الكعبة فانها قبلة ابيه ابرهيم فقال جبريل انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك

فانك عند الله بمكان فعرج جبريل وجعل رسول الله صلعم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل جبريل

بما يحب

عما كانت عليه من امر القبلة فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة فلنحولنك الى قبلة
ترضاها اى تحبها وتهواها فول اى حول وجهك شطر المسجد الحرام اى نحوه واراد به الكعبة والحرام
المحرم وحيث ما كنتم من بر او بحر شرق او غرب فولوا وجوهكم شطره عند الصلوة روى عن عطاء قال
سمعت ابن عباس قال لما دخل النبى صلعم البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع
ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة وعن البراء ان النبى صلعم كان اول ما قدم المدينة نزل على اجداده
او قال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون
قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلوة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر
على اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلعم قبل مكة فداروا كما هم قبل
البيت وكانت اليهود قد اعجبهم ان كان يصلى قبل بيت المقدس واهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت
انكروا ذلك وقال البراء في حديثه هذا انه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول
فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم وكان تحويل القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال
بدر بشهرين قال مجاهد وغيره نزلت هذه الاية ورسول الله صلعم في مسجد بنى سلمة وقد صلى با
صحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء
والنساء مكان الرجال فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين وكان التحويل خارج الصلوة بين الصلاتين
واهل قباء وصل الخبر اليهم في صلوة الفجر وعن عبد الله بن دينار ان عبد الله بن عمر قال بينما
الناس في قباء في صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال لهم ان رسول الله صلعم قد انزل عليه الليلة
قرآن وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى
الكعبة فلما تحولت القبلة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شيء تبتدعه من تلقاء نفسك فتارة تصلى
الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذى ننتظره فا
نزل الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعنى امر الكعبة الحق من
ربهم في هذه صلعم وما الله بغافل عما تعملون قرا ابو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائى
بالتاء قال ابن عباس يريد انكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتى وما انا بغافل عن ثوابكم وجزا
ئكم وقرا الباقون بالياء يعنى ما انا بغافل عما يفعل اليهود فاجازيهم في الدنيا والاخرة ولئن
اتيت الذين اوتوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى قالوا ائتنا باية على ما تقول فقال تعالى
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية معجزة ما تبعوا قبلتك يعنى الكعبة وما انت بتابع

قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض لان اليهود تستقبل بيت المقدس وهو المغرب
والنصارى تستقبل المشرق وقبلة المسلمين الكعبة وفي الحديث عن النبى صلعم قال ما بين المشرق والمغرب
قبلة واراد به في حق اهل المشرق واراد بالمشرق مشرق الشتاء في اقصر يوم في السنة وبالمغرب مغرب
الصيف في اطول يوم في السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت على يمينه ومشرق الشتاء على يساره
كان وجهه الى القبلة ولئن اتبعت اهواءهم الخطاب مع النبى صلعم والمراد به الامة من
بعد ما جاءك من العلم من الحق في القبلة انك اذا لمن الظالمين الذين اتيناهم الكتاب يعنى مؤمنى
اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه يعرفونه يعنى يعرفون محمدا صلعم كما يعرفون ابناءهم
من بين الصبيان قال عمر بن الخطاب رض لعبد الله بن سلام ان الله قد انزل على نبيه الذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف
ابنى ومعرفتى بمحمد صلعم اشد من معرفتى بابنى فقال عمر وكيف ذلك فقال اشهد انه رسول الله حق من
الله وقد نعته الله في كتابنا ولا ادرى ما يصنع النساء فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت
وان فريقا منهم ليكتمون الحق يعنى صفة محمد صلعم وامر الكعبة وهم يعلمون ثم قال الحق اى هذا الحق
خبر ابتداء مضمر وقيل رفع باضمار فعل اى جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين
ولكل وجهة اى لكل اهل ملة والوجهة اسم للمتوجه اليه هو موليها اى مستقبلها ومقبل اليها
يقال وليته ووليت اليه اذا اقبلت عليه ووليت عنه اذا ادبرت عنه قال مجاهد هو موليها
وجهه وقال الاخفش هو كناية عن الله عز وجل يعنى الله مولى الامم الى قبلتهم وقرا ابن عامر
هو مولاها اى المستقبل مصروف اليها فاستبقوا الخيرات اى الى الخيرات يريد بادروا بالطا
عات والمراد المبادرة الى القبول اينما تكونوا انتم واهل الكتاب يأت بكم الله جميعا يوم
القيمة فيجزيكم باعمالكم ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون قرا ابو عمرو بالياء والباقون بالتاء ومن
حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وانما كرر لتاكيد النسخ
لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم اختلفوا في تاويل هذه الاية ووجه قوله الا فقال
بعضهم معناه حولت القبلة الى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجة اذا توجهتم الى غيرها فيقولون
ليست لكم قبلة الا الذين ظلموا وهم قريش واليهود واما قريش فتقول رجع الى الكعبة لانه علم انها
الحق وانها قبلة آبائه فكذلك يرجع الى ديننا واما اليهود فتقول لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه

انه حق الا انه يعمل بدابه وقال قوم لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني اليهود وكانت
حجتهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلوتهم الى بيت المقدس انهم كانوا يقولون ما درى
محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم نحن وقوله الا الذين ظلموا وهم مشركوا مكة وحجتهم
انهم قالوا لما صرفت القبلة الى الكعبة ان محمدا تحير في دينه وسيعود الى ملتنا كما عاد الى
قبلتنا وهذا معنى قول مجاهد وعطا وقتادة وعلى هذين التاويلين يكون الاستثناء صحيحا
وقوله الا الذين ظلموا يعني لا حجة لاحد عليكم الا مشركوا قريش فانهم يحاجونكم ويخاصمونكم
بالباطل والظلم والاحتجاج بالباطل يسمى حجة كما قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وموضع
الذين خفض كانه قال الا للذين ظلموا قاله الكسائي وقال الفراء نصب بالاستثناء وقوله منهم
يعني من الناس وقيل هذا استثناء منقطع عن الكلام الاول معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم
بالباطل كما قال تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن يعني لكن يتبعون الظن فهو كقول الرجل
ما لك عندي حق الا ان تظلم قال ابو روق لئلا يكون للناس يعني اليهود عليكم حجة وذلك
انهم عرفوا ان الكعبة قبلة ابرهيم ووجدوا في التورية ان محمدا سيحول اليها فحوله الله
اليها لئلا يكون لهم حجة فيقولون ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول اليها ولم تحول انت فلما
حول اليها ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا يعني الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق وقال ابو
عبيدة قوله الا الذين ظلموا ليس باستثناء ولكن الا في موضع واو العطف يعني والذين ظلموا
ايضا لا يكون لهم حجة كما قال الشاعر وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان
معناه والفرقدان ايضا يفترقان فمعنى الاية تولوا الى الكعبة لئلا يكون للناس يعني اليهود
عليكم حجة فيقولون لم تركتم الكعبة وهي قبلة ابرهيم وانتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم
مشركوا مكة فيقولون لم ترك محمد قبلة جده وتحول عنها الى قبلة اليهود فلا تخشوهم في انصرا
فهم فكم الى الكعبة وفي تظاهرهم عليكم بالمجادلة فاني وليكم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة
واخشوني ولاتم نعمتي عليكم عطف على قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ولكي اتم نعمتي عليكم
بهدايتي اياكم الى قبلة ابرهيم فيتم لكم الملة الحنيفية قال علي بن ابي طالب رض تمام النعمة
الموت على الاسلام قال سعيد بن جبير لا يتم نعمة على المسلم الا ان يدخل الجنة ولعلكم تهتدون
لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب كما ارسلنا فيكم هذه الكاف للتشبيه وتحتاج
الى شيء ترجع اليه فقال بعضهم ترجع الى ما قبلها معناه ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم رسولا

قال محمد بن جرير دعا ابرهيم بدعوتين احدهما قال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة
مسلمة لك والثانية قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله الرسول وهو محمد صلعم ووعد
اجابة الدعوة الثانية بان يجعل من ذريته امة مسلمة يعني كما اجبت دعوته ببعث الرسول كذلك
اجيبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتي عليكم ببيان شرايع الملة الحنيفية
وقال مجاهد وعطا والكلبي هي متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكروني اذكركم معناه كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم فاذكروني وهذه الاية خطاب لاهل مكة والعرب يعني كما ارسلنا فيكم يا معشر العرب
رسولا منكم محمدا صلعم يتلوا عليكم اياتنا يعني القران ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة قيل
الحكمة السنة وقيل مواعظ القران ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اي من الاحكام وشرايع الاسلام فاذكروني
اذكركم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي وقال سعيد بن جبير اذكروني بطاعتكم اذ
كركم بمغفرتي وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء بيانه فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون وعن الاعمش قال سمعت ابا صالح يخبر عن ابي هريرة قال قال رسول صلعم
يقول الله انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ
ذكرته في ملأ خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه
باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وعن انس قال اني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلعم عدد انا ملي
هذه العشرة ان رسول الله صلعم قال ان الله يقول يا ابن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في ملأ خير منهم
وان دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وان دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا وان مشيت
الي هرولت اليك وان هرولت الي سعيت اليك وان سألتني اعطيتك وان لم تسألني غضبت
عليك وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه
وعن عبد الله بن بشير المازني قال جاء اعرابي الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله اي الاعمال افضل
قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله واشكروا لي ولا تكفرون يعني واشكروا لي
بالطاعة ولا تكفرون بالمعصية فان من اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره يا ايها الذين
آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين بالعون والنصرة ولا تقولوا لمن
يقتل في سبيل الله اموات نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من
المهاجرين وثمانية من الانصار كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب
عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء ولكن

لا تشعرون كما قال في شهداء احد ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
قال الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض
النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل اليهم الوجع ولنبلونكم لنختبرنكم يا امة محمد
صلعم بجواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار المطيع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن
عالما به بشيء من الخوف والجوع قال ابن عباس يعني خوف العدو والجوع يعني القحط ونقص من الاموال
بالخسران والهلاك والانفس يعني بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب والثمرات يعني الجوائح
في الثمار وحكي عن الشافعي انه قال الخوف خوف الله عز وجل والجوع صيام رمضان ونقص من
الاموال اداء الزكوة والصدقات والانفس الامراض والثمرات موت الاولاد لان ولد الرجل ثمرة
قلبه وعن ابي سنان قال دفنت ابني سنانا فاذا ابو طلحة الخولاني على شفير القبر فلما اردت
الخروج اخذ بيدي فاخرجني فقال الا ابشرك حدثني الضحاك بن عزرب عن ابي موسى الا
شعري قال قال رسول الله صلعم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي
قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فؤاده قالوا نعم فما ذا قال قالوا استرجع وحمدك قال ابنوا له
بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين على البلايا والرزايا ثم وصفهم فقال الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله عبيدا وملكا وانا اليه راجعون في الاخرة وعن مولى ام سلمة
عن ام سلمة زوج النبي صلعم انها قالت سمعت رسول الله صلعم يقول ما من مصيبة تصيب عبدا
فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في
مصيبته واخلف له خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة عزم الله لي فقلت اللهم اجرني في
مصيبتي واخلف لي خيرا منها قالت فاخلف الله لي رسول الله صلعم وقال سعيد بن جبير ما
اعطي احد في المصيبة ما اعطي هذه الامة يعني الاسترجاع ولو اعطيها احد لاعطي يعقوب
الا تسمع الى قوله في قصة يوسف يا اسفى على يوسف اولئك اهل هذه الصفة عليهم صلوات
اي رحمة وان الصلوة من الله الرحمة من ربهم ورحمة ذكرها تاكيدا وجمع الصلوات
اي رحمة بعد رحمة واولئك هم المهتدون الى الاسترجاع وقيل الى الحق والصواب وقيل الى الجنة
والثواب قال عمر رضي نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلوة والرحمة والعلاوة
الهداية وقد وردت اخبار في ثواب اهل البلاء واجر الصابرين منها ما اخبرنا ابو
الحسن محمد بن محمد السرخسي انبا ابو علي زاهر بن احمد السرخسي انبا ابو اسحق ابراهيم بن

عبد الصمد الهاشمي انبا ابو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي صعصعة
انه قال سمعت ابا الحباب سعيد بن يسار يقول سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله صلعم
من يرد الله به خيرا يصب منه وعن ابي هريرة عن النبي صلعم قال ما يصيب المسلم من نصب
ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه
وعنه قال جاءت امراة بها لمم الى رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله ادع الله ان يشفيني
قال ان شئت دعوت الله ان يشفيك وان شئت فاصبري ولا حساب عليك قالت بل
اصبر ولا حساب علي وروي عن سعد قال سئل رسول الله صلعم عن اشد الناس بلاء قال الا
نبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا ابتلي على قدر ذلك وان
كان في دينه رقة هون عليه فما يزال كذلك حتى يمشي على الارض ما له ذنب وعن انس بن مالك
عن النبي صلعم انه قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي
فله الرضى ومن سخط فله السخط وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لا يزال البلاء بالمؤمن
او المؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة وعنه قال قال رسول الله صلعم مثل المؤ
من كمثل الزرع لا يزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة
الارز لا تهتز حتى تستحصد وعن سعيد بن ابي وقاص عن ابيه قال قال رسول الله صلعم عجبا
للمؤمن ان اصابه خير حمد الله وشكر وان اصابته مصيبة حمد الله وصبر فالمؤمن يؤجر
في كل امره حتى يؤجر في اللقمة يرفعها الى في امراته ان الصفا والمروة من شعائر الله الصفا
جمع الصفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء يقال صفاة وصفا مثل حصاة وحصى ونواة
ونوى والمروة الحجر الرخو وجمعها مروات وجمع الكثير مرو مثل تمرة وتمرات وتمر وانما
عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة ولذلك ادخل الالف واللام وشعائر الله اعلام دينه
اصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب
به الى الله عنده من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعا
ير ومثلها المشاعر والمراد بالشعائر هاهنا المناسك التي جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا
والمروة منها حتى يطاف بهما فمن حج البيت او اعتمر فالحج في اللغة القصد والعمرة الزيارة
وفي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة فلا جناح عليه اي لا اثم عليه واصله من جنح اي مال
عن القصد ان يطوف بهما واصله ان يتطوف ادغمت التاء في الطاء وسبب نزول الاية

بدو في

انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما إساف ونائلة فكان إساف على الصفا ونائلة
على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين ويتمسحون بهما فلما
جاء الاسلام وكسرت الاصنام كان المسلمون يتحرجون عن السعي بين الصفا والمروة لاجل الصنمين
فاذن الله فيه واخبر انه من شعائر الله واختلف اهل العلم في حكم هذه الاية ووجوب السعي
بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال
الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن
سيرين ومجاهد واليه ذهب سفين الثوري واصحاب الراي وقال الثوري واصحاب الراي على من
تركه دم واحتج من اوجبه بما روت صفية بنت شيبة قالت اخبرتني بنت ابي تجراة احدى
نساء بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل ابي حسين ننظر الى رسول الله
صلعم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وان مئزره ليدور من شدة السعي حتى لاقول اني
لارى ركبتيه وسمعته يقول اسعوا ان الله كتب عليكم السعي وعن هشام بن عروة عن ابيه انه
قال قلت لعائشة زوج النبي عم ارأيت قول الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت
او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما ارى على احد شيئا ان لا يطوف بهما فقالت عائشة كلا لو كانت
كما تقول كانت فلا جناح ان لا يطوف بهما انما نزلت هذه في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت
مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا
رسول الله صلعم عن ذلك فانزل الله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله الاية وقال عاصم
قلت لانس بن مالك اكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من
شعائر الجاهلية حتى انزل الله ان الصفا والمروة من شعائر الله وعن جابر بن عبد الله انه
قال سمعت رسول الله صلعم حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا يقول نبدأ بما بدأ الله به فبدأ
بالصفا وقال كان اذا وقف على الصفا يكبر ثلثا ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير يصنع ذلك ثلث مرات ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك وقال
كان اذا نزل من الصفا مشى حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى يخرج منه
قال نبي الله حج موسى عم على جمل احمر وعليه عباءتان قطوانيتان وطاف بالبيت ثم صعد
الصفا ودعا ثم هبط الى السعي وهو يلبي فيقول لبيك اللهم لبيك فقال الله لبيك عبدي وانا
معك فخر موسى ساجدا ومن تطوع خيرا قرأ حمزة والكسائي يطوع بالياء وتشديد الطاء

وجزم العين وكذلك الثانية بمعنى يتطوع ووافق يعقوب في الاولى وقرأ الاخرون بالتاء وفتح العين بلفظ
الماضي قال مجاهد معناه فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة وقال مقاتل والكلبي فمن تطوع اي
زاد في الطواف بعد الواجب وقيل من تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الواجبة عليه وقال الحسن وغيره
اراد سائر الاعمال يعني فعل غير المفترض عليه من صلاة وزكوة وطواف وغيرها من انواع الطاعات
فان الله شاكر مجاز لعمله عليم بنيته والشكر من الله ان يعطي فوق ما يستحق يشكر اليسير
ويعطي الكثير ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في
الكتاب نزلت في علماء اليهود وكتموا صفة محمد صلعم واية الرجم وغيرها من الاحكام التي كانت في التورية
اولئك يلعنهم الله واصل اللعن الطرد ويلعنهم اللاعنون اي يسأل الله ان يلعنهم ويقولون
اللهم العنهم واختلفوا في هؤلاء اللاعنين قال ابن عباس جميع الخلايق الا الجن والانس وقال قتادة
هم الملائكة وقال عطاء الجن والانس وقال الحسن جميع عباد الله وقال ابن مسعود ما تلاعن اثنان
من المسلمين الا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتموا امر محمد صلعم وصفته وقال مجاهد
اللاعنون البهائم تلعن عصاة بني آدم اذا اشتدت السنة وامسك المطر وقالت هذا من شؤم
ذنوب بني آدم ثم استثنى فقال الا الذين تابوا من الكفر واسلموا واصلحوا الاعمال فيما بينهم وبين ربهم
وبينوا ما كتموا فاولئك اتوب عليهم اي اتجاوز عنهم واقبل توبتهم وانا التواب الرجاع بقلوب
عبادي المنصرفة الي الرحيم بعد اقبالهم علي ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة اي ولعنة الملائكة والناس اجمعين قال ابو العالية هذا يوم القيمة
يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس فان قيل فقد قال والناس اجمعين والملعون
من جملة الناس فيلعن نفسه قيل يلعن نفسه في القيمة قال الله ويلعن بعضكم بعضا وقيل انهم يلعنون
الظالمين والكافرين ومن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه خالدين فيها مقيمين في اللعنة
وقيل في النار لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون ولا يؤجلون وقال ابو العالية لا ينظرون
فيعتذروا كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون والهكم اله واحد سبب نزول هذه الاية ان كفار
قريش قالوا يا محمد صف وانسب لنا ربك فانزل الله تع هذه الاية وسورة الاخلاص والواحد
الذي لا نظير له ولا شريك له وعن اسماء بنت يزيد انها قالت سمعت النبي صلعم يقول في هاتين الايتين اسم
الله الاعظم والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والله لا اله الا هو الحي القيوم قال ابو
الضحى لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليأتنا باية ان كان

من الصاد فيه فانزل الله عز وجل ان في خلق السموات والارض ذكر السموات بلفظ الجمع والارض
بلفظ الواحد لان كل سماء من جنس آخر والارضون كلها من جنس واحد وهو التراب فالآية في السموات
سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الارض مدها
وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الاشجار والانهار والجبال والجواهر والنبات واختلاف الليل
والنهار اي تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف احدهما صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الآخر خلفه اي بعده
نظيره وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال عطاء اراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان
والليل جمع ليلة والليالي جمع الجمع والنهار جمعه نهر وقدم الليل على النهار في الذكر لانه اقدم منه قال
الله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار والفلك التي تجري في البحر يعني السفن واحده وجمعه سواء فاذا
جمع يؤنث وفي الواحد يذكر قال الله تعالى في الواحد والتذكير اذ ابق الى الفلك المشحون وقال في الجمع
والتأنيث حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح والفلك التي تجري في البحر والآية في الفلك تسخيرها
وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا ترسب تحت الماء بما ينفع الناس يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات
والمكاسب وانواع المطالب وما انزل الله من السماء من ماء يعني المطر قيل اراد بالسماء السحاب يخلق
الله الماء في السحاب ثم ينزل وقيل اراد به السماء المعروفة يخلق الماء في السماء ثم ينزل من السماء الى
السحاب ثم ينزل الى الارض فاحيا به الارض اي بالماء بعد موتها اي بعد يبسها وجدوبتها وبث
اي فرق فيها من كل دابة وتصريف الرياح قرأ حمزة والكسائي الريح بغير الف وقرأ الباقون بالالف
وكل ريح في القرآن ليس فيها الف ولام اتفقوا على توحيدها وما فيها الالف واللام اختلفوا
في جمعها وتوحيدها الا في الذاريات الريح العقيم اتفقوا على توحيدها وفي حرف اول سورة
الروم الرياح مبشرات اتفقوا على جمعها وقرأ ابو جعفر سائرها على الجمع والقراء مختلفون فيها
والريح يذكر ويؤنث وتصريفها انها تتصرف الى الشمال والجنوب والقبول والدبور والنكباء
وقيل تصريفها انها تارة تكون لينا وتارة تكون عاصفا وتارة حارة وتارة باردة قال ابن عباس
اعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس قال شريح القاضي ما هبت ريح
الا لشفاء سقيم ولسقم صحيح والبشارة في ثلث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب اما
الدبور فهي الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية اربعة للرحمة واربعة للعذاب فاما التي
للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات واما التي للعذاب فالعقيم والصرصر في البر
والعاصف والقاصف في البحر والسحاب المسخر اي الغيم المذلل سمي سحابا لانه ينسحب اي يجري في سرعة

كانه يسحب اي يجر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا
وصانعا وقال وهب اعجب ثلاثة لا يدرى من اين تجيء الرعد والبرق والسحاب ومن الناس من
يتخذ يعني المشركين من دون الله اندادا اي اصناما يعبدونها يحبونهم كحب الله اي يحبون
آلهتهم كحب المؤمنين الله وقال الزجاج يحبون الاصنام كما يحبون الله لانهم اشركوها
مع الله فسووا بين الله وبين اوثانهم في المحبة والذين آمنوا اشد حبا لله اي اثبت وادوم
على حبه لانهم لا يختارون على الله ما سواه والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا احسن منه طرحوا
الاول واختاروا الثاني قال قتادة ان الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على
الله كما اخبر الله عنهم فقال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمن لا يعرض
عن الله تعالى في السراء والضراء والشدة والرخاء قال سعيد بن جبير ان الله عز وجل يأمر يوم القيامة
من احرق نفسه في الدنيا على رؤية الاصنام ان يدخلوا جهنم مع اصنامهم فلا يدخلون لعلمهم ان
عذاب جهنم على الدوام ثم يقول للمؤمنين بين ايدي الكفار ان كنتم احبائي فادخلوا جهنم فيقتحمون
فيها وينادي مناد من تحت العرش والذين آمنوا اشد حبا لله وقيل انما قال والذين آمنوا اشد
حبا لله لان الله احبهم اولا ثم احبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم قال الله تعالى يحبهم
ويحبونه ولو يرى الذين ظلموا قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى بالتاء وقرأ الآخرون
بالياء وجواب لو ههنا محذوف ومثله كثير في القرآن كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اي لكان
هذا القرآن فمن قرأ بالتاء معناه ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني اشركوا في شدة العذاب
لرأيت امرا فظيعا ومن قرأ بالياء معناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم عند رؤية العذاب اي
لو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوا من
الاصنام لا ينفعهم اذ يرون العذاب قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها ان القوة
لله جميعا اي بان القوة وقيل معناه لرأوا وايقنوا ان القوة لله وقرأ ابو جعفر ويعقوب ان
القوة وان الله شديد العذاب بكسر الالف على الاستئناف والكلام تام عند قوله اذ يرون
العذاب مع اضمار الجواب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا هذا في يوم القيامة حين يجمع
الله القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض هذا قول اكثر المفسرين وقال السدي هم
الشياطين يتبرؤون من الانس ورأوا العذاب اي يتبرؤون في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت بهم
اي عنهم الاسباب اي الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا من القرابات والصداقات وصا
رت

منهم إليهم عداوة وقال ابن جريج الأرحام كما قال تعالى فلا أنساب بينهم يومئذ وقال السدي يعني الأعمال
التي كانوا يعملونها في الدنيا كما قال تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وأصل
السبب ما يوصل به إلى شيء من ذريعة أو قرابة أو مودة ومنه يقال للحبل سبب وللطريق سبب
وقال الذين اتبعوا يعني الأتباع لو أن لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا فنتبرأ منهم أي من المتبوعين
كما تبرءوا منا اليوم كذلك يريهم الله أي كما أراهم العذاب كذلك يريهم الله وقيل كتبري بعضهم
من بعض يريهم الله أعمالهم حسرات ندامات عليهم جمع حسرة قيل يريهم ما ارتكبوا من السيئات
فيتحسرون لم عملوا وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها قال ابن كيسان
إنهم أشركوا بالله الأوثان رجاء أن تقربهم إلى الله عز وجل فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه
تحسروا وندموا قال السدي ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال
لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون ويتحسرون وما هم بخارجين من
النار يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة
وبني مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام فالحلال
ما أحله الشرع طيبا قيل ما يستطاب ويستلذ والمسلم يستطيب الحلال ويعاف الحرام وقيل
الطيب الطاهر ولا تتبعوا خطوات الشيطان وقرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي وحفص
ويعقوب بضم الطاء والباقون بسكونها وخطوات الشيطان آثاره وزلاته وقيل هي
النذور في المعاصي وقال أبو عبيدة المحقرات من الذنوب وقال الزجاج طرقه إنه لكم عدو
مبين بين العداوة وقيل مظهر للعداوة وقد أظهر عداوته بإبائه السجود لآدم وغروره إياه
حتى أخرجه من الجنة وأبان يكون لازما ومتعديا ثم ذكر عداوته فقال إنما يأمركم بالسوء
بالإثم وأصل السوء ما يسوء صاحبه وهو مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة أي أحزنه وسؤته فسيء
أي أحزنته فحزن والفحشاء المعاصي وما قبح من القول والفعل وهو مصدر كالبأساء
والضراء روى باذان عن ابن عباس قال الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحد والسوء
من الذنوب ما لا حد فيه وقال السدي هي الزنا وقيل هي البخل وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون
من تحريم الحرث والأنعام وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قيل هذه القصة مستأنفة والهاء
والميم في لهم كناية عن غير مذكور روي عن ابن عباس قال دعا رسول الله صلعم اليهود إلى الإسلام
فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فإنهم كانوا خيرا وأعلم منا

٤٦

الله الآية وقيل الآية متصلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفار قريش والهاء والميم
عائدة على قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا قالوا بل نتبع ما ألفينا ووجدنا عليه
آباءنا من عبادة الأصنام وقيل معناه وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرموه على أنفسهم
من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والهاء والميم عائدة على الناس في قوله تعالى يا أيها الناس
كلوا قالوا بل نتبع قرأ الكسائي بل نتبع بإدغام اللام في النون وكذلك يدغم لام هل وبل في التاء
والثاء والزاي والسين والضاد والطاء والظاء ووافق حمزة في التاء والسين ما ألفينا وجدنا عليه آباءنا
من التحريم والتحليل قال الله تعالى أولو كان آباؤهم أي وكيف يتبعون آباءهم وآباؤهم لا يعقلون
شيئا والواو في أولو واو العطف ويقال لها أيضا واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ
والمعنى أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالا لا يعقلون لفظ عام ومعناه خصوص أي لا يعقلون
شيئا من أمر الدين لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا ولا يهتدون ثم ضرب لهم مثلا فقال جل
ذكره ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع والنعق صوت الراعي بالغنم معناه مثلك
يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله كمثل الراعي ينعق بالغنم ومثل واعظ الكفار وداعيهم
معهم كمثل الراعي ينعق بالغنم وهي لا تسمع إلا صوتا ونداء فأضاف المثل إلى الذين كفروا لدلالة
الكلام عليه كقوله ومثل القرية معناه كما أن البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال
لها كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك إنما يسمع صوتك وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة فهمهم وعقلهم
عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت فيكون المعنى
للمنعوق به والكلام خارج على الناعق وهو فاش في كلام العرب يفعلون ذلك ويقلبون الكلام لإيضاح
المعنى عندهم يقولون فلان يخافك كخوف الأسد أي كخوفه الأسد وقال تعالى ما إن مفاتحه لتنوء
بالعصبة وإنما العصبة تنوء بالمفاتح وقيل معناه مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل
الناعق بالغنم فلا ينتفع من نعقه بشيء غير أنه في عناء من الدعاء والنداء كذلك الكافر ليس له في دعاء
الآلهة وعبادتها إلا العناء والبلاء كما قال تعالى إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا
لكم وقيل معنى الآية ومثل الكفار في دعاء الأوثان كمثل الذي يصيح في جوف الجبال فيسمع صوتا يقال
له الصدى لا يفهم منه شيئا فمعنى الآية كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه الناعق إلا دعاء ونداء صم
يقول العرب لمن يسمع ولا يعقل كأنه أصم بكم عن الخير لا يقولون به عمي عن الهدى لا يبصرونه
فهم لا يعقلون يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات حلالات ما رزقناكم روي عن أبي هريرة

قال قال رسول الله صلعم يا ايها الناس ان الله طيب ولا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المر
سلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم
ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه
حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك واشكروا لله على النعم ان كنتم اياه تعبدون ثم بين المحرمات
فقال انما حرم عليكم الميتة قرأ ابو جعفر الميتة في كل القرآن بالتشديد والباقون يشددون البعض
فالميتة كل ما لم تدرك ذكاته مما يذبح والدم اراد به الدم الجاري يدل عليه قوله تعالى او دما مسفوحا
واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال فاحلها وعن ابن عمر قال قال رسول
الله صلعم احلت لنا ميتتان ودمان الميتتان الحوت والجراد والدمان احسبه قال الكبد و
والطحال ولحم الخنزير اراد جميع اجزائه فعبر عنه بذكر اللحم لانه معظمه وما اهل به لغير الله اي ما
ذبح للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت وكانوا اذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون اصوا
تهم بذكرها فجرى ذلك من امرهم حتى قيل لكل ذابح وان لم يجهر بالتسمية مهل وقال الربيع بن انس وغيره
وما اهل به لغير الله ما ذكر عليه غير الله فمن اضطر بكسر النون واخواته عاصم وحمزة ووافق ابو عمرو
الا في اللام والواو مثل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ويعقوب الا في الواو ووافق ابن عامر في
التنوين والباقون كلها بالضم فمن كسر قال لان الجزم يحرك الى الكسر ومن ضم فلضمة اول الفعل نقل
حركتها الى ما قبلها وابو جعفر بكسر الطاء ومعناه فمن اضطر الى اكل الميتة اي احوج والجئ اليه غير
نصب على الحال وقيل على الاستثناء واذا رأيت غير تصلح في موضعها لا فهي حال واذا صلح في موضعها الا
فهي استثناء غير باغ ولا عاد اصل البغي قصد الفساد يقال بغى الجرح يبغي بغيا اذا ترامى الى الفساد
واصل العدوان الظلم ومجاوزة الحد يقال عدا عليه عدوا وعدوانا اذا ظلم واختلفوا في معنى قوله
غير باغ ولا عاد فقال بعضهم غير باغ اي غير خارج على السلطان ولا عاد اي متعد عاص بسفره
بان خرج لقطع الطريق او للفساد في الارض وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقالوا
لا يجوز للعاصي بسفره ان ياكل الميتة اذا اضطر اليها ولا ان يترخص برخص المسافر حتى
يتوب وبه قال الشافعي لان في اباحته له اعانة له على فساده وذهب جماعة الى ان البغي والعدوان
راجعان الى الاكل واختلفوا في تفسيره فقال الحسن وقتادة غير باغ ياكله من غير اضطرار ولا عاد اي لا
يعدو بشبعه وقيل غير باغ اي غير طالبها وهو يجد غيرها ولا عاد اي غير متعد ما حد له فياكل حتى يشبع
ولكن ياكل منه قوتا بمقدار ما يمسك رمقه وقال مقاتل بن حيان اي مستحل لها ولا عاد اي متزود

منها وقيل غير باغ اي مجاوز للقدر الذي احل له ولا عاد اي لا يقصر فيما ابيح له فيدعه وقال
مسروق من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم ياكل ولم يشرب حتى مات دخل النار واختلف
العلماء في مقدار ما يحل للمضطر اكله من الميتة فقال بعضهم مقدار ما يمسك رمقه وهو قول ابي حنيفة
واحد قولي الشافعي والقول الآخر يجوز ان ياكل حتى يشبع وبه قال مالك وقال سهل بن عبد الله
غير باغ مفارق للجماعة ولا عاد مبتدع مخالف للسنة ولم يرخص للمبتدع تناول المحرم عند الضرورة
فلا اثم عليه فلا حرج عليه في اكلها ان الله غفور لمن اكل في حال الاضطرار رحيم حيث رخص
للعباد في ذلك ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب نزلت في رؤساء اليهود وعلما
ئهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما
بعث محمد صلعم من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة محمد صلعم فغيروها
ثم اخرجوها اليهم فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلعم
فلا يتبعونه فانزل الله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب يعني صفة محمد صلعم ونبوته
ويشترون به بالمكتوم ثمنا قليلا عوضا يسيرا يعني المآكل التي يصيبونها من سفلتهم اولئك
ما يأكلون في بطونهم الا النار يعني الا ما يؤديهم الى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين فلما
كان يفضي ذلك بهم الى النار فكانهم اكلوا النار وقيل معناه انه يصير نارا في بطونهم ولا يكلمهم
الله يوم القيامة اي لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم انما يكلمهم بالتوبيخ وقيل اراد به يكون عليهم
غضبان كما يقال فلان لا يكلم فلانا اذا كان عليه غضبان ولا يزكيهم اي لا يطهرهم من
دنس الذنوب ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار قال عطاء والسدي هو ما الاستفهام يعني ما الذي
صبرهم واي شيء صبرهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل وقال الحسن وقتا
دة والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما اجرأهم على العمل الذي يقربهم الى النار وقال
الكسائي ما اصبرهم على عمل اهل النار اي ما ادومهم عليه ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق يعني ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب بالحق فانكروه وكفروا به وحينئذ يكون ذلك
في محل الرفع وقال بعضهم محله نصب معناه فعلنا ذلك بهم بان الله اي لان الله نزل
الكتاب بالحق فاختلفوا فيه وقيل معناه ذلك اي فعلهم الذي يفعلون من الكفر والاختلاف
والاجتراء على الله من اجل ان الله نزل الكتاب بالحق وهو قوله تعالى ان الذين كفروا وسواء

عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وان الذين اختلفوا في الكتاب
فآمنوا ببعض وكفروا ببعض لفي شقاق بعيد اي في خلاف وضلال بعيد ليس البر ان
تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب قرأ حمزة وحفص ليس البر بنصب الراء والباقون برفعها
فمن رفع جعل البر اسم ليس وخبره في قوله ان تولوا تقديره ليس البر توليتكم وجوهكم ومن نصب
جعل ان تولوا في موضع الرفع على اسم ليس تقديره ليس توليتكم وجوهكم البر كله كقوله تعالى ما كان
حجتهم الا ان قالوا والبر كل عمل خير يفضي بصاحبه الى الجنة واختلفوا في المخاطبين بهذه الآية فقال
قوم عني بها اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانت تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى
قبل المشرق وزعم كل فريق منهم ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان البر غير دينهم وعملهم ولكنه
ما بينه في هذه الآية وعلى هذا القول قتادة ومقاتل بن حيان وقال الآخرون المراد بها المؤمنون
وذلك ان الرجل كان في ابتداء الاسلام قبل نزول الفرائض اذا اتى بالشهادتين وصلى الصلوات
الى اي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلعم ونزلت الفرائض وحددت
الحدود وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله تعالى هذه الآية فقال ليس كل البر ان تصلوا قبل
المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك ولكن البر ما ذكر في الآية وعلى هذا القول ابن عباس
ومجاهد وعطاء والضحاك ولكن البر قرأ نافع وابن عامر ولكن خفيفة البر رفع وقرأ الباقون
بتشديد النون ونصب البر من آمن جعل من وهي اسم خبرا للبر وهو فعل ولا يقال البر زيد
واختلفوا في وجهه قيل لما وقع من في موضع المصدر جعله خبرا للبر كانه قال ولكن البر الايمان بالله
والعرب تجعل الاسم خبرا للفعل وانشد الفراء لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى ولكنما
الفتيان كل فتى ندى فجعل نبات اللحية خبرا للفتى وقيل فيه اضمار معناه ولكن البر بر من آمن
بالله فاستغنى بذكر الاول عن الثاني كقولهم الجود حاتم اي الجود جود حاتم وقيل معناه ولكن
ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى هم درجات عند الله اي ذوو درجات وقيل معناه ولكن البار من
آمن بالله كقوله تعالى والعاقبة للتقوى اي للمتقي والمراد من البر ههنا الايمان والتقوى بالله واليوم
الآخر والملائكة كلهم والكتاب يعني الكتب المنزلة والنبيين اجمع وآتى المال اي اعطى المال
على حبه اختلفوا في هذه الكناية فقال اكثر اهل التفسير انها راجعة الى المال اي اعطى المال في حال صحته
ومحبته قال ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وعن
ابي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلعم فقال يا رسول الله اي الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق

وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان
كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقيل هي عائدة على الله اي على حب الله ذوي القربى اهل القرابة
وعن سلمان بن عامر يبلغ به النبي صلعم قال الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم
ثنتان صدقة وصلة واليتامى والمساكين وابن السبيل قال مجاهد يعني المسافر المنقطع
عن اهله يمر عليك ويقال للمسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل
قال النبي صلعم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه والسائلين يعني الطالبين وعن
ابن بجيد الانصاري وهو عبد الرحمن بن بجيد عن جدته ام بجيد ان رسول الله صلعم قال ردوا
السائل ولو بظلف محرق وفي رواية قال لها رسول الله صلعم ان لم تجدي شيئا الا ظلفا محرقا
فادفعيه اليه وفي الرقاب يعني المكاتبين قاله اكثر المفسرين وقيل عتق النسمة وفك الرقبة
وقيل فداء الاسارى واقام الصلاة وآتى الزكاة اي واعطى الزكاة والموفون بعهدهم فيما
بينهم وبين الله عز وجل وفيما بينهم وبين الناس اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا او نذروا
اوفوا واذا قالوا صدقوا واذا ائتمنوا أدوا واختلفوا في رفع قوله والموفون قيل هو عطف
على خبر ولكن ذا البر المؤمنون والموفون بعهدهم وقيل تقديره هم والموفون كانه عد اصنافا
ثم قال هم والموفون كذا وقيل رفع على الابتداء والخبر يعني وهم الموفون اذا عاهدوا ثم قال
والصابرين وفي نصبها اربعة اوجه قال ابو عبيدة نصبها على تطاول الكلام ومن شأن العرب
ان تغير الاعراب اذا طال الكلام والنسق ومثله في سورة النساء والمقيمين الصلاة وفي
سورة المائدة والصابئون والنصارى وقيل معناه واعني الصابرين وقيل نصبه نسقا على قوله
ذوي القربى اي واتى الصابرين وقال الخليل نصب على المدح والعرب تنصب الكلام على المدح
والذم كانهم يريدون افراد الممدوح والمذموم فلا يتبعونه اول الكلام وينصبونه فالمدح
كقوله والمقيمين الصلاة والذم كقوله ملعونين اينما ثقفوا في البأساء اي في الشدة
والفقر والضراء المرض والزمانة وحين البأس اي القتال والحرب وعن علي بن ابي طالب
رض قال كنا اذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلعم فما يكون احد اقرب الى
العدو منه يعني اذا اشتد الحرب اولئك الذين صدقوا في ايمانهم واولئك هم المتقون يا ايها
الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى قال الشعبي والكلبي وقتادة نزلت هذه الآية في
حيين من احياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الاسلام بقليل فكانت بينهما قتلى وجراحات

لم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام قال مقاتل بن حيان كان بين قريظة والنضير
قال سعيد بن جبير كان بين الاوس والخزرج قتال وكان لاحد الحيين طول على الاخر في
الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور فاقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة
منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اولئك فرفعوا امرهم
الى النبي صلعم فانزل الله تعالى هذه الاية وامر بالمساواة فرضوا وسلموا قوله كتب عليكم اى فرض عليكم
القصاص في القتلى والقصاص المساواة والمماثلة في الجراحات والديات واصله من قص الاثر اذا
اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله ثم بين فقال الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى
وجملة الحكم فيه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين او العبيد المسلمين او الاحرار من
المعاهدين او العبيد منهم قتل من كل صنف منهم الذكر اذا قتل بالذكر وبالانثى والانثى اذا قتلت
بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم والعبد
بالحر والولد بالوالد هذا قول اكثر اهل العلم من الصحابة ومن بعدهم وعن ابي جحيفة قال سألت
عليا هل عندكم من النبي صلعم شيء سوى القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا
ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وما في الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير
ولا يقتل مؤمن بكافر روي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم لا تقام الحدود في المساجد
ولا يقاد بالولد الوالد وذهب الشعبي والنخعي واصحاب الرأي الى ان المسلم يقتل بالكافر الذمي
والى ان الحر يقتل بالعبد والحديث حجة لمن لم يوجب القصاص على المسلم بقتل الذمي ويقتل الجماعة
بالواحد روي عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قتل خمسة او سبعة برجل قتلوه قتل غيلة وقال لو
تمالأ عليه اهل صنعاء لقتلتهم جميعا ويجري القصاص في الاطراف كما يجري في النفوس الا في شيء
واحد وهو ان الصحيح السوي يقتل بالمريض الزمن وفي الطرف لو قطع يدا شلاء او ناقصة باصبع
لا تقطع بها الصحيحة الكاملة وذهب اصحاب الرأي الى ان القصاص في الطرف لا يجري الا بين حرين
او حرتين ولا يجري بين الذكر والانثى ولا بين العبيد ولا بين الحر والعبد وعند الاخرين الطرف في القصا
ص يقاس على النفس وعن انس ان الربيع عمته كسرت ثنية جارية فطلبوا اليها العفو فابوا
فعرضوا الارش فابوا فاتوا رسول الله صلعم وابوا الا القصاص فامر رسول الله بالقصا
ص فقال انس بن النضر يا رسول الله اتكسر ثنية الربيع لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها
فقال رسول الله صلعم يا انس كتاب الله القصاص فرضي القوم فعفوا فقال رسول الله صلعم ان من

فعفوا

عباد الله من لو اقسم على الله لابره فمن عفي له من اخيه شيء اى ترك له وصفح عنه من الواجب عليه
وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية هذا قول اكثر المفسرين قالوا العفو ان يقبل الدية في قتل
العمد وقوله من اخيه اى من دم اخيه واراد بالاخ المقتول والكنايتان في قوله وفي اخيه يرجعان
الى من وهو القاتل وفي قوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفى يسقط القود لان شيئا من
الدم قد بطل فاتباع بالمعروف اى على الطالب للدية ان يتبع بالمعروف فلا يطالب اكثر من حقه وقوله
واداء اليه باحسان اى على المطلوب منه اداء الدية باحسان من غير مماطلة امر كل واحد منهما بالاحسان
فيما له وعليه ومذهب اكثر العلماء من الصحابة والتابعين ان ولي الدم اذا عفى عن القصاص على الدية
فله اخذ الدية وان لم يرض به القاتل وقال قوم لا دية له الا برضاء القاتل وهو قول الحسن والنخعي
واصحاب الرأي وحجة المذهب الاول ما روي عن ابن شريح الكعبي ان رسول الله صلعم قال انتم يا خزا
عة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل وانا والله عاقله ومن قتل بعده قتيلا فاهله بين
خيرتين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا العقل ذلك تخفيف من ربكم ورحمة اى ذلك الذي
ذكرت من العفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف من ربكم وذلك ان القصاص في النفس والجراح كان
حتما في التورية على اليهود ولم يكن لهم اخذ الدية وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص
فخير الله تعالى هذه الامة بين القصاص وبين العفو على الدية تخفيفا منه ورحمة فمن اعتدى بعد
ذلك فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية فله عذاب اليم وهو ان يقتل قصاصا قال ابن جريج
يتحتم قتله حتى لا يقبل العفو وفي الاية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا بالقتل لان الله تعالى خا
طبه بعد القتل بخطاب الايمان فقال يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص وقال في آخر الاية
فمن عفي له من اخيه شيء واراد به اخوة الايمان فلم يقطع الاخوة بينهما بالقتل ولكم في القصاص
حيوة اى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل يقتل يمتنع عن القتل فيكون فيه بقاؤه
وبقاء من هم بقتله وقيل في المثل القتل انفى للقتل وقيل في معنى الحيوة سلامته من قصاص الاخرة
فانه اذا اقتص منه حيي في الاخرة واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الاخرة يا اولي الالباب
لعلكم تتقون اى تنتهون عن القتل مخافة القود كتب عليكم اى فرض عليكم اذا حضر احد
كم الموت اى جاءه اسباب الموت وآثاره من العلل والامراض ان ترك خيرا اى مالا نظيره
قوله تعالى وما تنفقوا من خير الوصية للوالدين والاقربين كانت الوصية فريضة في ابتداء الا
سلام للوالدين والاقربين على من مات وله مال ثم نسخت باية الميراث وعن عمرو بن خارجة قال كنت

أخذوا بزمام ناقة النبي صلعم فقال ألا ان الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فذهب جماعة
الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الاقارب الذين يرثون وبقي وجوبها في حق الذين لا يرثون
من الوالدين والاقارب وهو قول ابن عباس وطاوس وقتادة والحسن قال طاوس من اوصى
لقوم وترك ذوي قرابته محتاجين انتزعت منهم وردت الى ذوي قرابته وذهب الاكثرون الى ان
الوجوب صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق الذين لا يرثون وعن ابن عمر ان رسول
الله صلعم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده
بالمعروف ولا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير قال ابن مسعود الوصية للأخل فالأخل
اي الأحوج فالأحوج وعن سعد بن مالك قال جاءني النبي صلعم يعودني فقلت يا رسول الله أوصي
بمالي كله قال لا قلت فالشطر قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير انك ان تدع ورثتك
أغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس بأيديهم وعن ابن ابي مليكة ان رجلا قال لعائشة اني
أريد ان أوصي قالت كم مالك قلت ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قلت اربعة قالت انما قال الله ان
ترك خيرا وان هذا شيء يسير فاتركه لعيالك وقال علي لأن أوصي بالخمس احب الي من ان أوصي
بالربع ولأن أوصي بالربع احب الي من ان أوصي بالثلث فمن اوصى بالثلث فلم يترك وقال الحسن
البصري يوصي بالسدس او الخمس او الربع وقال الشعبي انما كانوا يوصون بالخمس او الربع حقا نصب
على المصدر وقيل على المفعول اي جعل الوصية حقا على المتقين المؤمنين فمن بدله اي غير الوصية من
الاوصياء او الاولياء او الشهود بعد ما سمعه اي بعد ما سمع قول الموصي ولم يذكر الكناية
مع كون الوصية مؤنثة وقيل الكناية راجعة الى الايصاء كقوله تعالى فمن جاءه موعظة رد الكناية
الى الوعظ فانما اثمه على الذين يبدلونه والميت بريء منه ان الله سميع لما اوصى به الموصي
عليم بتبديل المبدل او سميع لوصيته عليم بنيته فمن خاف اي علم كقوله تعالى فان خفتم الا
يقيما حدود الله اي علمتم من موص قرأ حمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بفتح الواو وتشديد
الصاد لقوله تعالى ما وصى به نوحا ووصينا الانسان وقرأ الآخرون بسكون الواو وتخفيف
الصاد لقوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم من بعد وصية يوصي بها او دين جنفا اي جورا
وعدولا عن الحق والجنف الميل او اثما اي ظلما وقال السدي وعكرمة والربيع الجنف الخطأ
والاثم العمد فاصلح بينهم فلا اثم عليه واختلفوا في معنى الآية قال مجاهد معناها ان الرجل
اذا حضر مريضا وهو يوصي فرآه يميل اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج

على من حضره ان يأمره بالعدل وينهاه عن الجنف فينظر للموصي وللورثة وقال الآخرون اراد به انه
اذا اخطأ الميت في وصيته او جاف متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه او والي امور المسلمين ان يصلح بعد
موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق فلا اثم عليه اي فلا حرج عليه ان الله غفور
رحيم وقال طاوس جنفه توليجه وهو ان يوصي لبني بنيه يريد ابنه ولولد ابنته يريد ابنته ولزوج
ابنته يريد بذلك ابنته قال الكلبي كان الاولياء والاوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول قوله تعالى فمن بدله
بعد ما سمعه الآية وان استغرق المال كله ولم يبق للورثة شيء ثم نسخها قوله تعالى فمن خاف من موص
جنفا الآية وقال ابن زيد فعجز الموصي ان يوصي للوالدين والاقربين كما امر الله وعجز الموصي ان
يصلح فانتزع الله ذلك منهم ففرض الفرائض عن ابي هريرة عن رسول الله صلعم ان الرجل ليعمل
والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو
هريرة من بعد وصية الى قوله غير مضار يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام اي فرض واوجب
والصوم والصيام في اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة لان الشمس
اذا بلغت كبد السماء وقفت وامسكت عن السير سويعة ومنه قوله تعالى فقولي اني نذرت للرحمن
صوما اي صمتا لانه امساك عن الكلام وفي الشريعة الصوم هو الامساك عن الاكل والشرب والجماع
مع النية في وقت مخصوص كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء والامم واختلفوا في هذا
التشبيه قال سعيد بن جبير كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الاسلام
وقال جماعة من اهل العلم اراد ان صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فربما
كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في اسفارهم ويضرهم في معايشهم
فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على ان يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف
فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم ان ملكا لهم اشتكى فمه
فجعل لله عليه ان هو برئ من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرئ فزاد فيه اسبوعا ثم
مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال اتموه خمسين يوما وقال مجاهد اصابهم موتان فقالوا
زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد قال الشعبي لو صمت السنة كلها لافطرت اليوم
الذي يشك فيه فيقال من شعبان ويقال من رمضان وذلك ان النصارى فرض عليهم شهر رمضان
فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها يوما ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صا
روا الى خمسين يوما فذلك قوله كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون يعني بالصوم لان الصوم

وصلة صلة الى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات وقيل لعلكم تحذرون عن الشهوات من الاكل
والشرب والجماع اياما معدودات قيل كان في ابتداء الاسلام صوم ثلثة ايام من كل شهر واجبا
وصوم يوم عاشوراء فصاموا كذلك من الربيع الى شهر رمضان سبعة عشر شهرا ثم نسخ بصوم
رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة والصوم ويقال نزل صوم شهر رمضان
قبل بدر بشهر وايام وعن عائشة ام المؤمنين رضي عنها انها قالت كان يوم عاشوراء يوما تصومه
قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلعم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلعم المدينة صامه
وامر بصيامه فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن
شاء تركه وقيل المراد من قوله تعالى اياما معدودات شهر رمضان وهي غير منسوخة ونصب اياما
على الظرف اي في ايام معدودات وقيل على التفسير وقيل على خبر ما لم يسم فاعله فمن كان منكم مريضا او على
سفر فعدة اي فافطر فعدة من ايام اخر اي فعليه عدة والعدة والعدد من ايام اخر غير ايام مرضه
وسفره واخر في موضع خفض لكنها لا تنصرف فلذلك نصبت وعلى الذين يطيقونه اختلف العلماء في
تاويل هذه الاية وحكمها فذهب اكثرهم الى ان الاية منسوخة وهو قول ابن عمر وسلمة بن الاكوع
وغيرهما وذلك انهم كانوا في ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفتدوا خيرهم
الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى
فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في الشيخ الفاني الكبير الذي يطيق الصوم ولكن يشق
عليه رخص له في ان يفطر ويفدي ثم نسخ وقال الحسن هذا في المريض الذي به الطوق وهو مستطيع للصوم خير بين
ان يصوم وبين ان يفطر ويفدي ثم نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وثبتت الرخصة للذين لا
يطيقون وذهب جماعة الى ان الاية محكمة غير منسوخة ومعناه وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال
الشباب فعجزوا عنه بعد الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم
الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديدها اي يكلفون الصوم وتاوله على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة
لا يستطيعان الصوم والمريض الذي لا يرجا زوال مرضه فهم يكلفون الصوم ولا يطيقونه فلهم ان يفطروا
ويطعموا مكان كل يوم مسكينا وهو قول سعيد بن جبير وجعل الاية محكمة فدية طعام مسكين قرأ
اهل المدينة والشام مضافا وكذلك في المائدة كفارة طعام اضاف الفدية الى الطعام وان كان واحدا
لاختلاف اللفظين كقوله تعالى وحب الحصيد وقوله مسجد الجامع وربيع الاول وقرأ الآخرون فدية وكفارة
منونة طعام رفع وقرأ مساكين بالجمع ههنا اهل المدينة والشام والآخرون على التوحيد فمن جمع نصب

النون ومن وحد خفض النون ونونها والفدية الجزاء ويجب ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من الطعام
بمد النبي صلعم وهو رطل وثلث من غالب قوت البلد هذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض اهل العراق
عليه لكل مسكين نصف صاع من القمح او صاع من غيره وقال بعضهم اي الفقهاء على المفطر يتقوته يومه
الذي افطره وقال ابن عباس يعطي كل مسكين عشاءه وسحوره فمن تطوع خيرا فهو خير له اي زاد
على مسكين واحد فاطعم مكان كل يوم مسكينين فاكثر قاله مجاهد وعطاء وطاوس وقيل من زاد على
قدر الواجب عليه فاعطى صاعا وعليه مد فهو خير وان تصوموا خير لكم فمن ذهب الى النسخ قال معناه
الصوم خير من الفدية وقيل هذا في الشيخ الكبير لو تكلف الصوم وان شق عليه خير له من ان يفطر ويفدي
ان كنتم تعلمون واعلم انه لا رخصة لمؤمن مكلف في افطار رمضان الا لثلثة احدهم يجب عليه القضاء
والكفارة والثاني عليه القضاء دون الكفارة والثالث عليه الكفارة دون القضاء اما الذي عليه القضاء
والكفارة فالحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما فانهما تفطران وتقضيان وعليهما مع القضاء
الفدية وهو قول ابن عمر وابن عباس وبه قال مجاهد واليه ذهب الشافعي وقال قوم لا فدية عليهما وبه
قال الحسن وعطاء وابراهيم النخعي والزهري واليه ذهب الاوزاعي والثوري واصحاب الرأي واما
الذي عليه القضاء دون الكفارة فالمريض والمسافر والحائض والنفساء واما الذي عليه الكفارة دون
القضاء فالشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجى زوال مرضه ثم بين الله تعالى ايام الصيام فقال شهر
رمضان رفع على معنى هو شهر رمضان وقال الكسائي كتب عليكم شهر رمضان وسمي الشهر شهرا
لشهرته واما رمضان فقال مجاهد هو من اسماء الله تعالى يقال شهر رمضان كما يقال شهر الله والصحيح
انه اسم للشهر سمي به من الرمضاء وهي الحجارة المحماة وهم كانوا يصومون في الحر الشديد فكانت ترمض
فيه الحجارة من الحرارة الذي انزل فيه القرآن سمي القرآن قرآنا لانه يجمع السور والآي والحروف وجمع
فيه القصص والامر والنهي والوعد والوعيد واصل القرء الجمع وقد يحذف الهمز فيقال قريت الماء
في الحوض اذا جمعته وقرأ ابن كثير بفتح الراء غير مهموز وكذلك كان يقرأ الشافعي ويقول ليس هو
من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتورية والانجيل روي عن مقسم عن ابن عباس انه سئل عن قوله
عز وجل شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقوله انا انزلناه في ليلة القدر وقوله انا انزلناه
في ليلة مباركة وقد نزل في سائر الشهور وقال عز وجل وقرآنا فرقناه فقال انزل القرآن جملة
واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبرائيل
عليه السلام على رسول الله صلعم نجوما في عشرين سنة فذلك قوله بمواقع النجوم قال داود بن ابي هند قلت

للشعبي شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن اما كان ينزل في سائر السنة قال بلى ولكن جبريل كان
يعارض محمدا صلعم في رمضان ما نزل اليه فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وينسيه ما يشاء وروي
عن ابي ذر عن النبي صلعم قال انزلت صحف ابراهيم في ثلث ليال مضين من رمضان ويروى في اول
ليلة من رمضان وانزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وانزل الانجيل على عيسى في ثلث
عشرة مضت من رمضان وانزل زبور داود في ثمان عشرة مضت من رمضان وانزل القرآن
على محمد صلعم في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها هدى للناس من الضلالة وهي في محل النصب
على القطع لان القرآن معرفة وهدى نكرة وبينات اي دلالات واضحات من الحلال والحرام والحدود
والاحكام من الهدى والفرقان اي الفرق بين الحق والباطل فمن شهد منكم الشهر فليصمه اي فمن كان
مقيما في الحضر فادركه الشهر واختلف اهل العلم فيمن ادركه الشهر وهو مقيم ثم سافر روي عن
علي انه لا يجوز له الفطر وبه قال عبيدة السلماني لقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه اي الشهر كله
وذهب اكثر الصحابة والفقهاء الى انه اذا انشأ السفر في شهر رمضان جاز له ان يفطر ومعنى
الاية فمن شهد منكم الشهر كله فليصمه او فمن شهد منكم الشهر فليصم ما شهد منه والدليل عليه ما
روي عن ابن عباس ان رسول الله صلعم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم
افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلعم ومن كان مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر اباح الفطر بعذر المرض والسفر واعاد هذا الكلام ليعلم ان
هذا الحكم ثابت في الناسخ ثبوته في المنسوخ واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر فذهب اهل الظاهر
الى ان ما ينطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين قال طريف بن تمام العطاردي
دخلت على محمد بن سيرين في رمضان وهو ياكل فقال انه وجعت اصبعي وقال الحسن وابراهيم
النخعي هو المرض الذي يجوز معه الصلوة قاعدا وذهب الاكثرون الى انه مرض يخاف من الصوم
زيادة علة غير محتملة وفي الجملة انه اذا اجهده الصوم افطر وان لم يجهده فهو كالصحيح واما السفر فا
لفطر فيه مباح والصوم جائز عند عامة اهل العلم الا ما روي عن ابن عباس وابي هريرة وعروة
بن الزبير وعلي بن الحسين انهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا
بقول النبي صلعم ليس من البر الصوم في السفر وذهب الاخرون الى ان من يجهده الصوم فالاولى
ان يفطر والدليل عليه ما روي عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلعم في سفر فراى
زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صايم فقال ليس من البر الصوم في السفر والدليل على جواز

الصوم ما روي عن ابي سعيد قال كنا نسافر مع رسول الله صلعم في رمضان فمنا الصايم ومنا المفطر
فلا يعيب الصايم على المفطر ولا المفطر على الصايم واختلفوا في افضل الامرين فقالت طايفة الفطر في السفر افضل
من الصوم روي ذلك عن ابن عمر واليه ذهب سعيد بن المسيب والشعبي وذهب قوم الى ان الصوم افضل
روي ذلك عن معاذ وانس وبه قال ابراهيم النخعي وسعيد بن جبير وقالت طايفة افضل الامرين ايسرهما عليه
لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وهو قول مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز ومن اصبح مقيما صايما ثم سافر
في اثناء النهار لا يجوز له ان يفطر ذلك اليوم عند اكثر اهل العلم وقالت طايفة له ان يفطر وهو قول الشعبي
وبه قال احمد اما المسافر اذا اصبح صايما يجوز له ان يفطر بالاتفاق والدليل عليه ما روي عن جابر
ان رسول الله صلعم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى اذا بلغ كراع الغميم فصام
الناس معه فقيل يا رسول الله ان الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب
والناس ينظرون فافطر بعض الناس وصام بعض فبلغه ان ناسا صاموا فقال اولئك العصاة
واختلفوا في السفر الذي يبيح الفطر فقال قوم مسيرة يوم وذهب جماعة الى مسيرة يومين وهو قول
الشافعي وذهب جماعة الى مسيرة ثلثة ايام وهو قول الثوري واصحاب الراي يريد الله بكم
اليسر باباحة الفطر في حال المرض والسفر ولا يريد بكم العسر قرا ابو جعفر العسر واليسر
ونحوهما بضم السين وقرا الاخرون بالسكون قال الشعبي ما خير رجل بين امرين فاختار
ايسرهما الا كان ذلك احبهما الى الله عز وجل ولتكملوا العدة قرا ابو بكر بتشديد الميم
وقرا الاخرون بالتخفيف وهو الاختيار لقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم والواو في قوله ولتكملوا
واو النسق واللام لام كي تقديره ويريد لتكملوا العدة اي عدة ايام الشهر بقضاء ما افطرتم
في مرضكم وسفركم قال عطاء ولتكملوا العدة اي عدة ايام الشهر روي عن ابن عمر ان رسول الله صلعم
قال الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا
العدة ثلثين وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لا تقدموا الشهر بصوم يوم ولا يومين
الا ان يوافق ذلك صوما كان يصومه احدكم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فعدوا
ثلثين ثم افطروا ولتكبروا الله ولتعظموا الله على ما هداكم ارشدكم الى ما رضي به من صوم شهر
رمضان وخصكم به دون ساير اهل الملل قال ابن عباس هو تكبيرات ليلة الفطر وروى الشافعي
عن ابن المسيب وعروة وابي سلمة انهم كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير وشبه ليلة النحر
بها الا من كان حاجا فتكبيره التلبية ولعلكم تشكرون الله على نعمه وقد ورد في اخبار في فضل

شهر رمضان وثواب الصائمين وعن أبي هريرة عن النبي صلعم قال إذا دخل رمضان صفدت الشياطين
وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وعنه قال قال رسول الله صلعم إذا كان أول ليلة من
شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت
أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء
من النار وذلك كل ليلة وعن أبي هريرة عن النبي صلعم قال من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له
ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعن سلمان قال
خطبنا رسول الله صلعم في آخر يوم من شعبان فقال يا أيها الناس إنه قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك
شهر فيه ليلة خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من
الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه
وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزداد الرزق فيه من فطر فيه صائما كان
مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول
الله صلعم ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم قال رسول الله صلعم يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائما
على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء ومن أشبع صائما سقاه الله تعالى من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل
الجنة وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال
خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم
فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه وأما اللتان لا غنى بكم عنهما تسألون الله الجنة وتعوذون
به من النار وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلعم كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى
سبعمائة ضعف قال الله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي للصائم
فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك الصوم
جنة الصوم جنة وعن سهل بن سعد عن النبي صلعم قال في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان
لا يدخله إلا الصائمون وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلعم قال الصيام والقرآن يشفعان للعبد
يقول الصيام رب إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني ويقول القرآن رب إني منعته
النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان • وإذا سألك عبادي عني فإني قريب • روى الكلبي عن أبي صالح
عن ابن عباس قال قال يهود أهل المدينة يا محمد كيف يسمع دعاءنا ربنا وأنت تزعم أن بيننا وبين
السماء مسيرة خمسمائة عام وأن غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الضحاك سأل بعض

الصحابة النبي صلعم فقالوا أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى وإذا سألك يا محمد
عبادي عني فإني قريب وفيه إضمار كأنه قال فقل لهم إني قريب منهم بالعلم لا يخفى علي شيء كما
قال ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وعن أبي موسى الأشعري قال لما غزا رسول الله صلعم
خيبر أو قال لما توجه رسول الله صلعم إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم
بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله صلعم اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا
غائبا إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم • أجيب دعوة الداع إذا دعان • قرأ أهل المدينة
غير قالون وأبو عمرو بإثبات الياء فيهما في الوصل وأما غيرهم بحذفها وصلا ووقفا وكذلك اختلف
القراء في إثبات الياءات المحذوفة من الخط وحذفها في التلاوة ويثبت يعقوب جميعها وصلا
ووقفا واتفقوا على إثبات ما هو مثبت في الخط وصلا ووقفا • فليستجيبوا لي • قيل الاستجابة بمعنى
الإجابة أي فليجيبوا لي بالطاعة والإجابة في اللغة الطاعة وإعطاء ما سئل فالإجابة من الله
العطاء ومن العبد الطاعة وقيل فليستجيبوا لي أي ليستدعوا مني الإجابة وحقيقته فليطيعوني
وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون • لكي يهتدوا فإن قيل ما وجه قوله تعالى أجيب دعوة الداع
وقوله ادعوني أستجب لكم وقد يدعى كثيرا فلا يجيب قلنا اختلفوا في معنى الآيتين قيل معنى الدعاء
ههنا الطاعة ومعنى الإجابة الثواب وقيل معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاما تقديرهما
أجيب دعوة الداع إن شئت كما قال فيكشف ما تدعون إليه إن شاء أو أجيب دعوة الداع
إن وافق القضاء أو أجيبه إن كانت الإجابة خيرا له أو أجيبه إن لم يسأل محالا وعن أبي هريرة
عن النبي صلعم قال يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا وما الاستعجال
يا رسول الله قال يقول قد دعوتك يا رب قد دعوتك يا رب وقد دعوتك يا رب فلا أراك تستجيب فيستحسر
عند ذلك فيدع الدعاء وقيل هو عام ومعنى قوله أجيب أي أسمع ويقال ليس في الآية أكثر من إجابة الدعوة
دعوته وأما إعطاء الأمنية فليس بمذكور فيها وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤاله
فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة وقيل معنى الآية أنه يجيب دعاءه فإن قدر له ما سأل أعطاه
وإن لم يقدره ادخر له الثواب في الآخرة أو كف عنه سوءا والدليل عليه ما روي عن عبادة بن الصامت أن
النبي صلعم قال ما على الأرض من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة إلا آتاه الله إياها أو كف من السوء
مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم وقيل إن الله يجيب دعاء المؤمن في الوقت ويؤخر إعطاء مراده ليدعوه
فيسمع صوته ويعجل إعطاء من لا يحبه لأنه يبغض صوته وقيل إن للدعاء آدابا وشرائط وهي أسباب

الإجابة فمن استكملها كان من اهل الاجابة ومن اخل بها فهو من اهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق
الجواب • أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم • الرفث الجماع قال ابن عباس ان الله حيي كريم
يكني بما ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والافضاء والدخول والرفث فانما عني به الجماع وقال
الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجال من النساء قال اهل التفسير كان في ابتداء الامر اذا افطر الرجل
حل له الطعام والشراب والجماع فيه الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد قبلها فاذا صلى العشاء
او رقد قبلها حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب واقع
اهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلعم فقال يا رسول الله
اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشاء فوجدت
رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلعم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام
رجال فاعترفوا بمثله فنزلت في عمر واصحابه أحل لكم اي ابيح لكم ليلة الصيام اي في ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم • هن لباس لكم • اي سكن لكم • وانتم لباس • سكن • لهن • وقيل
و بعد منها زوجها يسكن اليها وقيل لا يسكن شيء الى شيء كسكون احد الزوجين الى الآخر وقيل سمي
كل احد من الزوجين لباسا لتجرده عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل واحد
منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه قال الربيع بن انس هن فراش لكم وانتم لحاف لهن قال ابو
عبيدة وغيره يقال للمرأة هي لباسك وفراشك وازارك وقيل اللباس اسم لما يواري الشيء
فيجوز ان يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي
دينه • علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم • اي تخونونها وتظلمونها بالمجامعة بعد العشاء قال
البراء لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون انفسهم
فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم • فتاب عليكم • تجاوز عنكم • وعفا عنكم • محا ذ
نوبكم • فالآن باشروهن • جامعوهن حلالا سميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد
منهما بصاحبه • وابتغوا ما كتب الله لكم • اي اطلبوا ما قضى الله وقيل ما كتب في اللوح المحفوظ يعني
الولد قاله اكثر المفسرين قال مجاهد ان لم تلد هذه فهذه وقال قتادة ابتغوا الرخصة التي كتبها
الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقال معاذ بن جبل وابتغوا ما كتب الله لكم
يعني ليلة القدر • وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر • نزلت
في رجل من الانصار اسمه ابو صرمة بن قيس بن صرمة وقال عكرمة ابو قيس بن صرمة وقال

٥٧

الكلبي ابو قيس بن صرمة بن انس بن صرمة وذلك انه ظل نهاره يعمل في ارض له وهو صائم فلما امسى
رجع الى اهله بتمر وقال لاهله قدمي الطعام فارادت امرأته ان تطعمه شيئا سخنا فاخذت تعمل له
سخينة وكان في الابتداء من صلى العشاء او نام حرم عليه الطعام والشراب فلما فرغت من طعامه
اذا هو قد نام وكان قد اعيا وكل فايقظته فكره ان يعصي الله ورسوله وابى ان ياكل واصبح
صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما افاق اتى رسول الله صلعم فلما رآه رسول الله قال
له يا ابا قيس ما لك امسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلعم فانزل الله تعالى وكلوا
يعني في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود يعني بياض النهار من سواد
الليل سميا خيطا لان كل واحد يبدو في الابتداء ممتدا كالخيط وعن سهل بن سعد قال انزلت
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا
ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل حتى يتبين له
رؤيتهما فانزل الله تعالى بعد من الفجر فعلموا انما يعني الليل والنهار وعن عدي بن حاتم قال لما نزلت
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال اسود والى عقال ابيض فجعلتهما
تحت وسادتي فجعلت انظر في الليل فلا يستبين لي فغدوت على رسول الله صلعم فذكرت ذلك
له فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه ان رسول
الله صلعم قال ان بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن ام مكتوم قال
وكان ابن ام مكتوم رجلا اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر فجران كاذب
وصادق فالكاذب يطلع اولا مستطيلا كذنب السرحان يصعد الى السماء فبطلوعه لا يخرج الليل
ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم ثم يغيب فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيرا ينتشر سريعا
في الافق فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب على الصائم وعن سمرة بن جندب قال قال
رسول الله صلعم لا يمنعنكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق ثم
اتموا الصيام الى الليل • فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد الى غروب
الشمس فاذا غربت حصل الفطر وعن هشام بن عروة قال سمعت ابي يقول سمعت عاصم بن عمر بن
الخطاب عن ابيه قال قال رسول الله صلعم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت
الشمس فقد افطر الصائم • ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد • والعكوف هو
الاقامة على الشيء والاعتكاف في الشرع هو الاقامة في المسجد على عبادة الله وهو سنة فلا يجوز في غير
المسجد

ويكون في جميع المساجد وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان
حتى توفاه الله ثم اعتكف ازواجه من بعده والاية نزلت في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون
في المسجد فاذا عرضت للرجل منهم الحاجة الى اهله خرج اليها فجامعها ثم اغتسل فرجع الى المسجد فنهوا
عن ذلك ليلا ونهارا حتى يفرغوا من اعتكافهم والجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به الاعتكاف
اما ما دون الجماع من المباشرات كالقبلة واللمس بالشهوة فمكروه ولا يفسد به الاعتكاف
عند اكثر اهل العلم وهو اظهر قولي الشافعي كما لا يبطل به الحج وقالت طائفة يبطل اعتكافه وهو قول
مالك وقيل ان انزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا كالصوم اما اللمس الذي لا يقصد به التلذذ فلا
يفسد به الاعتكاف لما روي عن عائشة انها قالت كان رسول الله صلعم اذا اعتكف ادنى الي رأسه فارجله
وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان تلك حدود الله يعني تلك الاحكام التي ذكرنا في الصيام
والاعتكاف حدود الله اي ما منع الله عنها قال السدي شروط الله وقال شهر بن حوشب فرائض
الله واصل الحد في اللغة المنع ومنه قيل للبواب حداد لانه يمنع الناس من الدخول وحدود الله ما
منع الناس من مخالفتها فلا تقربوها فلا تأتوها كذلك هكذا يبين الله آياته للناس
لعلهم يتقون لكي يتقوها فينجوا من العذاب ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل قيل نزلت هذه الاية
في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلعم مالا ان
حلف على مال ليأكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فانزل الله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل
اي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل اي من غير الوجه الذي اباحه الله واصل الباطل الشيء الذاهب والاكل
بالباطل انواع قد يكون بطريق الغصب والنهب وقد يكون بطريق اللهو كالقمار واجرة المغني ونحوهما
وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة وتدلوا بها الى الحكام اي تلقون امور تلك الاموال بينكم وبين
اربابها الى الحكام واصل الادلاء ارسال الدلو وارسالها في البئر يقال ادلى دلوه اذا ارسلها
ودلاها يدلوها اذا اخرجها قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال
ويخاصم فيه الى الحاكم وهو يعرف ان الحق عليه وانه آثم بمنعه وقال مجاهد في هذه الاية لا تخاصم
وانت ظالم قال الكلبي هو ان يقيم شهادة الزور وقوله وتدلوا في محل الجزم بتكرير حرف النهي
معناه ولا تدلوا بها الى الحكام وقيل معناه لا تأكلوا بالباطل وتنسبوه الى الحكام قال قتادة لا تدل
بمال اخيك الى الحكام وانت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضي يقول اني
لاقضي لك واني لاظنك ظالما ولكن لا يسعني الا ان اقضي بما يحضرني من البينة وان قضائي لا يحل لك

حراما وعن ام سلمة زوج النبي صلعم ان رسول الله صلعم قال انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم
ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذنه
فانما اقطع له قطعة من النار لتأكلوا فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بالظلم وقال ابن عباس
باليمين الكاذبة يقتطع بها مال اخيه وانتم تعلمون انكم مبطلون يسألونك عن الاهلة نزلت في معا
ذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى
يمتلئ نورا ثم يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة فانزل الله تعالى يسألونك عن الاهلة وهي جمع هلال
مثل رداء واردية سمي هلالا لان الناس يرفعون اصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل
الصبي اذا صرخ حين يولد واهل القوم بالحج اذا رفعوا اصواتهم بالتلبية قل هي مواقيت
جمع ميقات للناس والحج اي فعلنا ذلك ليعلم الناس اوقات الحج والعمرة والصوم والافطار
وآجال الديون وعدد النساء وغيرها فلهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة وليس البر
بان تأتوا البيوت من ظهورها قال اهل التفسير كان الناس في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا احرم
الرجل منهم بالحج والعمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا
في ظهر بيته يدخل منه ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخيمة
والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من احرامه ويرون ذلك برا الا ان يكون من
الحمس وهم قريش وكنانة فدخل رسول الله صلعم ذات يوم بيتا لبعض من الانصار فدخل رجل من
الانصار يقال له رفاعة بن تابوت على اثره من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلعم
لم دخلت من الباب وانت محرم قال رأيتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلعم اني احمسي
فقال الرجل ان كنت احمسيا فاني احمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى هذه الاية
وقال الزهري كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء وكان الرجل
يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعدما يخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من اجل
سقف الباب ان يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته
حتى بلغنا ان رسول الله صلعم اهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل على اثره من الانصار
من بني سلمة فقال النبي صلعم لم فعلت ذلك قال لاني رأيتك دخلت فقال صلعم اني احمسي فقال الانصاري
وانا احمسي يقول وانا على دينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها قرأ ابن كثير
وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر البيوت والغيوب والعيون والجيوب والشيوخ بكسر اوائلهن لمكان

الباء وقرأ الباقون بالضم على الأصل وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي جيوبهن بكسر الجيم وقرأ حمزة
وأبو بكر الغيوب بكسر الغين • ولكن البر من اتقى • البر بر من اتقى • وأتوا البيوت من أبوابها في حال الإ
حرام • واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله في طاعة الله • الذين يقاتلونكم • كان في ابتداء الإسلام
أمر الله تعالى رسوله صلعم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر إلى المدينة أمر بقتال من قاتلهم بهذه
الآية قال الربيع بن أنس هذه أول آية نزلت في القتال ثم أمر بقتال المشركين كافة قاتلوا بقوله اقتلوا
المشركين فصارت هذه الآية منسوخة بها وقيل نسخ بقوله اقتلوا المشركين قريب من سبعين آية • ولا
تعتدوا • أي لا تبدءوهم بالقتال وقيل هذه الآية محكمة غير منسوخة أمر النبي صلعم بقتال المقاتلين ومعنى
قوله ولا تعتدوا أي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان ولا من ألقى إليكم السلم
هذا قول ابن عباس ومجاهد وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان النبي صلعم إذا بعث جيشا
قال اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا امرأة ولا وليدا
ولا شيخا كبيرا وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الآية في صلح الحديبية وذلك أن رسول
الله صلعم خرج مع أصحابه للعمرة وكانوا ألفا وأربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون
عن البيت الحرام فصالحهم على أن يرجع عامه ذلك على أن يخلوا له مكة عام قابل ثلاثة أيام فيطوف بالبيت
فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله صلعم وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي قريش بما قالوا
وأن يصدوهم عن البيت وكره أصحاب رسول الله صلعم قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله
تعالى وقاتلوا في سبيل الله يعني محرمين الذين يقاتلونكم يعني قريشا ولا تعتدوا بالقتال في الحرم محرمين
• إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم • قيل نسخت الآية الأولى بهذه الآية وأصل
الثقافة الحذق والبصر بالأمر ومعناه واقتلوهم حيث أبصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم • وأخرجوهم
من حيث أخرجوكم • وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة فقال أخرجوهم من ديارهم كما أخ
رجوكم من دياركم • والفتنة أشد من القتل • يعني شركهم بالله عز وجل أشد وأعظم من قتلكم إياهم
في الحرم والإحرام • ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم •
قرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم بغير ألف فيهن من القتل على معنى فلا تقتلوا
بعضهم تقول العرب قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم وقرأ الباقون بالألف من القتال كان
هذا في ابتداء الإسلام كان لا يحل بداءتهم بالقتال في البلد الحرام ثم صار منسوخا بقوله تعالى وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة هذا قول قتادة وقال مقاتل بن حيان قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم أي حيث أدركتموهم

في الحل والحرم صارت هذه الآية منسوخة بقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ثم نسخها آية السيف
في براءة فهي ناسخة منسوخة وقال مجاهد وجماعة هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال
في الحرم • كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا • عن القتال والكفر فإن الله غفور رحيم • أي غفور لما سلف
رحيم بالعباد • وقاتلوهم • يعني المشركين • حتى لا تكون فتنة • أي شرك يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا
يقبل من الوثني إلا الإسلام فإن أبى قتل • ويكون الدين • أي الطاعة والعبادة • لله • وحده فلا يعبد
شيء دونه قال نافع جاء رجل إلى ابن عمر في فتنة ابن الزبير فقال ما يمنعك أن تخرج قال يمنعني أن الله
حرم دم أخي قال ألا تسمع ما ذكره الله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قال يا ابن أخي لأن أعير
بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أعير بالآية الأخرى التي يقول الله ومن يقتل مؤمنا متعمدا قال
ألم يقل الله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال قد فعلنا على عهد رسول الله صلعم إذ كان الإسلام قليلا وكان
الرجل يفتن عن دينه إما يقتلونه وإما يعذبونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم
تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله وعن سعيد بن جبير قال رجل لابن عمر كيف
ترى في قتال الفتنة فقال هل تدري ما الفتنة كان محمد صلعم يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة
وليس يقاتلهم على الملك • فإن انتهوا عن الكفر وأسلموا فلا عدوان • فلا سبيل • إلا على الظالمين • قاله ابن
عباس يدل عليه قوله تعالى أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي أي فلا سبيل علي وقال أهل المعاني العدوان
الظلم أي فإن أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل إلا على الظالمين الذين بقوا على الشرك وما يفعل بأهل
الشرك من هذه الأشياء لا يكون ظلما وسماه عدوانا على طريق المجازاة والمقابلة كما قال فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا وكقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمي الكافر ظالما لأنه يضع العبادة في غير موضعها
• الشهر الحرام بالشهر الحرام • نزلت في عمرة القضاء وذلك أن النبي صلعم خرج معتمرا في ذي القعدة فصده
المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع العام القابل
فيقضي عمرته فانصرف رسول الله صلعم عامه ذلك ورجع في العام القابل في ذي القعدة فقضى عمرته
سنة سبع من الهجرة فذلك معنى قوله تعالى الشهر الحرام يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه وقضيتم فيه
عمرتكم سنة سبع بالشهر الحرام ذي القعدة الذي صددتم فيه عن البيت سنة ست • والحرمات قصاص
• والحرمات جمع حرمة وإنما جمعها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام
والقصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل وقيل هذا في أمر القتال معناه
إن بدؤوكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه فإنه قصاص بما فعلوا • فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
• عليه

وفي تلوه بمثل ما اعتدى عليكم سمي الجزاء باسم الابتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله اراد به الجهاد
وكل خير هو في سبيل الله ولكن اطلاقه ينصرف الى الجهاد ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل الباء
في قوله بايديكم زائدة يريد لا تلقوا ايديكم اي انفسكم الى التهلكة عبر بالايدي عن الانفس كقوله
بما كسبت ايديكم اي بما كسبتم وقيل الباء في موضعها وفيه حذف اي ولا تلقوا انفسكم بايديكم
الى التهلكة اي الهلاك وقيل التهلكة كل شيء تصير عاقبته الى الهلاك اي ولا تاخذوا في ذلك وقيل
التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه والعرب لا تقول للانسان القى بيده
الا في الشر واختلفوا في تاويل هذه الاية فقال بعضهم هذا في البخل وترك الانفاق يقول ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة بترك الانفاق في سبيل الله تعالى وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة
وعطاء قال ابن عباس في هذه الاية انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم واحد او مشقص ولا يقولن
احدكم اني لا اجد شيئا وقال السدي فيها انفق في سبيل الله ولو عقالا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
ولا تقل ليس عندي شيء وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حيان لما امر الله بالانفاق قال رجال
امرنا بالنفقة في سبيل الله ولو انفقنا اموالنا بقينا فقراء فانزل الله هذه الاية وقال مجاهد فيها لا
يمنعنكم من نفقة في حق خيفة العيلة وعن عياض بن غطيف قال اتينا ابا عبيدة نعوده قال سمعت
رسول الله صلعم يقول من انفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة ومن انفق نفقة على اهله
فالحسنة بعشر امثالها وقال زيد بن اسلم كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما ان
يقطع بهم واما ان كانوا عيالا فامرهم الله عز وجل بالانفاق على انفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده
شيء ينفق فلا يخرج بغير نفقة ولا قوة فيلقي بيده الى التهلكة فالتهلكة ان يهلك من الجوع والعطش
او المشي وقيل نزلت الاية في ترك الجهاد قال ابو ايوب الانصاري نزلت فينا معشر الانصار
وذلك ان الله تعالى لما اعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا سرا من رسول الله صلعم انا قد تركنا
اهلنا واموالنا حتى فشا الاسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا الى اهلينا واموالنا فاقمنا فيها
واصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والتهلكة الا
قامة في الاهل والمال وترك الجهاد فما زال ابو ايوب يجاهد في سبيل الله حتى كان اخر غزاة غزاها
بقسطنطينية في زمن معاوية فتوفي هناك ودفن في اصل سور قسطنطينية وهم يستسقون به
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من

النفاق وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني الالقاء الى التهلكة هو القنوط من رحمة الله قال ابو قلابة
هو الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك في المعاصي فنهاهم الله
عز وجل عن ذلك قال الله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واحسنوا ان الله يحب المحسنين
واتموا الحج والعمرة لله وقرأ علقمة وابراهيم النخعي واقيموا الحج والعمرة لله واختلفوا في اتمامهما فقال
بعضهم هو ان يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وهو قول ابن عباس وعلقمة وابراهيم النخعي ومجاهد
واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة وطواف الزيارة والسعي وحلق الراس او التقصير
وللحج تحللان واسباب التحليل ثلثة رمي جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق فاذا وجد
شيئان من هذه الاشياء الثلثة حصل التحلل الاول وبالثالث حصل التحلل الثاني وبعد التحلل الاول
يستبيح جميع محظورات الاحرام الا النساء وبعد الثاني يستبيح الكل واركان العمرة اربعة الاحرام
والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق قال سعيد بن جبير وطاوس تمام الحج والعمرة ان
تحرم بهما مفردين مستانفين من اهلك وسئل علي بن ابي طالب عن قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله قال
ان تحرم من دويرة اهلك ومثله عن ابن مسعود قال قتادة تمام العمرة ان تعمل في غير اشهر الحج فان
كان في اشهر الحج ثم اقام حتى حج فهي متعة وعليه فيها الهدي ان وجده او الصيام ان لم يجد الهدي وتمام
الحج ان يؤتى بمناسكه كلها حتى لا يلزم عامله دم بسبب قران ولا متعة وقال الضحاك اتمامهما ان
تكون النفقة حلالا وينتهي عما نهى الله عنه وقال سفين الثوري اتمامهما ان تخرج من اهلك لهما ولا تخرج
لتجارة ولا لحاجة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفد كثير والحاج قليل واتفقت الامة على وجوب الحج
على من استطاع اليه سبيلا واختلفوا في وجوب العمرة فذهب اكثر اهل العلم الى وجوبها وهو قول عمر وعلي
وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال والله ان العمرة لقرينة الحج في كتاب الله واتموا الحج والعمرة لله
وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد والحسن وقتادة وسعيد بن جبير واليه ذهب الثوري والشافعي في
اصح قوليه وذهب قوم الى انها سنة وهو قول جابر وبه قال الشعبي واليه ذهب مالك واهل العراق
وتاولوا قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله على معنى اتموها اذا دخلتم فيها اما ابتداء الشروع فيها
فتطوع واحتج من لم يوجبها بما روي عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلعم انه سئل عن العمرة اواجبة
هي فقال لا وان تعتمروا خير لكم والقول الاول اصح ومعنى قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله اي
ابتدءوها فاذا دخلتم فيها فاتموها فهو امر بالابتداء والاتمام اي اقيموها كقوله تعالى ثم اتموا
الصيام الى الليل اي ابتدءوه واتموه وعن عبد الله قال قال رسول الله صلعم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما

يشفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب الا
الجنة وقال ابن عمر ليس من خلق الله احد الا وعليه حجة وعمرة واجبتان ان استطاع الى ذلك سبيلا
كما قال الله تعالى ثم زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع واتفقت الامة على انه يجوز اداء الحج والعمرة على ثلثة
اوجه الافراد والتمتع والقران فصورة الافراد ان يفرد الحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر وصورة التمتع
ان يعتمر في اشهر الحج ثم بعد الفراغ من اعمال العمرة يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام وصورة
القران ان يحرم بالحج والعمرة معا ويحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا
واختلفوا في الافضل من هذه الوجوه فذهب جماعة الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران
وهو قول مالك والشافعي وعن عايشة ام المؤمنين انها قالت خرجنا مع رسول الله صلعم عام حجة
الوداع فمنا من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج واهل رسول الله صلعم
بالحج فاما من اهل بعمرة فحل واما من اهل بالحج او جمع الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم
النحر وعن جابر وهو يحدث عن حجة النبي صلعم قال خرجنا مع رسول الله صلعم لا ننوي الا الحج ولا
ولا نعرف العمرة وروي عن ابن عمر ان النبي صلعم افرد الحج وذهب قوم الى ان القران افضل وهو قول
الثوري واصحاب الراي واحتجوا بما روي حميد قال قال انس بن مالك اهل رسول الله صلعم فقال
لبيك بحجة وعمرة وذهب قوم الى ان التمتع افضل وهو قول احمد بن حنبل واسحق بن راهويه واحتجوا
بما روي عن سالم بن عبد الله ان ابن عمر قال تمتع رسول الله صلعم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى
فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدا رسول الله صلعم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج فتمتع الناس مع
النبي صلعم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من اهدى فساق الهدي ومنهم من لم يهد فلما قدم النبي
صلعم مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن
منكم اهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج فمن لم يجد هديا فليصم
ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع الى اهله فطاف حين قدم مكة واستلم الركن اول شيء ثم خب
ثلثة اطواف ومشى اربعا فركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف
فاتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة اطواف ثم لم يحل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر
هديه يوم النحر وافاض فطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله
صلعم من اهدى وساق الهدي من الناس وعن ابن شهاب عن عروة ان عايشة اخبرته
عن النبي صلعم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر عن رسول

الله صلعم قال شيخنا الامام رضي الله عنه قد اختلفت الرواية في احرام النبي صلعم كما ذكرنا وذكر
الشافعي في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزه ان اصحاب رسول الله صلعم كان منهم المفرد
والقارن والمتمتع وكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه
امر بها واذن فيها ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما
يقال بنى فلان دارا ويريد انه امر ببنائها وكما روي ان النبي صلعم رجم ماعزا وانما امر برجمه
واختار الشافعي الافراد لرواية جابر وعايشة وابن عمر وقدمها على رواية غيرهم لتقدم صحبة
جابر النبي صلعم وحسن سياقه لابتداء قصة حجة الوداع وآخرها ولفضل حفظ عايشة وقرب
ابن عمر من النبي صلعم وقال في اختلاف الاحاديث الى التمتع وقال ليس شيء من الاختلاف ايسر من
هذا وان كان الغلط فيه قبيحا من جهة انه مباح لان الكتاب ثم السنة ثم ما لا اعلم فيه خلافا يدل
على ان التمتع بالعمرة الى الحج وافراد الحج والقران واسع كله وقال من قال انه افرد الحج يشبه ان يكون
قاله على ما يعرف من اهل العلم الذين ادركوا دون زمن رسول الله صلعم ان احدا لا يكون مقيما على
الحج الا وقد ابتدا احرامه بالحج قال شيخنا الامام رضي الله عنه ومما يدل عليه انه كان متمتعا ان
الرواية عن ابن عمر وعايشة متعارضة وقد روينا عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال تمتع
رسول الله صلعم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وقال ابن شهاب عن عروة ان عايشة اخبرته عن النبي
صلعم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس
قال رسول الله صلعم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد بن ابي وقاص في المتعة صنعها رسول الله
صلعم وصنعناها معه قال شيخنا الامام رضي الله عنه وما روي عن جابر انه قال خرجنا لا
ننوي الا الحج لا ينافي التمتع لان خروجهم كان لقصد الحج ثم منهم من قدم العمرة ومنهم من اهل بالحج
الى ان امره النبي صلعم ان يجعله متعة • فان احصرتم فما استيسر من الهدي اختلف العلماء في
الاحصار الذي يبيح للمحرم التحلل من احرامه فذهب جماعة الى ان كل مانع يمنعه من الوصول
الى البيت الحرام والمضي في احرامه من عدو او مرض او جرح او ذهاب نفقة او ضلال راحلة
يبيح له التحلل وبه قال ابن مسعود وهو قول ابرهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة
وعروة بن الزبير واليه ذهب سفين الثوري واهل العراق وقالوا لان الاحصار في كلام
العرب هو حبس العلة من المرض قال الكسائي وابو عبيدة ما كان من مرض او ذهاب نفقة
يقال منه احصر فهو محصر وما كان من حبس عدو او سجن يقال منه حصر فهو محصور وانما جعل

ههنا حبس العدو احصارا اي شاء على المرض اذا كان في معناه واحتجوا بما روي عن عكرمة عن
الحجاج بن عمرو الانصاري قال قال رسول الله صلعم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل قال
عكرمة فسألت ابن عباس وابا هريرة فقالا صدق وذهب جماعة الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس
العدو وهو قول ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو وروي معناه عن ابن عمر وعبد الله
بن الزبير وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي واحمد واسحق وقالوا
الحصر والاحصار بمعنى واحد وقال ثعلب تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور
واحصره العدو اذا منعه عن السير فهو محصر واحتجوا بان نزول هذه الاية في قصة الحديبية وكان
ذلك حبسا من جهة العدو ويدل عليه قوله تعالى في سياق الاية فاذا امنتم والامن يكون من الخوف وضعفوا
حديث الحجاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو وتاوله بعضهم
على انه انما يحل بالكسر والعرج اذا كان قد شرط ذلك في عقد الاحرام كما روي ان ضباعة بنت الزبير كانت
وجعة فقال لها النبي صلعم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني ثم المحصر يتحلل بذبح
الهدي وحلق الراس والهدي شاة وهو المراد بقوله تعالى فما استيسر من الهدي ومحل ذبحه حيث
احصر عند اكثر اهل العلم لان النبي صلعم ذبح الهدي عام الحديبية بها وذهب قوم الى ان المحصر يقيم
على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل وهو قول اهل العراق واختلف
القول في المحصر اذا لم يجد هديا ففي قول لا بدل له فيتحلل والهدي في ذمته الى ان يجد والقول الثاني له
بدل فعلى هذا اختلف القول فيه ففي قول عليه صوم المتمتع وفي قول تقوم الشاة دراهم
ويجعل الدراهم طعاما فيتصدق به فان عجز عن الطعام صام عن كل مد من الطعام يوما
كما في فدية الطيب واللبس فان المحرم اذا احتاج الى ستر راسه لحر او برد او الى لبس قميص ومرض
فاحتاج الى مداواة بدواء فيه طيب فعل وعليه الفدية وفديته على الترتيب والتعديل فعليه ذبح
شاة فان لم يجد يقوم الشاة دراهم والدراهم طعاما فيتصدق به فان عجز صام عن كل مد
يوما ثم المحصر ان كان احرامه بفرض قد استقر عليه فذلك الفرض في ذمته وان كان بحج تطوع
فهل عليه القضاء اختلفوا فيه فذهب جماعة الى انه لا قضاء عليه وهو قول مالك والشافعي وذهب
قوم الى ان عليه القضاء وهو قول مجاهد والشعبي والنخعي واصحاب الراي قوله فما استيسر من
الهدي اي فعليه ما تيسر من الهدي ومحله رفع وقيل ما في محل النصب اي فاهدوا ما استيسر من الهدي
جمع هدية وهي اسم لكل ما يهدى الى بيت الله تعالى تقربا اليه وما استيسر من الهدي شاة قال علي بن

ابي طالب وابن عباس لانه اقرب الى اليسر قال الحسن وقتادة اعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه
شاة ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله واختلفوا في المحل الذي يحل المحصر ببلوغ هديه
اليه فقال بعضهم هو ذبحه بالموضع الذي احصر فيه سواء كان في الحل او في الحرم ومعنى محله حيث
يحل ذبحه واكله وعن المسور بن مخرمة في قصة الحديبية قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول
الله صلعم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلث مرات
فلما لم يقم منهم احد دخل على ام سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت ام سلمة يا نبي الله اتحب
ذلك اخرج ثم لا تكلم احدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا
منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما راوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا
حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما وقال بعضهم محل هدي المحصر الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر
وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الحرم فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه معناه لا
تحلقوا رؤسكم في حال الاحرام الا ان يضطر الى حلقه لمرض او لاذى براسه من هوام او صداع ففدية
فيه اضمار اي فحلق فعليه فدية نزلت في كعب بن عجرة وعن مجاهد قال حدثني عبد الرحمن بن
ابي ليلى عن كعب بن عجرة ان رسول الله صلعم راه وقمله يسقط على وجهه فقال ايؤذيك هوامك
قال نعم فامره رسول الله صلعم ان يحلق وهو بالحديبية لم يتبين لهم انهم يحلون بها وهم على طمع
ان يدخلوا مكة فانزل الله الفدية فامره رسول الله صلعم ان يطعم فرقا بين ستة مساكين او يهدي
شاة او يصوم ثلثة ايام قوله تعالى ففدية من صيام اي ثلثة ايام او صدقة اي ثلثة اصوع على
ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع او نسك واحدتها نسيكة اي ذبيحة اعلاها بدنة وادناها
شاة واوسطها بقرة ايتها شاء ذبح فهذه الفدية على التخيير والتقدير يتخير بين ان يذبح او
يصوم او يتصدق وكل هدي او طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم الا هديا
يلزم المحصر فانه يذبحه حيث احصر اما الصوم فله ان يصوم حيث شاء فاذا امنتم اي من خوفكم
وبرئتم من مرضكم فمن تمتع بالعمرة الى الحج اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبد الله بن الزبير الى
ان معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة وخرج من احرامه بعمل عمرة واستمتع
باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه الثاني في
العام القابل وقال بعضهم معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تقضوا
عمرة واخرتم العمرة الى السنة القابلة فاعتمرتم في اشهر الحج ثم حللتم فاستمتعتم باحلالكم الى
الحج

ثم احرمتم بالحج فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر من الهدي وهو قول علقمة وابراهيم
النخعي وسعيد بن جبير وقال ابن عباس وعطاء وجماعة هو الرجل يقدم معتمرا من افق من الافاق
في اشهر الحج فقضى عمرته واقام حلالا بمكة حتى انشا منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالا
حلال من العمرة الى احرامه بالحج فمعنى التمتع هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظورا عليه
في الاحرام الى احرامه بالحج ولوجوب هدي التمتع اربع شرائط احدها ان يحرم بالعمرة في اشهر
الحج والثاني ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة والثالث ان يحرم بالحج في مكة فلا يعود الى
الميقات لاحرامه والرابع ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام ومتى وجدت هذه الشرائط فعليه
ما استيسر من الهدي وهو دم شاة ويذبحه يوم النحر فلو ذبح قبله بعدما احرم بالحج يجوز عند
بعض اهل العلم كدماء الجبرانات وذهب بعضهم الى انه لا يجوز قبل يوم النحر كدم الا
ضحية فمن لم يجد الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج اي صوموا ثلثة ايام يصوم يوما قبل التروية
ويوم التروية ويوم عرفة ولو صام قبله بعدما احرم بالحج يجوز ولا يجوز يوم النحر ولا ايام
التشريق عند اكثر اهل العلم وذهب بعضهم الى جواز صوم الثلث في ايام التشريق يروى
ذلك عن عايشة وابن عمر وابن الزبير وهو قول مالك والاوزاعي واحمد واسحق وسبعة اذا
رجعتم اي صوموا سبعة ايام اذا رجعتم الى اهليكم وبلدكم فلو صام السبعة قبل الرجوع الى
اهله لا يجوز وهو قول اكثر اهل العلم روي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وقيل يجوز ان يصومها
بعد الفراغ من اعمال الحج وهو المراد من الرجوع في الاية تلك عشرة كاملة ذكرها على وجه التاكيد
وهذا لان العرب ما كانوا يهتدون الى الحساب فكانوا يحتاجون الى فضل شرح وزيادة بيان
وقيل فيه تقديم وتاخير يعني فصيام عشرة ايام ثلثة في الحج وسبعة اذا رجعتم فهي كاملة قيل
كاملة في الثواب والاجر وقيل كاملة فيما اريد به من اقامة الصوم بدل الهدي وقيل كاملة بشروطها
وحدودها وقيل لفظه خبر ومعناه امر اي فاكملوها ولا تنقصوها ذلك اي هذا الحكم لمن
لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واختلفوا في حاضري المسجد الحرام فذهب قوم الى انهم اهل مكة
وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج اهل عرفة والرجيع وضجنان
ونخلتان وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة اقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد
الحرام وقال عكرمة هم من دون الميقات وقيل هم اهل الميقات فما دونه وهو قول اصحاب الراي
ودم القران كدم التمتع والمكي اذا قرن وتمتع فلا هدي عليه قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال

اهل المهاجرون والانصار وازواج النبي صلعم في حجة الوداع واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله
صلعم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النساء و
لبسنا الثياب ثم امرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا فقد تم حجنا وعلينا الهدي فجمعوا نسكين
في عام بين الحج والعمرة فان الله انزله في كتابه وسنة نبيه واباحه للناس غير اهل مكة قال الله ذلك
لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام ومن فاته الحج وفواته يكون بفوات الوقوف بعرفة حتى يطلع الفجر
يوم النحر فانه يتحلل بعمل العمرة وعليه القضاء من قابل والفدية وهي على الترتيب والتقدير كفدية التمتع
والقران وعن سليمان بن يسار ان هبار بن الاسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه
فقال يا امير المؤمنين اخطانا العدد كنا نظن ان هذا اليوم يوم عرفة فقال له عمر اذهب الى مكة
فطف انت ومن معك بالبيت واسعوا بين الصفا والمروة وانحروا هديا ان كان معكم ثم احلقوا
او قصروا ثم ارجعوا فاذا كان عام قابل فحجوا واهدوا فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة
اذا رجع واتقوا الله في اداء الاوامر واعلموا ان الله شديد العقاب على ارتكاب المناهي الحج
اشهر معلومات اي وقت الحج اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة
الى طلوع الفجر من يوم النحر ويروى عن ابن عمر شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وكلا القولين
صحيح غير مختلف فمن قال عشر عبر به عن الليالي ومن قال تسعة عبر به عن الايام فان اخر
ايامها يوم عرفة وهو اليوم التاسع وانما قال اشهر بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لانها
وقت والعرب تسمي الوقت تاما بقليله وكثيره فتقول اتيتك يوم الخميس وانما اتاه في ساعة منه
ويقولون زرتك العام وانما زاره في بعضه وقيل الاثنان فما فوقهما جماعة لان معنى الجمع ضم
شيء الى شيء فاذا جاز ان يسمى الاثنان جماعة جاز ان يسمى الاثنان وبعض الثالث جماعة
وقد ذكر الله تعالى الاثنين بلفظ الجمع فقال فقد صغت قلوبكما اي قلباكما وقال عروة بن الزبير
وغيره اراد بالاشهر شوال وذو القعدة وذا الحجة بكماله لانه يبقى على الحاج امور بعد عرفة يجب عليه
فعلها مثل الرمي والذبح والحلق وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى وكانت في حكم الحج فمن فرض فيهن
الحج اي فمن اوجب على نفسه بالاحرام والتلبية وفيه دليل على ان من احرم بالحج في غير اشهر الحج لا ينعقد
احرامه بالحج وهو قول ابن عباس وجابر وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد واليه ذهب الاوزاعي
والشافعي وقال ينعقد احرامه بالعمرة لان الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في
غيرها لم يكن لهذا التخصيص فايدة كما انه علق الصلوات بالمواقيت ثم من احرم بفرض الصلوة قبل

وقيل لا ينعقد احرامه عن الفرض وذهب جماعة الى انه ينعقد احرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وابي
حنيفة اما العمرة فجميع ايام السنة وقت لها الا ان يكون متلبسا بالحج روي عن انس انه كان بمكة فكان
اذا حمم راسه خرج فاعتمر. فلا رفث ولا فسوق. قرأ ابن كثير واهل البصرة فلا رفث ولا فسوق
بالرفع والتنوين فيهما وقرأ الاخرون بالنصب من غير تنوين كقوله ولا جدال وقرأ ابو جعفر كلها بالرفع
والتنوين واختلفوا في الرفث قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر هو الجماع وهو قول الحسن ومجاهد
وعمرو بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وابرهيم النخعي وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس
الرفث غشيان النساء والقبلة والغمز وان تعرض لها بالفحش من الكلام قال حصين بن قيس
اخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا. فقلت له اترفث وانت محرم فقال انما الرفث ما قيل عند النساء قال طاوس الرفث
التعريض للنساء بالجماع وذكره بين ايديهن قال عطاء الرفث الفحش والقول القبيح اما الفسوق
قال ابن عباس هو المعاصي كلها وهو قول طاوس وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي
وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ الاشعار
وما اشبههما وقال ابرهيم وعطاء ومجاهد هو السباب بدليل قول النبي صلعم سباب المسلم فسوق
قال الضحاك هو التنابز بالالقاب بدليل قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان وعن سيار ابي الحكم قال سمعت ابا حازم قال سمعت ابا هريرة قال سمعت النبي صلعم
يقول من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه. ولا جدال في الحج قال ابن مسعود وابن
عباس الجدال ان يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبير
وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة وقال القاسم بن محمد هو ان يقول بعضهم الحج اليوم ويقول
بعضهم الحج غدا وقال القرظي كانت قريش اذا اجتمعت بمنى قال هولاء حجنا اتم من حجكم وقال
هولاء حجنا اتم وقال مقاتل هو ان النبي صلعم قال لهم في حجة الوداع وقد احرموا بالحج اجعلوا
اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا جدالهم وقال
ابن زيد كانوا يقفون مواقف مختلفة كلهم يزعم ان موقفه موقف ابرهيم يجادلون فيه وقيل
هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج
في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول ما فعلته هو الصواب فقال جل ذكره ولا جدال
في الحج اي استقر امر الحج على ما فعله الرسول صلعم فلا اختلاف فيه من بعد وذلك معنى قول النبي صلعم

الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض قال مجاهد معناه ولا شك
في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء قال اهل المعاني ظاهر الاية نفي ومعناه نهي اي ولا ترفثوا ولا
تفسقوا ولا تجادلوا كقوله تعالى لا ريب فيه اي لا ترتابوا. وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي لا
يخفى عليه فيجازيكم به. وتزودوا فان خير الزاد التقوى. نزلت في ناس من اهل اليمن كانوا
يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت الله افلا يطعمنا فاذا
قدموا مكة سالوا الناس وربما يفضي بهم الحال الى النهب والغصب فقال الله جل ذكره وتزودوا
اي ما تتبلغون وتكفون به وجوهكم قال اهل التفسير الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها
فان خير الزاد التقوى من السوال والنهب واتقون يا اولي الالباب يا ذوي العقول. ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم. عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا كانت
في الجاهلية فلما كان الاسلام تاثموا من التجارة فيها فانزل الله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم في مواسم الحج قرأ ابن عباس كذا وروى عن ابي امامة التيمي قال قلت لابن عمر انا
قوم نكري في هذا الوجه يعني الى مكة فيزعمون ان لا حج لنا فقال الستم تحرمون كما يحرمون وتطو
فون كما يطوفون وترمون كما يرمون قلت بلى قال انت حاج جاء رجل الى النبي صلعم فسأله عن
الذي سألتني عنه فلم يجب بشيء حتى نزل جبرائيل بهذه الاية ليس عليكم جناح اي حرج ان تبتغوا
فضلا رزقا من ربكم يعني بالتجارة في مواسم الحج. فاذا افضتم. دفعتم والافاضة دفع بكثرة
واصله من قول العرب افاض الرجل ماءه اي صبه. من عرفات. هي جمع عرفة جمع بما حو
لها وان كانت بقعة واحدة كقولهم ثوب اخلاق فاختلفوا في المعنى الذي لاجله سمي الموقف
عرفات واليوم عرفة فقال عطاء كان جبرائيل عم يري ابرهيم المناسك ويقول عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان ادم عم لما اهبط وقع بالهند
وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمي اليوم
عرفة والموضع عرفات وقال السدي لما اذن ابرهيم في الناس بالحج واجابوه بالتلبية واتاه
من اتاه وامره الله ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان
يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه فكبر فطار
فوقع على الجمرة الثالثة فلما راى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق ابرهيم حتى اتى ذا المجاز
فلما نظر اليه لم يعرفه فجاز فسمي ذا المجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الوقت

عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمى المزدلفة روى عن ابي صالح عن ابن عباس
ان ابراهيم رأى ليلة التروية في منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح روّى يومه اجمع اي فكر امن الله
هذه الرؤيا ام من الشيطان فسمى اليوم يوم التروية ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح عرف
ان ذلك من الله فسمى اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمي
بذلك من العرف وهو الطيب وسمي منى لانه يمنى فيه الدم اي يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا
يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عنها فيكون طيبة فاذكروا الله بالدعاء والتلبية عند المشعر الحرام
وهو بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى محسر وليس المأزمان ولا المحسر من المشعر وسمي
مشعرا من الشعار وهو العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام من المنع فهو ممنوع من ان يفعل
فيه ما لم يؤذن فيه وسمي المزدلفة جمعا لانه يجمع فيه بين صلوتي المغرب والعشاء والافاضة من
عرفات تكون بعد غروب الشمس ومن جمع قبل طلوعها من يوم النحر قال طاوس كان اهل الجاهلية
يدفعون من عرفة قبل ان تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد ان تطلع الشمس ويقولون اشرق ثبير
كيما نغير فاخر الله هذه وقدم هذه روى عن كريب مولى عبد الله بن عباس عن اسامة
بن زيد انه سمعه يقول دفع رسول الله صلعم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم تو
ضأ فلم يسبغ الوضوء فقلت له الصلاة يا رسول قال الصلوة امامك فركب فلما جاء المزدلفة
نزل فتوضأ واسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلوة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره في منزله
ثم اقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئا وقال جابر دفع رسول الله صلعم حتى اتى المزدلفة
فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر
فصلى الفجر حتى تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصواء حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل
القبلة فدعاه فكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس
وعن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان ردف النبي صلعم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل
من المزدلفة الى منى فكلاهما قالا لم يزل النبي صلعم يلبي حتى رمى جمرة العقبة واذكروه كما هداكم
اي اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه وان كنتم من قبله
لمن الضالين اي وقد كنتم وقيل وما كنتم من قبله الا من الضالين كقوله وان نظنك لمن الكاذبين
اي ما نظنك الا من الكاذبين والهاء في قوله من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول كناية عن
غير مذكور ثم افيضوا من حيث افاض الناس قال اهل التفسير كانت قريش وحلفاؤها

ومن دان دينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه ولا
نخلف الحرم ولا نخرج منها ويتعظمون ان يقفوا مع سائر العرب بعرفات وسائر الناس كانوا
يقفون بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله ان
يقفوا بعرفات ويفيضوا منها الى جمع مع سائر الناس واخبرهم انه سنة ابراهيم واسمعيل عليهما
السلام وقال بعضهم خاطب به جميع المسلمين وقوله من حيث افاض الناس من جمع اي ثم افيضوا من
جمع الى منى وقالوا لان الافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف يسوغ ان يقول فاذا
افضتم من عرفات فاذكروا الله ثم افيضوا من عرفات والاول قول اكثر اهل التفسير وفي الكلام تقديم
وتأخير تقديره فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم افيضوا من حيث افاض
الناس فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وقيل ثم بمعنى الواو اي وافيضوا كقوله
تعالى ثم كان من الذين آمنوا واما الناس فهم العرب كلهم غير الحمس وقال الكلبي هم اهل اليمن
وربيعة وقال الضحاك الناس ههنا ابراهيم عليه وحده كقوله تعالى ام يحسدون النا
س واراد به محمدا وحده ويقال هذا الذي يقتدى به ويكون لسان قومه وقال الزهري
الناس ههنا آدم عم وحده دليله قراءة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض
الناسي بالياء وقال هو آدم نسي عهد الله وعن عروة عن ابيه انه قال سئل اسامة وانا
جالس كيف كان رسول الله عم يسير في حجة الوداع حين دفع قال كان يسير العنق فاذا
وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق وعن ابن عباس انه دفع النبي صلعم
يوم عرفة فسمع النبي صلعم وراءه زجرا شديدا وضربا بالابل فاشار بسوطه اليهم وقال
ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع واستغفروا الله ان الله غفور رحيم
فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من حجكم وذبحتم نسائككم اي ذبائحكم يقال نسك الرجل
ينسك نسكا اذا ذبح نسيكته وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى فاذكروا الله
بالتكبير والتحميد والثناء عليه كذكركم آباءكم وذلك ان العرب كانت اذا فرغت من الحج
وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائها فامر الله بذكره وقال فاذكروني فانا الذي
فعلت ذلك بكم وبآبائكم واحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس وعطاء معناه فاذكروا الله
كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك ان الصبي اول ما يتكلم يلهج بذكر ابيه لا يذكر غيره
فيقول الله فاذكروا الله لا غير كذكر الصبي اباه او اشد ذكرا وسئل ابن عباس عن قوله

فاذكروا الله كذكركم آباءكم فيقول قد اتى على الرجل اليوم لا يذكر فيه آباءه قال ابن عباس ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل اذا عُصي اشد من غضبك لوالديك اذا شُتما قوله او اشد ذكرا يعني واشد وبل اشد اي واكثر ذكرا • فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا • اراد به المشركين كانوا لا يسألون الله في الحج الا الدنيا يقولون اللهم اعطنا غنما وابلا وبقرا وعبيدا وكان الرجل يقوم فيقول اللهم ان ابي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما اعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب • وما له في الآخرة من خلاق • حظ ونصيب • ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة • يعني المؤمنين واختلفوا في معنى الحسنتين قال علي بن ابي طالب رض في الدنيا حسنة امرأة صالحة وفي الآخرة حسنة الجنة وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص عن رسول الله صلعم قال الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقال الحسن في الدنيا حسنة العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة الجنة وقال السدي وابن حيان في الدنيا حسنة رزقا حلالا وعملا صالحا وفي الآخرة حسنة المغفرة والثواب وعن ابي امامة عن النبي صلعم قال ان اغبط اوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقر بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه وقال قتادة في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية وقال عوف في هذه الآية من آتاه الله الاسلام والقرآن واهلا ومالا فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وعن انس بن مالك قال رأى النبي صلعم رجلا قد صار مثل الفرخ فقال هل كنت تدعو الله بشيء او تسأله اياه قال يا رسول الله كنت اقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال سبحان الله لا تستطيعه ولا تطيقه هلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة • وقنا عذاب النار • وعن انس قال كان رسول الله صلعم يكثر ان يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وعن عبد الله بن السائب انه سمع النبي صلعم يقول فيما بين ركن بني جمح والركن الاسود ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار • اولئك لهم نصيب • اي حظ مما كسبوا • من الخير والدعاء بالثواب والجزاء • والله سريع الحساب • يعني اذا حاسب فحسابه سريع لا يحتاج الى عقد يد ولا وعي صدر ولا الى روية وفكر قال الحسن اسرع من لمح البصر وقيل معناه اتيان القيامة قريب لان ما هو كائن لا محالة فهو قريب قال الله تعالى

وما يدريك لعل الساعة قريب • واذكروا الله • يعني التكبيرات ادبار الصلوات وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة وغيرها من الاوقات • في ايام معدودات • الايام المعدودات هي ايام التشريق وهي ايام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن كقوله دراهم معدودة و والايام المعلومات عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر هذا قول اكثر اهل العلم وروي عن ابن عباس المعلومات يوم النحر ويومان بعده والمعدودات ايام التشريق وعن علي رض المعلومات يوم النحر وثلثة ايام بعده وقال عطاء عن ابن عباس المعلومات يوم عرفة والنحر وايام التشريق وقال محمد بن كعب هما شيء واحد وهي ايام التشريق وروي عن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله صلعم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن الذكر في ايام التشريق التكبير واختلفوا فيه فروي عن عمر وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم انهما كانا يكبران بمنى تلك الايام خلف الصلوات وفي المجلس وعلى الفراش والفسطاط وفي الطريق ويكبر الناس بتكبيرهما ويتأولان هذه الآية والتكبير ادبار الصلوات مشروع في هذه الايام في حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء واختلفوا في قدره فذهب قوم الى انه يبتدئ التكبير عقيب صلوة الصبح من يوم عرفة ويختم بعد العصر من يوم النحر يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال ابو حنيفة وقال قوم يبتدئ عقيب صلوة الظهر من يوم النحر ويختم بعد الصبح من آخر ايام التشريق يروى ذلك عن ابن عباس وبه قال مالك والشافعي قال الشافعي لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر بعد صلوة الظهر ولفظ التكبير كان سعيد بن جبير والحسن يقولان الله اكبر الله اكبر الله اكبر ثلاثا نسقا وهو قول اهل المدينة واليه ذهب الشافعي وقال يزاد ما زاد من ذكر الله فحسن وعند اهل العراق يكبر اثنتين يروى ذلك عن ابن مسعود • فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه • اراد من نفر من الحاج في اليوم الثاني من ايام التشريق فلا اثم عليه وذلك ان على الحاج ان يبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من ايام التشريق ويرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة عند كل جمرة سبع حصيات ورخص في ترك البيتوتة لرعاء الابل واهل سقاية الحاج ثم كل من رمى اليوم الثاني من ايام التشريق واراد ان ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك له واسع لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس عليه ان يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر • ومن تاخر فلا اثم عليه • يعني لا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجله ومن تاخر حتى ينفر في اليوم الثالث فلا اثم عليه

في تأخره، وقيل معناه من تعجل فقد ترخص فلا إثم عليه بالرخص ومن تأخر فلا إثم عليه بترك الرخص
وقيل معناه رجع مغفورا له لا ذنب عليه تعجل أو تأخر كما روينا من حج فلم يرفث رجع كيوم
ولدته أمه وهذا قول علي وابن مسعود ﴿لمن اتقى﴾ أي لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئا نهاه الله
كما قال من حج فلم يرفث ولم يفسق قال ابن مسعود إنما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله
في حجه وفي رواية الكلبي عن ابن عباس معناه لمن اتقى الصيد لا يحل له أن يقتل صيدا حتى يخلو أيام
التشريق وقال أبو العالية ذهب إثمه إن اتقى فيما بقي من عمره ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه
تحشرون﴾ ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ قال الكلبي ومقاتل وعطاء نزلت في الأخنس
بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وسمي الأخنس لأنه خنس يوم بدر بهم فيجي النبي ويظهر
الإسلام ويقول إني أحبك ويحلف بالله على ذلك وكان منافقا فكان رسول الله صلعم يدني مجلسه
فنزل قوله تعالى ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ أي تستحسنه ويعظم في قلبك ويقال
في الاستحسان أعجبني كذا وفي الإنكار والكراهية عجبت من كذا ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ يعني قول
المنافق والله إني بك مؤمن ولك محب ﴿وهو ألد الخصام﴾ أي شديد الخصومة يقال لددت
يا هذا وأنت تلد لددا وإذا أردت أنه غلب خصمه قلت لده يلده لدا يقال رجل ألد
وامرأة لداء وقوم لد قال الله تعالى وتنذر به قوما لدا قال الزجاج اشتقاقه من لديدي
العنق وهما صفحتاه وتأويله أنه في أي وجه أخذ من يمين أو شمال في أبواب الخصومة غلب
والخصام مصدر خاصمه خصاما ومخاصمة قاله أبو عبيد وقال الزجاج هو جمع خصم يقال
خصم وخصام وخصوم مثل بحر وبحار وبحور وقال الحسن ألد الخصام أي كاذب
القول قال قتادة شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة وعن
عائشة عن النبي صلعم قال إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ﴿وإذا تولى﴾ أي إذا
أدبر وأعرض عنك ﴿سعى في الأرض﴾ أي عمل وقيل سار ومشى ﴿ليفسد فيها﴾ قال ابن جريج
قطع الرحم وسفك دماء المسلمين ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ وذلك أن الأخنس كان بينه وبين
ثقيف خصومة فبيتهم ليلة فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم قال مقاتل خرج إلى الطائف
مقتضيا مالا له على غريم فأحرق له كدسا وعقر له أتانا والنسل نسل كل دابة والناس منهم وقال
الضحاك وإذا تولى أي ملك الأمر وصار واليا سعى في الأرض قال مجاهد في قوله عز وجل وإن
تولى سعى في الأرض قال إذا ولي فعمل بالعدوان والظلم أمسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل
بشؤم فعله

﴿والله لا يحب الفساد﴾ أي لا يرضى بالفساد قال سعيد بن المسيب قطع الدرهم من الفساد في الأرض
﴿وإذا قيل له اتق الله﴾ أي خف الله ﴿أخذته العزة بالإثم﴾ أي الظلم أي حملته العزة وحمية الجاهلية
على الفعل بالإثم والعزة التكبر والمنعة وقيل معناه أخذته العزة للإثم الذي في قلبه فأقام الباء مقام
اللام ﴿فحسبه جهنم﴾ أي كافيه ﴿ولبئس المهاد﴾ أي الفراش قال عبد الله بن مسعود إن من أكبر
الذنب عند الله أن يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروي أنه قيل لعمر بن الخطاب اتق
الله فوضع خده على الأرض تواضعا لله عز وجل ﴿ومن الناس من يشري﴾ أي يبيع ﴿نفسه ابتغاء﴾ أي
﴿مرضات الله﴾ أي لطلب رضى الله ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ وروي عن ابن عباس والضحاك أن
هذه الآية نزلت في سرية الرجيع وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله صلعم وهو بالمدينة
أنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفرا من علماء أصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث
رسول الله صلعم خبيب بن عدي الأنصاري ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكير
وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت
بن أبي الأفلح الأنصاري قال أبو هريرة بعث رسول الله صلعم عشرة عينا وأمر عليهم عاصم
بن ثابت الأنصاري فساروا فنزلوا ببطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر عجوة
فأكلوا فمرت عجوز فأبصرت النوى فرجعت إلى قومها بمكة وقالت قد سلك هذا الطريق أهل
يثرب من أصحاب محمد فركب سبعون رجلا معهم الرماح حتى أحاطوا بهم وقال أبو هريرة ذكروا
لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصوا آثارهم حتى
وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه فقالوا تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما أحس بهم عا
صم وأصحابه لجأوا إلى فدفد فأحاط بهم القوم فقتلوا مرثدا وخالدا وعبد الله بن طارق ونثر عا
صم بن ثابت كنانته وفيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم قال اللهم
إني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخر النهار ثم أحاط به المشركون فقتلوه فلما قتلوه
أرادوا جز رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب
ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر فأرسل الله رجلا من الدبر
وهي الزنابير فحمت عاصما فلم يقدروا عليه فسمي حمي الدبر فقالوا دعوه حتى تمسي فتذهب
عنه فنأخذه فجاءت سحابة سوداء وأمطرت مطرا كالعزالي فبعث الله الوادي فاحتمل
عاصما فذهب به إلى الجنة وحمل خمسين من المشركين إلى النار وكان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه

مشركٌ ولا يمس مشركاً ابداً وكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه ان الدبر منعته عجباً لحفظ
الله العبد المؤمن كان عاصم نذر ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً ابداً فمنعه الله بعد
وفاته كما امتنع في حياته واسر المشركون خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما
الى مكة فاما خبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ليقتلوه بابيهم
وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فلبث خبيب عندهم اسيراً حتى اجمعوا على قتله فا
ستعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فاعارته فدرج بني لها وهي غافلة
فلما رأت المرأة الا خبيب قد اجلس الصبي على فخذه والموسى بيده ففزعت المرأة فقال
خبيب اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان الغدر ليس من شاننا فقالت المرأة
بعد والله ما رأيت اسيراً خيراً من خبيب والله لقد وجدته يوماً ياكل قطفاً من عنب في
يده وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة ان كان الا رزقاً رزقه الله خبيباً ثم انهم خرجوا
به من الحرم ليقتلوه في الحل وارادوا ان يصلبوه فقال لهم خبيب دعوني اصلي ركعتين فتر
كوه وكان خبيب هو اول من سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة فركع ركعتين ثم قال لولا
ان تحسبوا ان ما بي جزع لزدت اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم احداً
وانشأ يقول فلست ابالي حين اقتل مسلماً • على اي شق كان في الله مصرعي • وذلك في ذات
الاله وان يشأ • يبارك على اوصال شلو ممزع • فصلبوه حياً فقال اللهم انك تعلم انه ليس احد
حولي يبلغ سلامي رسولك فابلغه سلامي ثم قام ابو سروعة عقبة بن الحارث فقتله
ويقال كان رجل من المشركين يقال له سلامان ابو ميسرة معه رمح فوضعه بين ثديي
خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتواً وطعنه فانفذه وذلك قوله عز
وجل واذا قيل له اتق الله يعني سلامان واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن
امية ليقتله بابيه امية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله واجتمع
رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد
اتحب ان محمداً عندنا الان بمكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال والله ما احب ان محمداً
الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رأيت
من الناس احداً يحب احداً كحب اصحاب محمد محمداً ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلعم هذا
الخبر قال لاصحابه ايكم ينزل خبيباً عن خشبته وله الجنة فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبي

ينزل

المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان بالليل ويكمنان بالنهار حتى اتيا التنعيم ليلاً واذا حول
الخشبة اربعون رجلاً من المشركين نيام نشاوى فانزلاه فاذا هو رطب ينثني لم يتغير منه
شيء بعد اربعين يوماً ويده على جراحته وهي تبض دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك
فحمله الزبير على فرسه وساروا فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيباً فاخبروا قريشاً فركب منهم
سبعون فلما لحقوهما قذف الزبير خبيباً فابتلعته الارض فسمي بليع الارض فقال الزبير ما
جرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن راسه وقال انا الزبير بن العوام وامي صفية
بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان رابضان يدفعان عن شبلهما فان
شئتم ناضلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدما على رسول الله صلعم وجبريل عنده
فقال يا محمد ان الملائكة لتباهي بهذين من اصحابك فنزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا انفسهما لانزال خبيب من خشبته وقال اكثر المفسرين
نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون في رهط من المؤمنين فعذبوهم فقال لهم
صهيب اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني
وديني ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فاقام بمكة ما شاء الله ثم خرج الى المدينة
فتلقاه ابو بكر وعمر في رجال فقال له ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقال وبيعك فلا تخسر ما ذاك
فقال انزل الله فيك وقرأ عليه هذه الاية وقال سعيد بن المسيب وعطاء اقبل صهيب مهاجراً نحو
النبي صلعم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما في كنانته ثم قال يا معشر قريش
قد علمتم اني من ارماكم رجلاً والله لا اضع سهماً مما في كنانتي الا في قلب رجل منكم وايم الله لا تصلون
الي حتى ارمي بكل سهم في كنانتي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم
دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا نعم ففعل ذلك فانزل الله هذه الاية وقال الحسن اتدرون
فيمن نزلت هذه الاية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيابى ان يقولها
فقال المسلم والله لاشرين نفسي لله فتقدم فقاتل حتى قتل وقيل نزلت الاية في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر قال ابن عباس ارى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيأمر هذا
بتقوى الله واذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال هذا وانا اشري نفسي فقاتله فكان علي اذا
قرأ هذه الاية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر بن الخطاب انساناً يقرأ هذه الاية
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل

انما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقتلونه اي اما مة ان رجلا قال يا رسول الله اي الجهاد افضل
قال افضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر • يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة •
قرأ اهل الحجاز والكسائي السلم هنا بفتح السين وقرأ الباقون بكسرها وفي سورة الانفال بالكسر
ابو بكر والباقون بالفتح وفي سورة محمد صلعم بالكسر حمزة وابو بكر نزلت الآية في مؤمني اهل الكتاب
عبد الله بن سلام النضيري واصحابه وذلك انهم كانوا يعظمون السبت ويكرهون لحمان الابل بعد
ما اسلموا وقالوا يا رسول الله ان التورية كتاب الله فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل فانزل الله
تعالى يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم اي في الاسلام قال ابي طلحة في احكام الاسلام واعمالهم
كافة اي جميعا وقيل ادخلوا في الاسلام الى منتهى شرايعه كافين عن المجاوزة الى غيره واصل السلم
من الاستسلام والانقياد ولذلك قيل للصلح سلم قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية الاسلام
ثمانية اسهم فعد الصلوة والزكوة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وقال قد خاب من لا سهم له • ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي آثاره فيما زين لكم من تحريم
السبت ولحوم الابل وغيره • انه لكم عدو مبين • وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلعم حين اتاه عمر
فقال انا نسمع احاديث من يهود تعجبنا افترى ان نكتب بعضها فقال امتهوكون انتم كما تهوكت
اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي
• فان زللتم • ضللتم وقيل ملتم يقال زلت قدمه تزل زلا وزللا اذا دحضت قال ابن
عباس يعني الشرك قال قتادة قد علم الله انه سيزل زالون من الناس فتقدم في ذلك واو
عد فيه ليكون له الحجة عليهم • من بعد ما جاءتكم البينات • اي الدلالات الواضحات • فاعلموا
ان الله عزيز • في نقمته • حكيم • في امره فالعزيز الغالب الذي لا يعجزه شيء والحكيم ذو الاصابة
في الامر • هل ينظرون • اي هل ينتظر التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان
يقال نظرته وانتظرته بمعنى واحد فاذا كان النظر مقرونا بذكر الوجه او الى لم يكن الا بمعنى الرؤية
• الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام • وهو السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم اي يستر
وقال مجاهد هو غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم قال مقاتل كهيئة الضبابة ابيض
قال الحسن في سترة من الغمام فلا ينظر اليها اهل الارض • والملائكة • قرأ ابو جعفر بالخفض عطفا
على الغمام تقديره مع الملائكة تقول العرب اقبل الامير والعسكر وقرأ الباقون بالرفع على
معنى الا ان يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام والاولى في هذه الآية وفي ما شاكلها ان يؤمن

٧٦

الانسان بظاهرها ويكل علمها الى الله ويعتقد ان الله عز اسمه منزه عن سمات الحدث على ذلك
مضت ائمة السلف وعلماء السنة قال الكلبي هذا من المكتوم الذي لا يفسر وكان مكحول والزهري
والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد واحمد واسحق يقولون فيه وفي
امثاله امروها كما جاءت بلا كيف قال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره
قراءته والسكوت عنه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله • وقضي الامر • اي وجب العذاب وفرغ
من الحساب وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق يوم القيمة • والى الله ترجع الامور • قرأ ابن
عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ترجع بفتح التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم
• سل بني اسرائيل • اي يا محمد يهود المدينة • كم آتيناهم • اعطيناهم اي آباءهم واسلافهم • من آية
بينة • دلالة واضحة على نبوة موسى من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها وقيل معناه
الدلالات التي آتاهم في التورية والانجيل على نبوة محمد صلعم • ومن يبدل • يغير • نعمة الله • كتاب الله
وقيل عهد الله وقيل من ينكر الدلالة على نبوة محمد صلعم • من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب •
• زين للذين كفروا الحيوة الدنيا • الاكثرون على ان المزين هو الله تعالى والتزيين من الله تعالى هو انه
خلق الاشياء الحسنة والمناظر العجيبة فنظر الخلق اليها باكثر من قدرها فاعجبتهم ففتنوا بها وقال
الزجاج زين لهم الشيطان قيل نزلت الآية في مشركي العرب ابي جهل واصحابه كانوا يتنعمون بما
بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد • ويسخرون من الذين آمنوا • اي يستهزؤن بالفقراء
من المؤمنين قال ابن عباس اراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبا
وبلالا وامثالهم وقال مقاتل نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتنعمون في الدنيا
ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم
محمد انه يغلب بهم وقال عطاء نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع
سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله ان يعطيهم اموال بني قريظة والنضير بغير قتال ويسخرون
من الذين آمنوا الفقراء • والذين اتقوا • يعني هؤلاء الفقراء • فوقهم يوم القيمة • لانهم في اعلى
عليين وهم في اسفل السافلين وعن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلعم وقفت على باب
الجنة فرأيت اكثر اهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت اكثر اهلها النساء واذا اهل الجد
محبوسون الا من كان منهم من اهل النار فقد امر به الى النار وعن سهل بن سعد الساعدي انه
قال مر رجل على رسول الله صلعم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا فقال رجل من اشراف الناس

هذا والله حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع قال فسكت رسول الله صلعم ثم مر
رجل فقال له رسول الله صلعم ما رايك في هذا فقال يا رسول الله رجل من فقراء المسلمين هذا حري
ان خطب الا ينكح وان شفع الا يشفع وان قال الا يسمع لقوله فقال رسول الله صلعم هذا
خير من ملئ الارض مثل هذا • والله يرزق من يشاء بغير حساب قال ابن عباس يعني كثيرا
بغير مقدار لان كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل يريد يوسع على من يشاء من عباده
وقال الضحاك يعني من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الاخرة وقيل هذا يرجع الى
الله عز وجل معناه يقتر على من يشاء ويبسط لمن يشاء ولا يعطي كل احد بقدر حاجته بل
يعطي الكثير من لا يحتاج اليه ولا يعطي القليل من يحتاج اليه فلا يعترض عليه ولا يحاسب فيما
يرزق ولا يقال له لم اعطيت هذا اكثر مما اعطيت ذاك وقيل معناه لا يخاف نفاد خزائنه فيحتاج
الى حساب ما يخرج منها لان الحساب من المعطي انما يكون لما يخاف من نفاد خزائنه • كان
الناس امة واحدة على دين واحد قال مجاهد اراد آدم وحده سمى الواحد بلفظ الجمع
لانه اصل النسل وابو البشر ثم خلق الله حواء ونشر منهما الناس فكانوا مسلمين الى ان قتل قابيل
هابيل فاختلفوا • فبعث الله النبيين قال الحسن وعطاء كان الناس من وقت وفاة آدم
الى مبعث نوح امة واحدة على ملة الكفر امثال البهائم فبعث الله نوحا وغيره من النبيين
وقال قتادة وعكرمة كان الناس من وقت آدم الى مبعث نوح وكان بينهما عشرة قرون
كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح فبعث الله اليهم نوحا وكان
اول نبي بعث ثم بعث بعده النبيين وقال الكلبي هم اهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا
بعد وفاة نوح وروي عن ابن عباس قال كان الناس على عهد ابراهيم امة واحدة
كفارا كلهم فبعث الله ابراهيم وغيره من النبيين وقيل كان العرب على دين ابراهيم حتى غيره عمرو
بن لحي وروي عن ابي العالية عن ابي بن كعب قال كان الناس حين عرضوا على آدم واخرجوا
من ظهره واقروا بالعبودية امة واحدة مسلمين كلهم ولم يكونوا امة واحدة قط غير ذلك
اليوم ثم اختلفوا بعد آدم نظيره في سورة يونس وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا
فبعث الله النبيين وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر
والمذكورون في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبيا • مبشرين بالثواب من آمن واطاع
• ومنذرين • محذرين بالعقاب من كفر وعصى • وانزل معهم الكتاب • اي الكتب تقديره

وانزل مع كل واحد الكتاب • بالحق • بالعدل والصدق • ليحكم بين الناس قرا ابو جعفر ليحكم بضم
الياء وفتح الكاف ههنا وفي آل عمران وفي سورة النور موضعين لان الكتاب لا يحكم في الحقيقة انما يحكم
به وقرا العامة بفتح الياء وضم الكاف اي ليحكم الكتاب ذكره على سعة الكلام كقوله تعالى هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق وقيل معناه ليحكم كل نبي بكتابه • فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه
اي في الكتاب • الا الذين اوتوه • اي اعطوا الكتاب • من بعد ما جاءتهم البينات • يعني احكام
التوراة والانجيل قال الفراء ولاختلافهم معنيان احدهما كفر بعضهم بكتاب بعض قال الله
تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض والآخر تحريفهم كتاب الله قال الله تعالى يحرفون
الكلم عن مواضعه وقيل الاية راجعة الى محمد وكتابه اختلف فيه اهل الكتاب من بعد ما جاءتهم
البينات صفة محمد صلعم في كتبهم • بغيا • ظلما وحسدا • بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا
فيه اي الى ما اختلفوا فيه • من الحق باذنه • بعلمه وارادته فيهم قال ابن زيد في هذه الاية اختلفوا
في القبلة فمنهم من يصلي الى المشرق ومنهم من يصلي الى المغرب ومنهم من يصلي الى بيت المقدس
فهدانا الله للكعبة واختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في الايام فاخذت
اليهود السبت والنصارى الاحد فهدانا الله للجمعة • واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان
يهوديا وقال النصارى كان نصرانيا فهدانا الله للحق من ذلك واختلفوا في عيسى فجعله اليهود
لغرية وجعله النصارى الها فهدانا الله للحق فيه • والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة • قال قتادة والسدي نزلت هذه الاية في غزوة الخندق حين اصاب
المسلمين ما اصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وانواع الاذى كما قال الله تعالى
وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب احد وقال عطاء لما دخل رسول الله صلعم واصحابه
المدينة اشتد عليهم الضر خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم بايدي المشركين وآثروا
رضاء الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلعم واسر قوم النفاق فانزل الله
تطييبا لقلوبهم ام حسبتم معناه احسبتم والميم صلة قاله الفراء وقال الزجاج بل حسبتم ومعنى
الاية اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة • ولما ياتكم • ولما صلة • مثل الذين خلوا شبه
الذين مضوا • من قبلكم • من النبيين والمؤمنين • مستهم • اصابتهم • البأساء • الفقر والشدة
والبلاء • والضراء • المرض والزمانة • وزلزلوا • اي حركوا بانواع البلايا والرزايا وخوفوا
• حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله • ما زال البلاء بهم حتى استبطئوا النصر

قال الله تعالى ألا إن نصر الله قريب وقرأ نافع حتى يقول بالرفع معناه حتى قال وإذا كان الفعل
الذي يلي حتى في معنى الماضي ولفظه لفظ المستقبل فلك فيه وجهان الرفع والنصب فالنصب على ظاهر الكلام
لأن حتى تنصب الفعل المستقبل والرفع لأن معناه الماضي وحتى لا تعمل في الماضي يسألونك ماذا
ينفقون نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق
وعلى من ننفق فأنزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون وفي قوله ماذا وجهان من الإعراب
أحدهما أن يكون محله نصبا بقوله ينفقون تقديره أي شيء ينفقون والآخر أن يكون رفعا
بما وهو معناه ما الذي ينفقون قل ما أنفقتم من خير أي من مال فللوالدين والأقربين
واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم يجازيكم به قال
أهل التفسير كان هذا قبل فرض الزكوة فنسخت بالزكوة كتب عليكم القتال فرض عليكم الجهاد
واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله
صلعم دون غيرهم وإليه ذهب الثوري واحتج من ذهب إلى هذا بقوله تعالى فضل الله المجا
هدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا
فرضا لم يكن يعده الحسنى وجرى بعضهم على ظاهر الآية وقال الجهاد فرض على كافة المسلمين إلى
قيام الساعة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلعم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه با
لغزو مات على شعبة من النفاق وقال قوم وعليه الجمهور إن الجهاد فرض على الكفاية
إذا قام به البعض سقط عن الباقين الفرض مثل صلوة الجنازة ورد السلام قال الزهري
والأوزاعي كتب الله الجهاد على الناس غزوا أو قعدوا فمن غزا فبها ونعمت ومن قعد فهو
عدة إن استعين أعان وإن استنفر نفر وإن استغني عنه قعد وهو كره لكم أي شاق
عليكم وقال بعض أهل المعاني هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال
ومشقة النفس وخطر الروح لا أنهم كرهوا أمر الله وقال عكرمة نسخها قوله سمعنا وأطعنا
يعني أنهم كرهوه ثم أحبوه فقالوا سمعنا وأطعنا وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم
لأن في الغزو إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة وعسى أن تحبوا شيئا
يعني القعود عن الغزو وهو شر لكم لما فيه من فوات الغنيمة والأجر والله يعلم وأنتم
لا تعلمون يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلعم بعث
عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي صلعم في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة

عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن أبي وقاص الزهري
وعكاشة بن محصن الأسدي وعتبة بن غزوان السلمي وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل
بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لأميرهم عبد الله بن جحش كتابا
وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فإذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على
أصحابك ثم امض لما أمرتك ولا تستكرهن أحدا من أصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل
وفتح الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل
بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك أن تأتينا منه بخبر فلما نظر في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال
لأصحابه ذلك وقال إنه نهاني أن أستكره أحدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع
ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد حتى كان بمعدن فوق الفرع يقال له نجران أضل
سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى ببقية أصحابه
حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينا هم كذلك مرت عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة
من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل
بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله صلعم هابوهم فقال عبد الله بن جحش إن
القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف
عليهم فقالوا قوم عمار لا بأس عليكم فأمنوهم وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكا
نوا يرون أنه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا لئن تركتموهم الليلة ليدخلن
الحرم فليمتنعن منكم فأجمعوا أمرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن
الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين واستأسر الحكم وعثمان فكانا أول
أسيرين في الإسلام وأفلت نوفل فأعجزهم واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا
على رسول الله صلعم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء
وأخذ الحرائب وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر
الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال لابن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر
الحرام ووقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ شيئا من ذلك فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا
أنهم قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم
أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى

والكفر الناس في ذلك فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله صلعم العير فعزل منه الخمس فكان اول
خمس في الاسلام وقسم الباقي بين اصحاب السرية وكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة
في فداء اسيريهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما
قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلعم بالمدينة فقتل يوم بير
معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب
بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب
المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلعم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فهذا سبب
نزول الاية يسئلونك عن الشهر الحرام يعني رجبا سمي بذلك لتحريم القتال فيه اي عن قتال فيه قل يا محمد
قتال فيه كبير عظيم تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال وصد عن سبيل الله اي وصدكم المسلمين عن الا
سلام وكفر به اي كفركم بالله والمسجد الحرام اي بالمسجد الحرام وقيل وصدكم عن المسجد الحرام واخراج
اهله اي اخراج اهل المسجد منه اكبر اعظم وزرا عند الله والفتنة اي الشرك الذي انتم عليه اكبر
من القتل اي من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الاية كتب عبد الله بن انيس الى
مؤمني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم انتم بالكفر واخراج رسول الله صلعم من
مكة ومنعهم المسلمين عن البيت ثم قال ولا يزالون يعني مشركي مكة وهو فعل لا مصدر له مثل
عسى يقاتلونكم يا معشر المؤمنين حتى يردوكم يصرفوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت بطلت اعمالهم حسناتهم في الدنيا
والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فقال اصحاب السرية يا رسول الله
هل نؤجر على وجهنا هذا وهل نطمع ان يكون سفرنا هذا غزوا فانزل الله تعالى ان الذين
امنوا والذين هاجروا فارقوا عشائرهم ومنازلهم واموالهم وجاهدوا المشركين في سبيل
الله لطاعة الله فجعلها جهادا اولئك يرجون رحمة الله اخبر انهم على رجاء الرحمة والله غفور
رحيم يسئلونك عن الخمر والميسر نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ بن جبل ونفر من
الانصار اتوا رسول الله صلعم فقالوا افتنا في الخمر والميسر فانها مذهبة للعقل مسلبة
للمال فانزل الله تعالى هذه الاية وجملة القول في تحريم الخمر على ما قاله المفسرون ان الله انزل
في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يومئذ ثم نزلت في مسئلة عمر ومعاذ

رضي الله عنه يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فلما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلعم
ان الله تقدم في تحريم الخمر فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس الى ان صنع
عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا ناسا من اصحاب النبي صلعم واتاهم بخمر فشربوا وسكروا
وحضرت صلوة المغرب فتقدم بعضهم ليصلي بهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد
ما تعبدون كذا الى اخر السورة بحذف لا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر في اوقات الصلوة فلما نزلت هذه الاية تركها
قوم وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلوة وتركها قوم في اوقات الصلوة وشربوها
في غير حين الصلوة حتى كان الرجل يشرب بعد صلوة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب
بعد الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر واتخذ عتبان بن مالك صنيعا ودعا رجالا من المسلمين
فيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فاكلوا منه وشربوا الخمر حتى اخذت منهم
ثم انهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها هجاء للانصار
وفخر لقومه فاخذ رجل من الانصار لحي البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق
سعد الى رسول الله صلعم وشكى اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا رأيك في الخمر بيانا شافيا
فانزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة الى قوله فهل انتم منتهون وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام
فقال عمر انتهينا يا رب انتهينا قال انس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش
اعجب منها وما حرم عليهم شيء اشد من الخمر وعن عبد العزيز بن صهيب قال قال انس بن مالك ما
كان لنا خمر غير فضيخكم فاني لقائم اسقي ابا طلحة وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت
الخمر قالوا اهرق هذه القلال يا انس قال فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل وقال
الفقهاء في سائر الخمر فقال قوم هو عصير العنب او الرطب الذي اشتد وغلا من غير عمل النار
فيه واتفقت الامة على ان هذا الخمر نجس يحد شاربه ويفسق ويكفر مستحله فذهب سفيان
الثوري وابو حنيفة وجماعة الى ان التحريم لا يتعدى هذا ولا يحرم ما يتخذ من غيرهما كالمتخذ من الحنطة
والشعير والذرة والعسل والفانيذ الا ان يسكر منه فيحرم وقالوا اذا طبخ عصير العنب والرطب
حتى ذهب نصفه فهو حلال ولكنه يكره وان طبخ حتى ذهب ثلثاه قالوا هو حلال مباح شربه
الا ان السكر منه حرام ويحتجون بما روي ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله ان ارزق
المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ورأى ابو عبيدة ومعاذ شرب الطلاء على الثلث

وقال قوم اذا طبخ العصير ادنى طبخ صار حلالا وهو قول اسمعيل بن علية وذهب اكثر اهل
العلم الى ان كل شراب اسكر كثيره فهو خمر قليله حرام يحد شاربه واحتجوا بما روى عن عايشة
زوج النبى صلعم انها قالت سئل رسول الله صلعم عن البتع فقال كل شراب اسكر حرام وعن جابر بن عبد
الله ان رسول الله صلعم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلعم كل
مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها فى الاخرة
وعن ابن عمر قال خطب عمر على منبر رسول الله صلعم فقال انه قد نزل تحريم الخمر وهى من خمسة
اشياء العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل والخمر ما خامر العقل وروى الشعبى عن النعمان بن بشير
قال قال رسول الله صلعم ان من العنب خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير
خمرا فثبت ان الخمر لا يختص بما يتخذ من العنب والرطب وعن ابن شهاب عن السايب بن زيد
انه اخبره ان عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال انى وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شراب
الطلا وانا سايل عما شرب فان كان يسكر جلدته فلحد فجلده عمر الحد تاما وما روى عن عمر
وابى عبيدة ومعاذ فى الطلا فهو فيما طبخ حتى خرج عن ان يكون مسكرا سئل ابن عباس عن الباذق
فقال سبق محمد صلعم الباذق فما اسكر فهو حرام قوله تعالى والميسر يعنى القمار قال ابن عباس كان
الرجل فى الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله تعالى
هذه الاية والميسر مفعل من قولهم يسر لى الشى اذا وجب ييسر يسرا وميسرا ثم قيل للقمار ميسر
وللمقامر ياسر ويسر وكان اصل الميسر فى الجزور وذلك ان اهل الثروة من العرب كانوا يشترون
جزورا فينحرونها ويجزونها عشرة اجزاء ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام للسبعة منها انصباء وهى الفذ وله نصيب واحد والتوام وله نصيبان
والرقيب وله ثلثة والحلس وله اربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله ستة والمعلا وله سبعة
وثلثة منها لا انصباء لها وهى المنيح والسفيح والوغد ثم يجعلون القداح فى خريطة تسمى
الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض ثم يجيلها ويخرج قدحا
منها باسم رجل منهم فايهم خرج سهمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج فاذا خرج له واحد من
هذه الثلثة التى لا انصباء لها كان لا ياخذ شيا ويغرم ثمن الجزور كله وقال بعضهم كان
لا ياخذ ولا يغرم ويكون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا ياكلون
منه شيا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعل ذلك ويسمونه البرم فهو اصل القمار

الذى كانت تفعله العرب والمراد من الاية انواع القمار كلها قال طاوس وعطاء ومجاهد كل شى
فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وروى عن على فى النرد والشطرنج انه
من الميسر قوله تعالى قل فيهما اثم كبير وزر عظيم من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش قرا حمزة
والكسائى اثم كثير بالثاء المثلثة وقرا الباقون بالباء فالاثم فى الخمر والميسر ما ذكر الله تعالى فى
سورة المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة ومنافع للناس فمنفعة الخمر اللذة عند شربها والفرح واستمراء الطعام وما
يصيبون من الربح بالتجارة فيها ومنفعة الميسر اصابة المال من غير كد ولا تعب وارتفاق الفقراء
به والاثم فيه انه اذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك فعادى صاحبه وقصده بالسوء واثمهما
اكبر من نفعهما قال الضحاك وغيره اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما اكبر من
نفعهما قبل التحريم وهو ما يحصل من العداوة والبغضاء ويسالونك ماذا ينفقون وذلك ان رسول الله
صلعم حثهم على الصدقة فقالوا ما ننفق فقال قل العفو قرا ابو عمرو العفو بالرفع معناه الذى
ينفق هو العفو وقرا الاخرون بالنصب على معنى قل انفقوا العفو واختلفوا فى معنى العفو فقال
قتادة وعطاء والسدى هو ما فضل عن الحاجة وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر
النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الاية ثم نسخ باية الزكوة وقال مجاهد معناه التصدق
عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلا على الناس وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلعم خير الصدقة ما كان
عن ظهر غنى واليد العليا خير من السفلى وابدا بمن تعول وقال عمرو بن دينار الوسط من
غير اسراف ولا اقتار قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقال طاوس ما
يسر والعفو اليسر من كل شى ومنه قوله تعالى خذ العفو اى الميسور من اخلاق الناس عنه قال
جاء رجل الى النبى صلعم فقال يا رسول الله عندى دينار فقال انفقه على نفسك قال عندى آخر قال انفقه
على ولدك قال عندى آخر قال انفقه على اهلك قال عندى آخر قال انفقه على خادمك قال عندى
آخر قال انت اعلم كذلك يبين الله لكم الايات قال الزجاج انما قال كذلك على الواحد وهو
يخاطب جماعة لان معناه معناه القبيل كانه قال كذلك ايها القبيل وقيل هو خطاب للنبى
صلعم لان خطابه يشتمل على خطاب الامة كقوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء لعلكم تتفكرون
فى الدنيا والاخرة قيل معناه يبين الله لكم الايات فى امر النفقة لعلكم تتفكرون فى الدنيا
فتحبسون من اموالكم ما يصلحكم فى معاش الدنيا وتنفقون الباقى فيما ينفعكم فى العقبى

وقال اكثر المفسرين معناها هكذا يبين الله لكم الآيات في امر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في زوال
الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها • ويسألونك عن اليتامى
قال ابن عباس وقتادة لما نزلت قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموال
اليتامى عن اموالهم حتى كان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه حتى يفسد فاشتد ذلك
عليهم وسألوا رسول الله صلعم فانزل الله تعالى هذه الآية • قل اصلاح لهم خير • اي الاصلاح لاموالهم
لهم من غير اجرة ولا اخذ عوض خير واعظم اجرا قال بعضهم يوسع عليه من طعام نفسه
ولا يتوسع من طعام اليتيم • وان تخالطوهم • هذا اباحة المخالطة اي تشاركوهم في اموا
لهم وتخلطوها باموالكم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم
عوضا من قيامكم بامورهم او تكافئوهم على ما تصيبون من اموالهم • فاخوانكم • اي فهم
اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح
والرضا • والله يعلم المفسد من المصلح • لاموالهم يعني يعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وافساد
مال اليتيم واكله بغير حق من الذي يقصد الاصلاح • ولو شاء الله لاعنتكم • اي لضيق
عليكم وما اباح لكم مخالطتهم وقال ابن عباس ولو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى
موبقا لكم واصل العنت الشدة والمشقة ومعناه لكلفكم في كل شيء ما يشق عليكم • ان الله عزيز
حكيم • والعزيز الذي يامر بعزة سهل على العباد او شق عليهم • ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
سبب نزول هذه الآية ان ابا مرثد الغنوي بعثه رسول الله صلعم الى مكة ليخرج منها ناسا
من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في ال
جاهلية فاتته وقالت يا ابا مرثد الا تخلو فقال لها ويحك يا عناق ان الاسلام قد حال بيننا وبين
ذلك قالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلعم فاستأمره فقالت
ابي تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة
وانصرف الى رسول الله صلعم اعلمه الذي كان من امره وامر عناق وقال يا رسول الله ايحل لي
ان اتزوجها فانزل الله • ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن • وقيل الآية منسوخة في حق الكتابيات
بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب فان قيل كيف اطلقتم اسم الشرك على من لم ينكر
نبوة محمد صلعم قال ابو الحسين بن فارس لانه يقول القرآن كلام غير الله فقد اشرك مع الله

غير الله وقال قتادة وسعيد بن جبير اراد بالمشركات الوثنيات فان عثمان تزوج نائلة بنت
الفرافصة وكانت نصرانية فاسلمت تحته وتزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية وتزوج حذيفة
يهودية • ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم • بجمالها ومالها نزلت في خنساء
وليدة سوداء كانت لحذيفة بن اليمان قال حذيفة يا خنساء قد ذكرت في الملأ الاعلى على
سوادك ودمامتك وانزل الله عز وجل ذكرك في كتابه فاعتقها وتزوجها وقال السدي نزلت
في عبد الله بن رواحة كانت له امة سوداء فغضب عليها ولطمها ثم فزع فاتى النبي صلعم واخبره
بذلك فقال له وما هي يا عبد الله قال هي تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان
وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه مؤمنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لاعتقنها ولا
تزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا اتنكح امة وعرضوا عليه حرة مشركة
فانزل الله هذه الآية • ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا • هذا اجماع لا يجوز للمسلمة ان تنكح المشرك
• ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك • يعني المشركين • يدعون الى النار • اي الى الاعمال
الموجبة للنار • والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه • اي بقضائه وارادته • ويبين آياته • اوامره
ونواهيه للناس لعلهم يتذكرون • يتعظون • ويسألونك عن المحيض • عن انس بن مالك ان اليهود
كانت اذا حاضت منهم امرأة اخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها
في البيت فسئل رسول الله صلعم عن ذلك فانزل الله تعالى ويسألونك عن المحيض • قل هو اذى
فاعتزلوا النساء في المحيض • فقال رسول الله صلعم جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء غير النكاح
وقالت اليهود ما يريد هذا الرجل ان يدع شيئا من امرنا الا خالفنا فيه فجاء اسيد بن حضير
وعباد بن بشر الى النبي صلعم فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا افلا ننكحهن
في المحيض فتمعر وجه رسول الله صلعم حتى ظننا ان قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من
لبن الى رسول الله صلعم فبعث في آثارهما فسقاهما فظننا انه لم يجد عليهما قوله تعالى ويسألونك
عن المحيض اي الحيض وهو مصدر حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا كالسير والمسير [illegible]
الحيض الانفجار والسيلان • قل هو اذى • اي قذر • والاذى ما يكره من كل شيء • فاعتزلوا النساء
في المحيض اراد بالاعتزال ترك الوطء • ولا تقربوهن • اي لا تجامعوهن اما الملامسة
والمضاجعة معها فجائزة عن عائشة قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلعم من اناء واحد
كلانا جنب وكان يأمرني فاتزر فيباشرني وانا حائض وكان يخرج رأسه الي وهو معتكف

اي ازار

فاغسله وانا حائض وعن زينب بنت ابي سلمة حدثته ان ام سلمة قالت حضت وانا مع النبي
صلعم في الخميلة فانسللت فخرجت منها فاخذت ثياب حيضتي فلبستها فقال لي رسول الله صلعم
انفست قلت نعم فدعاني فادخلني معه في الخميلة وعن عائشة رضي الله عنها قالت كنت اشرب
وانا حائض فاناوله النبي صلعم فيضع فاه على موضع في واتعرق العرق فيتناوله فيضع فاه
في موضع في فوطي الحائض حرام ومن فعله يعصي الله عز وجل ويعزره الامام ان علم ذلك
واختلف اهل العلم في وجوب الكفارة عليه فذهب اكثرهم الى انه لا كفارة عليه فيستغفر الله ويتوب
اليه وذهب قوم الى وجوب الكفارة عليه منهم قتادة والاوزاعي واحمد واسحق لما روي عن ابن عباس
ان النبي صلعم قال في رجل جامع امرأته وهي حائض قال ان كان الدم عبيطا فليتصدق بدينار وان
كان صفرة فنصف دينار ويروى هذا موقوفا على ابن عباس ويمنع الحيض جواز الصلوة ووجوبها
ويمنع جواز الصوم ولا يمنع وجوبه حتى اذا طهرت يجب عليها قضاء الصوم ولا يجب قضاء الصلوة
وعن عائشة قالت كنا نحيض عند رسول الله صلعم ثم نطهر فيأمرنا بقضاء الصيام ولا يأمرنا
بقضاء الصلوة ولا يجوز للحائض الطواف بالبيت والاعتكاف في المسجد ولا مس المصحف ولا
قراءة القران ولا يجوز للزوج غشيانها وعن جسرة بنت دجاجة قالت سمعت عائشة تقول
جاء رسول الله صلعم ووجوه بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد
فاني لا احل المسجد لحائض ولا جنب حتى يطهرن قرأ عاصم برواية ابي بكر وحمزة والكسائي
بتشديد الطاء والهاء يعني يغتسلن وقرأ الاخرون بسكون الطاء وضم الهاء مخففا ومعناه حتى
يطهرن من الحيض وينقطع دمهن فاذا تطهرن يعني اغتسلن فأتوهن اي فجامعوهن من
حيث امركم الله اي من حيث امركم ان تعتزلوهن منه وهو الفرج قاله مجاهد وقتادة وعكرمة
قال ابن عباس طؤوهن في الفرج ولا تعدوه الى غيره اي اتقوا الادبار وقيل من بمعنى في اي في
حيث امركم الله وهو الفرج كقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة وقيل فأتوهن من الوجه
الذي امركم الله ان تأتوهن وهو الطهر قال ابن الحنفية من قبل الحلال دون الفجور وقيل لا تأتو
هن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات واتوهن وغشيانهن لكم حلال واعلم انه لا يرتفع
شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الماء الا تحريم الصوم فان الحائض
اذا انقطع دمها بالليل تنوي الصوم ووقع غسلها بالنهار صح صومها والطلاق في حال الحيض
يكون بدعيا واذا طلقها بعد انقطاع الدم قبل الغسل لا يكون بدعيا وذهب ابو حنيفة الى انه اذا انقطع

دمها لاكثر الحيض وهو عنده عشرة ايام يجوز للرجل غشيانها قبل الغسل وقال مجاهد وطاوس
اذا اغتسلت فرجها للزوج غشيانها واكثر اهل العلم على التحريم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم
الماء لان الله تعالى علق جواز وطئها بشرطين بانقطاع الدم والغسل فقال حتى يطهرن
يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فأتوهن ومن قرأ يطهرن بالتشديد فالمراد
منه الغسل كقوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا اي اغتسلوا فدل على ان قبل الغسل لا يحل الوطي
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قال عطاء ومقاتل بن سليمان والكلبي يحب التوابين
من الذنوب والمتطهرين بالماء من الاحداث والنجاسات وقال مقاتل بن حيان التوابين من
الذنوب والمتطهرين من الشرك وقال سعيد بن جبير التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب
وقال مجاهد التوابين من الذنوب لا يعودون فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها والتواب الذي
كلما اذنب تاب نظيره قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى
شئتم وعن ابن عباس قال جاء عمر رضي الله عنه الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله هلكت قال وما
الذي اهلكك قال حولت رحلي البارحة فلم يرد عليه شيئا فاوحي اليه نساؤكم حرث لكم فأتوا
حرثكم انى شئتم يقول اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة وعن ابن المنكدر سمع جابر بن عبد
الله يقول كانت اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها ان الولد يكون احول فنزلت
نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وروى مجاهد عن ابن عباس قال كان من شأن
اهل الكتاب ان لا يأتوا النساء الا على حرف وذلك استر ما تكون المرأة وكان هذا الحي من الانصار
قد اخذوا بذلك من فعلهم كان هذا الحي من قريش يتلذذون منهن مقبلات ومدبرات
ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع
بها ذلك فانكرت عليه وقالت انما كنا نؤتى على حرف فان شئت فاصنع ذلك والا فاجتنبني
حتى سرى امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلعم فانزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم يعني موضع الولد
فأتوا حرثكم انى شئتم مقبلات ومدبرات ومستلقيات وانى حرف استفهام يكون سؤالا عن
الحال والمحل معناه كيف شئتم وحيث شئتم بعد ان يكون في صمام واحد وقال عكرمة انى شئتم انما
هو الفرج ومثله عن الحسن وقيل حرث لكم اي مزرع لكم ومنبت للولد بمنزلة الارض تزرع وفيه
دليل على تحريم الادبار لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر وقال سعيد بن المسيب
هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثكم

ان شئت فاعطش وان شئت فارو وروي عنه انه قال نسائكم حرث لكم في العزل ولا تستامر الجارية
وكره جماعة العزل وقالوا هو الوأد الخفي وروي عن مالك عن نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف
فقرا هذه الاية نساؤكم حرث لكم فقال تدري فيما نزلت هذه الاية قلت لا قال نزلت في رجل
اتى امراته في دبرها فشق ذلك عليها فنزلت هذه الاية وحكي عن مالك اباحة ذلك وانكر ذلك اصحابه
عن عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله فقال له يا ابا عمر ما حديث يحدث نافع عن عبد الله انه لم يكن
يرى باسا باتيان النساء في ادبارهن قال كذب واخطا انما قال عبد الله يؤتين في فروجهن
من ادبارهن والدليل على تحريم الادبار ما روي عن خزيمة بن ثابت ان رجلا سال النبي
صلعم عن اتيان النساء في ادبارهن فقال النبي صلعم في اي الخربتين او في اي الخرزتين او في اي الخصفتين
امن دبرها في قبلها فنعم اما من دبرها في دبرها فلا فان الله لا يستحيي من الحق لا تاتوا النساء
في ادبارهن وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ملعون من اتى امراته في دبرها • وقدموا
لانفسكم • قال عطاء التسمية عند الجماع قال مجاهد وقدموا لانفسكم يعني اذا اتى اهله فليدع
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم
جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان
ابدا وقيل قدموا لانفسكم يعني طلب الولد وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال اذا مات
الانسان انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وقيل هو
التزوج بالعفايف ليكون الولد صالحا وعن ابي هريرة عن النبي صلعم قال تنكح المراة لاربع لمالها
ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقيل معنى الاية تقديم الافراط
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال لا يموت لاحد من المسلمين ثلثة من الولد فتمسه النار الا
تحلة القسم وقال الكلبي والسدي وقدموا لانفسكم يعني الخير والعمل الصالح بدليل سياق الاية واتقوا
الله واعلموا انكم ملاقوه فيجازيكم باعمالكم • وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم • نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه على اخته بشير بن النعمان شيء فحلف عبد
الله ان لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه واذا قيل له فيه قال حلفت بالله ان لا افعل
فلا يحل لي الا ان تبر يميني فانزل الله هذه الاية وقال ابن جريج نزلت في ابي بكر الصديق حين
حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة اصلها الشدة والقوة ومنه
قيل للدابة التي تتخذ للسفر عرضة لقوتها عليه ثم قيل لكل ما يصلح لشيء هو عرضة له حتى قالوا المراة

هي عرضة النكاح اذا صلحت له والعرضة كل ما يعترض فيمنع عن الشيء ومعنى الاية لا تجعلوا الحلف بالله
سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى صلة رحم او بر فيقول حلفت بالله ان لا افعله
فيعتل بيمينه في ترك البر • ان تبروا • معناه ان لا تبروا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا
تضلوا • وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم • وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال من حلف
بيمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير • لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم •
اللغو كل مطرح من الكلام لا يعتد به واختلف اهل العلم في اللغو في اليمين المذكورة في الاية فقال قوم
ما يسبق الى اللسان على عجلة لصلة كلام من غير عقد وقصد كقول القائل لا والله وبلى والله وكلا والله
وعن عايشة انها قالت لغو اليمين قول الانسان لا والله وبلى والله ورفعه بعضهم والى هذا ذهب
الشعبي وعكرمة وبه قال الشافعي ويروى عن عايشة رضي الله عنها ايمان اللغو ما كان في الهزل
والمراء والخصومة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب وقال قوم هو ان يحلف على شيء يرى انه صا
دق ثم تبين له خلاف ذلك وهو قول الزهري والحسن وابراهيم النخعي وقتادة ومكحول
وبه قال ابو حنيفة وقالوا لا كفارة فيه ولا اثم وقال علي هو اليمين في الغضب وبه قال طاوس
وقال سعيد بن جبير هو اليمين في المعصية لا يؤاخذه الله بالحنث فيها ويكفر وقال مسروق
ليس عليه كفارة اتكفر خطوات الشيطان وقال الشعبي في الرجل يحلف على المعصية
كفارته ان يتوب منها وكل يمين لا يحل لك ان تفي بها فليس فيها كفارة ولو امرته
بالكفارة لامرته ان يتم على قوله وقال زيد بن اسلم هو دعاء الرجل على نفسه كقول الانسان
اعمى الله بصري ان لم افعل كذا اخرجني الله من مالي ان لم آتك غدا ويقول هو كافر
ان فعل كذا فهذا كله لغو لا يؤاخذ الله به ولو اخذهم به لعجل الله لهم العقوبة قال الله
تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وقال ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضي اليهم اجلهم • ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم • اي عزمتم وقصدتم الى اليمين
وكسب القلب العقد والنية • والله غفور حليم • واعلم ان اليمين لا تنعقد الا بالله او باسم من
اسمائه او صفة من صفاته فاليمين بالله ان يقول والذي اعبده والذي اصلي له والذي نفسي بيده
ونحو ذلك واليمين باسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه واليمين بصفاته كقوله وعزة الله وعظمة
الله وجلال الله وقدرة الله ونحوها فاذا حلف بشيء منها على امر في المستقبل فحنث يجب عليه
الكفارة واذا حلف على امر ماض انه كان ولم يكن او على انه لم يكن وقد كان ان كان عالما به حالة
ما حلف

فهو اليمين الغموس وهو من الكبائر ويجب به الكفارة عند بعض اهل العلم عالما كان او جاهلا وبه
قال الشافعي ولا يجب عند بعضهم وهو قول اصحاب الرأي وقالوا ان كان عالما فهو كبيرة لا كفارة لها كما في ساير
الكبائر وان كان جاهلا فهو يمين اللغو عنده ومن حلف بغير الله مثل ان قال والكعبة وبيت الله ونبي الله
او حلف بابيه ونحو ذلك فلا يكون يمينا ولا يجب الكفارة اذا حانث وهو يمين مكروهة وقال الشافعي واخشى
ان تكون معصية وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم ادرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب
وهو يحلف بابيه فقال رسول الله صلعم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله
او ليصمت ● للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر يؤلون يحلفون والالية اليمين والمراد
من الآية اليمين على ترك وطي المرأة قال قتادة كان الايلاء طلاق اهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب
كان ذلك من ضرار اهل الجاهلية كان الرجل لا يحب امرأته ولا يريد ان يتزوجها غيره فيحلف
ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام فضرب الله اجلا
في الاسلام واختلف اهل العلم فيه فذهب اكثرهم الى انه ان حلف ان لا يقرب زوجته ابدا او سمى
مدة اكثر من اربعة اشهر يكون موليا فلا يتعرض له قبل مضي اربعة اشهر وبعد مضيها يوقف
ويؤمر بالفيء او بالطلاق بعد مطالبة المرأة والفيء هو الرجوع عما قال بالوطي ان قدر عليه وان
لم يقدر فبالقول فان لم يفئ ولم يطلق طلق عليه السلطان واحدة وذهب الى الوقف بعد مضي
المدة عمر وعثمان وعلي وابو الدرداء وابن عمر رضي الله عنهم قال سليمان بن يسار ادركت
بضعة عشر من اصحاب النبي صلعم كلهم يقول يوقف المولي واليه ذهب سعيد بن جبير وسليمان
بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي واحمد واسحق وقال بعض اهل العلم اذا مضت
اربعة اشهر يقع عليها طلقة بائنة وهو قول ابن عباس وابن مسعود وبه قال سفيان الثوري
واصحاب الرأي وقال سعيد بن المسيب والزهري تقع طلقة رجعية ولو حلف ان لا يطاها
اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا بل هو حالف اذا وطئها قبل مضي تلك المدة عليه كفارة اليمين
ولو حلف ان لا يطاها اربعة اشهر لا يكون موليا عند من يقول بالوقف بعد مضي المدة لان بقا
المدة شرط للوقف وثبوت المطالبة بالفيء والطلاق وقد مضت المدة وعند من لا يقول بالوقف
يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة ومدة الايلاء اربعة اشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي
لانها ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة
وعند مالك وابي حنيفة تتنصف مدة العنة بالرق غير ان عند ابي حنيفة تتنصف برق المرأة وعند مالك

77

برق الزوج كما قالا في الطلاق قوله تربص اربعة اشهر اي انتظار اربعة اشهر والتربص التثبت
والتوقف فان فاؤا اي رجعوا عن اليمين بالوطي فان الله غفور رحيم واذا وطي خرج عن الايلاء و
ويجب عليه كفارة اليمين عند اكثر اهل العلم وقال الحسن وابراهيم وقتادة لا كفارة عليه لان الله تعالى
وعدهم المغفرة فقال فان الله غفور رحيم وذلك عند الاكثرين في اسقاط العقوبة لا في الكفارة ولو قال
لزوجته ان قربتك فعبدي حر او ضرتك طالق او لله علي عتق عبد او صوم او صلاة فهو مول لان
المولي من يلزمه امر بالوطي ويوقف بعد مضي المدة فان فاء يقع الطلاق والعتق المعلق
به وان التزم في الذمة تلزمه كفارة اليمين في قول وفي قول يلزمه ما التزم في ذمته من
الاعتاق والصلاة والصيام ● وان عزموا الطلاق ● اي حققوه بالايقاع ● فان الله سميع لقولهم
عليم ● بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها لانه
شرط فيه العزم وقال فان الله سميع عليم فدل على انه يقتضي مسموعا والقول هو الذي يسمع
● والمطلقات ● اي المخليات من حبال ازواجهن ● يتربصن ● ينتظرن ● بانفسهن ثلثة قروء ● فلا
يتزوجن والقروء جمع قرء مثل قرع وجمعه القليل اقرؤ والجمع الكثير اقراء وقروء واختلف
اهل العلم في القروء فذهب جماعة الى انها الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس
وبه قال الحسن ومجاهد واليه ذهب الاوزاعي والثوري واصحاب الرأي واحتجوا بان النبي صلعم قال
للمستحاضة دعي الصلاة ايام اقرائك وانما تدع المرأة الصلاة ايام حيضها وذهب جماعة
الى انها الاطهار وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة وهو قول الفقهاء السبعة والزهري
وبه قال ربيعة ومالك والشافعي واحتجوا بان ابن عمر لما طلق امرأته وهي حائض قال النبي صلعم
لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء امسك وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة
التي امر الله ان تطلق لها النساء فاخبر ان زمان العدة هو الطهر ومن جهة اللغة قول الشاعر
● ففي كل عام انت جاشم غزوة ● تشد لاقصاها عزيم عزائكا ● مورثة مالا وفي
الحي رفعة ● لما ضاع فيها من قروء نسائكا ● واراد انه كان يخرج الى الغزو ولم يغش نساءه
فتضيع اقراؤهن وانما تضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف تظهر في ان المعتدة
اذا شرعت في الحيضة الثالثة تنقضي عدتها على قول من يجعلها اطهارا وتحسب بقية الطهر الذي وقع
فيه الطلاق قرءا قالت عائشة اذا طعنت المطلقة في الدم من الحيضة الثالثة [illegible]
فقد برئت منه وبرئ منها ومن ذهب الى ان الاقراء هي الحيض يقول لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من

من الحيضة الثالثة وهذا الاختلاف من حيث ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض جميعا يقال اقرأت المراة اذا حاضت واقرأت اذا طهرت فهي مقرئ واختلفوا في اصله قال ابو عمرو بن العلاء هو الوقت لمجي الشي وذهابه يقال رجع فلان لقرئه ولقارئه اي لوقته وهذا قال للرياح اي وقت هبوبها قال مالك بن الحرث الهذلي كرهت العقر عقر بني شليل اذا هبت لقارئها الرياح اي لوقتها والقرء يصلح للوجهين لان الحيض ياتي لوقت والطهر مثله وقيل هو من القري وهو الحبس والجمع يقول العرب ما قرأت الناقة سلا قط اي لم تضم رحمها على ولد ومنه قريت الماء في الحوض اي جمعته فالقرء هاهنا احتباس الدم واجتماعه فعلى هذا يكون الترجيح فيه للطهر لانه يحبس الدم ويجمعه والحيض يرخيه ويرسله

وجملة الحكم في العدة ان المراة اذا كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل سواء وقعت الفرقة بينها وبين الزوج بالطلاق او بالموت لقول الله عز وجل واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان لم تكن حاملا نظران وقعت الفرقة بينهما بموت الزوج فعليها ان تعتد باربعة اشهر وعشر سواء مات الزوج قبل الدخول بها او بعده وسواء كانت المراة ممن تحيض او لا تحيض لقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وان وقعت الفرقة في الحياة نظران كان قبل الدخول بها فلا عدة عليها لقوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وان كان بعد الدخول بها نظران كانت المراة ممن لا تحيض قط او بلغت في الكبر سن الآيسات فعدتها بثلثة اشهر لقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر وان كانت ممن تحيض فعدتها بثلثة اقراء لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قوله يتربصن بانفسهن لفظه خبر ومعناه امر وعدة الامة ان كانت حاملا بوضع الحمل كالحرة وان كانت حائلا ففي الوفاة عدتها شهران وخمس ليال وفي الطلاق ان كانت ممن تحيض فعدتها قرءان وان كانت ممن لا تحيض فشهر ونصف وقيل شهران كالقرءين في حق من تحيض قال عمر بن الخطاب ينكح العبد امراتين ويطلق تطليقتين وتعتد الامة حيضتين فان لم تكن تحيض فشهرين او شهرا ونصفا ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن قال عكرمة يعني الحيض وهو ان يريد الرجل مراجعتها فتقول قد حضت الثالثة وقال ابن عباس وقتادة يعني الحبل معنى الاية لا يحل للمراة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل

٧٨

لتبطل حق الزوج من الرجعة والولد ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر معناه ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء كما تقول ادّ حقي ان كنت مؤمنا يعني اداء الحقوق من فعل المؤمنين وبعولتهن يعني ازواجهن جمع بعل كالفحولة جمع فحل سمي الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك احق بردهن اولى برجعتهن اليهم في ذلك اي في حال العدة ان ارادوا اصلاحا اي ارادوا بالرجعة الصلاح وحسن العشرة لا الاضرار كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كان الرجل يطلق امراته فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم تركها مدة ثم طلقها فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها ولهن اي للنساء على الازواج مثل الذي عليهن للازواج بالمعروف قال ابن عباس في معناه اني احب ان اتزين لامراتي كما تحب امراتي ان تتزين لي لان الله قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وعن حكيم بن معاوية القشيري عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت اخبرني عن حجة رسول الله صلعم فسرد قصة حجة الوداع الى ان ذكر خطبة يوم عرفة قال فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وانتم تسألون عني فما انتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها الى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلث مرات وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائكم وللرجال عليهن درجة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وانفق عليها من المال وقال قتادة بالجهاد وقيل بالعقل وقيل بالشهادة وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل بالطلاق لان الطلاق بيد الرجال وقيل بالرجعة وقال سفين وزيد بن اسلم بالامارة وقال القتيبي وللرجال عليهن درجة معناه فضيلة بالحق والله عزيز حكيم وعن ابي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه النبي صلعم فيها ثم رجع فراى رجالا يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك للنبي صلعم فقال النبي صلعم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها الطلاق مرتان روي عن عروة بن الزبير قال كان الناس في الابتداء

يطلقون من غير حصر ولا عدد كان الرجل يطلق امراته فاذا قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها
كذلك ثم راجعها يقصد مضارتها فانزلت الاية الطلاق مرتان يعني الطلاق الذي تملك الرجعة
عقيبه مرتان فاذا طلق ثلثا فلا تحل له الا بعد نكاح زوج آخر فامساك بمعروف قيل اراد بالامساك
الرجعة بعد الثانية والصحيح ان المراد منه الامساك بعد الرجعة يعني اذا راجعها بعد الطلقة الثانية
فعليه ان يمسكها بالمعروف والمعروف كل ما يعرف في الشرع من اداء حقوق النكاح وحسن الصحبة او
تسريح باحسان هو ان يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها وقيل الطلقة الثالثة قوله او تسريح
باحسان وصريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلثة الطلاق والفراق والسراح وعند ابي حنيفة
الصريح هو لفظ الطلاق وجملة الحكم فيه ان الحر اذا طلق زوجته طلقة او طلقتين بعد الدخول بها يجوز
له مراجعتها بغير رضاها مادامت في العدة وان لم يراجعها حتى انقضت عدتها او طلقها قبل
الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها فان طلقها ثلثا فلا تحل له
ما لم تنكح زوجا غيره اما العبد اذا كانت تحته امة فطلقها طلقتين فانها لا تحل له الا بعد نكاح زوج
آخر واختلف اهل العلم فيما اذا كان احد الزوجين رقيقا فذهب اكثرهم الى انه يعتبر عدد الطلاق
في بالزوج فالحر يملك على زوجته الامة ثلث طلقات والعبد لا يملك على زوجته الحرة الا طلقتين قال
عبد الله بن مسعود الطلاق بالرجال والعدة بالنساء يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل وفي
قدر العدة حال المراة وهو قول عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس وبه قال عطاء وسعيد بن
المسيب واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب قوم الى ان الاعتبار بالمراة في عدد الطلاق
فيملك العبد على زوجته الحرة ثلث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين وهو قول سفيان
الثوري واصحاب الراي ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن اعطيتموهن شيئا من
المهور وغيرها ثم استثنى الخلع فقال الا ان يخافا الا يقيما حدود الله نزلت في جميلة
بنت عبد الله بن ابي اوفى ويقال في حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت
تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام فاتت اباها فشكت اليه زوجها وقالت انه يسيء الي ويضربني
فقال ارجعي الى زوجك فاني اكره المراة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها وقال فرجعت
اليه الثانية وبها اثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها اتت رسول الله
صلعم فشكت اليه زوجها وارته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول
الله صلعم الى ثابت فقال ما لك ولاهلك قال والذي بعثك بالحق ما على وجه الارض احب الي منها غيرك

فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلعم حين سالها فقالت صدق يا رسول الله
ولكن خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك
خلافه هو من اكرم الناس محبة لزوجته ولكني ابغضه فلا انا ولا هو قال ثابت قد اعطيتها حديقة
فقل لها فلتردها علي واخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم فقال
رسول الله صلعم خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل وعن ابن عباس ان امراة ثابت بن قيس اتت
النبي صلعم فقالت يا رسول الله ثابت بن قيس ما اعيب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام
قال رسول الله صلعم اتردين عليه حديقته قالت نعم قال رسول الله صلعم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة
قوله تعالى الا ان يخافا الا يقيما حدود الله قرا ابو جعفر وحمزة ويعقوب الا ان يخافا بضم الياء اي
يعلم ذلك منهما يعني يعلم القاضي والوالي ذلك من الزوجين بدليل قوله فان خفتم فجعل الخوف لغير الزو
جين ولم يقل فان خافا وقرا الآخرون يخافا بفتح الياء اي يعلم الزوجان من انفسهما ان لا يقيما
حدود الله تخاف المراة ان تعصي الله في امر زوجها ويخاف الزوج اذا لم تطعه امراته ان
يعتدي عليها فنهى الله الرجل ان ياخذ من امراته شيئا مما آتاها الا ان يكون النشوز من
قبلها فقالت لا اطيع لكم ولا اطا لكم مضجعا ونحو ذلك قال الله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود
الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي فيما افتدت المراة نفسها منه قال الفراء اراد بقوله
عليهما الزوج دون المراة فذكرهما جميعا لاقترانهما كقوله نسيا حوتهما وانما الناسي فتى
موسى دون موسى وقيل اراد لا جناح عليهما جميعا لا جناح على المراة في النشوز اذا خشيت الهلاك و
المعصية ولا فيما افتدت به واعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج
فيما اخذ منها من المال اذا اعطته طائعة وذهب اكثر اهل العلم الى ان الخلع جائز على اكثر مما اعطاها
وقال الزهري لا يجوز باكثر مما اعطاها من المهر وقال سعيد بن المسيب لا ياخذ منها جميع ما اعطاها
بل يترك شيئا ويجوز الخلع في غير حال النشوز غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب وعن ابن
عمر قال قال رسول الله صلعم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن ثوبان يرفعه الى النبي صلعم ايما امراة
سالت زوجها الطلاق في غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة وقال طاوس الخلع يختص بحالة خوف
النشوز لظاهر الاية والاية خرجت على وفق العادة في ان الخلع لا يكون الا في حال خوف النشوز غا
لبا واذا طلق الرجل امراته بلفظ الطلاق على مال فقبلت وقعت البينونة وانتقص به العدد
واختلف اهل العلم في الخلع فذهب اكثرهم الى انه تطليقة بائنة ينتقص به عدد الطلاق وهو قول عمر

وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء والحسن والشعبي والنخعي واليه ذهب
مالك والثوري والاوزاعي واصحاب الراي وهو اظهر قولي الشافعي وذهب قوم الى انه فسخ لا ينتقص
به عدد الطلاق وهو قول عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وبه قال عكرمة وطاوس واليه ذهب
احمد واسحق واحتجوا بان الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال
فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا ومن قال
بالاول جعل الطلقة الثالثة او تسريح باحسان تلك حدود الله اي هذه اوامر الله ونواهيه
وحدود الله ما منع الشرع من المجاوزة عنه فلا تعتدوها فلا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون فان طلقها يعني الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد اي بعد الطلقة الثالثة حتى
تنكح زوجا غيره اي غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا نزلت في تميمة وقيل
عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي كانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي
فطلقها ثلثا وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها انه سمعها تقول جاءت امراة رفاعة القرظي الى
رسول الله صلعم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير
وان ما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلعم فقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة
لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى النبي صلعم
فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلعم كذبت بقولك الاول فلن نصدقك في الاخر
فلبثت حتى قبض النبي صلعم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى الزوج الاول
فان زوجي الاخر مسني وطلقني فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلعم حين اتيته
وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر وقالت له مثل ذلك فقال لها لئن
رجعت اليه لارجمنك فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا يعني فان طلقها الزوج الثاني
بعد ما جامعها فلا جناح عليهما يعني على المراة وعلى الزوج الاول ان يتراجعا يعني بنكاح جديد
ان ظنا اي علما وقيل رجوا لان احدا لا يعلم ما هو كائن الا الله ان يقيما حدود الله اي
يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة وقال مجاهد معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة واراد
بالدلسة التحليل وهو مذهب سفين والاوزاعي ومالك واحمد واسحق قالوا اذا تزوجت
المطلقة ثلثا زوجا اخر ليحلها للزوج الاول ان النكاح فاسد وذهب جماعة الى انه اذا لم يشرط
في النكاح مع انه نوى ان يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل غير انه يكره اذا كان في عزمهما

ذلك وعن ابن مسعود عن النبي صلعم انه لعن المحلل والمحلل له قال نافع اتى رجل ابن عمر فقال ان
رجلا طلق امراته ثلثا فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة
كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلعم قال رسول الله لعن الله المحلل والمحلل له وتلك حدود الله
يبينها لقوم يعلمون يعني يعلمون ما امرهم به واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن نزلت في رجل
من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امراته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها
يقصد مضارتها قوله فبلغن اجلهن اي اشرفن على ان يبن بانقضاء العدة ولم يرد حقيقة
انقضاء العدة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هاهنا بلوغ مقاربة وفي
قوله تعالى بعد هذا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن حقيقة انقضاء العدة والبلوغ يتناول
المعنيين يقال بلغت المدينة اذا قربت منها واذا دخلتها فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف
قيل المراجعة بالمعروف ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء او سرحوهن
بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن املك بانفسهن ولا تمسكوهن ضرارا
اي لا تقصدوا بالرجعة المضارة لتعتدوا لتظلموهن بتطويل الحبس فيلجئوهن الى الافتداء
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه اي اضر بنفسه بمخالفة امر الله تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزوا
قال الكلبي يعني قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وكل من خالف امر الشرع فهو
متخذ ايات الله هزوا وقال ابو الدرداء هو ان الرجل كان يطلق ثم يقول كنت لاعبا ويعتق
ويقول مثل ذلك وينكح ويقول مثل ذلك وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ثلث جدهن جد
وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم بالايمان وما انزل عليكم
من الكتاب يعني القران والحكمة يعني السنة وقيل مواعظ القران يعظكم به واتقوا الله ان الله
بكل شيء عليم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن نزلت في جميلة بنت يسار اخت معقل بن
يسار المزني كانت تحت ابي البداح عاصم بن عدي بن عجلان فطلقها وعن الحسن قال
حدثني معقل بن يسار قال زوجت اختا لي من رجل فطلقها حتى اذا انقضت عدتها
جاء يخطبها فقلت له زوجتك وفرشتك واكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود
اليك ابدا وكان رجلا لا باس به وكانت المراة تريد ان ترجع اليه فانزل الله تعالى هذه
فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن فقلت الان افعل يا رسول الله قال فزوجها اياه
قوله فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا تعضلوهن اي لا تمنعوهن عن النكاح والعضل

وفي الخبر خمس جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والعتاق والنكاح والرجعة والنذر

المنع واصله الضيق والشدة يقال عضلت المراة اذا نشب ولدها في بطنها فضاق عليها الخروج
والداء العضال الذي لا يطاق علاجه وفي الاية دليل على ان المراة لا تلي عقد النكاح اذ لو كانت
تملك ذلك لم يكن هناك عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى وقيل الاية خطاب مع الازواج منعهم
من الاضرار لان ابتداء الاية خطاب معهم والاول اصح اذا تراضوا بينهم بالمعروف بعقد حلال
ومهر جائز ذلك الذي ذكر من النهي يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر وانما قال
ذلك موحدا والخطاب للاولياء لان الاصل في مخاطبة الجمع ذلكم ثم كثر حتى توهموا ان الكاف من
نفس الحرف وليست بكاف خطاب فقالوا ذلك فاذا قالوا هذا كانت الكاف موحدة منصوبة في الا
ثنين والجمع والمونث وقيل هو خطاب للنبي صلعم فلذلك وحد ثم رجع الى خطاب المومنين فقال ذلكم ازكى
لكم اي خير لكم واطهر لقلوبكم من الريبة وذلك انه اذا كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن
ان يتجاوز ذلك الى غير ما احل الله لهما ولم يؤمن من الاولياء ان يسبق الى قلوبهم منهما ما لعلهما ان يكونا
بريئين من ذلك فياثمون والله يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه وانتم لا تعلمون والوا
لدات يرضعن اولادهن اي المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن يرضعن خبر بمعنى
الامر وهو امر استحباب لا امر ايجاب لانه لا يجب عليهن الارضاع اذا كان يوجد من يرضع الولد
لقوله تعالى في سورة الطلاق فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن فان رغبت الام في الارضاع فهي
اولى من غيرها حولين كاملين اي سنتين وذكر الكمال للتاكيد كقوله تعالى تلك عشرة كاملة وقيل
انما كان كاملين لان العرب قد تسمي بعض الحول حولا وبعض الشهر شهرا كما قال الله تعالى الحج
اشهر معلومات وانما هو شهران وبعض الثالث وقال ومن تعجل في يومين فلا اثم عليه وانما
يتعجل في يوم وبعض يوم ويقال اقام فلان بموضع كذا حولين وانما اقام به حولا وبعض
آخر فبين الله تعالى انهما حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا واختلف اهل العلم في هذا الحد
منهم من قال هو حد لبعض المولود فروى عكرمة عن ابن عباس انها اذا وضعت لستة اشهر
فانها ترضعه حولين كاملين وان وضعت لسبعة اشهر ترضعه ثلثة وعشرين شهرا وان وضعت
لتسعة اشهر ترضعه احدا وعشرين شهرا كل ذلك تمام ثلثين شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون
شهرا وقال قوم هو حد لكل مولود باي وقت ولد لا ينقص رضاعه من حولين الا باتفاق الا
بوين فايهما اراد الفطام قبل تمام الحولين ليس له ذلك الا ان يجتمعا عليه لقوله تعالى فان ارادا
فصالا عن تراض منهما وهذا قول ابن جريج والثوري ورواية الوالبي عن ابن عباس وقيل المراد

من الاية بيان الرضاع الذي تثبت به الحرمة ما يكون في الحولين ولا يحرم ما يكون بعد الحولين قال قتادة فر
ض الله على الوالدات ارضاع حولين كاملين ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة
هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك حد محدود انما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به
وعلى المولود له يعني الاب رزقهن طعامهن وكسوتهن لباسهن بالمعروف اي على قدر الميسرة
لا تكلف نفس الا وسعها اي طاقتها لا تضار والدة بولدها قرا ابن كثير واهل البصرة تضار
برفع الراء نسقا على قوله لا تكلف واصله تضارر فادغمت الراء في الراء وقرا الاخرون بنصب الراء
وقالوا لما ادغمت الراء في الراء حركت الى اخف الحركات وهو النصب ومعنى الاية لا تضار والدة
بولدها فينزع الولد منها الى غيرها بعد ان رضيت بارضاعه ولا مولود له بولده اي لا تلقيه
المراة الى ابيه بعد ما الفها تضاره بذلك وقيل معناه لا تضار والدة فتكره على ارضاعه اذا
كرهت هي ارضاعه وقبل الصبي من غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها ولا مولود له بولده فيحمل
على ان يعطي الام اكثر مما يجب لها اذا لم يرتضع الولد من غيرها فعلى هذين القولين اصل الكلمة
لا تضارر بفتح الراء الاولى على الفعل المجهول والوالدة والمولود له مفعولان ويحتمل ان يكون الفعل
لهما ويكون تضار بمعنى تضارر بكسر الراء الاولى على تسمية الفاعل والمعنى لا تضار والدة فتابى
ان ترضع ولدها لتشق على ابيه ولا مولود له اي لا يضار الاب ام الصبي فينتزعه منها ويمنعها من ا
رضاعه وعلى هذه الاقوال يرجع الضرار الى الوالدين يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد ويجوز
ان يكون الضرار راجعا الى الصبي اي لا يضار كل واحد منهما الصبي فلا ترضعه الام حتى يموت ولا ينفق
الاب او ينزعه من الام حتى يضر بالصبي فعلى هذا تكون الباء زائدة ومعناه لا تضار والدة
ولدها ولا اب ولده وكل هذه الاقاويل مروية عن المفسرين وعلى الوارث مثل ذلك
اختلفوا في هذا الوارث فقال قوم هو وارث الصبي معناه وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي
وله مال ورثه مثل الذي كان على ابيه في حال حياته ثم اختلفوا اي وارث هو من ورثته فقال بعضهم
هو عصبة الصبي من الرجال مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وهو قول عمر بن الخطاب وبه قال ابراهيم
والحسن ومجاهد وعطاء وهو مذهب سفيان قالوا اذا لم يكن للصبي ما ينفق عليه اجبرت عصبته الذ
ين يرثونه على ان يسترضعوه وقيل هو وارث الصبي من كان من الرجال والنساء وهو قول قتادة
وابن ابي ليلى ومذهب احمد واسحق وقالوا يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبة كانوا
او غيرهم وقال بعضهم من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود فمن ليس بمحرم مثل ابن العم والمولى

نعم المراد به الابن وهو قول ابي حنيفة وذهب جماعة الى ان المراد بالوارث هو الصبي نفسه الذي وارث
ابيه المتوفى يكون اجرة رضاعه ونفقته في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي الا
الوالدين وهو قول مالك والشافعي وقيل هو الباقي من والدي المولود بعد وفاة الآخر عليه مثل ما كان
على الاب من اجرة الرضاع والنفقة والكسوة وقيل ليس المراد منه النفقة بل معناه وعلى الوارث ترك
المضارة وبه قال الشعبي والزهري فان ارادا يعني الوالدين فصالا اي فطاما قبل الحولين عن
تراض منهما اي اتفاق من الوالدين وتشاور اي يشاورون اهل العلم به حتى يخبروا ان الفطام
في ذلك الوقت لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الراي فلا جناح عليهما اي لا حرج عليهما في الفطام
قبل الحولين وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم مراضع غير امهاتهم اذا ابت
امهاتهم ان يرضعنهم او تعذر لعلة بهن اي انقطاع لبن او اردن النكاح فلا جناح عليكم
اذا سلمتم الى امهاتهم ما آتيتم ما سميتم لهن من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعن وقيل اذا سلمتم
اجور المراضع اليهن بالمعروف وقرا ابن كثير ما اتيتم من ربا بقصر الالف ومعناه ما فعلتم يقال
اتيت جميلا اذا فعلته فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والانقياد لا بمعنى تسليم
الاجرة يعني اذا سلمتم لامره وانقدتم لحكمه وقيل اذا سلمتم الاسترضاع عن تراض واتفاق
دون الضرار واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم اي يموتون
وتتوفى آجالهم وتوفى واستوفى بمعنى واحد ومعنى التوفي اخذ الشيء وافيا ويذرون يتركون
ازواجا يتربصن ينتظرن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي يعتددن بترك الزينة والطيب والنقلة
على فراق ازواجهن هذه العدة الا ان يكن حوامل فعدتهن بوضع الحمل وكانت عدة الوفاة في الابتداء
حولا كاملا لقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول
غير اخراج ثم نسخت باربعة اشهر وعشرا وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد كانت هذه العدة يعني اربعة
اشهر وعشرا واجبة عند اهل زوجها فانزل الله عز وجل متاعا الى الحول فجعل لها تمام السنة سبعة اشهر
وعشرين ليلة وصية ان شاءت سكنت في وصيتها وان شاءت خرجت وهو قول الله عز وجل غير اخراج
فان خرجن فلا جناح عليكم فالعدة كما هي واجبة عليها وقال عطاء قال ابن عباس نسخت هذه الاية
عدتها عند اهلها فتعتد حيث شاءت وقال عطاء ان شاءت اعتدت عند اهله وسكنت في وصيتها
وان شاءت خرجت قال عطاء ثم جاء الميراث فنسخ السكنى فتعتد حيث شاءت ولا سكنى لها ويجب لها
الاحداد في عدة الوفاة وهو ان تمتنع من الزينة والطيب فلا يجوز لها تدهين راسها باي دهن كان

سواء كان فيه طيب او لم يكن ولها تدهين جسدها بدهن لا طيب فيه فان كان فيه طيب فلا يجوز
لها ان تكتحل بكحل فيه طيب او فيه زينة كالكحل الاسود ولا باس بالكحل الفارسي الذي لا زينة
فيه وان اضطرت الى كحل فيه زينة فرخص فيه كثير من اهل العلم منهم سالم بن عبد الله وسليمان
بن يسار وعطاء والنخعي وبه قال مالك واصحاب الراي وقال الشافعي تكتحل به ليلا وتمسحه
بالنهار قالت ام سلمة دخل علي رسول الله صلعم حين توفي ابو سلمة وقد جعلت علي صبرا فقال انه يشب
الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا يجوز لها الخضاب ولا لبس الوشي والديباج والحلي
ويجوز لها لبس البيض من الثياب ولبس الصوف والوبر ولا تلبس الثوب المصبوغ للزينة كالاحمر
والاصفر والاخضر الناضر ويجوز ما صبغ لغير زينة كالاسود والكحلي وقال سفيان لا تلبس المصبوغ
بحال اخبرنا حميد بن نافع عن زينب بنت ابي سلمة انها اخبرته هذه الاحاديث الثلاثة قالت زينب
دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلعم حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت ام حبيبة بطيب فيه صفرة
خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست به بطنها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني
سمعت رسول الله صلعم يقول لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال
الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وقالت زينب دخلت على زينب بنت جحش حين توفي اخوها عبد
الله فدعت بطيب فمست به ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلعم يقول على
المنبر لا يحل لامراة ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا قالت زينب
وسمعت امي ام سلمة تقول جاءت امراة الى رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي
عنها زوجها وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال رسول الله صلعم لا ثم قال انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كانت
احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على راس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة
على راس الحول فقالت زينب كانت المراة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها
ولم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طير فتفتض به
فقلما تفتض بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد ذلك ما شاءت من
طيب او غيره قال مالك فتفتض تمسح جلدها وقال سعيد بن المسيب الحكمة في هذه المدة ان فيها
تنفخ الروح في الولد ويقال ان الولد يركض اي يتحرك في البطن لنصف مدة الحمل واربعة اشهر
وعشر قريب من نصف مدة الحمل وانما قال عشرا بلفظ المؤنث لانه اراد الليالي لان العرب اذا
ابهمت العدد بين الليالي والايام غلبت عليها الليالي فيقولون صمنا عشرا والصوم لا يكون

الا بالنهار وقال المبرد انما انث العشر لانه اراد المدد اى عشر مدد كل مدة يوم وليلة واذا كانت
المتوفى عنها زوجها حاملا فعدتها بوضع الحمل عند اكثر اهل العلم من الصحابة فمن بعدهم فروى عن على وابن
عباس انها تنتظر آخر الاجلين من وضع الحمل او اربعة اشهر وعشرا قال عبد الله بن مسعود انزلت سورة
النساء القصرى بعد الطولى اراد بالقصرى سورة الطلاق وبالطولى سورة البقرة واراد به ان قوله
تعالى في سورة الطلاق واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن نزلت بعد قوله يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا في سورة البقرة فحمله على النسخ وعامة الفقهاء خصوا الآية بحديث سبيعة وهو ما روي
عن المسور بن مخرمة ان سبيعة نفست بعد وفاة زوجها بليال فجاءت رسول الله صلعم فاستا
ذنته ان تنكح فاذن لها فنكحت • فاذا بلغن اجلهن • اى انقضت عدتهن • فلا جناح عليكم • خطاب
الاولياء فيما فعلن في انفسهن اى من اختيار الازواج دون العقد فان العقد الى الولى وقيل فيما
فعلن من التزين للرجال زينة لا ينكرها الشرع • بالمعروف والله بما تعملون خبير • والاحداد واجب
على المراة في عدة الوفاة اما المعتدة عن الطلاق ننظر ان كانت رجعية فلا احداد عليها في العدة لان
لها ان تفعل ما يشوق قلب الزوج اليها ليراجعها وفي البائنة بالخلع والطلقات الثلث قولان احدهما
عليها الاحداد كالمتوفى عنها زوجها وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال ابو حنيفة والثاني لا احداد عليها
وهو قول عطاء وبه قال مالك • ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء • اى النساء المعتدات
واصل التعريض هو التلويح بالشيء والتعريض في الكلام ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح والتعريض
بالخطبة مباح في العدة وهو ان يقول رب راغب فيك من يجد مثلك انك لجميلة وانك لصالحة وانك
لعلى كريمة وانى فيك لراغب وان من غرضي ان اتزوج وان اجمع الله بيني وبينك بالحلال
النجيبى ولئن تزوجتك لاحسنن اليك ونحو ذلك من الكلام من غير ان يقول انكحيني والمراة تجيبه
بمثله ان رغبت فيه وقال ابراهيم لا باس ان يهدى لها ويقوم بشغلها في العدة اذا كانت من
شانه وروي ان سكينة بنت حنظلة تأيمت من زوجها فدخل عليها ابو جعفر محمد بن على الباقر
في عدتها وقال يا بنت حنظلة انا من قد علمت قرابتي من رسول الله صلعم وحق جدي على وقدمي
في الاسلام فقالت سكينة اتخطبني وانا في العدة وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي
من رسول الله صلعم قد دخل رسول الله صلعم على ام سلمة وهي في عدتها من زوجها ابي سلمة يذكر لها
منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله على يده والتعريض
بالخطبة جائز في عدة الوفاة واما المعتدة عن فرقة الحياة ننظر ان كانت ممن لا يحل لمن بانت منه

82

نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها يجوز لزوجها المطلقة ثلثا والبائنة باللعان والرضاع يجوز خطبتها
تعريضا وتصريحا وهل يجوز للغير تعريضا فيه قولان احدهما يجوز كالمطلقة وان كانت ممن يحل
للزوج نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها يجوز لزوجها خطبتها تعريضا وتصريحا وهل يجوز للغير
تعريضا فيه قولان احدهما يجوز كالمطلقة ثلثا والثاني لا يجوز لان المعاودة ثابتة لصاحب
العدة كالرجعية لا يجوز للغير تعريضها بالخطبة وقوله من خطبة النساء الخطبة التماس النكاح
وهو مصدر خطب الرجل المراة يخطب خطبة وقال الاخفش الخطبة الذكر والخطبة التشهد فيكون
معناه فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن • او اكننتم • اضمرتم • في انفسكم • من نكاحهن يقال
كننت الشيء واكننته لغتان وقال ثعلب اكننت الشيء اخفيته في نفسي وكننته سترته قال السدي
هو ان يدخل فيسلم ويهدي ان شاء ولا يتكلم • علم الله انكم ستذكرونهن • بقلوبكم • ولكن
لا تواعدوهن سرا • اختلفوا في السر المنهي عنه فقال قوم هو الزنا وكان الرجل يدخل على المراة
من اجل الزينة وهو يعرض بالنكاح ويقول لها دعيني فاذا اوفيت عدتك اظهرت نكاحك
هذا قول الحسن وقتادة وابراهيم وعطاء ورواية عطية عن ابن عباس قال زيد بن اسلم
اى لا ينكحها سرا فيمسكها فاذا حلت اظهر ذلك وقال مجاهد هو قول الرجل لا تفوتيني بنفسك
فاني ناكحك وقال الشعبي والسدي لا ياخذ ميثاقها ان لا تنكح غيره وقال عكرمة لا يخطبها في
العدة قال الشافعي السر هو الجماع قال الكلبي اى لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع فيقول
اتيتك الاربعة والخمسة واشباه ذلك ويذكر السر ويراد به الجماع قال امرؤ القيس الا زعمت
بسباسة اليوم انني • كبرت وان لا يحسن السر امثالي • وانما قيل للزنا والجماع سر لانه
يكون في خفاء بين الرجل والمراة • الا ان تقولوا قولا معروفا • هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة
• ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله • اى لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة
حتى يبلغ الكتاب اجله اى حتى تنقضي العدة وسماها الله كتابا لانها فرض من الله كقوله
كتب عليكم اى فرض عليكم • واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه • اى فخافوا الله
• واعلموا ان الله غفور حليم • لا يعجل بالعقوبة • لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم
تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة • اى ولم تمسوهن ولم تفرضوا نزلت في رجل من الانصار
تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه الاية فقال رسول
الله صلعم امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال صلعم متعها ولو بقلنسوتك قرأ حمزة والكسائي

ما لم تماسوهن بالالف ههنا وفي الاحزاب على المفاعلة لان بدن كل واحد منهما يلاقي بدن صاحبه
كما قال تعالى من قبل ان يتماسا وقرا الباقون تمسوهن بلا الف لان الغشيان يكون من فعل الرجل
دليله قوله تعالى ولم يمسسني بشر قوله او تفرضوا لهن فريضة اي توجبوا لهن صداقا فان قيل
فما الوجه في نفي الجناح عن المطلق قبل الطلاق قطع سبب الوصلة وجا في الحديث ابغض الحلال الى
الله الطلاق قيل نفى الجناح عنه اذا كان الفراق اروح من الامساك وقيل معناه لا سبيل للنساء عليكم
ان طلقتموهن قبل المسيس والفرض بصداق ولا نفقة وقيل لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس
في اي وقت شئتم حائضا كانت المراة او طاهرا لانه لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بخلاف
المدخول بها لا يجوز تطليقها في حال الحيض ومتعوهن اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن
به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد على الموسع اي الغني قدره وعلى المقتر اي الفقير
قدره امكانه وطاقته قرا ابو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص قدره بفتح الدا
ل فيهما وقرا الاخرون بسكونهما وهما لغتان وقيل القدر بالسكون المصدر وبالفتح الاسم متاعا
نصب على المصدر اي متعوهن متاعا بالمعروف اي بما امركم الله به من غير ظلم حقا على المحسنين
وبيان حكم الاية ان من تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها المتعة
بالاتفاق وان طلقها بعد الفرض قبل المسيس فلا متعة لها على قول الاكثرين ولها نصف المهر
المفروض واختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها فذهب جماعة الى انه لا متعة لها لانها تستحق المهر
وهو قول اصحاب الراي وذهب جماعة الى انها تستحق المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف
وهو قول عبد الله بن عمر وبه قال عطا ومجاهد والقسم بن محمد واليه ذهب الشافعي لان
استحقاقها المهر بمقابلة ما اتلف عليها من منفعة البضع فلها المتعة على وحشة الفراق فعلى
القول الاول لا متعة الا لواحدة وهي المطلقة قبل الفرض والمسيس وعلى القول الثاني لكل مطلقة
متعة الا لواحدة وهي المطلقة بعد الفرض قبل المسيس قال عبد الله بن عمر لكل مطلقة متعة الا التي
فرض لها ولم يمسها زوجها فحسبها نصف المهر وقال الزهري متعتان يقضي باحديهما السلطان
ولا يقضي بالاخرى بل يلزمه فيما بينه وبين الله تعالى فاما التي يقضي بها السلطان فهي المطلقة قبل
الفرض والمس وهو قوله حقا على المحسنين والتي يلزمه فيما بينه وبين الله تعالى ولا يقضي بها السلطان
فهي المطلقة بعد المس وهو قوله حقا على المتقين وذهب الحسن وسعيد بن جبير الى ان لكل مطلقة
متعة سوا كان قبل الفرض والمسيس او بعد الفرض قبل المسيس لقوله تعالى وللمطلقات متاع ولقوله في سورة

الاحزاب فمتعوهن وفي الآية قول ولا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا
لهن فريضة ولم تفرضوا لهن فريضة وقال بعضهم المتعة غير واجبة والامر بها امر ندب واستحباب
روي ان رجلا طلق امراته وقد دخل بها فخاصمته الى شريح في المتعة فقال شريح لا تاب ان تكون
من المحسنين ولا تاب ان تكون من المتقين ولم يجبره على ذلك واختلفوا في قدر المتعة فروي عن ابن
عباس اعلاها خادم واوسطها ثلثة اثواب درع وخمار وازار ودون ذلك وقاية او شي من الورق
وبه قال الشعبي والزهري وهو مذهب الشافعي قال اعلاها على الموسع خادم واوسطها ثوب
واقلها اقل ما له ثمن وحسن ثلثين درهما وطلق عبد الرحمن بن عوف امراته وحممها جارية سودا
اي متعها ومتع الحسن بن علي امراة له بعشرة الاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق
وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز والاية تدل على انه
يعتبر حال الزوج في العسر واليسر ومن حكم الاية ان من تزوج امراة بالغة برضاها على غير مهر يصح
النكاح وللمراة مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان
طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة وان مات احدهما قبل الدخول والفرض واختلف اهل العلم في انها
هل تستحق المهر ام لا فذهب جماعة الى ان لا مهر لها وهو قول علي وزيد بن ثابت وعبد الله بن
عمر وعبد الله بن عباس قالوا كما لو طلقها قبل الفرض والدخول وذهب قوم الى ان لها المهر لان
الموت كالدخول في تقرير المسمى كذلك في ايجاب مهر المثل اذا لم يكن في العقد مسمى وهو قول الثوري و
اصحاب الراي واحتجوا بما روي عن علقمة عن ابن مسعود انه سئل عن رجل تزوج امراة ولم يفرض لها صداقا
فلم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها صداق نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها
الميراث فقام معقل بن سنان الاشجعي فقال قضى رسول الله صلعم في بروع بنت واشق
امراة منا مثل ما قضيت ففرح بها ابن مسعود وقال الشافعي فان ثبت حديث بروع بنت
واشق فلا حجة في قول احد دون النبي صلعم وان لم يثبت فلا مهر لها ولها الميراث وكان علي
يقول في حديث بروع لا يقبل قول اعرابي من اشجع على كتاب الله وسنة رسول الله صلعم وان
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم هذا في المطلقة
بعد الفرض قبل المسيس فلها نصف المفروض وان مات احدهما قبل المسيس فلها كمال المهر
المفروض والمراد بالمس المذكور في الاية الجماع واختلف اهل العلم فيما لو خلا الرجل بامراته ثم
طلقها قبل ان يدخل بها فذهب جماعة الى انه لا يجب لها الا نصف الصداق ولا عدة عليها لان الله تعالى

قال ابن عباس الشطط الجور

او جب بالطلاق قبل المسيس نصف المهر ولم يوجب العدة وهو قول ابن عباس وابن مسعود وبه قال
الشافعي وقال قوم يجب لها كمال المهر وعليها العدة لما روى عن عمر انه قال اذا ارخيت الستور فقد
وجب الصداق وهو عند زيد بن ثابت وحمل بعضهم قول عمر على وجوب تسليم الصداق اليها اذا
سلمت نفسها لا على تقرير الصداق وقيل هذه الاية ناسخة للاية التى فى الاحزاب فما لكم عليهن من
عدة تعتدونها فمتعوهن فقد كان للمطلقة قبل المسيس متاع فنسخت بهذه الاية واوجب للمطلقة
المفروض لها قبل المسيس نصف المفروض ولا متاع لها قوله تعالى وقد فرضتم لهن فريضة اى سميتم
لهن مهرا فنصف ما فرضتم اى لها نصف المهر المسمى الا ان يعفون يعنى النساء اى الا ان
تترك المراة نصيبها فيعود جميع الصداق الى الزوج او يعفو الذى بيده عقدة النكاح اختلفوا
فيه فذهب بعضهم الى ان الذى بيده عقدة النكاح هو الولى وبه قال ابن عباس معناه الا ان
تعفو المراة بترك نصيبها الى الزوج ان كانت ثيبا من اهل العفو او يعفو وليها فيترك نصيبها
ان كانت المراة بكرا او غير جائزة الامر فيجوز عفو وليها وهو قول علقمة وعطاء والحسن والزهرى
وذهب بعضهم الى انه انما يجوز عفو الولى اذا كانت المراة بكرا فان كانت ثيبا فلا يجوز عفو
وليها وقال بعضهم الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج وهو قول على وبه قال سعيد بن المسيب
وجبير والشعبى وشريح ومجاهد وقتادة وقالوا لا يجوز لوليها ترك شىء من صداقها بكرا كانت
او ثيبا كما لا يجوز ذلك قبل الطلاق بالاتفاق وكما لا يجوز ان يهب شيئا من مالها وقالوا معنى
الاية الا ان تعفو المراة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق الى الزوج او يعفو الزوج بترك
نصيبه فيكون لها جميع الصداق فعلى هذا التاويل وجه الاية الذى بيده عقدة نكاح نفسه فى كل
حال قبل الطلاق وبعده وان تعفوا اقرب للتقوى موضعه رفع بالابتداء اى والعفو اقرب للتقوى
والخطاب للرجال والنساء جميعا لان المذكر والمؤنث اذا اجتمعا كانت الغلبة للمذكر معناه وعفو
بعضكم عن بعض اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم اى افضال بعضكم على بعض
باعطاء الرجل تمام الصداق او ترك المراة نصيبها حثهما جميعا على الاحسان ان الله بما تعملون
بصير حافظوا على الصلوات اى واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدود
ها واتمام اركانها والصلوة الوسطى ثم خص من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها
دلالة على فضلها والوسطى تانيث الاوسط ووسط الشىء خيره واعدله واختلف العلماء من
الصحابة فمن بعدهم فى الصلاة الوسطى فقال قوم هى صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن

عباس ومعاذ وجابر وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد واليه ذهب مالك والشافعى لان الله تعالى قال
وقوموا لله قانتين والقنوت طول القيام وصلوة الصبح مخصوصة بطول القيام وبالقنوت
ولان الله تعالى خصها فى اية اخرى من بين الصلوات فقال وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا
يعنى يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فهى مكتوبة فى ديوان الليل وديوان النهار ولانها
بين صلاتى جمع وهى لا تقصر ولا تجمع الى غيرها وذهب قوم الى انها صلوة الظهر وهو قول زيد بن ثابت
وابى سعيد الخدرى واسامة بن زيد لانها فى وسط النهار وهى اوسط صلوات النهار روى عن عمرو
بن ابى حكيم قال سمعت الزبرقان يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال كان رسول الله
صلعم يصلى الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلى صلوة اشد على اصحاب النبى صلعم منها فنزلت حافظوا على
الصلوات والصلوة الوسطى وذهب الاكثرون الى انها صلوة العصر رواه جماعة عن رسول الله صلعم
وهو قول على وعبد الله بن مسعود وابى ايوب وابى هريرة وعائشة وبه قال ابرهيم النخعى وقتادة
والحسن وعن ابى يونس مولى عائشة انه قال امرتنى عائشة ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت
هذه الاية فآذنى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فلما بلغتها آذنتها فاملت على حافظوا
على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله
صلعم وعن حفصة مثل ذلك عن زر بن حبيش قال قلت لعبيدة سل عليا عن الصلوة الوسطى فسأله
فقال كنا نرى انها صلوة الفجر حتى سمعت رسول الله صلعم يقول يوم الخندق شغلونا عن صلوة الوسطى
صلوة العصر ملأ الله اجوافهم وقبورهم نارا ولانها بين صلاتى نهار وصلاتى ليل وقد خصها النبى
صلعم بالتغليظ وعن ابى المليح قال كنا مع بريدة فى غزوة فى يوم ذى غيم فقال بكروا بصلوة العصر
فان النبى صلعم قال من ترك صلوة العصر حبط عمله وقال قبيصة بن ذويب هى صلوة المغرب لانها
وسط ليس باقلها ولا اكثرها ولم ينقل عن احد من السلف انها صلوة العشاء وذكر بعض المتاخرين
لانها بين صلوتين لا تقصران وقال بعضهم هى احدى الصلوات الخمس لا بعينها ابهمها الله تعالى تحريضا
للعباد على المحافظة على اداء جميعها كما اخفى ليلة القدر فى شهر رمضان وساعة اجابة الدعوة
فى يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم فى الاسماء ليحافظوا على جميعها قوله تعالى وقوموا لله قانتين اى
مطيعين قال الشعبى وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وطاوس والقنوت الطاعة قال الله
تعالى امة قانتا لله تعالى اى مطيعا قال الكلبى ومقاتل لكل اهل دين صلوة يقومون فيها عاصين
فقوموا انتم فى صلاتكم مطيعين وقيل القنوت السكوت عما لا يجوز التكلم به فى الصلوة وعن زيد بن

أن قوم قال كنا نتكلم خلف رسول الله صلعم في الصلوة يكلم الرجل منا صاحبه الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله
قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقال مجاهد خاشعين قال ومن القنوت طول الركوع
وغض البصر والركود وخفض الجناح كان العلماء اذا قام احدهم يصلي يهاب الرحمن ان
يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشيء او يحدث نفسه بشيء من امر الدنيا الا ناسيا وقيل المراد
من القنوت طول القيام عن جابر قال قيل للنبي صلعم اي الصلوة افضل قال طول القنوت وقيل
قانتين اي داعين ودليله ما روي عن ابن عباس قال قنت رسول الله صلعم شهرا متتابعا
يدعو على احياء من سليم على رعل وذكوان وعصية وقيل معناه مصلين كقوله تعالى امن
هو قانت آناء الليل اي مصل • فان خفتم فرجالا او ركبانا • فرجالا اي رجالة يقال راجل
ورجال مثل صاحب وصحاب وقائم وقيام او ركبانا على دوابهم وهو جمع راكب معناه
ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين للصلوة حقها لخوف فصلوا مشاة على ارجلكم او ركبانا
على ظهور دوابكم وهذا في حال القتال والمسايفة يصلي حيث كان وجهه راجلا او راكبا مستقبل
القبلة وغير مستقبلها ويومي بالركوع والسجود ويجعل السجود اخفض من الركوع وكذلك اذا
قصده سبع او غشيه سيل يخاف منه على نفسه فعدا امامه مصليا بالايماء يجوز والصلوة في
حال الخوف على اقسام فهذه صلوة شدة الخوف وسائر الاقسام سيأتي بيانها في سورة
النساء ان شاء الله تعالى ولا ينتقص عدد الركعات بالخوف عند اكثر اهل العلم وروى عن
مجاهد عن ابن عباس قال فرض الله الصلوة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين
وفي الخوف ركعة وهو قول عطاء وطاوس والحسن ومجاهد وقتادة انه يصلي في حال شدة الخو
ف ركعة وقال سعيد بن جبير اذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضا فقل سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر واذكر الله فتلك صلوتك • فاذا امنتم فاذكروا الله • اي
فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها • كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون • والذين يتوفون منكم
يا معشر الرجال • ويذرون • يتركون • ازواجا • اي زوجات • وصية لازواجهم • قرأ اهل البصرة
وابن عامر وحمزة وحفص وصية بالنصب على معنى فليوصوا وصية وقرأ الباقون بالرفع
اي كتبت عليكم الوصية • متاعا • نصب على المصدر اي متعوهن متاعا وقيل جعل الله ذلك لهن متاعا
والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكناها وما تحتاج اليه • الى الحول • صفة لمتاعا غير
اخراج • نصب على الحال وقيل بنزع حرف الصفة اي من غير اخراج نزلت الآية في رجل من اهل الطائف
او بدل من متاعا

86

يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة وله اولاد ومعه ابواه وامرأته فمات فانزل الله هذه
الآية فاعطى النبي صلعم والديه واولاده ميراثه ولم يعط امرأته شيئا وامرهم ان ينفقوا عليها
من تركة زوجها حولا وكانت عدة الوفاة في ابتداء الاسلام حولا وكان يحرم على الوارث اخرا
جها من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم
تخرج ولم يكن لها الميراث فان خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل ان
يوصي بها وكان كذلك حتى نزلت آية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثمن ونسخ عدة
الحول باربعة اشهر وعشر • فان خرجن • يعني من قبل انفسهن قبل الحول من غير اخراج الورثة • فلا
جناح عليكم • يا اولياء الميت • فيما فعلن في انفسهن من معروف • يعني التزين للنكاح ولرفع الجناح
عن الرجال وجهان احدهما لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والآخر
لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها
الله تعالى بين ان تقوم حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج الى ان نسخ باربعة اشهر وعشر
• والله عزيز حكيم • وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين • انما اعاد ذكر المتعة ههنا لزيادة
معنى وذلك ان في غيرها بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل
لانه لما نزل قوله ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت
فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فقال الله تعالى وللمطلقات متاع جعل المتعة لهن بلام التمليك وقال
حقا على المتقين يعني المؤمنين المتقين الشرك • كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون • ألم تر الى
الذين خرجوا من ديارهم • قال اكثر اهل التفسير كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع
بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك اكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما
ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا
لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء بها فوقع الطاعون من قابل فهرب
عامة اهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك
من اسفل الوادي وآخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة ان
عمر بن الخطاب خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بالشام فاخبره عبد الرحمن
بن عوف ان رسول الله صلعم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا
فرارا منه فرجع عمر من سرغ وقال الكلبي ومقاتل والضحاك انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من

من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت
فاعتلّوا وقالوا لملكهم ان الارض التي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع
منها الوباء فارسل الله عليهم الموت فخرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك
قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم اية في انفسهم حتى
يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال لهم الله موتوا عقوبة لهم فماتوا
جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فاتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم
فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا
في مبلغ عددهم فقال عطاء الخراساني كانوا ثلثة الاف وقال وهب اربعة الاف وقال مقاتل
والكلبي ثمانية الاف وقال ابو روق عشرة الاف وقال السدي بضعة وثلثين الفا وقال ابن جريج
اربعين الفا وقال عطاء بن رباح سبعون الفا واولى الاقاويل قول من قال كانوا زيادة
على عشرة الاف لان الله تعالى قال وهم الوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل الاف ولا يقال
لما دون عشرة الاف الوف قالوا فاتى على ذلك مدة وقد بليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر
عليهم نبي يقال له حزقيل بن بوذى ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام وذلك ان القيم
بامر بني اسرائيل كان بعد موسى يوشع بن نون ثم كالب بن يوفنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن
العجوز لان امه كانت عجوزا فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله لها قال الحسن
ومقاتل هو ذو الكفل وسمي حزقيل ذا الكفل لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل
على اولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجبا فاوحى الله تعالى اليه تريد ان اريك اية قال
نعم فاحياهم الله وقيل دعا حزقيل ربه ان يحييهم فاحياهم وقال مقاتل والكلبي هم كانوا قوم
حزقيل احياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى
فبكى وقال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت
وحيدا لا قوم لي فاوحى الله اليه اني جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا
قال مجاهد انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم وعاشوا
دهرا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لاجالهم التي
كتبت لهم قال ابن عباس فانها لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة
مقتهم الله على فرارهم من الموت فاماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم ليتوفوا مدة اجالهم ولو جاءت اجالهم ما

بعثوا فذلك قوله تعالى الم تر اي الم تعلم باخبار اياك وهو من رؤية القلب قال اهل المعاني هو تعجيب يقول
هل رأيت مثلهم كما تقول الم تر الى ما يصنع فلان وكل ما في القرآن الم تر ولم يعاينه النبي صلعم فهذا
وجهه الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف جمع الف وقيل مؤلفة قلوبهم جمع آلف مثل قاعد
وقعود والصحيح ان المراد منه العدد حذر الموت اي من خوف الموت فقال لهم الله موتوا امر تحويل
كقوله تعالى كونوا قردة ثم احياهم بعد موتهم ان الله لذو فضل على الناس قيل هو على العموم في حق الكافة
في الدنيا وقيل هو على الخصوص في حق المؤمنين ولكن اكثر الناس لا يشكرون اما الكفار فلم يشكروا
واما المؤمنون لم يبلغوا غاية شكره وقاتلوا في سبيل الله اي في طاعة الله اعداء الله واعلموا ان الله
سميع عليم قال اكثر اهل التفسير هذا خطاب للذين احيوا امروا بالقتال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم
فرارا من الجهاد فاماتهم الله ثم احياهم وامرهم ان يجاهدوا وقيل هو خطاب لهذه الامة امرهم
بالجهاد من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله
تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما اعد لهم من الثواب قرضا لانهم يعملونه لطلب ثوابه قال الكسائي القرض
ما اسلفت من عمل صالح او سيء واصل القرض في اللغة القطع سمي به القرض لانه يقطع من ماله شيئا يعطيه
ليرجع اليه مثله وقيل في الاية اختصار مجازه من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه كقوله
تعالى ان الذين يؤذون الله اي عباد الله كما جاء في الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان الله
يقول يوم القيمة ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين
قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي قوله يقرض الله
اي ينفق في طاعة الله قرضا حسنا قال الحسين بن علي الواقدي يعني محتسبا طيبة بها نفسه وقال ابن
المبارك من مال حلال وقيل لا يمن به ولا يؤذي فيضاعفه له قرأ ابن كثير وابو جعفر وابن عامر
ويعقوب فيضعّفه وبابه بالتشديد ووافق ابو عمرو في سورة الاحزاب وقرأ الاخرون فيضاعفه بالالف
مخففا وهما لغتان ودليل التشديد قوله اضعافا كثيرة لان التشديد للتكثير وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب
بنصب الفاء وكذلك في سورة الحديد على جواب الاستفهام وقيل باضمار ان وقرأ الاخرون برفع الفاء نسقا
على قوله يقرض اضعافا كثيرة قال السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله عز وجل وقيل سبعمائة ضعف
والله يقبض ويبسط قرأ اهل البصرة وحمزة يبسط ههنا وفي الاعراف بسطة بالسين كنظائرهما
وقرأ الآخرون بالصاد قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير ويبسط بالتوسيع وقيل يقبض
بقبول الصدقة ويبسط بالخلف والثواب وقيل هو الاحياء والاماتة فمن اماته فقد قبضه ومن مد له
في عمره فقد بسط له وقيل هذا في القلوب لما امرهم الله بالصدقة اخبر انه لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه قال

يقبض بعض القلوب فلا تنشط للخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيرا كما جاء فى الحديث القلوب بين
اصبعين من اصابع الله يقلبها واليه ترجعون اى الى الله تعودون فيجزيكم باعمالكم وقال
قتادة الهاء راجعة الى التراب كناية عن غير مذكور اى من التراب خلقتم واليه تعودون الم تر
الى الملأ من بنى اسرائيل والملأ من القوم وجوههم واشرافهم واصل الملأ الجماعة من الناس
لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والابل والخيل والجيش جمعه املاء من بعد موسى اى من بعد
موت موسى اذ قالوا لنبى لهم واختلفوا فى ذلك النبى فقال قتادة هو يوشع بن نون بن افرائيم
ابن يوسف وقال السدى اسمه شمعون وانما سمى شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها غلاما
فاستجاب الله دعاءها فولدت غلاما فسمته شمعون تقول سمع الله دعائى والسين تصير شينا
بالعبرانية وهو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب وقال سائر المفسرين
هو اشمويل وهو بالعربية اسمعيل بن بال بن علقمة وقال مقاتل هو من نسل هرون وقال
مجاهد هو اشمويل بن هلقانا قال وهب وابن اسحق والكلبى وغيرهم كان سبب مسئلتهم اياه
ذلك انه لما مات موسى خلف بعده فى بنى اسرائيل يوشع يقيم فيهم التورية وامر الله حتى قبضه
الله ثم خلف فيهم كالب كذلك حتى قبضه الله ثم حزقيل حتى قبضه الله ثم عظمت الاحداث فى بنى
اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله
وكانت الانبياء من بنى اسرائيل بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التورية ثم خلف
بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله وخلفت فيهم الخلوف وعظمت الخطايا فظهر لهم
عدو يقال لهم البلثاثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر و
فلسطين وهم العمالقة فظهروا على بنى اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم
واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقى بنو
اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبى يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق
منهم الا امرأة حبلى فحبسوها فى بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة
بنى اسرائيل فى ولدها وجعلت المرأة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل
تقول سمع الله دعائى فكبر الغلام فاسلمته ليتعلم التورية فى بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم
وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه جبرائيل وهو نائم الى جنب الشيخ وكان لا يأمن عليه احدا فدعاه
بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ فقال يا ابتاه دعوتنى فكره الشيخ ان يقول لا
فيفزع الغلام فقال يا بنى ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام

دعوتنى فقال ارجع فنم فان دعوتك الثالثة فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبرائيل فقال له
اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا
استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله آية
من نبوتك وانما كان قوام امر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم فكان
الملك هو الذى يسير بالجموع والنبى يقيم له امره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه وقال وهب
بعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا
لاشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك قال لهم هل
عسيتم استفهام شك يقول لعلكم وقرأ نافع عسيتم بكسر السين كل القرآن وقرأ الباقون بالفتح وهى
اللغة الفصيحة بدليل قوله عسى ربكم ان كتب فرض عليكم القتال مع ذلك الملك الا تقاتلوا اى
ان لا تقاتلوا اى ما تقولون ولا تقاتلوا معه قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله فان قيل ما وجه دخول
ان فى هذا الموضع والعرب لا تقول ما لك ان لا تفعل وانما يقال ما لك لا تفعل قيل دخول ان وحذفها
لغتان صحيحتان فالاثبات قوله ما لك ان لا تكون مع الساجدين والحذف قوله وما لكم لا تؤمنون
بالله وقال الكسائى معناه وما لنا فى ان لا نقاتل فحذف فى وقال الفراء ما يمنعنا ان نقاتل فى سبيل الله
كقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقال الاخفش ان ههنا زائدة معناه وما لنا لا نقاتل وقد اخرجنا من
ديارنا وابنائنا اى اخرج من غلب عليهم من ديارهم ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان
الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله كانوا فى ديارهم واوطانهم وانما اخرج من اسر
منهم ومعنى الاية انهم قالوا مجيبين لنبيهم انا كنا نزهد فى الجهاد اذ كنا ممنوعين فى بلادنا
لا يظهر علينا عدو فاما اذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا فى الجهاد ونمنع نساءنا واولادنا قال
الله تعالى فلما كتب عليهم القتال تولوا اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله الا قليلا منهم
وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سياتى ان شاء الله والله عليم
بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وذلك ان اشمويل سال الله تعالى ان
يبعث لهم ملكا فاتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا يكون طوله
طول هذه العصا وانظر القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى
فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به راسه وملكه عليهم وكان طالوت واسمه بالعبرانية شاول
بن قيس من اولاد بنيامين بن يعقوب سمى طالوت لطوله وكان اطول من كل احد براسه

وملكه وكان رجلا دباغا يعمل الأديم قاله وهب وقال السدي كان سقا يسقي على حمار له من النيل
فضل حماره فخرج في طلبه وقيل كان خربندجا وقال وهب بل ضلت حمر لأبي طالوت فارسله وغلاما له
في طلبها فمرا ببيت اشمويل فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن امر الحمر ليرشدنا
ويدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شأن الحمر اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل
فقاس طالوت بالعصا وكان على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه فدهنه بدهن القدس
ثم قال له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله تعالى ان املكه عليهم فقال له طالوت اما علمت ان سبطي
أدنى أسباط بني اسرائيل وبيتي ادنى بيوت بني اسرائيل فقال بلى قال فبأي آية قال بآية انك ترجع
وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى من اين
يكون له الملك علينا ونحن احق اولى بالملك منه وانما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة
وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون وسبط المملكة
يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من سبط بنيامين
ابن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع
الملك والنبوة عنهم وكانوا يسمون سبط الاثم فلما قال لهم نبيهم ذلك انكروا لانه لم يكن من سبط الملك
ومع ذلك قالوا هو فقير ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه اختاره عليكم وزاده
بسطة فضيلة وسعة في العلم وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل في وقته وقيل انه اتاه الوحي حين
اوتي الملك وقال الكلبي وزاده بسطة في العلم بالحرب والجسم بالطول وقيل والجسم بالجمال وكان
طالوت اجمل رجل في بني اسرائيل واعلمهم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم قيل الواسع ذو
السعة وهو الذي يعطي عن غنى والعليم العالم بما كان والعليم بما يكون فقالوا له فما آية ملكه وقال
لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت وكانت قصة التابوت ان الله تعالى انزل تابوتا على
آدم فيه صور الانبياء وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فكان عند
آدم الى ان مات ثم بعد ذلك عند شيث ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ ابرهيم ثم كان عند
اسمعيل لانه كان اكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى وكان موسى يضع
فيه التورية ومتاعا من متاعه فكان عنده الى ان مات ثم تداولته انبياء بني اسرائيل الى وقت اشمويل
وكان فيه ما ذكر الله تعالى فيه سكينة من ربكم واختلفوا في السكينة ما هي قال علي بن ابي طالب هي
ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان وعن مجاهد شيء يشبه الهرة له رأس

كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان
من زمرد وزبرجد فكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصر وكانوا اذا خرجوا وضعوا التابوت
قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وعن ابن عباس قال هي طست من ذهب من
الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء وعن وهب بن منبه قال هي روح من الله يتكلم اذا اختلفوا في شيء تخبرهم
ببيان ما يريدون وقال عطاء بن ابي رباح هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون اليها وقال
قتادة والكلبي السكينة فعيلة اي طمأنينة من ربكم ففي اي مكان كان التابوت اطمأنوا اليه وسكنوا
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون يعني موسى وهرون نفسهما كان فيه لوحان من التوراة ورضاض
الالواح التي تكسرت وكان فيه عصا موسى ونعلاه وعمامة هرون وعصاه وقفيز من المن
الذي كان ينزل على بني اسرائيل وكان التابوت عند بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم
وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وفسدوا
سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وكان السبب في ذلك انه كان لعيلي الذي ربى اشمويل ابنان
شابان وكان عيلي حبرهم وصاحب قربانهم فاحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك انه كان
لمسوط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فما اخرجا كان للكاهن الذي يسوطه فجعل ابناه
كلاليب وكان النساء يصلين في القدس فيتشبثان بهن فاوحى الله الى اشمويل انطلق الى عيلي
فقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك ان يحدثا في قرباني وقدسي وان يعصياني
فلانزعن منك الكهانة ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبر اشمويل عيلي بذلك ففزع
فزعا شديدا فسار اليهم عدو من حولهم فامر ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا
واخرجا معهما التابوت فلما تهيئوا للقتال جعل عيلي يتوقع الخبر فجاءه رجل وهو قاعد على كر
سيه قال ان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل التابوت قال ذهب به العدو
فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات فمرج امر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله طا
لوت ملكا فسألوه البينة فقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت وكانت قصة التا
بوت ان الذين سبوا التابوت اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود وجعلوه في بيت
صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه
وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه واصبح ملقى تحت
التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوه من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم

فاخذه اهل تلك الناحية وجعلوه في اعتاقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان
اله بني اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه من مدينتكم فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله الى اهل تلك
القرية فارا تبيت الفارة مع الرجل فيصبح ميتا قد اكلت ما في جوفه فاخرجوه الى الصحراء فدفنوه
في مخراة لهم وكان كلما تبرز هناك احد اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فقالت لهم امراة كانت
عندهم من سبي بني اسرائيل من اولاد الانبياء لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت
فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المراة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين
وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما فاقبلا حتى
وقفا على ارض بني اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت في ارض فيها حصاد
بني اسرائيل ورجعا الى ارضهما فلم يرع بني اسرائيل الا بالتابوت فكبروا وحمدوا الله فذلك قوله تعالى
تحمله الملائكة اي تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض
وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي
طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يو
شع بن نون فبقي هناك فحملته الملائكة حتى وضعته في دار طالوت فاقروا بملكه ان في ذلك لاية
لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى في بحيرة الطبرية وانهما يخرجان
قبل يوم القيامة فلما فصل طالوت بالجنود اي خرج بهم واصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شا
خصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون الف مقاتل وقيل ثمانون الفا
لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه او مريض لمرضه او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت
لم يشكوا في النصر فتسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي في كل ما ارى لا يخرج معي رجل
بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة يشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج
امراة ولم يبن بها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع ثمانون الفا ممن شرط
وكان في حر شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع
الله ان يجري لنا نهرا قال طالوت ان الله مبتليكم مختبركم ليرى طاعتكم وهو اعلم بنهر قال ابن
عباس والسدي هو نهر فلسطين وقال قتادة نهر بين الاردن وفلسطين عذب
فمن شرب منه فليس مني اي من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه لم يشربه فانه مني الا من
اغترف غرفة بيده قرا اهل الحجاز وابو عمرو غرفة بفتح الغين وقرا الاخرون بضم الغين

وهما لغتان قال الكسائي الغرفة بالضم الذي يحصل بالكف من الماء اذا اغترف والغرفة بالفتح
الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر فشربوا منه الا قليلا منهم نصب على الاستثناء واختلفوا
في القليل الذين لم يشربوا فقال السدي كان اربعة الاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضعة عشر
وهو الصحيح وعن البراء قال كنا اصحاب محمد صلعم نتحدث ان عدة اصحاب بدر على عدة
اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة
ويروى ثلثمائة وثلثة عشر فلما وصلوا الى النهر وقد القي عليهم العطش فشرب منه الكل
الا هذا العدد القليل فمن اغترف غرفة كما امره الله قوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما
وكفته الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا امر الله اسودت شفا
ههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا على لقاء العدو فلم يجاوزوه ولم
يشهدوا الفتح وقيل كلهم جاوزوا ولكن لم يحضر القتال الا القليل الذين لم يشربوا فلما جاوزه
يعني النهر هو يعني طالوت والذين امنوا معه يعني القليل قالوا يعني الذين شربوا وخالفوا
امر الله وكانوا اهل شك ونفاق لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال ابن عباس
والسدي فانحرفوا ولم يجاوزوا قال الذين يظنون يستيقنون انهم ملاقوا الله وهم الذين
ثبتوا مع طالوت كم من فئة جماعة وهي جمع لا واحد له من لفظه وجمعها فئات وفئون في الرفع
وفئين في النصب والخفض قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بقضائه وارادته والله مع
الصابرين بالنصرة والمعونة ولما برزوا يعني طالوت وجنوده المؤمنين لجالوت وجنوده
المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى قالوا ربنا افرغ
انزل واصبب علينا صبرا وثبت اقدامنا قوّ قلوبنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزمو
هم باذن الله وقتل داود جالوت وصفة قتله قال اهل التفسير عبر النهر مع طالوت فيمن عبر
ايشا ابو داود في ثلثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان يرمي بالقذافة وقال لابيه يوما
يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيئا الا صرعته فقال ابشر يا بني فان الله جعل رزقك في قذافتك ثم
اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته فاخذت باذ
نيه فلم يهجني فقال ابشر يا بني فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه يوما اخر فقال يا ابتاه اني
لامشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا سبح معي فقال ابشر فان هذا خير اعطاكه الله فارسل
جالوت الى طالوت ان ابرز لي او ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي

وهو داود بن ايشا بن عوبد بن سلمون بن نحشون بن عميناذب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلوة والسلام

ملكهم ففشا ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس
جالوت فلم يجبه احد فسأل طالوت نبيهم ان يدعو فدعا الله في ذلك فاتي بقرن فيه دهن القدس
وتنور من حديد وقيل ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على راسه فيغلي الد
هن حتى يدهن منه راسه ولا يسيل على وجهه ويكون على راسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملاه
لا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل فجربهم فلم يوافقه منهم احد فاوحى الله الى نبيهم ان في ولد
ايشا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت ايشا فقال اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا
امثال السواري فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئا فقال هل بقي لك ولد غيرهم فقال لا فقال النبي يا رب
انه زعم ان لا ولد له غيرهم فقال كذب فقال النبي ان ربي كذبك فقال صدق الله يا نبي الله ان لي ابنا
صغيرا يقال له داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها وهو
في شعب كذا وكان داود رجلا قصيرا مسقاما مصفارا ازرق اصغر فدعاه طالوت ويقال
بل خرج طالوت اليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التي كان يريح اليها فوجده يحمل
شاتين شاتين يجيز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما راه قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم
البهائم فهو بالناس ارحم فدعاه ووضع القرن على راسه ففاض واجلسه في التنور فملاه
فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتي واجري خاتمك في ملكي قال نعم
وهل آنست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله قال نعم انا ارعى الغنم فيجيء الاسد او النمر او
الذئب فياخذ شاة فاقوم اليه فافتح لحييه عنها واخرقهما الى قفاه فرده الى عسكره فمر داود
في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا فحمله
في مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجر موسى الذي قتل بي ملك كذا فحمله في مخلا
ته ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجرك الذي تقتل بي جالوت وقد خبأني الله لك فوضعه في مخلا
ته فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة انتدب له داود فاعطاه طالوت
فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس فسار قريبا ثم انصرف الى الملك فقال من حوله
جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال ما شأنك فقال ان الله ان لم ينصرني لم يغن عني هذا السلا
ح شيئا فدعني اقاتل كما اريد قال نعم فاخذ داود مخلاته فتقلدها واخذ المقلاع ومضى
نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم كان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة
فيها ثلثمائة رطل حديد فلما نظر الى داود القي في قلبه الرعب فقال انت تبرز لي قال نعم وكان

اي خوف

جالوت على فرس ابلق عليه السلاح قال فاتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب قال نعم انت
شر من الكلب قال لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود او يقسم
الله لحمك فقال داود باسم اله ابراهيم واخرج حجرا ثم اخرج الآخر باسم اله اسحق ووضعه
في مقلاعه ثم اخرج الثالث وقال باسم اله يعقوب ووضعه في مقلاعه فصارت الاحجار كلها
حجرا واحدا وادار داود المقلاع ورمى فسخر الله له الريح حتى اصاب الحجر انف البيضة فخالط بين
~~يدي طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا~~ دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلثين رجلا
وهزم الله تعالى الجيش وخر جالوت قتيلا فاخذه يجره حتى القاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون
فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين والناس يذكرون داود فجاء داود طالوت
وقال انجز لي ما وعدتني فقال اتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت علي صداقا
وليس لي شيء قال لا اكلفك الا ما تطيق انت رجل جريء وفي جبالنا اعداء لنا غلف فاذا قتلت
منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما قتل منهم رجلا نظم
غلفته في خيط حتى نظم غلفهم فجاء بها الى طالوت فالقى اليه وقال ادفع الي امرأتي فزوجه
ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد
قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فقالت لداود انك مقتول الليلة
قال ومن يقتلني قالت ابي قال وهل اجرمت جرما قالت حدثني من لا يكذب فلا
عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان اراد ذلك ما استطيع خروجا
ولكن ائتيني بزق خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير فدخل
طالوت نصف الليل فقال لها اين بعلك قالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف
ضربة فسال الخمر فلما وجد ريح الشراب قال يرحم الله داود ما كان اكثر شربه للخمر وخرج
فلما اصبح علم انه لم يفعل شيئا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ان لا يدعني حتى يد
رك مني ثاره فاشتد حجابه وحراسه واغلق دونه ابوابه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدأت
العيون فاعمى الله سبحانه الحجبة وفتح له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع
سهما عند راسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت
بصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف
عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما انا بالذي آمنه فلما كان في الليلة القابلة اتاه ثانيا

اي ضعفت بسبب النوم

وأتى الله الحي به فدخل عليه وهو نائم فأخذ ابريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان
يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما اصبح طالوت
ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد
داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله فركض على اثره فاشتد داود وكان اذا فزع لم يدرك
فدخل غارا فاوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء
العنكبوت قال لو كان دخل ههنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى وانطلق داود واتى الجبل
مع المتعبدين فتعبد فيه وطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت
لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله واغرى بقتل العلماء فلم يكن يقدر على عالم في بني اسرائيل
يطيق قتله الا قتله حتى اتي بامرأة تعلم اسم الله الاعظم فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز
وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل واقبل على
البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادي انشد الله عبدا يعلم
ان لي توبة الا اخبرني بها فلما اكثر عليهم ناداه مناد من القبور يا طالوت اما ترضى ان
قتلتنا حتى تؤذينا امواتا فازداد بكاء وحزنا فرحمه الخباز فقال مالك ايها الملك
فقال تعلم هل لي في الارض عالما اسأله هل لي من توبة فقال الخباز انما مثلك مثل ملك نزل قرية
عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في القرية ديكا الا ذبحتموه فلما اراد ان ينام قال
لاصحابه اذا صاح الديك فايقظونا حتى نرتحل فقالوا وهل تركت ديكا يسمع صوته وانت هل
تركت عالما في الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال ارأيتك ان دللتك على عالم
لعلك ان تقتله قال لا فتوثق عليه الخباز فاخبره ان المرأة العالمة عنده قال انطلق بي اليها
اسألها هل لي من توبة وكان انما يعلم ذلك الاسم اهل بيت اذا فنيت رجالهم علمت نساؤهم
فلما بلغ طالوت الباب قال الخباز انها اذا رأتك فزعت فخلفه خلفه ثم دخل عليها فقال لها الست
اعظم الناس منة عليك انجيتك من القتل وآويتك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة هذا طالوت
يسأل هل له من توبة فغشي عليها من الفرق فقال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة قالت
لا والله لا اعلم لطالوت توبة ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي فانطلق بها الى قبر اشمويل فصلت ودعت
الله عز وجل ثم نادت صاحب القبر فخرج اشمويل من القبر ينفض رأسه من التراب فلما نظر اليهم
ثلاثتهم قال ما لكم اقامت القيامة قالت لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة قال اشمويل

المرأة والخباز
وطالوت

يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم ادع من الشر شيئا الا فعلته وجئت اطلب التوبة قال كم لك من
الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة الا ان تتخلى من ملكك وتخرج انت وولدك في سبيل الله ثم
تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل آخرهم ثم رجع اشمويل الى القبر وسقط ميتا
ورجع طالوت احزن ما كان رهبة ان لا يتابعه ولده وقد بكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه
فدخل عليه اولاده فقال لهم ارأيتم لو دفعت الى النار هل كنتم تفدوني قالوا بلى نفديك بما قدرنا
عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما اقول لكم قالوا فاعرض علينا فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول
قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سألت فتجهز بماله وولده فتقدم ولده
وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد هو بعدهم حتى قتل فجاء قاتله الى داود ليبشره وقال
قتلت عدوك فقال داود ما انت بالذي تحيى بعده فضرب عنقه فكان ملك طالوت من اوله الى ان
قتل اربعين سنة واتى بنو اسرائيل بداود واعطوه خزائن طالوت وملكوه على انفسهم قال الضحاك
والكلبي ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله
تعالى وآتاه الله الملك والحكمة يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن من قبل بل كان
الملك في سبط والنبوة في سبط وقيل الملك والحكمة هو العلم مع العمل وعلمه مما يشاء قال الكلبي وغيره يعني
صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل منطق الطير وكلام
الحكل والنمل وقيل هو الزبور وقيل الصوت الطيب والالحان فلم يعط الله احدا من خلقه مثل صوته
انه كان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى تؤخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة ويركد الماء الجاري
وتسكن الريح وروى الضحاك عن ابن عباس رضوان الله عليه اعطاه سلسلة موصولة
بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة
بالجواهر مدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهوا حدث الا صلصلت السلسلة فعلم
داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن
تعدى على صاحبه او انكر له حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا محقا مد يده الى السلسلة فينالها
ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخديعة فبلغنا ان بعض ملوكها اودع
رجلا جوهرة ثمينة فلما استردها انكر فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازه
فنقرها وضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضروا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد علي الوديعة
فقال صاحبه ما اعرف لك عندي من وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده فقيل

الالحان جمع لحن وهو التطريب وترجيع الصوت وتحسين القراءة

للمنكر فمه انت فتنا وليها فقال لصاحب الجوهرة خذ حكاز في هذه فاخفظها حتى اتتنا ول السلسلة فا
خذها فقال الرجل اللهم ان كنت تعلم ان هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فتقرب مني السلسلة
فمد يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها واصبحوا وقد رفع الله السلسلة • ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض • قرأ اهل المدينة ويعقوب دفاع الله بالالف هاهنا وفي سورة الحج وقرأ الاخرون
بغير الف لان الله تعالى لا يغالبه احد وهو الدافع وحده ومن قرأ بالالف قال قد يكون الدفاع من
واحد مثل قول العرب احسن الله عنك الدفاع قال ابن عباس ومجاهد ولولا دفع الله بجنود المسلمين
لغلب المشركون على الارض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقال سائر المفسرين لولا دفع الله
بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار لهلكت الارض بمن فيها ولكن الله تعالى يدفع بالمؤمن عن الكافر
وبالصالح عن الفاجر وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلعم ان الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة
اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ابن عمر ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض • لفسدت الارض
ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله • اي كلمه الله يعني موسى عم • ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلعم
قال شيخنا الامام وما اوتي نبي آية الا اوتي نبينا مثل تلك الاية وفضل على غيره بآيات مثل
انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع على مفارقته وتسليم الحجر والشجر وكلام البهائم والشهادة
برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من المعجزات والايات التي لا تحصى واظهرها القرآن
الذي عجز اهل السماء والارض عن الاتيان بمثله وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ما من نبي
من الانبياء الا وقد اعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه
الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلعم قال اعطيت
خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما
رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة
وكان النبي صلعم يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلعم قال فضلت على الانبياء بست اوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون • وآتينا عيسى ابن مريم
البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل
• من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن • ثبت على ايمانه بفضل الله ومنهم من كفر

اي الذين
جاؤا بعد الرسل

تاكيدا • ولكن الله يفعل ما يريد • يوفق من يشاء ...
... ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين
... قال بحر عميق لا تلجه فاعاد السوال
... رزقناكم • قال السدي اراد به
... يوم لا بيع فيه •
اذن الله

... بة
... لمت
... رقت
... نفعتك
... ل
... ال اما
... رفعتك الى رسول
... كلمات ينفعك الله بها
... هو الحي القيوم حتى تختم الاية
... ليت سبيله فاصبحت فقال لي
... يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت
الكرسي من اولها حتى تختم الاية
... الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح

يخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا اعاده تاكيدا ولكن الله يفعل ما يريد يوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا سال رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه فاعاد السوال قال بحر عميق لا تلجه فاعاد السوال قال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم قال السدي اراد به الزكوة المفروضة وقال غيره اراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه اي لا فداء فيه سماه بيعا لان الفداء شراء نفسه ولا خلة اي لا صداقة ولا شفاعة الا باذن الله وقرا ابن كثير واهل البصرة كلها بالنصب وكذلك في سورة ابرهيم لا بيع فيه ولا خلال وفي سورة الطور لا لغو فيها ولا تاثيم وقرا الاخرون كلها بالرفع والتنوين والكافرون هم الظالمون لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها الله لا اله الا هو الحي القيوم عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلعم ابا المنذر اي اية من كتاب الله اعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم قال فضرب في صدري ثم قال ليهنك العلم ثم قال والذي نفس محمد بيده ان لهذه الاية لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش وعن ابي هريرة قال وكلني رسول الله صلعم بحفظ زكوة رمضان فاتاني ات فجعل يحثو من الطعام فاخذته وقلت لارفعنك الى رسول الله صلعم قال اني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فاصبحت فقال النبي صلعم يا ابا هريرة ما فعل اسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكى حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما انه قد كذبك وسيعود فعرفت انه سيعود لقول رسول الله صلعم انه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فاخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلعم قال دعني فاني محتاج وعلي عيال لا اعود فرحمته فخليت سبيله فاصبحت فقال لي رسول صلعم يا ابا هريرة ما فعل اسيرك قلت يا رسول الله شكى حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما انه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فاخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلعم وهذا اخر ثلث مرات انك تزعم لا تعود قال دعني اعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هي قال اذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى تختم الاية فانك لن يزال من الله عليك حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فاصبحت فقال لي رسول الله صلعم ما فعل اسيرك البارحة قلت يا رسول الله زعم انه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي قلت قال لي اذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي من اولها حتى تختم الاية الله لا اله الا هو الحي القيوم وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح

للمنكرين انت فتنا وليها فقال لصاحب الجوهرة خذ ...
خذها فقال الرجل اللهم ان كنت تعلم ان ...
محمد بيده فتنا وليها فتعجب القوم و ...
بعضهم ببعض قرا اهل ...
بغير الياء لان ...
واحد ...

... تم بعضهم
رجل من امتي اذ ...
الا وكان النبي صلعم يبعث الى
صلعم قال فضلت على الانبياء
لي الارض مسجدا وطهورا واز
البينات وايدناه بروح القدس
من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا

اي الذين بعد الرجل

وكانوا احرص شيء على الخير فقال النبي صلعم اما انه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ
ثلث ليال يا ابا هريرة قلت لا قال ذاك شيطان وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم من قرا
حين يصبح آية الكرسي وآيتين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ في يومه ذلك
حتى يمسي فان قراهما حين يمسي حفظ في ليلته تلك حتى يصبح قوله الله الها رفع بالابتداء وخبره
لا اله الا هو الحي الباقي الدائم على الابد وهو من له الحيوة والحياة صفة الله تعالى القيوم وقرا
عمرو بن مسعود القيام وقرا علقمة القيم وكلها لغات بمعنى واحد قال مجاهد القيوم القائم
على كل شيء قال الكلبي القائم على كل نفس بما كسبت وقيل هو القائم بالامور وقال ابو عبيدة الذي لا يزال
لا تاخذه سنة ولا نوم السنة النعاس وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم و
واليقظان يقال منه وسن يوسن وسنا وسنة والنوم هو الثقيل المزيل للقوة والعقل وقال
المفضل الضبي السنة في الراس والنوم في القلب فالسنة اول النوم وهو النعاس في الراس و
والنعاس في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء نفى
الله تعالى عن نفسه النوم لانه آفة وهو منزه عن الآفات ولانه تغير ولا يجوز عليه التغير وعن
ابي موسى قال قام فينا رسول الله صلعم بخمس كلمات فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ولكنه يخفض
القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه
لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وروى المسعودي عن عمرو بن مرة وقال
حجابه النار له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه بامره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قال مجاهد وعطاء والسدي ما بين ايديهم
من امر الدنيا وما خلفهم من امر الآخرة وقال الكلبي ما بين ايديهم يعني الآخرة لانهم يقدمون
عليها وما خلفهم من الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن جريج ما بين ايديهم ما مضى
امامهم وما خلفهم ما يكون بعدهم وقال مقاتل ما بين ايديهم ما كان قبل خلق الملائكة وما
خلفهم اي ما كان بعد خلقهم وقيل ما بين ايديهم ما قدموه من خير وشر وما خلفهم ما هم فاعلوه
ولا يحيطون بشيء من علمه اي من علمه الا بما شاء ان يطلعهم عليه يعني لا يحيطون بشيء من علم
الغيب الا بما شاء مما اخبر به الرسل كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وسع
كرسيه السموات والارض اي ملا واحاط به واختلفوا في الكرسي قال الحسن هو العرش نفسه
وقال ابو هريرة الكرسي موضوع امام العرش ومعنى قوله وسع كرسيه السموات والارض اي سعته

مثل سعة السموات والارض وفي الاخبار ان السموات والارض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي
في جنب العرش كحلقة في فلاة ويروى عن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت
في ترس وقال علي ومقاتل كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والارضين وهو بين يدي
العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم تحت الصخرة التي تحت الارض
السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك على صورة سيد البشر آدم عم وهو يسال للآدميين الرزق
والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو يسال للانعام الرزق من السنة الى السنة
وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل وملك على صورة سيد السباع وهو الاسد يسال الرزق للسباع
من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسال للطير الرزق من السنة الى السنة وفي
بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور
غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة سنة لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش وروى سعيد
بن جبير عن ابن عباس قال اراد بالكرسي علمه وهو قول مجاهد ومنه قيل لصحيفة العلم كراسة ولا يؤ
ده اي لا يثقله ولا يشق عليه يقال آدني الشيء اي اثقلني حفظهما اي حفظ السموات والارض وهو العلي
الرفيع فوق خلقه والمتعالي عن الاشباه والانداد وقيل العلي بالملك والسلطنة العظيم الكبير الذي
لا شيء اعظم منه لا اكراه في الدين قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كانت المراة من الانصار
تكون مقلاة لا يعيش لها ولد فتنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش ولدها جعلته في
اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فارا
دت الانصار استردادهم وقالوا ابناؤنا واخواننا فنزلت لا اكراه في الدين فقال رسول الله
صلعم قد خير اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقال مجاهد كان
ناس مسترضعين في اليهود من الاوس فلما امر النبي صلعم باجلاء بني النضير قال الذين كانوا
مسترضعين فيهم لنذهبن معهم ولندينن بدينهم فمنعهم اهلوهم فنزلت لا اكراه في الدين وقال
مسروق كان لرجل من الانصار من بني سالم بن عوف ابنان تنصرا قبل مبعث النبي صلعم ثم قدما
المدينة في نفر من الانصار يحملون الطعام فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا
الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه
في الدين فخلى سبيلهما وقال قتادة وعطاء نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا الجزية وذلك ان العرب
كانت امة امية لم يكن لهم كتاب فلم يقبل منهم الا الاسلام فلما اسلموا طوعا او كرها انزل الله تعالى

لا اكراه في الدين فأمر بقتال اهل الكتاب الى ان يسلموا او يقروا بالجزية فمن اعطى منهم الجزية
لم يكره على الاسلام وقيل كان هذا في الابتداء قبل ان يؤمر بالقتال فصارت منسوخة بآية السيف
وهو قول ابن مسعود قد تبين الرشد من الغي اي الايمان من الكفر والحق من الباطل فمن يكفر
بالطاغوت يعني الشيطان وقيل ما عبد من دون الله وقيل كل ما يطغي الانسان فاعول من الطغيان
زيدت التاء فيه بدلا من لام الفعل كقولهم حانوت وتابوت فالتاء فيهما مبدلة من
هاء التأنيث ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى اي تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في
الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضاء الله عز وجل
لا انفصام لها لا انقطاع لها والله سميع عليم قيل سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم
بحرصك على ايمانهم الله ولي الذين آمنوا ناصرهم ومعينهم وقيل متولي امورهم لا يكلهم الى غيره
وقال الحسن ولي هداهم يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان قال الواقدي كل
ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه الكفر والايمان غير الذي في الانعام وجعل الظلمات
والنور فالمراد منه الليل والنهار سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت قال مقاتل يعني كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وسائر
رؤوس الضلالة يخرجونهم يدعونهم من النور الى الظلمات والطاغوت يكون مذكرا ومؤنثا
وواحدا وجمعا قال تعالى في المذكر والواحد يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به
وقال في المؤنث والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وقال في الجمع يخرجونهم من النور الى الظلمات
فان قيل كيف يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط قيل هم اليهود كانوا مؤمنين
بمحمد صلعم قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته فلما بعث كفروا به وقيل هو على العموم في حق جميع
الكفار وقالوا منعهم اياهم عن الدخول فيه اخراج كما يقول الرجل لابيه اخرجتني من مالك ولم يكن فيه
كما قال تعالى اخبارا عن يوسف عم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم يوسف
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه معناه هل انتهى اليك
خبر الذي حاج ابراهيم في ربه اي خاصمه وجادله وهو نمرود وهو اول من وضع التاج على راسه
وتجبر في الارض وادعى الربوبية ان آتاه الله الملك اي لان الله آتاه الملك فطغى اي كانت
تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران اما المؤمنان
فسليمان وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا في وقت هذه المحاظرة

قال مقاتل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذي تدعونا
اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وقال آخرون كان هذا بعد القائه في النار وذلك ان الناس قحطوا
على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه الرجل في طلب الطعام سأله
من ربك فان قال انت باع منه الطعام فأتاه ابراهيم فيمن اتاه فقال له نمرود من ربك قال
ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فاشتغل بالمحاجة ولم يعطه شيئا فرجع ابراهيم فمر على كثيب من رمل اعفر
فأخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله ووضع متاعه نام فقامت امرأته الى
متاعه ففتحته فاذا هو اجود طعام ما رآه احد فصنعت له منه فقربته اليه فلما انتبه قال من
اين هذا قالت من الطعام الذي جئت به فعرف ان الله رزقه فحمد الله تعالى اذ قال ابراهيم ربي الذي
يحيي ويميت هذا جواب عن سؤال غير مذكور تقديره قال له من ربك فقال ابراهيم ربي الذي يحيي
ويميت قرأ حمزة ربي الذي باسكان الياء وكذلك حرم ربي الفواحش وعن آياتي الذين يتكبرون
وقل لعبادي الذين وآتاني الكتاب ومسني الضر ومسني الشيطان وعبادي الصالحون وعبادي
الشكور وان ارادني الله ان اهلكني الله ارسل الياء فيهن حمزة ووافق ابن عامر والكسائي
في لعبادي الذين وابن عامر في آياتي الذين وفتحها الآخرون قال نمرود انا احيي واميت قرأ
اهل المدينة انا باثبات الالف والمد في الوصل اذا تلقتها الف مفتوحة او مضمومة والباقون
بحذف الالف ووقفوا جميعا بالالف قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيى الآخر
فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم الى حجة اخرى لا عجزا فان حجته كانت لازمة لانه اراد بالاحياء
احياء الميت فكان له ان يقول فاحي من امت ان كنت صادقا فانتقل الى حجة اخرى اوضح من
الاولى قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر اي
تحير ودهش وانقطعت حجته فان قيل كيف بهت وكان يمكنه ان يعارض ابراهيم فيقول
سل انت ربك حتى يأتي بها من المغرب قيل انما لم يقله لانه خاف ان لو سأل ذلك دعا ابراهيم ربه فكان
زيادة في فضيحته وانقطاعه والصحيح ان الله صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه او معجزة لابراهيم عم
والله لا يهدي القوم الظالمين او كالذي مر على قرية هذه معطوفة على الآية الاولى تقديره الم تر الى الذي
حاج ابراهيم او الى الذي مر على قرية وقيل تقديره هل رايت كالذي حاج ابراهيم في ربه وهل رايت كالذي
مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فقال قتادة وعكرمة والضحاك هو عزير بن شرخيا وقال وهب
بن منبه هو ارميا بن حلقيا وكان من سبط هرون وهو الخضر وقال مجاهد كافر شك في البعث
هو صح

وصلهم وابشر نحيء فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه
فقال له ارميا من انت قال انا الذي اتيتك استفتيك في شان اهلي فقال له ارميا اما طهرت
اخلاقهم بعد قال يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما اعلم كرامة ياتيها احد من الناس الى
اهل رحمه الا قد اتيتها اليهم وافضل فقال له النبي ارجع الى اهلك فاحسن اليهم اسال الله الذي
يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما وقد نزل بخت نصر وجنوده حول
بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارميا يا نبي الله اين ما وعدك
الله قال اني بربي واثق ثم اقبل الملك الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر
بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت فقال انا الذي اتيتك في شان اهلي مرتين
فقال له النبي الم يان لهم ان يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك يا نبي الله كل شيء كان يصيبني منهم
قبل اليوم كنت اصبر عليه فاليوم رايتهم في عمل لا يرضي الله فقال النبي على اي عمل رايتهم قال على عمل عظيم
من سخط الله فغضبت لله ولك واتيتك لاخبرك واني اسالك بالله الذي بعثك بالحق الا ما دعوت
الله عليهم ليهلكهم فقال ارميا يا ملك السماوات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان
كانوا على سخطك وما لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من في ارميا ارسل الله صاعقة من السماء في
بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسفت سبعة ابواب من ابوابها فلما راى ذلك ارميا
صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال يا ملك السماوات والارض اين ميعادك الذي
وعدتني فنودي انهم لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن النبي انها فتياه وان
ذلك السائل كان رسول ربه فطار ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر وجنوده بيت
المقدس ووطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس ثم امر جنوده ان
يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤوه ثم امرهم ان يجمعوا
من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده صغيرهم وكبيرهم من بني اسرائيل فاختار منهم
سبعين الف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمة وكان من
اولئك الغلمة دانيال وحنانيا وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فقتل ثلثا منهم وثلثا
سبى وثلثا اقر بالشام فكانت هذه الوقعة الاولى التي انزلها الله ببني اسرائيل بظلمهم فلما
ولى عنهم بخت نصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل اقبل ارميا على حمار له معه عصير عنب
في ركوة وسلة تين حتى غشي ايليا فلما وقف عليها وراى خرابها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها

واختلفوا في تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقتادة هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الارض التي
اهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت
المقدس • وهي خاوية • ساقطة يقال خوى البيت بكسر الواو يخوى خوى مقصورا اذا سقط وخوى
البيت بالفتح خواء ممدودا اذا خلا • على عروشها • سقوفها واحدها عرش وكل بناء عرش ومعناه
ان السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها • قال انى يحيي هذه الله بعد موتها • وكان السبب
في ذلك على ما روى محمد بن اسحق عن وهب بن منبه ان الله بعث ارميا الى ناشية بن اموص الملك
بني اسرائيل ليسدده في ملكه وياتيه بالخبر من الله عز وجل فعظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا
المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمي وعرفهم احداثهم وادعهم الي فقال ارميا
اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني قال الله تعالى انا الهمك فقام
ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة
وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله تعالى واني احلف بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها
الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل
سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث اهل بابل وهم
من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه فلما
سمع الله تضرعه وبكاءه ناداه يا ارميا اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكني
قبل ان ارى في بني اسرائيل ما لا اسر به فقال الله عز وجل وعزتي لا اهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر
في ذلك من قبلك ففرح بذلك ارميا وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى بالحق لا ارضى
بهلاك بني اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا
ربنا فبذنوب كثيرة وان عفا عنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا
الا معصية وتماديا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم
يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر فخرج في ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائرا
اتى الخبر الملك فقال لارميا اين ما زعمت ان الله اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد
وانا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله الى ارميا ملكا قد تمثل له رجلا من بني اسرائيل فقال له
ارميا من انت قال انا رجل من بني اسرائيل اتيتك استفتيك في اهل رحمي وصلت ارحامهم
اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامي اياهم الا اسخاطا لي فافتني فيهم فقال احسن فيما بينك وبين الله

وقال الكلبي قال ان ارميا كان عزيرا او بخت نصر لما خرب بيت المقدس واقدم سبي بني اسرا
ببابل كان فيهم عزير ودانيال وسبعة الاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على
حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها حامل فاكل من
الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما راى خراب
القرية وهلاك اهلها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها قالها تعجبا لا شكا في البعث رجعنا الى
وكلب قال ثم ربط اي حماره بحبل جديد فالقى الله عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح
مائة عام وامات حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى و
الله السباع والطير لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة ارسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس
يقال له نوشك فقال ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود
احسن ما كان فانتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونه
واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت ببابل
وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيه وعمروها ثلثين سنة وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا
عليه فلما مضت المائة احيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى
حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح فسمع صوتا من السماء ايتها العظام البالية ان الله يامرك
ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نودي ان الله يامرك ان تكتسي
لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله يامرك ان تحيي فقام باذن الله ونهق وعمر الله ا
حيا فهو الذي يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى فاماته الله مائة عام ثم بعثه اي احياه
قال كم لبثت مكثت يقال لما احياه الله بعث اليه ملكا فسأله كم لبثت قال لبثت يوما وذلك ان
الله اماته ضحى في اول النهار واحياه بعد مائة عام في اخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت
يوما وهو يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم قال
بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين وشرابك يعني العصير لم يتسنه اي لم
يتغير فكان التين كانه قطف من ساعته قال الكسائي كانه لم تات عليه السنون وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب لم يتسن بحذف الهاء في الوصل وكذلك فبهداهم اقتده وقرا الاخرون بالهاء فيهما وصلا
ووقفا فمن اسقط الهاء في الوصل جعل الهاء صلة زائدة وقال اصله لم يتسنى فحذف الياء بالجزم وابدل
منه هاء في الوقف وقال ابو عمرو هو من التسنن بنونين وهو التغير كقوله تعالى من حمإ مسنون

اي يتسنن فقلبت احدى النونين ياء كقوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتمطط وكقوله وقد
خاب من دساها واصله دسسها ومن اثبت الهاء في الحالين جعل الهاء اصلية لام الفعل وهذا على قول
من جعل اصل السنة سنهة وتصغيرها سنيهة والفعل منه المسانهة وانما قال لم يتسنه ولم يثنه مع
انه اخبر عن شيئين ردا للتغير الى اقرب اللفظين به وهو الشراب واكتفى بذكر احد المذكورين لانه
في معنى الاخر وانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض فركب الله العظام بعضها على بعض
فكساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر ولنجعلك اية للناس قيل الواو زائدة مقحمة وقال الفراء
ادخل الواو فيه على انها شرط لفعل بعدها معناه ولنجعلك اية فعلنا ذلك يريد فعلنا ذلك لنجعلك
اية اي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله اكثر المفسرين وقال الضحاك وغيره هو انه عاد الى
قريته شابا واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز وهو اسود الراس واللحية وانظر الى العظام
كيف ننشزها قرا اهل الحجاز والبصرة ننشرها بالراء معناه نحييها يقال انشر الله الميت انشارا ونشر
هو نشورا قال الله تعالى ثم اذا شاء انشره وقال في اللازم واليه النشور وقرا الاخرون بالزاي
اي نرفعها من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشيء رفعه
وازعاجه يقال انشزته فنشز اي رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الاية فقال الاكثرون
اراد به عظام حماره وقال السدي ان الله احيا عزيرا ثم قال انظر الى حمارك قد هلك
وبليت عظامه فبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهبت بها الطير والسباع
فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس فيها لحم ولا دم ثم
كسا العظام لحما ودما فصار حمارا لا روح فيه ثم اقبل ملك يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه
فقام الحمار ونهق باذن الله وقال قوم اراد به عظام هذا الرجل وذلك ان الله لم يمت حما
ره فاحيا الله عينيه وراسه وسائر جسده ميت ثم قال انظر الى حمارك فنظر فراه قائما واقفا
كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام وتنظر الى الرمة في عنقه جديدا لم يتغير وتقدير
الاية وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها هذا قول قتادة والضحاك وفي الاية
تقديم وتاخير وتقديرها وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها ولنجعلك اية للناس
وقال قتادة عن كعب والضحاك عن ابن عباس والسدي عن مجاهد عن ابن عباس لما احيا الله عزيرا
بعدما اماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى محلته فانكره الناس وانكر الناس ومنازله فانطلق
على وهم حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة اتى عليها مائة وعشرون سنة كانت امة

ثم خرج عزير عنهم وهي بنت عشرين سنة كانت عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا
منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت ما رأيت احدا منذ كذا وكذا سنة يذكر عزيرا
قال فاني انا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر قال فاني
انا عزير كان الله اماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو
للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله يرد الي بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك
فدعا ربه ومسح يده على عينيها فصحتا واخذ بيدها وقال قومي باذن الله فاطلق الله رجليها فقامت
صحيحة فنظرت فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن
لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمان عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير قد
جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد علي بصري واطلق رجلي وزعم
ان الله كان اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة
سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير وقال السدي والكلبي لما رجع عزير
الى قريته وقد احرق بخت نصر التورية ولم يكن من الله عهد بين الخلق فبكى عزير على التورية فاتاه
ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك فمثلت التورية في صدره فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه الله
التورية وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال اني عزير بعثني الله اليكم لاجدد لكم توراتكم
قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التورية في قلب رجل بعد ما
ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وسياتي القصة في سورة براءة ان شاء الله عز وجل ثم
نكسوها لحما فعادت العظام كهيئتها حية فلما تبين له احيا الموتى عيانا قال اعلم قرأ حمزة
والكسائي بجزم وما موصولا على الامر على معنى قال الله له اعلم وقرأ الاخرون اعلم بقطع الالف ورفع
الميم على الخبر عن عزير قال لما رأى ذلك اعلم ان الله على كل شيء قدير واذ قال ابرهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك وابن جريج كان سبب هذا
السوال من ابرهيم انه مر على دابة ميتة قال ابن جريج كانت جيفة حمار بساحل البحر قال
عطاء بحيرة طبرية قالوا فرآها وقد توزعتها دواب البحر والبر وكان اذا مد البحر جاءت الحيتان
ودواب البحر فاكلت منها فما وقع منها يصير في البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت
منها فما وقع منها يصير ترابا في البر فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلت منها فما سقط
قطعته الريح في الهواء فلما رأى ذلك ابرهيم تعجب منها وقال يا رب قد علمت لتجمعها من بطون

السباع وحواصل الطيور واجواف دواب البحر فارني كيف تحييها لاعاين فازداد يقينا
فعاتبه الله قال اولم تؤمن قال بلى يا رب علمت وامنت ولكن ليطمئن قلبي اي ليسكن
قلبي الى المعاينة والمشاهدة اراد ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر
ليس كالمعاينة وقيل كان سبب هذا السوال من ابرهيم انه لما احتج على نمرود فقال ربي الذي
يحيي ويميت فقال نمرود انا احيي واميت فقتل احد الرجلين واطلق الاخر فقال ابرهيم ان الله
يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود انت عاينته فلم يقدر ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى
ثم سأل ربه ان يريه احياء الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي واذا
قيل لي انت عاينته فاقول نعم قد عاينته وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابرهيم خليلا سأل ملك
الموت ربه ان ياذن له فيبشر ابرهيم بذلك فاذن له فاتى ابرهيم ولم يكن في الدار فدخل داره
وكان ابرهيم اغير الناس اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد في داره رجلا فثار عليه ليأخذه
وقال له من اذن لك ان تدخل داري قال اذن لي رب هذه الدار فقال ابرهيم صدقت وعرف
انه ملك فقال له ابرهيم من انت قال ملك الموت جئت ابشرك بان الله قد اتخذك خليلا فحمد
الله عز وجل وقال ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك وتحيي الموتى بسوالك فحينئذ قال ابرهيم
رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي انك اتخذتني خليلا وتجيبني
اذا دعوتك وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال نحن احق بالشك من ابرهيم اذ قال رب ارني
كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ورحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن
شديد ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي واخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث
عن حرملة بن يحيى عن ابن وهب بهذا الاسناد مثله وقال نحن احق بالشك من ابرهيم اذ قال
حكي محمد بن اسحق بن خزيمة عن ابي ابرهيم اسمعيل بن يحيى المزني انه قال على هذا الحديث
لم يشك النبي صلعم ولا ابرهيم في ان الله قادر على ان يحيي الموتى وانما شكا انه هل يجيبهما الى ما سألا
وقال ابو سليمان الخطابي ليس في قوله نحن احق بالشك من ابرهيم اعتراف بالشك على نفسه
ولا على ابرهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم اشك انا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابرهيم
اولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت في السجن طول ما لبث
يوسف لاجبت الداعي وفيه الاعلام ان المسألة من ابرهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل
زيادة العلم بالعيان فان العيان يفيد من المعرفة والطمانينة ما لا يفيده الاستدلال وقيل

لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابرهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلعم هذا القول تواضعا
منه وتقديما لابرهيم على نفسه قوله تعالى اولم تؤمن معناه قد آمنت فلم تسأل شهد له بالايمان كقول
جرير الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح بلى امنت ذكره ولكن ليطمئن قلبي
بزيادة اليقين قال فخذ اربعة من الطير قال مجاهد وعطا وابن جريج اخذ طاوسا وديكا
وحمامة وغرابا وحكي عن ابن عباس ونسرا بدل الحمامة وقال عطا الخراساني اوحى الله اليه ان خذ
بطة خضراء وغرابا اسود وحمامة بيضاء وديكا احمر فصرهن اليك قرأ ابو جعفر وحمزة
فصرهن اليك بكسر الصاد اي قطعهن ومزقهن يقال صار يصير صيرا اذا قطع وانصار الشيء
انصيارا اذا انقطع قال الفراء هو مقلوب من صريت اصري صريا اذا قطعت وقرأ الآخرون
فصرهن بضم الصاد معناه املهن اليك ووجههن يقال صرت الشيء اصوره اذا املته ورجل
اصور اذا كان مائل العنق وقال عطا معناه اجمعهن واضممهن اليك يقال صار يصور
صورا اذا جمع ومنه قيل لجماعة النخل صور ومن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار معناه
فصرهن اليك ثم قطعهن فحذفه اكتفاء بقوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا لانه يدل
عليه وقال ابو عبيدة فصرهن معناه قطعهن ايضا والصور القطع قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا قرأ عاصم برواية ابي بكر جزؤا مثقلا مهموزا والآخرون بالتخفيف والهمز وقرأ ابو جعفر
مشدد الزاء بلا همز واراد بعض الجبال قال المفسرون امر الله ابرهيم ان يذبح تلك الطيور
وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ففعل ثم امره ان
يجعل اجزاءها على الجبال واختلفوا في عدد الاجزاء فقال ابن عباس وقتادة امر ان يجعل
كل طاير اربعة اجزاء ويجعلها على اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طاير وقيل جبل على جا
نب المشرق وجبل على جانب المغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب وقال ابن جريج والسدي
جزاها سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤوسهن ثم دعاهن تعالين باذن
الله فجعل كل قطرة من دم طاير تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى
وكل عظم يصير الى الآخر وكل بضعة تصير الى الاخرى وابرهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا
في السماء بغير راس ثم اقبلن الى رؤوسهن سعيا فكلما جاء طاير قال براسه فان كان راسه
دنا منه وان لم يكن تاخر حتى يلقى كل طاير براسه فذلك قوله ثم ادعهن ياتينك سعيا
قيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله اي فامضوا

والحكمة في المشي دون الطيران كونه ابعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك
الطير وان ارجلها غير سليمة والله اعلم وقيل السعي بمعنى الطيران واعلم ان الله عزيز حكيم مثل
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله فيه اضمار تقديرها مثل صدقات الذين ينفقون
اموالهم كمثل زارع حبة واراد سبيل الله الجهاد وقيل جميع ابواب الخير انبتت اخرجت سبع سنابل
جمع سنبلة في كل سنبلة مائة حبة فان قيل ما راينا سنبلة فيها مائة حبة فكيف ضرب الله المثل به قيل
ذلك متصور غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا جاز ضرب المثل به وان لم يوجد معناه في كل سنبلة مائة
حبة ان جعل الله فيها وقيل موجود في الدخن وقيل معناه انها ان بذرت انبتت مائة حبة فما
حدث من البذر الذي كان فيها مضاف اليها وكذلك تاوله الضحاك فقال كل سنبلة انبتت مائة
حبة والله يضاعف لمن يشاء قيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف
على هذا ويزيد لمن يشاء ما بين سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما شاء الله من الاضعاف مما
لا يعلمه الا الله عز وجل والله واسع غني عليم بنيته الذين ينفقون اموا
لهم في سبيل الله قال الكلبي نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف جاء عبد الرحمن باربعة
آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلعم فقال كانت عندي ثمانية آلاف فامسكت منها لنفسي
وعيالي اربعة آلاف واربعة آلاف اقرضتها ربي فقال له رسول الله صلعم بارك الله فيما امسكت
وفيما اعطيت واما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت
فيهما هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر
النبي صلعم فرايت النبي صلعم يدخل فيها يده ويقلبها ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم
فانزل الله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله في طاعة الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا وهو
ان يمن عليه بعطائه فيقول اعطيتك كذا ويعد نعمه عليه فيكدرها ولا اذى هو ان يعيره فيقول
الى كم تسأل وكم تؤذيني وقيل من الاذى ان يذكر انفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه وقال
سفيان منا ولا اذى هو ان يقول اعطيتك واعطيت فما شكرت قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيئا ورايت ان سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه فحظر الله
على عباده المن بالصنيعة واختص به صفة لنفسه لانه من العباد تعيير وتكدير ومن
الله افضال وتذكير لهم اجرهم اي ثوابهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

قول معروف اى كلام حسن ورد على السائل جميل وقيل عدة حسنة وقال الكلبي دعاء صالح يد
عو لاخيه بظهر الغيب وقال الضحاك نزلت في اصلاح ذات البين ومغفرة اى يستر عليه خلته ولا
يهتك ستره قال الكلبي والضحاك يتجاوز عن ظالمه وقيل يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه عند رده
خير من صدقة يدفعها اليه يتبعها اذى اى من وتعيير للسائل او قول يؤذيه والله غني اى
مستغن عن صدقة العباد حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بالصدقة يا ايها الذين آمنوا
لا تبطلوا صدقاتكم اى اجور صدقاتكم بالمن على السائل وقال ابن عباس بالمن على الله والاذى
لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلا فقال كالذي ينفق اى كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس اى
مراءاة وسمعة ليروا نفقته ويقولون انه كريم سخي ولا يؤمن بالله واليوم الآخر يريد ان الريا
يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الريا من فعل المؤمنين وهذا للمنافقين لان الكافر معلن كفره
غير مراء فمثله اى مثل هذا المرائي كمثل صفوان وهو الحجر الاملس وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا
فواحدة صفوانة ومن جعله واحدا فجمعه صفي وصفي عليه اى على الصفوان تراب فاصابه
وابل وهو المطر الشديد العظيم القطر فتركه صلدا اى املس والصلد الحجر الصلب الاملس
الذي لا شيء عليه فهذا مثل ضربه الله لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي
ويرى الناس في الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيمة
بطل كله واضمحل لانه لم يكن لله عز وجل كما اذهب الوابل ما على الصفوان من التراب فتركه صلدا
لا يقدرون على شيء اى على ثواب شيء مما كسبوا عملوا في الدنيا والله لا يهدي القوم الكافرين
وعن محمود بن لبيد ان النبي صلعم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله
وما الشرك الاصغر قال الريا يقول الله لهم يوم يجازي العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم
تراؤون لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء اخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن ابي
توبة انا ابو طاهر بن احمد بن الحارث انا ابو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي انا عبد
الله بن محمود انا ابرهيم بن عبد الله الخلال نا عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح
اخبرني الوليد بن ابي الوليد ابو عثمان المدايني ان عقبة بن مسلم حدثه ان الاصبحي حدثه
انه دخل المدينة فاذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقلت من هذا قالوا ابو هريرة فدنوت
منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت له انشدك بحق الله لما

رسول الله لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلعم قال حدثني رسول الله صلعم يقول ان الله تعالى اذا
كان يوم القيمة ينزل على العباد ليقضي بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به رجل جمع القرآن
ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقاري الم اعلمك ما انزلت على رسولي قال بلى يا رب
قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت اقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له كذبت
وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى
بصاحب المال فيقول الله له الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال فماذا
عملت فيما آتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت
ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول له
فيماذا قتلت فيقول يا رب امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول
الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جريء فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلعم على
ركبتي فقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيمة ومثل
الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اى طلب رضا الله وتثبيتا من انفسهم قال
قتادة احتسابا وقال الشعبي والكلبي تصديقا من انفسهم اى يخرجون الزكوة طيبة بها انفسهم على
يقين بالثواب وتصديق بوعد الله يعلمون ان ما اخرجوا خير لهم مما تركوا وقيل على يقين باخلاف
الله عليهم وقال عطاء ومجاهد يتثبتون اين يضعون اموالهم قال الحسن كان الرجل اذا
هم بصدقة تثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وعلى هذا القول يكون التثبيت
بمعنى التثبت كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اى تبتلا كمثل جنة اى بستان قال الفراء اذا كان في
البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس بربوة قرا ابن عامر وعاصم بربوة
والى ربوة في سورة المؤمنين بفتح الراء وقرا الآخرون بضمها وهي المكان المرتفع المستوي الذي
تجري فيه الانهار فلا يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء وانما جعلها بربوة لان النبات عليها احسن
وازكى اصابها وابل مطر شديد كثير فآتت اعطت اكلها ثمرها قرا نافع وابن
كثير وابو عمرو بالتخفيف والآخرون بالتثقيل وزاد نافع تخفيف اكله والاكل وخفف ابو عمرو رسلنا
ورسلكم ورسلهم وسبلنا ضعفين اى اضعفت في الحمل قال عطاء حملت في سنة من الريع ما يحمل غيرها
في سنتين وقال عكرمة حملت في السنة مرتين فان لم يصبها وابل فطل اى فطش وهو المطر
الضعيف الخفيف ويكون دائما قال السدي هو الندى وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص

بقوله كما ان هذه الجنة تريع في كل حال ولا تخلف سواء قل المطر او كثر كذلك يضعف الله صدقة
المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته او كثرت وذكر ان الطل اذا كان يدوم
يعمل عمل الوابل الشديد والله بما تعملون بصير ايود احدكم هذه الآية متصلة بقوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قوله ايود احدكم اي يحب ان تكون له جنة
من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء اولاد صغار ضعاف عجزة فاصابها اعصار وهو الريح العاصف التي ترتفع الى
السماء كانها عمود وجمعه اعاصير فيه نار فاحترقت هذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي
يقول عمله في حسنه كحسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة فاذا كبر وضعف وصار له اولاد
ضعاف اصاب جنته اعصار فيه نار فاحترقت احوج ما يكون اليها وضعف عن اصلاحها
لكبره وضعف اولاده عن اصلاحها لصغرهم ولم يجد هو ما يعود به على اولاده ولا اولا
ده ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بايديهم كذلك يبطل الله عمل المنافق
والمرائي حين لا مستعتب لهما ولا توبة ولا اقالة قال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب
النبي صلعم فيمن ترون هذه الآية نزلت ايود احدكم ان تكون له جنة قالوا الله اعلم فغضب
عمر فقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال عمر يا ابن
اخي قل ولا تحقر نفسك فقال ابن عباس ضربت مثلا لعمل فقال عمر لاي عمل فقال ابن عباس
لعمل قال عمر لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كذلك
يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات خيار وقال ابن مسعود
وهي حلال من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دلالة على اباحة الكسب وانه ينقسم
الى طيب وخبيث وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلعم ان اطيب ما اكل الرجل
من كسبه وان ولده من كسبه عن المقدام بن معدي كرب انه حدثه عن النبي صلعم انه قال ما اكل
احد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده وكان داود لا ياكل الا من عمل يده وعن عبد
الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم لا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق منه فيتقبل منه ولا ينفق
منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله تعالى لا يمحو السيئ بالسيئ
بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث والزكوة واجبة في مال التجارة عند اكثر اهل العلم فبعد الحول
يقوم العروض فيخرج من قيمتها ربع العشر اذا كانت قيمتها عشرين دينارا او مائتي درهم قال

سمرة بن جندب كان رسول الله صلعم يامرنا ان نخرج الصدقة من الذي نعد للبيع وعن ابي عمرو بن
حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي ادمة احملها فقال عمر الا تؤدي زكوتك
يا حماس فقلت ما لي غير هذا واهب في القرظ فقال ذاك مال فضع فوضعتها فحسبها فاخذ
منها الزكوة ومما اخرجنا لكم من الارض يعني هذه الآية باخراج العشور من الثمار والحبوب واتفق
اهل العلم على ايجاب العشر في النخيل والكروم وفيما يقتات من الحبوب ان كان سقيا بماء السماء
او من نهر يجري اليه من غير مؤنة وان كان مسقيا بساقية او بنضح ففيه نصف العشر وعن سالم
بن عبد الله عن ابيه عن النبي صلعم قال فيما سقت السماء والعيون او كان عثريا العشر وفيما سقي بال
نضح نصف العشر وعن عتاب بن اسيد ان رسول الله صلعم قال في زكوة الكرم يخرص كما
يخرص النخل ثم تؤدى زكوته زبيبا كما تؤدى زكوة النخل تمرا واختلف اهل العلم فيما سوى
النخل والكروم وفيما سوى ما يقتات من الحبوب فذهب قوم الى انه لا عشر في شيء منها وهو
قول ابن ابي ليلى والشافعي وقال الزهري ومالك والاوزاعي يجب في الزيتون وقال ابو حنيفة
يجب العشر في جميع البقول والخضروات كالثمار الا الحشيش والحطب وكل ثمرة اوجبنا فيها الز
كوة فانما تجب ببدو الصلاح ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وكل حب اوجبنا فيه العشر
فوقت وجوبه اشتداد الحب ووقت الاخراج بعد الدياسة والتنقية ولا يجب العشر في شيء منها
حتى يبلغ خمسة اوسق عند اكثر اهل العلم وعند ابي حنيفة يجب في كل قليل وكثير منها واحتج من شرط
النصاب بما روي عن سعيد الخدري ان رسول الله صلعم ليس فيما دون خمسة اوسق من التمر صدقة
وليس فيما دون خمس اواق من الورق صدقة وليس فيما دون خمس ذود من الابل صدقة
وروى يحيى بن عمارة عن ابي سعيد ان النبي صلعم قال ليس في حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة
اوسق وقال قوم الآية في صدقات التطوع وعن انس مالك قال قال رسول الله صلعم ما من
مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فياكل منه انسان او طير او بهيمة الا كانت له به صدقة
ولا تيمموا قرا ابن كثير برواية البزي بتشديد التاء في الوصل فيهما وفي اخواتهما وهي في احد
وثلثين موضعا في القرآن لانه في الاصل تاءان اسقطت احدهما فرد هو الساقطة وادغم
وقرا الآخرون بالتخفيف ومعناه لا تقصدوا الخبيث منه تنفقون روي عن عدي بن ثابت
عن البراء بن عازب قال كانت الانصار تخرج اذا كان جذاذ النخل اقناء من التمر والبسر
فيعلقونها على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلعم فياكل منه فقراء المهاجرين فكان

يعد فيد خير فنفق الحشف وهو ينظر انه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الاقناء فنزل فيهم ولا
ذلك ولا تيمموا الخبيث اي الحشف والردي وقال الحسن ومجاهد والضحاك كانوا يتصدقون بشرار
ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد ناحية لانفسهم فانزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث الردي
منه تنفقون ولستم بآخذيه يعني الخبيث الا ان تغمضوا فيه والاغماض غض البصر واراد
هاهنا التجوز والمساهلة معناه لو كان لاحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه الا وهو يرى ان
الله قد اغمض له عن حقه وتركه وقال الحسن وقتادة لو وجدتموه يباع في السوق ما اخذتموه
بسعر الجيد وروي عن البراء قالوا لو اهدي ذلك لكم ما اخذتموه الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف
ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم هذا اذا كان اموالكم كلها جيدا فليس اعطاء الردي لان اهل السهمان
شركاؤه فان كان كل ماله رديا فلا بأس باعطاء الردي واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم
حميد محمود في افعاله الشيطان يعدكم الفقر اي يخوفكم بالفقر يقال وعدته خيرا و
وعدته شرا قال الله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة وقال في الشر النار وعدها الله الذين كفروا
فاذا لم تذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته وفي الشر اوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد
واصله من كسر الفقار ومعنى الآية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك مالك فانك
اذا تصدقت افتقرت ويأمركم بالفحشاء اي بالبخل ومنع الزكاة قال الكلبي كل فحشاء في القرآن
فهو الزنا الا هذا والله يعدكم مغفرة منه لذنوبكم وفضلا اي رزقا وخلفا والله واسع
غني عليم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان الله يأمر يا ابن آدم قال انفق انفق عليك قال
قال رسول الله صلعم يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ
خلق السماء والارض فانه لم ينقص مما في يمينه قال وعرشه على الماء وبيده الاخرى القبض يرفع
ويخفض وعن اسماء ان رسول الله صلعم قال انفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله
عليك يؤتي الحكمة من يشاء قال السدي هي النبوة وقال ابن عباس وقتادة علم القرآن ناسخه
ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله وقال الضحاك
القرآن والفهم فيه وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة والف آية حلال
وخمس مائة آية حرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن ولا تكونوا كاهل نهروان تأولوا آيات من القرآن
في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا
علينا بالضلال فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيما انزل لم يختلف في شئ منه وقال ابي الدرداء

القرآن والعلم والفقه وروى ابن نجيح عنه الاصابة في القول والفعل وقال ابراهيم النخعي معرفة معاني
الاشياء وفهمها ومن يؤت الحكمة من في محل الرفع على اسم ما لم يسم فاعله والحكمة خبره وقرأ يعقوب
يؤت الحكمة بكسر التاء اي من يؤته الله الحكمة دليله قراءة الاعمش ومن يؤته الله وحكي عن الحسن
ومن يؤت الحكمة قال الورع في دين الله فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر يتعظ الا اولوا الالباب
ذوو العقول وما انفقتم من نفقة فيما فرض الله عليكم او نذرتم من نذر اي ما اوجبتموه انتم
على انفسكم في طاعة الله فوفيتم به فان الله يعلمه ويحفظه حتى يجازيكم به وانما قال يعلمه ولم
يقل يعلمهما لانه رده الى الآخر منهما كقوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وان
شئت حملته على ما كقوله وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما وما للظالمين
الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء او يتصدقون من الحرام من انصار اعوان يدفعون
عذاب الله عنهم وهي جمع نصير مثل شريف واشراف ان تبدوا الصدقات اي تظهروها فنعما
هي اي نعمت الخصلة هي وما في محل الرفع وهي في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلا فاذا عرفت
رفعت فقلت نعم الرجل زيد واصله نعم ما فوصلت قرأ اهل المدينة غير ورش وابو عمرو وابو
بكر فنعما بكسر النون وسكون العين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين وقرأ ابن
كثير ونافع برواية ورش ويعقوب وحفص بكسرهما وكلها لغات صحيحة وكذلك في سورة
النساء وان تخفوها تسروها وتؤتوها اي تعطوها الفقراء في السر فهو خير لكم وافضل
وكل مقبول اذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر افضل وفي الحديث صدقة السر تطفئ
غضب الرب عن ابي سعيد الخدري او عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلعم سبعة يظلهم الله في ظله
يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ بعبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا
خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت
عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة
فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقيل الآية في صدقة التطوع اما الزكاة المفروضة
فالاظهار فيها افضل حتى يقتدي به الناس كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل والنافلة في البيت
افضل وقيل الآية في الزكاة المفروضة كان الاخفاء فيها خيرا على عهد رسول الله صلعم فاما في زماننا
فالاظهار افضل حتى لا يساء به الظن ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو
بكر بالنون ورفع الراء ونحن نكفر وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء ويكفر الله وقرأ

اهل المدينة وحمزة والكسائي بالنون والجزم نسقاً على الفاء التي في قوله وهو خير لكم لان مو
ضعها جزم بالجزاء وقوله من سيئاتكم قيل من صلة تقديره ونكفر عنكم سيئاتكم وقيل هو للتحقيق
والتبعيض يعني يكفر الصغائر من الذنوب والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم قال
الكلبي سبب نزوله ان ناساً من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم
قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم وارادوهم على ان يسلموا وقال سعيد بن جبير
كانوا يتصدقون على فقراء اهل الذمة فلما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلعم عن التصدق على
المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزل قوله ليس عليك هداهم فتمنعهم الصدقة
ليدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها ولكن الله يهدي من يشاء واراد به هداية التوفيق اما
هدى البيان والدعوة كان على رسول الله صلعم فاعطوهم بعد نزول الاية وما تنفقوا من خير
اي مال فلانفسكم اي تعملونه لانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله جحد لفظه نفي
ومعناه نهي اي لا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير شرط كالاول ولذلك حذف
النون منهما واثبت في الوسطى يوف اليكم يوفر لكم جزاؤه ومعناه يؤدى اليكم ولذلك ادخل
الى وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئاً وهذا في صدقة التطوع اباح الله
تعالى ان توضع في اهل الاسلام واهل الذمة فاما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها الا في
المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون في سورة التوبة للفقراء الذين احصروا في سبيل الله
واختلفوا في موضع هذه اللام قيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلانفسكم كانه قال وما
تنفقوا من خير للفقراء فانما تنفقون لانفسكم وقيل بعض الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل
خبره محذوف تقديره للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحواً من
اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر كانوا في المسجد يتعلمون القرآن بالليل وي
رضخون بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلعم وهم اصحاب الصفة فحث الله
عليهم الناس فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى الذين احصروا في سبيل الله فيه اقاويل
قال قتادة وهؤلاء قوم حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الارض
لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش وهم اهل الصفة الذين ذكرناهم وقيل حبسوا انفسهم على طا
عة الله وقيل معناه حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقال سعيد بن جبير هؤلاء قوم اصا
بتهم جراحات مع رسول الله صلعم في الجهاد فصاروا زمنى احصرهم المرض والزمانة عن الضرب

في سبيل الله للجهاد وقال ابن زيد معناه من كثرة ما جاهدوا صارت الارض كلها حرباً عليهم
فلا يستطيعون ضرباً في الارض من كثرة اعدائهم يحسبهم قرأ ابو جعفر وابن عامر وعاصم
وحمزة يحسبهم وبابه بفتح السين وقرأ الآخرون بالكسر الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف
اي من تعففهم عن السؤال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم انهم اغنياء والتعفف
التفعل من العفة وهو الترك يقال عف عن الشيء اذا كف عنه وتعفف اذا تكلف في الامساك
تعرفهم بسيماهم السيما والسيماء والسيمياء العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا
في معناها هاهنا قال مجاهد هو التخشع والتواضع قال السدي اثر الجهد من الحاجة والفقر
وقال الضحاك صفرة الوانهم من الجوع والضر وقيل رثاثة ثيابهم لا يسألون الناس
الحافاً قال عطاء اذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء
وقيل معناه لا يسألون الناس اصلاً لانه قال من التعفف والتعفف ترك السؤال ولانه قال
تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الاية
ليس لهم سؤال فيقع فيه الحاف والالحاف الالحاح واللجاج عن هشام بن عروة عن ابيه
عن الزبير قال قال رسول الله صلعم لان يأخذ احدكم حبله فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره
فيكف بها وجهه خير له من ان يسأل الناس اشياء اعطوه او منعوه وعن ابي هريرة ان
رسول الله صلعم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان
والتمرة والتمرتان قالوا فما المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له
فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس وروي عن رسول الله صلعم انه قال من سأل وله
اوقية او عدلها فقد سأل الحافاً وعن قبيصة بن مخارق قال اني تحملت بحمالة في قومي
فاتيت رسول الله صلعم فقلت يا رسول الله اني تحملت بحمالة في قومي واتيتك لتعينني فيها فقال بل
نحملها عنك يا قبيصة ونؤديها اليهم من الصدقة ثم قال يا قبيصة ان المسألة حرمت الا في احدى
ثلث في رجل اصابته جائحة فاجتاحت ماله فيسأل حتى يصيب قواماً من عيش ثم يمسك وفي رجل
اصابته حاجة حتى يشهد ثلثة نفر من ذوي الحجى من قومه ان المسألة قد حلت له فيسأل حتى يصيب
القوام من العيش ثم يمسك وفي رجل تحمل بحمالة فيسأل حتى اذا بلغ امسك وما كان غير ذلك فانه
سحت يأكلها صاحبها سحتاً وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم من سأل الناس
وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله

ينفقون

وما يغنيه قال تخشون دزهما او فيتهما من الذهب وما تنفقوا من خير مالٍ فان الله به عليم
وعليه مئى في الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرًا وعلانية روى عن بجاهد عن ابن
عباس قال نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت عنده اربعة دراهم لا يملك
غيرها فتصدق بدرهم ليلًا وبدرهم نهارًا وبدرهم سرًا وبدرهم علانية وعن الضحاك عن
ابن عباس قال لما نزلت للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير
كثيرة الى اصحاب الصفة وبعث علي بن ابي طالب في جوف الليل بوسق من تمر فانزل الله فيهما
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الاية عنى بالنهار علانية صدقة عبد الرحمن وبالليل سرًا
صدقة علي وقال ابو امامة وابو الدرداء ومكحول والاوزاعي نزلت في الذين يرتبطون الخيل
للجهاد فانها تعلف ليلًا ونهارًا وسرًا وعلانية وعن ابي سعيد قال سمعت سعيدا المقبري يحدث
انه سمع ابا هريرة يقول قال النبي صلعم من احتبس فرسًا في سبيل الله ايمانًا بالله وتصديقًا بوعده فان
شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة فلهم اجرهم عند ربهم قال الاخفش جعل
الخبر بالفاء لان الذين بمعنى من وجواب من بالفاء في الجزاء ومعنى الاية من انفق كذا فله اجره عند ربه
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ياكلون الربا اي يعاملون به وانما خص بالاكل لانه معظم
المقصود من المال لا يقومون يعني يوم القيمة من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه اي يصرعه
الشيطان واصل الخبط الضرب والوطي وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تطأ الناس
وتضرب الارض بقوائمها من المس اي الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان مجنونًا ومعناه
ان آكل الربا يبعث يوم القيمة كمثل المصروع عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلعم في قصة الاسرى
قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون
وآل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيًا قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر
لا يسمعون ولا يعقلون فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم
احدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم
مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والاخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم
الساعة ابدًا قال ويوم القيمة يقول ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء
الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا
انما البيع مثل الربا اي ذلك الذي نزل بهم بقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية

كان احدهم اذا حل ماله على غريمه فطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى ازيدك في
المال فيفعلان ذلك ويقولون سواء علينا الزيادة في اول البيع بالربح او عند المحل لاجل التاخير
فكذبهم الله تعالى واحل الله البيع وحرم الربا واعلم ان الربا في اللغة الزيادة قال الله تعالى وما اتيتم من
ربا ليربوا في اموال الناس اي ليكثر فلا يربوا عند الله وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام
في الجملة انما المحرم زيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلعم فيما روي عن مسلم
بن يسار ورجل آخر وهو روي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلعم قال لا تبيعوا الذ
هب بالذهب ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح الا
سواء عينًا بعين يدًا بيد ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير
بالبر والتمر بالملح والملح بالتمر يدًا بيد كيف شئتم ونقص احدهما الملح او التمر وزاد احدهما فمن زاد
او ازداد فقد اربى وروى هذا الحديث من طريق عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار وعبد
الله بن عتيك عن عبادة فالنبي صلعم نص على ستة اشياء وذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا
يثبت في هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدى الى كل مال توجد فيه تلك الاوصاف ثم اختلفوا
في تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان المعنى في جميعها واحد وهو النفع واثبتوا الربا في جميع الاموال
وذهب الاكثرون الى ان الربا يثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشياء المطعومة
بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف فقال قوم يثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وهو
قول مالك والشافعي وقال قوم يثبت بعلة الوزن وهو قول اصحاب الراي واثبتوا الربا في
جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها واما الاشياء الاربعة فذهب قوم
الى ان الربا يثبت فيها بعلة الكيل وهو قول اصحاب الراي واثبتوا الربا في جميع المكيلات مطعومًا
كان او غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم مع الكيل والو
زن فكل مطعوم هو مكيل او موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون
وهو قول سعيد بن المسيب وقال الشافعي في القديم وقال في الجديد يثبت فيها الربا بوصف الطعم
واثبت الربا في جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت
او موزونة لما روي عن معمر بن عبد الله قال كنت اسمع رسول الله صلعم يقول الطعام بالطعام
مثل بمثل فجملة مال الربا عند الش فهي ما كان ثمنًا او مطعومًا والربا نوعان ربا الفضل وربا
النساء واذا باع مال الربا بجنسه مثل ان باع احد النقدين بجنسه او باع مطعومًا بجنسه كالحنطة

اي البر والشعير والتمر والملح

كالزعفران

بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلا نوعي الربا حتى لا يجوز الا متساويا بيدا بيد ثم معيار الشرع فان
كان موزونا كالدراهم والدنانير يشترط المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير
يباع بجنسه يشترط المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد واذا باع مال الربا بغير
جنسه نظر ان باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل ان باع مطعوما باحد النقدين فلا ربا فيه
كما لو باع بغير مال الربا وان باعه بما يوافقه في الوصف مثل ان باع الدراهم بالدنانير او باع الحنطة
بالشعير او مطعوما بمطعوم آخر من جنس فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز متفاضلا وجزافا
ويثبت فيه ربا النساء حتى يشترط التقابض في المجلس وقول النبي صلعم في الحديث لا تبيعوا الذهب
بالذهب الى ان قال الا سواء بسواء فيه اثبات المماثلة وتحريم الفضل عند اتفاق الجنس وقوله
عينا بعين فيه تحريم النساء وقوله يدا بيد كيف شئتم فيه اطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس مع ايجاب
التقابض في المجلس هذا في ربا المبايعة ومن اقرض بشرط ان يرد عليه افضل فهو قرض جر منفعة
وكل قرض جر منفعة فهو ربا • فمن جاءه موعظة من ربه • تذكير وتخويف وانما ذكر الفعل رد الى
الى الوعظ • فانتهى • عن اكل الربا • فله ما سلف • اي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له • وامره
الى الله • بعد النهي ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود وقيل وامره
الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه من امره شيء • ومن عاد • بعد التحريم
الى اكل الربا مستحلا له • فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • وعن عون بن ابي جحيفة
عن ابيه انه قال ان النبي صلعم نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغي ولعن آكل الربا وموكله والوا
شمة والمستوشمة والمصور وعن جابر قال لعن رسول الله صلعم آكل الربا وموكله وكاتبه
وشاهديه وقال هم سواء وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم الربا سبعون بابا اهونها عند
الله عز وجل كالذي ينكح امه • يمحق الله الربا • اي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته وقال الكلبي
عن ابن عباس يمحق الله الربا يعني لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة • ويربي الصد
قات • اي يثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف الاجر والثواب في العقبى • والله لا يحب
كل كفار • بتحريم الربا • اثيم • فاجر باكله • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا • قال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان
بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر ان اخذتما حقكما

لا يبقى لي ما يكفي عيالي فهل لكما ان تأخذا النصف ونؤخر النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الا
جل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلعم فنهاهما وانزل الله هذه الاية فسمعا واطاعا واخذا
رؤوس اموالهما وقال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان
في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا فانزل الله هذه
الاية وقال النبي صلعم في حجة الوداع في خطبته يوم عرفة الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي
موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ربيعة بن الحارث كان
مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوعة واول ربا اضع ربانا ربا العباس بن
عبد المطلب فانه موضوع كله وقال مقاتل نزلت في اربعة اخوة من ثقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب
وربيعة وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن
عمر بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلعم على الطائف اسلم هؤلاء الاخوة وطلبوا رباهم من بني
المغيرة فقالت بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فا
ختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلعم على مكة فكتب عتاب الى النبي صلعم بقصة
الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان
كنتم • اذ كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا • اي ان لم تذروا ما بقي من الربا • فاذنوا • قرا حمزة وعاصم برواية
ابي بكر فآذنوا بالمد على وزن فآمنوا فاعلموا غيركم انكم حرب لله ورسوله واصله من الاذن
اي اوقعوا في الآذان وقرا الآخرون فاذنوا مقصورا بفتح الذال فاعلموا انتم وايقنوا بحرب
من الله ورسوله • قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب
قال اهل المعاني حرب الله النار وحرب رسوله السيف • وان تبتم • اي تركتم استحلال الربا و
رجعتم عنه • فلكم رؤوس اموالكم • لا تظلمون • بطلب الزيادة • ولا تظلمون • بالنقصان عن راس
المال فلما نزلت هذه الاية قالت بنو عمرو والذين يربون بل نتوب الى الله فانه لا يد ان لنا بحرب
الله ورسوله فرضوا براس المال فشكى بنو المغيرة العسرة اخرونا الى ان ندرك الغلات فابوا
ان يؤخروا فانزل الله • وان كان ذو عسرة • يعني وان كان الذي عليه الدين معسرا رفع الكلام
باسم كان ولم يات لها بخبر وذلك جائز في النكرة تقول ان كان رجل صالح فاكرمه وقيل كان
بمعنى وقع وحينئذ لا يحتاج الى خبر قرا ابو جعفر عسرة بضم السين فنظرة امر في صيغة الخبر
تقديره فعليه نظرة • الى ميسرة • قرا نافع ميسرة بضم السين وقرا الآخرون بفتحها وقراء

اي كاملي الايمان ان صح ايمانكم فان الامتثال الامر دليل الايمان

مجاهد ميسُرة بضم السين مضافا ومعناه اليسار والسعة وان تصدقوا اي
تتركوا رؤوس اموالكم الى المعسر خير لكم ان كنتم تعلمون قرأ عاصم تصدقوا بتخفيف
الصاد والآخرون بتشديدها وعن عبد الله بن ابي قتادة عن ابيه انه كان يطلب رجلا
بحق فاختبأ منه فقال ما حملك على ذلك قال العسرة فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصكه فاعطاه
اياه قال سمعت رسول الله صلعم يقول من انظر معسرا او وضع عنه انجاه الله من كرب يوم القيمة وعن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلعم ان الملائكة لتلقت روح رجل كان قبلكم فقالوا له هل عملت خيرا
قط قال لا قالوا تذكر قال لا الا اني رجل كنت اداين الناس فكنت آمر فتياني ان ينظروا
الموسر ويتجاوزوا عن المعسر قال الله تبارك وتعالى تجوزوا عنه وعن ابي اليسر قال سمعت رسول الله
صلعم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله

فصل في الدين وحسن قضائه وتشديد امره

عن سلمة بن كهيل قال سمعت ابا سلمة بمنى يحدث عن ابي هريرة ان رجلا تقاضى
رسول الله صلعم فاغلظ له فهم به اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيرا فاعطوه اياه
قالوا لا نجد الا افضل من سنه قال اشتروه فاعطوه اياه فان خيركم احسنكم قضاء وعن ابي هريرة
ان رسول الله صلعم قال مطل الغني ظلم واذا اتبع احدكم على ملي فليتبع وعنه ان رسول الله صلعم قال نفس
المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وعن عبد الله بن ابي قتادة الانصاري عن ابيه قال جاء رجل
الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله ارأيت ان قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر
يكفر الله عني خطاياي فقال رسول الله صلعم نعم فلما ادبر ناداه رسول الله صلعم او امر به فنودي
فقال رسول الله صلعم كيف قلت فاعاد عليه قوله فقال النبي نعم الا الدين كذلك قال جبرئيل
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله قرأ اهل البصرة بفتح التاء اي تصيرون الى الله وقرأ الآخرون
بضم التاء وفتح الجيم اي تردون الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال ابن عباس
هذه آخر آية نزلت على رسول الله صلعم فقال جبرئيل ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة
البقرة وعاش بعدها رسول الله صلعم احدا وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن
جبير سبع ليال ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول حين زاغت الشمس سنة
احدى عشرة من الهجرة وقال الشعبي عن ابن عباس آخر آية نزلت على رسول الله صلعم آية الربا يا ايها
الذين آمنوا اذا تداينتم بدين قال ابن عباس لما حرم الله الربا اباح السلم وقال اشهد
ان السلف المضمون الى اجل مسمى قد احله الله في كتابه واذن فيه ثم قال يا ايها الذين آمنوا اذا

تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه قوله اذا تداينتم اي تعاملتم بالدين يقال داينته اذا عاملته
بالدين وانما قال بدين بعد قوله تداينتم لان المداينة قد تكون مجازاة وقد تكون معاطاة
فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ وقيل ذكره تأكيدا كقوله ولا طائر يطير بجناحيه الى اجل مسمى
الاجل مدة معلومة الاول والآخر والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق
الطلب قبل محله وفي القرض لا يلزم الاجل عند اكثر اهل العلم فاكتبوه اي اكتبوا الذي تداينتم به بيعا
كان او سلما او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هي واجبة والاكثرون على انه امر استحباب
فان ترك فلا بأس كقوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وقال قوم كانت كتابة الدين
والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ الكل بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهو
قول الشعبي ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره وليكتب بينكم اي ليكتب كتاب الدين بين
الطالب والمطلوب كاتب بالعدل اي بالحق من غير زيادة ونقصان ولا تقديم اجل ولا تأخير ولا
يأب اي لا يمتنع كاتب ان يكتب واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد
فذهب قوم الى وجوبهما اذا طولب وهو قول مجاهد وقال الحسن يجب اذا لم يكن كاتب غيره وقال قوم
هو على الندب والاستحباب وقال الضحاك كانت عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله تعالى
ولا يضار كاتب ولا شهيد كما علمه الله اي كما شرعه الله وامره فليكتب وليملل الذي عليه الحق يعني
المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما
القرآن فالاملال ههنا والاملاء قوله فهي تملى عليه بكرة واصيلا وليتق الله ربه يعني المملي ولا
يبخس منه اي لا ينقص منه من الحق الذي عليه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها اي جاهلا بالاملاء
قاله مجاهد وقال الضحاك والسدي طفلا صغيرا وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله
او في دينه او ضعيفا اي شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل بعته او جنون او لا يستطيع ان يمل هو
لخرس او عمى او عجمة او حبس او غيبة لا يمكنه حضور الكاتب او جهل بماله وعليه فليملل
وليه اي قيمه بالعدل اي بالصدق والحق وقال ابن عباس ومقاتل اراد بالولي صاحب الحق
يعني ان عجز من عليه الحق من الاملاء فليملل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لانه اعلم بحقه
واستشهدوا اي واشهدوا شهيدين اي شاهدين من رجالكم يعني الاحرار المسلمين دون
العبيد والصبيان والكفار وهو قول اكثر اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد
فان لم يكونا رجلين اي لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان اي فليشهد رجل وامرأتان

واجمع الفقهاء على ان شهادة النساء جائزة مع الرجال في الاموال حتى يثبت برجل وامرأتين
واختلفوا في غير الاموال فذهب جماعة الى انه يجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات وهو قول
سفيان الثوري واصحاب الرأي وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذ
هب الشافعي الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والثيابة والبكارة ونحو
ها يثبت بشهادة رجل وامرأتين وشهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة
في العقوبات ممن ترضون من الشهداء يعني من كان مرضيا في ديانته وشرائط قبول
الشهادة سبعة الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وانتفاء التهمة فشهادة
الكافر مردودة لان المعروف بالكذب على الناس لا يجوز شهادته فالذي يكذب على الله اولى
ان يكون مردود الشهادة وجوز اصحاب الرأي شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا
تقبل شهادة العبيد واجاز شريح وابن سيرين وهو قول انس بن مالك ولا قول للمجنون
حتى يكون له شهادة ولا تجوز شهادة الصبيان سئل ابن عباس عن ذلك فقال لا يجوز لان الله
تعالى يقول ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهي ان يكون الشاهد مجتنبا عن الكبائر
غير مصر على الصغائر والمروءة شرط وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل
الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر من نفسه شيئا
منها ما يستحيي امثاله من اظهاره في الاغلب يعلم به قلة مروته ترد شهادته وانتفاء التهمة
شرط حتى لا تقبل شهادة العدو على العدو وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في
عدوه ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وان كان مقبول الشهادة على غيرهما ولا
تقبل شهادة من يجر الى نفسه بشهادته نفعا كالوارث يشهد على رجل بقتل مورثه او يدفع
عن نفسه بشهادته ضررا كالمشهود عليه يشهد بجرح من شهد عليه لتمكن التهمة في شهادته فعن
عايشة رضي الله عنها لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر على اخيه ولا ظنين في ولاء ولا قرابة
ولا القانع مع اهل البيت ان تضل احداهما قرأ حمزة ان تضل بكسر الالف فتذكر برفع الراء
ومعناه الجزاء والابتداء وموضع تضل جزم بالجزاء الا انه لا يتبين في التضعيف فتذكر رفع لان
ما بعد فاء الجزاء مبتدأ وقراءة العامة بفتح الالف ونصب الراء على الاتصال بالكلام الاول وتضل محله
نصب بان فتذكر نسق عليه ومعنى الآية فرجل وامرأتان كي تذكر احداهما الاخرى ومعنى تضل
اي تنسى يريد اذا نسيت احداهما شهادتها تذكرها الاخرى فتقول السنا حضرنا بمجلس وسمعنا

كذا وقرأ ابن كثير واهل البصرة فتذكر مخففا وقرأ الباقون مشددا وذكر واذكر بمعنى واحد وهما
متعديان والذكر الذي هو ضد النسيان وحكي عن سفيان بن عيينة انه قال هو من الذكر اي تجعل احد
يهما الاخرى ذكرا اي تصير شهادتهما كشهادة ذكر والاول اصح لانه معطوف على النسيان ولا
يأب الشهداء اذا ما دعوا قيل اراد اذا دعوا لتحمل الشهادة سماهم شهداء على معنى انهم
يكونون شهداء وهو امر ايجاب عند بعضهم وقال قوم تجب الاجابة اذا لم يكن غيره فان وجد
غيره فهو مخير وهو قول الحسن وقال قوم هو امر ندب وهو مخير في جميع الاحوال وقال بعضهم هذا
في اقامة الشهادة وادائها فمعنى الآية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة التي تحملوها وهو
قول مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير قال الشعبي الشاهد بالخيار ما لم يشهد وقال الحسن الآية
في الامرين جميعا في التحمل والاقامة اذا كان فارغا ولا تسأموا اي لا تملوا ان تكتبوه والهاء
راجعة الى الحق صغيرا كان الحق او كبيرا قليلا كان او كثيرا الى اجله الى محل الحق ذلكم اي الكتاب
اقسط اعدل عند الله لانه امر به واتباع امره اعدل من تركه واقوم للشهادة لان الكتابة
تذكر الشهود وادنى واحرى واقرب ان لا ترتابوا تشكوا في الشهادة الا ان تكون تجارة
حاضرة قرأ عاصم بالنصب على خبر كان واضمر الاسم مجازه الا ان تكون التجارة او المبايعة تجا
رة وقرأ الباقون بالرفع وله وجهان احدهما ان تجعل الكون بمعنى الوقوع معناه الا ان تقع تجا
رة والثاني ان تجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل وهو قوله تديرونها تقديره الا ان تكون تجارة
حاضرة دائرة بينكم ومعنى الآية الا ان تكون تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم ليس فيها
اجل فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها يعني التجارة واشهدوا اذا تبايعتم قال الضحاك هو
عزم من الله عز وجل والاشهاد واجب في صغير الحق وكبيره نقده ونسائه وقال ابو سعيد الخدري
الامر فيه الى الامانة لقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا وقال الآخرون امر ندب ولا يضار كاتب
ولا شهيد هذا نهي الغائب واصله يضارر فادغمت احدى الرائين في الاخرى ونصبت لحق
التضعيف لاجتماع الساكنين واختلفوا فيه فمنهم من قال اصله يضارر بكسر الراء الاولى وجعل الفعل
للكاتب والشهيد معناه لا يضار الكاتب فيأبى ان يكتب ولا الشهيد فيأبى ان يشهد او لا
يضار الكاتب فيزيد او ينقص او يحرف ما املي عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه
وهذا قول طاوس والحسن وقتادة وقال قوم اصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول
وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين ومعناه ان يدعو الرجل الكاتب او الشاهد وهما على شغل

صغيرا او كبيرا حالان من الهاء اي على كل حال كان الحق صغيرا او كبيرا

اي لا معصية فانه لو اريد نفي الاثم كانت الكتابة واجبة وقد علم خلافه

مريم «وإن تفعلوا» ما نهيتكم عنه من الضرار «فإنه فسوق بكم» أي معصية وخروج عن الأمر
«واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم» «وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن
مقبوضة» قرأ ابن كثير وأبو عمرو «فرُهُن» بضم الراء والهاء، وقرأ الباقون «فرهان» وهي جمع رَهْن
مثل بَغْل وبِغال وجَبَل وجِبال، والرُّهُن جمع الرهان جمع الجمع قاله الفراء والكسائي، وقال أبو
عبيد وغيره هو جمع الرهن أيضا مثل سَقْف وسُقُف، قال أبو عمرو وإنما قرأت فرهن ليكون
فرقا بينها وبين رهان الخيل، وقرأ عكرمة «فرهْن» بضم الراء وسكون الهاء، والتخفيف والتثقيل في
الرهن لغتان مثل كُتْب وكُتُب ورُسْل ورُسُل، ومعنى الآية وإن كنتم في سفر ولم تجدوا آلات الكتابة
فارتهنوا ممن تداينونه رهونا لتكون وثيقة لكم بأموالكم، واتفقوا على أن الرهن لا يتم إلا بالقبض
وقوله «فرهن مقبوضة» أي ارتهنوا واقبضوا حتى لو رهن ولم يسلم لا يجبر الراهن على التسليم
فإذا سلم لزم من جهة الراهن حتى لا يجوز له أن يسترجعه ما دام شيء من الحق باقيا، ويجوز الرهن
في الحضر مع وجود الكاتب، وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية، وعند
الآخرين خرج الكلام في الآية على الأعم الأغلب لا على سبيل الشرط، والدليل عليه ما روي أن النبي صلعم
رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب «فإن أمن بعضكم بعضا» وفي
حرف أبي فإن ائتمن، يعني فإن كان الذي عليه الحق أمينا عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئا لحسن ظنه به
«فليؤد الذي اؤتمن أمانته» فليقضه على الأمانة «وليتق الله ربه» في أداء الحق، ثم رجع إلى خطاب
الشهود فقال «ولا تكتموا الشهادة» إذا دعيتم إلى إقامتها، نهى عن كتمان الشهادة وأوعد عليه
فقال «ومن يكتمها فإنه آثم قلبه» أي فاجر قلبه، قيل ما أوعد الله على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة
قال فإنه آثم قلبه وأراد به مسخ القلب نعوذ بالله «والله بما تعملون» من بيان الشهادة وكتمانها
«عليم» «لله ما في السماوات وما في الأرض» يعني ملكا وملكا «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم
به الله» اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم هي خاصة ثم اختلفوا في وجه خصوصها فقال بعضهم هي متصلة
بالآية الأولى نزلت في كتمان الشهادة، معناه وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة أو
تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله، وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم نزلت فيمن يتولى الكافرين من
المؤمنين، يعني وإن تعلنوا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسروه يحاسبكم به الله، وهو قول مقاتل كما ذكر
في سورة آل عمران «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء» إلى أن قال «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه
يعلمه الله» وذهب الأكثرون إلى أن الآية عامة، ثم اختلفوا فيها فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها

والدليل عليه ما روي عن أبي هريرة قال لما أنزل على رسول الله صلعم «لله ما في السماوات وما في الأرض
وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» الآية قال فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله فأتوا
رسول الله صلعم ثم بركوا على الركب وقالوا أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام
والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلعم أتريدون أن تقولوا كما قال
أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير «فيغفر لمن
يشاء» الذنب العظيم «ويعذب من يشاء» على الذنب الحقير وكل ما يفعله عدل تعالى علا وشأنه
«والله على كل شيء قدير» فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في إثرها «آمن الرسول بما
أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله
وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله تعالى عز وجل
«لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو
أخطأنا» قال نعم «ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا» قال نعم «ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به» قال نعم «واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم
الكافرين» قال نعم، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس بمعناه وقال في كل ذلك قد فعلت بدل قوله نعم
هذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وإليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد بن كعب وقتادة و
والكلبي، وعن أبي هريرة عن النبي صلعم قال إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به أنفسها ما لم
تعمل أو تتكلم به، وقال بعضهم الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار إنما يرد على الأمر والنهي وقوله
يحاسبكم به الله خبر لا يرد عليه النسخ، ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم قد أثبت الله للقلب كسبا فقال بما
كسبت قلوبكم فليس لله عبد أسر عملا أو أعلنه من حركة في جوارحه أو همة في قلبه إلا يخبره الله به ويحا
سبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وهذا معنى قول الحسن يدل عليه قوله تعالى «إن السمع والبصر
والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا» وقال آخرون معنى الآية أن الله عز وجل يحاسب خلقه
بجميع ما أبدوا من أعمالهم وأخفوه ويعاقبهم عليه غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث
لهم في الدنيا من النوائب والمصائب في الأمور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة قالت سألت
رسول الله صلعم فقال يا عائشة هذه معاتبة الله عز وجل العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة
والبضاعة يضعها في كمه فيفقدها فيروع لها فيجدها في ضبنه حتى إن المؤمن يخرج من ذنوبه
كما يخرج التبر الأحمر من الكير، وعن أنس بن مالك عن رسول الله صلعم أنه قال إذا أراد الله بعبده الخير

تعجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيمة وقال
بعضهم وان تبدوا ما في انفسكم يعني ما في قلوبكم مما عزمتم عليه او تخفوه ولا تبدوه وانتم عازمون عليه
يحاسبكم به الله فاما ما حدثت به انفسكم مما لا تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها
ولا يؤاخذ به دليله قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم قال عبد
الله بن المبارك قلت لسفين أيؤاخذ العبد بالهمة قال اذا كان عزما أخذ بها وقيل معنى المحاسبة
الاخبار والتعريف ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم فتعملوا به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم
يحاسبكم به الله يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله
له وهذا معنى قول الضحاك ويروى ذلك عن ابن عباس يدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يواخذ
كم والمحاسبة غير المواخذة والدليل عليه ما روي عن صفوان بن محرز قال كنت آخذ بيد عبد الله بن عمر
فاتاه رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلعم يقول في النجوى فقال سمعت رسول الله صلعم يقول ان الله
يدني المؤمن يوم القيمة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول اي عبدي تعرف ذنب كذا
وكذا فيقول نعم اي رب ثم يقول اي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم اي رب حتى اذا قرره
بذنوبه وراى في نفسه انه قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم تعطى
كتاب حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا
لعنة الله على الظالمين قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء رفع الراء والباء ابو جعفر
وابن عامر وعاصم ويعقوب وجزمها الآخرون فالرفع على الابتداء والجزم على النسق روى
طاوس عن ابن عباس فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا
يسأل عما يفعل وهم يسألون والله على كل شيء قدير قوله تعالى آمن الرسول اي صدق بما انزل اليه من
ربه والمؤمنون كل آمن بالله يعني كل واحد منهم ولذلك وحد الفعل وملائكته وكتبه قرأ حمزة
والكسائي وكتابه على الواحد يعني القرآن وقيل معناه الجمع وان ذكر بلفظ التوحيد كقوله تعالى
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب وقرأ الآخرون بالجمع لقوله وملائكته
ورسله لا نفرق بين احد من رسله فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى
فيه اضمار تقديره وقالوا لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء فيكون خبرا عن الرسول ومعناه
لا يفرق الكل وانما قال بين احد ولم يقل آحاد لان الاحد يكون للواحد وللجمع قال الله تعالى فما منكم
من احد عنه حاجزين وقالوا سمعنا قولك واطعنا امرك روي عن حكيم بن جابر ان جبرائيل عم

قال للنبي صلعم حين نزلت هذه الاية ان الله قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه فسال بتلقين فقال
غفرانك وهو نصب على المصدر اي اغفر غفرانك او نسالك غفرانك ربنا واليك المصير قوله تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها ظاهر الاية قضاء الحاجة وفيها اضمار السؤال كانه قال وقولوا لا تكلفنا الا
وسعنا فاجاب لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق
عليه واختلفوا في تاويله فذهب ابن عباس وعطاء واكثر المفسرين الى انه اراد به حديث النفس
الذي ذكر في قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه كما ذكرنا وروي عن ابن عباس انه قال هم
المؤمنون خاصة وسع الله عليهم امر دينهم ولم يكلفهم فيه الا ما يستطيعون كما قال يريد الله بكم
اليسر وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج وسئل سفين بن عيينة عن قوله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها قال الا يسرها ولم يكلفها طاقتها وهذا قول حسن لان الوسع ما دون الطاقة
قوله لها ما كسبت اي للنفس ما عملت من الخير لها اجره وثوابه وعليها ما اكتسبت من الشر وعليها
وزره ربنا لا تؤاخذنا اي لا تعاقبنا ان نسينا جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو قال
الكلبي كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطؤا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شيء
من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك وقيل
هو من النسيان الذي هو الترك كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم قوله تعالى او اخطأنا قيل معناه القصد
والعمد يقال اخطأ فلان اذا تعمد قال الله تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا قال عطاء ان نسينا
او اخطأنا يعني ان جهلنا او تعمدنا وجعله الاكثرون من الخطأ الذي هو الجهل والسهو لان ما كان
عمدا من الذنب غير معفو عنه بل هو في مشية الله والخطأ معفو عنه قال النبي صلعم رفع عن امتي الخطأ
والنسيان وما استكرهوا عليه قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا اصرا اي عهدا ثقيلا وميثاقا لا نستطيع
القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود فلم يقوموا به
فعذبتهم هذا قول مجاهد وقتادة والسدي والكلبي وجماعة يدل عليه قوله تعالى واخذتم على ذلكم
اصري اي عهدي وقيل معناه لا تشدد ولا تغلظ الامر علينا كما شددت على من قبلنا من
اليهود وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم في الزكوة
ومن اصاب ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوها
من الاثقال والاغلال وهذا معنى قول عثمان وعطاء ومالك بن انس وابي عبيدة وجماعة
يدل عليه قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقيل الاصر ذنب لا توبة له

معناه اغصمنا من مثله والاصر فيه العقد والاحكام قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اي لا تكلفنا
من الاعمال ما لا نطيقه وقيل هو حديث النفس والوسوسة حكي عن مكحول انه قال هو الغلمة وعن
ابرهيم قال هو الحب وعن محمد بن عبد الوهاب قال العشق وقال ابن جريج هو مسخ القردة والخنازير
وقيل شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها قوله تعالى واعف عنا اي
وتجاوز وامح عنا ذنوبنا واغفر لنا استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا وارحمنا فانا لا ننال العمل
الا بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك انت مولانا ناصرنا وحافظنا وولينا فانصرنا على
القوم الكافرين روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله عز وجل غفرانك ربنا قال الله غفرت لكم
وفي قوله لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال لا اواخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا
احمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا احملكم واعف عنا الى آخره قال قد عفوت عنكم
وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال
آمين عن عبد الله قال لما اسري برسول الله صلعم انتهي به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السا
دسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها
فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال واعطي رسول الله صلعم
ثلثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من امته شيئا
المقحمات كبائر الذنوب وعن ابن مسعود قال قال النبي صلعم الآيتان من آخر سورة البقرة من
قراهما في ليلة كفتاه وعن النعمان بن بشير ان رسول الله صلعم قال ان الله كتب كتابا قبل ان
يخلق السموات والارض بالفي عام فانزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن في دار ثلث
ليال فيقربها شيطان

سورة آل عمران مائتان مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله قال الكلبي والربيع بن انس وغيرهما نزلت هذه الآيات في وفد نجران وكانوا ستين
راكبا قدموا على رسول الله صلعم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلثة نفر
يؤول امرهم اليهم العاقب امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه
عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة اسقفهم وحبرهم
... دخلوا مسجد رسول الله صلعم حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال رجال
بلحرث بن كعب يقول من رآهم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في
مسجد رسول الله صلعم فقال رسول الله صلعم دعوهم فصلوا الى المشرق فتكلم السيد والعاقب

فقال لهما رسول الله صلعم اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا
وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال
لهم النبي صلعم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان
ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل
شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال
فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا ياكل ولا يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون
ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولده ثم غذي كما يغذى الصبي
ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله تعالى
صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها فقال عز من قائل الم الله مفتوح الميم موصول
عند العامة وانما فتح الميم لالتقاء الساكنين حرك الى اخف الحركات وقرا ابو يوسف يعقوب بن
خليفة الاعشى عن ابي بكر الم الله مقطوعا سكن الميم على نية الوقف ثم قطع الهمزة للابتداء
واجراه على لغة من يقطع الف الوصل وقوله الله ابتداء وما بعده خبره وهو لا اله الا هو الحي
القيوم نعت له نزل عليك الكتاب اي القرآن بالحق بالصدق مصدقا لما بين يديه لما قبله
من الكتب في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرائع وانزل التوراة وانما قال وانزل
التوراة والانجيل لان التورية والانجيل نزلا جملة واحدة وقال في القرآن نزل لانه نزل
منفصلا والتنزيل للتكثير والتورية قال البصريون اصلها وورية على وزن فوعلة مثل دوخلة
وحوقلة فحولت الواو الاولى تاء وجعلت الياء المفتوحة الفا فصارت تورات ثم كتبت
بالياء على اصل الكلمة وقال الكوفيون اصلها تفعلة مثل توصية وتوفية فقلبت الياء الفا على
لغة طي فانهم يقولون للجارية جاراة وللتوصية توصاة واصلها من قولهم ورى الزند اذا
خرجت ناره واوريته انا قال الله تعالى افرايتم النار التي تورون فسمي تورية لانه
نور وضياء قال تعالى ضياء وذكرا للمتقين وقيل هو من التورية وهي كتمان السر والتعريض
بغيره وكان اكثر التورية معاريض من غير تصريح والانجيل افعيل من النجل وهو الخروج ومنه
سمي الولد نجلا لخروجه فسمي الانجيل به لان الله عز وجل اخرج به دارسا من الحق عافيا
ويقال هو من النجل وهو سعة العين سمي به لانه انزل وسعة لهم ونورا وقيل التورية بالعبرانية

تورية ومعناه الشريعة والانجيل بالسريانية انكليون ومعناه الاكليل وقوله من قبل
متعلق بانزل وقوله هدى للناس هاديا لمن تبعه ولم يثنه لانه مصدر وانزل الفرقان
الفرق بين الحق والباطل وقال السدي في الاية تقديم وتاخير تقديرها وانزل التوراة
والانجيل والفرقان هدى للناس ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله
عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الا
رحام كيف يشاء ذكرا وانثى ابيض واسود حسنا وقبيحا تاما وناقصا لا اله الا هو العزيز
الحكيم وهذا في الرد على وفد نجران من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله فكانه يقول كيف يكون
ولدا وقد صوره الله في الرحم وعن زيد بن وهب قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول حدثنا
رسول الله صلعم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم
يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك او قال يبعث اليه الملك باربع
كلمات فيكتب رزقه وعمله واجله وشقي او سعيد قال وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما
يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل
بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيد
خلها وعن حذيفة بن اسيد يبلغ به النبي صلعم قال يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم
باربعين او خمسة واربعين ليلة فيقول يا رب اشقي او سعيد فيكتبان فيقول اي رب اذكر
او انثى فيكتبان ويكتب عمله واثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها
ولا ينقص هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات مبينات مفصلات سميت
محكمات من الاحكام كانه احكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها
هن ام الكتاب اي اصله الذي يعمل عليه في الاحكام وانما قال هن ام الكتاب ولم يقل امهات
الكتاب لان الايات كلها في تكاملها واجتماعها كالاية الواحدة وكلام الله واحد وقيل معناه
كل اية منهن ام كما قال وجعلنا ابن مريم وامه اية اي كل واحد منهما اية واخر جمع
اخرى ولم تصرف لانه معدول عن اواخر مثل عمر وزفر متشابهات فان قيل كيف فرق ههنا
بين المحكم والمتشابه وقد جعل كل القران محكما في موضع اخر فقال الر كتاب احكمت اياته
وجعل كله متشابها في موضع اخر فقال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها قيل حيث جعل الكل
محكما اراد ان الكل حق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعل الكل متشابها اراد ان بعضه

يشبه بعضها بعضا في الحق والصدق وفي الحسن وجعل ههنا بعضه محكما والبعض متشابها واختلف العلماء
فيهما فقال ابن عباس المحكمات هي الايات الثلث في سورة الانعام قل تعالوا اتل ما حرم
ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى ربك الا تعبدوا الايات وعنه انه قال
المتشابهات حروف التهجي في اوائل السور وقال مجاهد وعكرمة المحكمات ما فيه الحلال والحرام
وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضها بعضا في الحق ويصدق بعضها بعضا كقوله وما يضل به
الا الفاسقين ويجعل الرجس على الذين لا يؤمنون وقال قتادة والضحاك والسدي المحكم النا
سخ الذي يعمل به والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به وروى علي بن ابي طلحة عن ابن
عباس قال المحكمات القران ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به
والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وامثاله واقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به وقيل المحكمات
ما اوقف الله الخلق على معناها والمتشابه ما استاثر الله بعلمه لا سبيل لاحد الى علمه نحو الخبر عن اشراط
الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى عم وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا وقال محمد
جعفر بن الزبير المحكم ما لا يحتمل من التاويل غير وجه واحد والمتشابه ما احتمل اوجها وقيل المحكم
ما يعرف معناه ويكون حججه واضحة ودلائله لائحة لا تشتبه والمتشابه هو الذي يدرك علمه
بالنظر ولا تعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل وقال بعضهم المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى
والمتشابه ما لا يستقل بنفسه الا برده الى غيره وقال ابن عباس في رواية باذان المتشابه
حروف التهجي في اوائل السور وذلك ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن
الاشرف ونظراؤهم اتوا النبي صلعم فقال له حيي بلغنا انه انزل عليك الم فننشدك بالله
انزلت عليك قال نعم قال فان كان ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة
فهل انزل غيرها قال المص قال فهذه اكثر هي احدى وستون ومائة سنة فهل غيرها قال الر قال
هذه اكثر هي مائتان واحدى وثلثون سنة فهل غيرها قال المر قال هذه اكثر هي مائتان
واحدى وسبعون سنة ولقد خلطت علينا فلا ندري ابكثيره نأخذ ام بقليله ونحن ممن
لا نؤمن بهذا فانزل الله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام
الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وقيل شك
فيتبعون ما تشابه منه واختلفوا في المعنى بهذه الاية قال الربيع هم وفد نجران خاصموا النبي
صلعم في عيسى وقالوا الست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله تعالى

هذه الاية وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم اجل هذه الامة واستخراجها بحساب الجمل وقال ابن جريج هم المنافقون وقال الحسن هم الخوارج وكان قتادة اذا قرا هذه الاية فاما الذين في قلوبهم زيغ قال ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا ادري من هم وقيل هم جميع المبتدعة وعن عايشة قالت تلا رسول الله صلعم هذه الاية هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الى قوله الالباب قالت قال رسول الله صلعم فاذا رايت الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم • ابتغاء الفتنة • طلب الشرك قاله الربيع والسدي وقال مجاهد ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم • وابتغاء تاويله • تفسيره وعلمه دليله قوله سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا وقيل ابتغاء عاقبته وطلب اجل هذه الامة من حساب الجمل دليله قوله تع ذلك خير واحسن تاويلا اي عاقبة • وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم • اختلف العلماء في نظم هذه الاية فقال قوم الواو في قوله والراسخون واو العطف يعني ان تاويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم • يقولون آمنا به • وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حالا معناه والراسخون في العلم قايلين آمنا به هذا كقوله تع ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى ثم قال للفقراء الذين اخرجوا من ديارهم الى ان قال والذين تبوءوا الدار والايمان ثم قال والذين جاؤوا من بعدهم وهذا عطف على ما سبق ثم قال يقولون ربنا اغفر لنا يعني هم مع استحقاقهم للفيء يقولون ربنا اغفر لنا اي قايلين على الحال وروي عن ابن عباس انه كان يقول في هذه الاية انا من الراسخين في العلم وعن مجاهد انا ممن يعلم تاويله وذهب الاكثرون الى ان الواو في قوله والراسخون واو الاستيناف وتم الكلام عند قوله وما يعلم تاويله الا الله وهو قول ابي بن كعب وعايشة وعروة بن الزبير ورواية طاوس عن ابن عباس وبه قال الحسن واكثر التابعين واختاره الكسائي والفراء والاخفش وقالوا لا يعلم تاويل المتشابه الا الله ويجوز ان يكون للقرآن تاويل استاثر الله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كما استاثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عم ونحوها والخلق متعبدون في المتشابه بالايمان به وفي المحكم بالايمان به والعمل ومما يصدق ذلك قراءة عبد الله ان تاويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وفي حرف ابي ويقول الراسخون في العلم آمنا به وقال عمر بن

والجملة حال وكل مبتدا [illegible] ربنا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عند ربنا وقيل آمنا به [illegible]

عبد العزيز في هذه الاية انتهى علم الراسخين في العلم بتاويل القرآن الى ان قالوا آمنا به كل من عند ربنا وهذا القول اقيس في العربية واشبه بظاهر الاية قوله تع والراسخون اي الداخلون في العلم هم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في معرفتهم شك واصله من رسوخ الشيء في الشيء وهو ثبوته يقال رسخ الايمان في قلب فلان يرسخ رسخا ورسوخا وقيل الراسخون علماء مؤمني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه دليله قوله تع لكن الراسخون في العلم منهم يعني الدارسين علم التورية وسئل مالك بن انس عن الراسخين في العلم قال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه اربعة اشياء التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه وقال ابن عباس ومجاهد والسدي بقولهم آمنا به سماهم الله تعالى راسخين في العلم فرسوخهم في العلم قولهم آمنا به اي بالمتشابه • كل من عند ربنا • المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا وما لم نعلم • وما يذكر • يتعظ بما في القرآن • الا اولوا الالباب • اي ذوو العقول • ربنا لا تزغ قلوبنا • اي ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا اي لا تملها عن الحق والهدى كما ازغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ • بعد اذ هديتنا • وثبتنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك • وهب لنا من لدنك • اعطنا من عندك • رحمة • توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الايمان والهدى وقال الضحاك تجاوزا ومغفرة • انك انت الوهاب • وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلعم ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن اذا شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان ازاغه وكان رسول الله صلعم يقول اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويضع آخرين الى يوم القيمة وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلعم مثل القلب كريشة بارض فلاة يقلبها الريح ظهرا لبطن • ربنا انك جامع الناس ليوم • اي لقضاء يوم وقيل اللام بمعنى في اي في يوم • لا ريب فيه • اي لا شك فيه وهو يوم القيمة • ان الله لا يخلف الميعاد • وهو مفعال من الوعد • ان الذين كفروا لن تغني عنهم • لن تنفع ولن تدفع عنهم • اموالهم ولا اولادهم من الله • قال الكلبي من عذاب الله وقال ابو عبيدة من بمعنى عند اي عند الله • شيئا واولئك هم وقود النار كداب آل فرعون • قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر والتكذيب وقال عطاء والكسائي وابو عبيدة كسنة آل فرعون وقال الاخفش كامر آل فرعون وشانهم وقال النضر بن شميل

واذ هنا ليس بظرف [illegible] بعد الهداية

قال [illegible] الكاف [illegible] لان الكاف [illegible] تقديره [illegible] آل فرعون

كعادة فرعون يريد كعادة حلول الكفار في تكذيب الرسول وجحود الحق كعادة آل فرعون
والذين من قبلهم كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم كذبوا بآياتنا فأخذهم
الله فعاقبهم الله بذنوبهم وقيل نظم الآية إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا
أولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية أخذناهم فلم تغن عنهم
أموالهم ولا أولادهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم
قرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما أي إنهم يغلبون ويحشرون وقرأ الآخرون بالتاء فيهما على الخطاب
أي قل لهم إنكم ستغلبون وتحشرون قال مقاتل أراد مشركي مكة معناه قل لكفار مكة ستغلبون
يوم بدر وتحشرون إلى جهنم في الآخرة فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلعم يوم بدر إن الله
غالبكم وحاشركم إلى جهنم وقال بعضهم المراد بهذه الآية اليهود وقال الكلبي عن أبي صالح عن
ابن عباس أن يهود أهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلعم المشركين يوم بدر هذا والله
النبي الذي بشرنا به موسى لا ترد له راية وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر
إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلعم شكوا وغلب عليهم الشقاء
فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله عهد إلى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب
بن الأشرف في ستين راكبا إلى مكة يستنفرهم فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله صلعم
فأنزل الله فيهم هذه الآية وقال محمد بن إسحق عن رجاله ورواه سعيد بن جبير وعكرمة
عن ابن عباس أيضا لما أصاب رسول الله صلعم قريشا ببدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود
في سوق قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر
وأسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في
كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة
إنا والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود
ستغلبون تهزمون وتحشرون في الآخرة إلى جهنم وبئس المهاد الفراش أي بئس ما
مهد لهم يعني النار قد كان لكم آية ولم يقل كانت والآية مؤنثة لأنه ردها إلى البيان
أي قد كان لكم بيان فذهب إلى المعنى وقال الفراء إنما ذكر لأنه حالت الصفة بين الفعل والاسم
المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه فمعنى الآية قد كان لكم آية أي عبرة ودلالة
على صدق ما أقول إنكم ستغلبون في فئتين فرقتين وأصلها في الحرب لأن بعضهم يفيء إلى بعض

التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله في طاعة الله وهم رسول الله صلعم وأصحابه وكا
نوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعين رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون من
الأنصار وصاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة
وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن أبي مرثد وأكثرهم
رجالة وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف وأخرى كافرة أي فرقة
أخرى كافرة وهم مشركوا مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة رأسهم عتبة بن ربيعة بن
عبد شمس وفيهم مائة فرس وكانت حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله صلعم يرونهم مثليهم قرأ
أهل المدينة ويعقوب بالتاء يعني ترون يا معشر اليهود أهل مكة مثلي المسلمين وذلك أن
جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة فرأوا المشركين مثلي عدد
المسلمين ورأوا النصرة مع ذلك للمسلمين فكان ذلك معجزة وآية وقرأ الآخرون بالياء واختلفوا في
وجهه فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما
هم فإن قيل كيف قال مثليهم وهم كانوا ثلثة أمثالهم قيل هذا مثل قول الرجل وعنده درهم أنا
احتاج إلى مثلي هذا الدرهم يعني إلى مثليه سواه فيكون ثلثة دراهم والتأويل الثاني وهو الأصح
كان المسلمون يرون المشركين مثلي عددهم قللهم الله في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة
وعشرين ثم قللهم في أعينهم في حالة أخرى حتى رأوهم مثل عدد أنفسهم قال ابن مسعود نظرنا إلى
المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم
الله أيضا في أعينهم حتى رأوهم عددا يسيرا أقل من أنفسهم قال ابن مسعود حتى قلت لرجل
إلى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة وقال بعضهم الرؤية راجعة إلى المشركين يعني يرى
المشركون المؤمنين مثليهم قللهم الله في أعينهم قبل القتال أي في أعين المشركين ليجترئ المشركون
عليهم ولا ينصرفوا فلما أخذوا في القتال كثرهم في أعين المشركين ليجبنوا وقللهم في أعين المؤمنين
ليجترئوا فذلك قوله وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم رأي العين
أي في رأي العين نصب بنزع حرف الصفة والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك الذي ذكرت
لعبرة لأولي الأبصار لذوي العقول وقيل لمن أبصر الجمعين زين للناس حب الشهوات
جمع شهوة وهي ما تدعو النفس إليه من النساء بدأ بهن لأنهن حبائل الشيطان
والبنين والقناطير جمع قنطار واختلفوا فيه قال الربيع بن أنس القنطار المال الكثير

بعضه على بعض وقال معاذ بن جبل القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابن عباس والضحاك الف
ومائتا مثقال وعنهما رواية اخرى اثنا عشر الف درهم او الف دينار دية احدكم وعن الحسن قال
القنطار دية احدكم وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال
ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة
ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وقال السدي اربعة آلاف مثقال وقال الحكم القنطار ما
بين السماء والارض من مال وقال ابو نضرة ملء مسك ثور ذهبا او فضة وسمي قنطارا من
الاحكام يقال قنطرت الشيء اذا احكمته ومنه سميت القنطرة المقنطرة قال الضحاك
المحصنة المحكمة قال قتادة هي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض وقال يمان المدفونة وقال
السدي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير وقال الفراء المضعفة فالقناطير ثلاثة
والمقنطرة تسعة من الذهب والفضة وقيل سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها
تنفض اي تتفرق والخيل المسومة الخيل جمع لا واحد له من لفظه واحدها فرس كالقوم والنساء
وكونها المسومة قال مجاهد هي المطهمة الحسان وقال عكرمة تسويمها حسنها وقال سعيد بن
جبير هي الراعية يقال اسام الخيل وسومها قال الحسن وابو عبيدة هي المعلمة من السيماء والسيماء
العلامة ثم منهم من قال سيماها الشية واللون وهو قول قتادة وقيل الكي والانعام
جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه والحرث يعني الزرع ذلك الذي
ذكرت متاع الحيوة الدنيا يشير الى انها متاع يفنى والله عنده حسن المآب اي المرجع
فيه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة قل اؤنبئكم اخبركم بخير من ذلكم للذين
اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان
من الله قرأ العامة بكسر الراء وروى ابو بكر عن عاصم بضم الراء وهما لغتان كالعدوان
والعدوان عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلعم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة
فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى
يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون
يا رب واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا والله
بصير بالعباد الذين يقولون ان شئت جعلته محل الذين خفضا ردا على قوله للذين اتقوا وان
شئت جعلته رفعا على الابتداء ويحتمل ان يكون نصبا تقديره اعني الذين يقولون ربنا اننا آمنا
تقديره هم الذين

صدقنا فاغفر لنا ذنوبنا استر علينا وتجاوز عنا وقنا عذاب النار الصابرين ان شئت
نصبتها على المدح وان شئت خفضتها على النعت يعني الصابرين في اداء الامر وعن ارتكاب النهي
وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين في ايمانهم قال قتادة هم قوم صدقت
نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم فصدقوا في السر والعلانية والقانتين المطيعين المصلين
والمنفقين اموالهم في طاعة الله والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي
يعني المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم انه قال هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقيل
بالسحر لقربه من الصبح وقال الحسن مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن
عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله
ويدعو حتى يصبح وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ينزل الله الى السماء الدنيا كل ليلة حين
يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك انا الملك من الذي يدعوني فاستجيب له من الذي يسألني فاعطيه
من الذي يستغفرني فاغفر له وحكي عن الحسن ان لقمان قال لابنه يا بني لا تكونن اعجز
من هذا الديك يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك شهد الله انه لا اله الا هو
قيل نزلت هذه الآية في نصارى نجران وقال الكلبي قدم حبران من احبار الشام على النبي
صلعم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلعم يخرج
في آخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال
انا محمد واحمد قالا انا نسألك عن شيء فان اخبرتنا آمنا بك وصدقناك فقال سلا قالا اخبرنا
عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الآية فاسلم الرجلان قوله شهد الله
اي بين الله لان الشهادة تبيين وقال مجاهد حكم الله وقيل اعلم الله انه لا اله الا هو قال
ابن عباس خلق الله الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح
باربعة آلاف سنة فشهد بنفسه لنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا ارض
ولا بر ولا بحر فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة اي وشهدت الملائكة قيل معنى شهادة
الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار واولوا العلم يعني الانبياء
عليهم السلام وقال ابن كيسان يعني المهاجرين والانصار وقال مقاتل علماء مؤمني اهل الكتاب
عبد الله بن سلام واصحابه قال السدي والكلبي يعني جميع علماء المؤمنين قائما بالقسط اي بالعدل
ونظم الآية شهد الله قائما بالقسط نصبا على الحال وقيل على القطع ومعنى قوله قائما بالقسط اي قائم

بتدبير الخلق كما يقال فلان قايم بامر فلان اى مدبر له ومتعهد لاسبابه وقايم بحق فلان
اى مجاز له فالله جل ذكره مدبر رازق مجاز بالاعمال لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين
عند الله الاسلام يعني الدين المرضي الصحيح كما قال ورضيت لكم الاسلام دينا وقال ومن
يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وفتح الكسائي الالف من ان الدين ردا على ان الاول
تقديره شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام او شهد الله ان الدين عند الله
الاسلام بانه لا اله الا هو وكسر الباقون الالف على الابتداء والاسلام هو الدخول في السلم وهو
الانقياد والطاعة يقال اسلم اى دخل في السلم واستسلم قال قتادة في قوله ان الدين عند الله الاسلام
قال شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله وهو دين الله الذي شرع
لنفسه وبعث به رسله ودل عليه اولياءه ولا يقبل غيره ولا يجزي الا به وعن عمار بن عمر بن
المختار حدثني ابي عن غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش
فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه
الاية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
ثم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله
وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيا فصليت معه وودعته
ثم قلت اني سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك
اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وايل عن
عبد الله قال قال رسول الله صلعم يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي
عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قال
الكلبي نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام اى خلوا اى وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب في نبوة محمد صلعم الا من بعد ما جاءهم يعني بيان نعته في كتبهم وقال الربيع
ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من احبار بني اسرائيل فاستودعهم التوراة
واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث وقعت الفرقة بينهم
وهم الذين اوتوا الكتاب من ابناء اولئك السبعين حتى اهرقوا بينهم الدماء ووقع الشر
والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التورية بغيا بينهم اى طلبا
للملك والرياسة فسلط عليهم الجبابرة وقال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت في نصارى نجران

معناها وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعني الانجيل في امر عيسى وفرقوا القول فيه الا
من بعد ما جاءهم العلم بان الله اله واحد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم اى المعاداة
والمخالفة ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك اى خاصموك يا
يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية
والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فقال الله تعالى فقل اسلمت وجهي لله اى
اخلصت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه لانه اكرم جوارح الانسان
وفيه بهاؤه فاذا خضع وجهه للشي خضع له ساير جوارحه وقال الفراء معناه اخلصت
عملي لله ومن اتبعن اى ومن اتبعني اسلم كما اسلمت واثبت الياء نافع وابو عمرو والياء في قوله
اتبعني على الاصل وحذفه الاخرون على الخط لانها في المصحف بغير ياء وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين يعني العرب ءاسلمتم لفظه استفهام ومعناه امر اى اسلموا كما قال فهل انتم
منتهون اى انتهوا فان اسلموا فقد اهتدوا فقرا رسول الله صلعم هذه الاية فقال اهل
الكتاب اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله
وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا
فقال عز وجل فان تولوا فانما عليك البلاغ تبليغ الرسالة وليس اليك الهداية والله
بصير بالعباد عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن ان الذين يكفرون بايات الله
يعني القران وهم اليهود والنصارى ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون
بالقسط من الناس وقرا حمزة ويقاتلون الذين يامرون قال ابن جريج كان الوحي ياتي
الى انبياء بني اسرائيل ولم يكن ياتيهم كتاب فيذكرون قومهم فيقتلون فيقوم رجال
ممن اتبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون ايضا فهم الذين يامرون بالقسط من الناس
عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت لرسول الله صلعم اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل
قتل نبيا او رجلا امر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرا رسول الله صلعم ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى ان انتهى وما لهم من ناصرين ثم قال رسول
الله صلعم يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام
مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر
فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وانزل الاية فيهم

فبشرهم بعذاب اليم وجيع وانما ادخل الفاء على الباء على تقدير الفاء ان وتقدير الذين يكفرون ويقتلون فبشرهم لانه لا يقال ان زيدا فقائم اولئك الذين حبطت بطلت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين بطلان العمل في الدنيا ان لا يقبل وفي الاخرة ان لا يجازى عليه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني اليهود يدعون الى كتاب الله اختلفوا في هذا الكتاب قال قتادة هم اليهود دعوا الى حكم القرآن فاعرضوا عنه وروى الضحاك عن ابن عباس في هذه الاية ان الله تعالى جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلعم فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وقال آخرون هو التوراة روى عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلعم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلعم فهلموا الى التورية فهي بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله هذه الاية وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان رجلا وامراة من اهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلعم ورجوا ان يكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلعم بيني وبينكم التورية قالوا قد انصفتنا قال فما اعلمكم بالتورية قالوا رجل اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبرائيل قد وصفه لرسول صلعم فقال له رسول الله انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله صلعم بشيء من التورية فيها الرجم مكتوب فقال اقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام فرفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله صلعم وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المراة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلعم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك وانصرفوا فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا حظا من الكتاب التورية يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم والغرور هو الاطماع فيما لا يحصل منه شيء ما كانوا يفترون والافتراء اختلاق الكذب فكيف

اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه اي فكيف حالهم او كيف يصنعون اذا جامعناهم ليوم لا ريب فيه وهو يوم القيمة ووفيت وفرت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون لا ينقصون من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم قل اللهم مالك الملك قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلعم سأل ربه ان يجعل ملك فارس والروم في امته فانزل الله عليه هذه الاية وقال ابن عباس وانس بن مالك لما افتتح رسول الله صلعم مكة ووعد امته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل الله هذه الاية قوله اللهم قيل يا الله فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره وقال قوم للميم فيه معنى ومعناه يا الله امنا بخير اي اقصدنا حذف منه حرف النداء كقولهم هلم الينا كان اصله هل ام الينا ثم كثرت في الكلام فحذفت الهمزة استخفافا وربما خففوا ايضا فقالوا الا هلم قوله مالك الملك اي مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك السموات والارض وقال الله تعالى في بعض الكتب انا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم تؤتي الملك من تشاء قال مجاهد وسعيد بن جبير يعني ملك النبوة وقال الكلبي تؤتي الملك من تشاء محمدا واصحابه وتنزع الملك ممن تشاء ابي جهل وصناديد قريش وقيل تؤتي الملك من تشاء العرب وتنزع الملك ممن تشاء فارس والروم وقال السدي تؤتي الملك من تشاء آتى الله الانبياء عليهم السلام وامر العباد بطاعتهم وتنزع الملك ممن تشاء نزعه من الجبارين وامر العباد بخلافهم وقيل تؤتي الملك من تشاء آدم وولده وتنزع الملك ممن تشاء ابليس وجنده وتعز من تشاء وتذل من تشاء قال عطاء تعز من تشاء المهاجرين والانصار وتذل من تشاء فارس والروم وقيل تعز من تشاء محمدا صلعم واصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء ابا جهل واصحابه حتى حزت رؤسهم والقوا في القليب وقيل تعز من تشاء بالايمان والهداية وتذل من تشاء بالكفر والضلالة وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالنصر وتذل من تشاء بالقهر وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة

والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع بيدك الخير اي بيدك الخير والشر فاكتفى بذكر احدهما كما قال سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار اي تدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وتولج النهار في الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص من احدهما زاد في الآخر وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قرأ اهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم الميت بتشديد الياء ههنا وفي الانعام ويونس والروم وفي الاعراف لبلد ميت وفي فاطر الى بلد ميت زاد نافع او من كان ميتا ولحم اخيه ميتا والارض الميتة احييناها فشددها والآخرون يخففونها وشدد يعقوب الحي من الميت ولحم اخيه ميتا قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة معنى الاية يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الحيوان وقال عكرمة والكلبي يخرج الحي من الميت اي الفرخ من البيضة ويخرج البيضة من الطير وقال الحسن وعطاء يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فالمؤمن حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقال الزجاج يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس ويخرج اليابس من النبات الحي النامي وترزق من تشاء بغير حساب من غير تضييق ولا تقتير عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك معلقات ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب لما اراد الله ان ينزلهن قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل بي حلفت لا يقرؤكن احد من عبادي دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه ولا اسكنته حظيرة القدس ولنظرت اليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين مرة ولقضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة ولاعذته من كل عدو وحاسد ونصرته منهم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد يظنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا اولئك اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فانزل الله هذه الاية وقال

مقاتل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره كانوا يظهرون المودة لكفار مكة وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار يرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلعم فانزل الله هذه الاية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم ومن يفعل ذلك اي موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهارهم على عورة المسلمين فليس من الله في شيء اي ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال الا ان تتقوا منهم تقاة يعني الا ان تخافوا منهم مخافة وقرأ مجاهد ويعقوب تقية على وزن بقية لانهم كتبوها بالياء ولم يكتبوها بالالف مثل حصاة ونواة وهي مصدر يقال تقيته تقاة وتقى وتقية وتقوى فاذا قلنا اتقيت كان مصدره الاتقاء وانما قال تتقوا من الاتقاء ثم قال تقية ولم يقل اتقاء لان معنى اللفظين اذا كان واحدا يجوز اخراج مصدر احدهما على لفظ الآخر كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا ومعنى الاية ان الله تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما او مالا حراما او يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل وسلامة النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذا رخصة فلو صبر حتى قتل فله اجر عظيم وانكر قوم التقية اليوم قال معاذ بن جبل ومجاهد كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام فليس ينبغي لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير في ايام الحجاج ان الحسن كان يقول لكم التقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس في الاسلام تقية انما التقية في اهل الحرب ويحذركم الله نفسه اي يخوفكم الله عقوبته على موالاة الكفار وارتكاب المنهي ومخالفة المأمور والى الله المصير قل ان تخفوا ما في صدوركم قلوبكم من مودة الكفار او تبدوه من موالاتهم قولا وفعلا يعلمه الله وقال الكلبي ان تسروا ما في قلوبكم لرسول الله صلعم من التكذيب او تظهروه بحربه وقتاله يعلمه الله ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به ثم قال ويعلم رفع على الاستئناف ما في السموات وما في الارض يعني اذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم اليهم بالقلب والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس نصب يوما بنزع حرف الصفة اي في

اي في يوم وقيل باضمار فعل اي اذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
لم ينقص منه شي كما قال ووجدوا ما عملوا حاضرا وما عملت من سوء جعله بعضهم خبرا
في موضع النصب اي تجد محضرا ما عملت من الخير والشر فتسر بما عملت من الخير وجعله بعضهم
خبرا مستانفا دليل هذا التاويل قراة ابن مسعود وما عملت من سوء ودت لو ان بينها
وبينه تود لو ان بينها اي بين النفس وبينه يعني وبين السوء امدا بعيدا قال السدي
مكانا بعيدا وقال مقاتل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية التي ينتهي اليها وقال
الحسن يسر احدهم ان لا يلقى عمله ابدا وقيل يود انه لم يعمله ويحذركم الله نفسه والله رؤف
بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا
نحن ابناء الله واحباؤه وقال الضحاك عن ابن عباس وقف النبي صلعم على قريش وهم في
المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها
الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابرهيم واسمعيل
فقالت له قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فقال الله قل يا محمد ان كنتم
تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته
عليكم اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فحب المؤمنين لله اتباعهم امره وايثار طاعته
وابتغاء مرضاته وحب الله المؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله تعالى
ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وقيل لما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن ابي لاصحابه
ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فنزل
تعالى قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا اعرضوا عن طاعتهما فان الله لا يحب الكافرين
لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال كل امتي يدخلون الجنة
الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وعن سعيد بن
مينا قال حدثنا او سمعت جابر بن عبد الله جاءت ملائكة الى النبي صلعم وهو نايم فقال
بعضهم انه نايم وقال بعضهم ان العين نايمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا
مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم انه نايم وقال بعضهم ان العين نايمة والقلب يقظان
فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها
مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب

الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فقالوا اولوها له يفقهها فقال بعضهم انه نايم
وقال بعضهم ان العين نايمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد صلعم فمن اطاع
محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس ان الله اصطفى ادم
ونوحا قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابناء ابرهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم
فانزل الله تعالى هذه الاية يعني ان الله اصطفى هولاء بالاسلام وانتم على غير دين الاسلام اصطفى
اختار افتعل من الصفوة وهي الخالص من كل شي آدم ابو البشر ونوحا وآل ابرهيم وآل
عمران قيل اراد بآل ابرهيم وآل عمران ابرهيم وعمران نفسهما كقوله تعالى وبقية مما ترك آل
موسى وآل هرون يعني موسى وهرون وقال الاخرون آل ابرهيم اسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وكان محمد صلعم من آل ابرهيم واما آل عمران فقال مقاتل هو عمران بن
يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وآله موسى وهرون وقال الحسن ووهب
هو عمران بن اشهم بن آمون من ولد سليمان بن داود وآله مريم وعيسى وقيل عمران
بن ماثان وانما خص هولاء بالذكر لان الانبياء والرسل كلهم من نسلهم على العالمين ذرية
اشتقاقها من ذرا بمعنى خلق وقيل من الذر لانه استخرجهم من صلب ابيهم آدم كالذر
وتسمى الاباء والاولاد ذرية فالابناء ذرية لانه ذراهم والاباء ذرية لانه ذرا الابناء
منهم قال الله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم اي اباءهم ذرية نصب على معنى واصطفى
ذرية بعضها من بعض اي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر وقيل بعضها
على دين بعض والله سميع عليم اذ قالت امراة عمران وهي حنة بنت فاقوذا ام مريم
وعمران هو عمران بن ماثان وليس بعمران ابي موسى وبينهما الف وثمان مائة سنة وكان
بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم وقيل عمران بن اشهم رب اني نذرت
لك ما في بطني محررا اي جعلت الذي في بطني محررا نذرا مني لك والنذر ما يوجبه الا
نسان على نفسه محررا اي عتيقا خالصا لله مفرغا لعبادة الله ولخدمة الكنيسة لا اشغله
من الدنيا وكل ما اخلص لله فهو محرر يقال حررت العبد اذا اعتقته وخلصته عن الرق قال
الكلبي ومحمد بن اسحق وغيرهما كان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها
ويخدمها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب اقام فيه وان احب ذهب حيث شاء
وان اراد ان يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك ولم يكن احد من الانبياء والعلماء الا ومن

نسله محررا لبيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض
والاذى فحررت ام مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك ان زكريا وعمران تزوجا اختين
فكانت ايشاع بنت فاقوذا ام يحيى عند زكريا وحنة بنت فاقوذا ام مريم عند عمران
وكان قد امسك عن حنة الولد حتى ايست وكانوا اهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل
شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت بذلك نفسها للولد فدعت الله ان يهب لها ولدا
وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته
وخدمه فحملت مريم فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك
ما صنعت ارايت ان كان ما في بطنك انثى لا يصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك
فتقبل مني انك انت السميع العليم وهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اي ولدتها
اذا هي جارية والهاء في قوله وضعتها راجعة الى النذيرة لا الى ما ولذلك انثت قالت
حنة وكانت ترجو ان يكون غلاما رب اني وضعتها انثى اعتذارا الى الله عز وجل
والله اعلم بما وضعت بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى وهي قراءة العامة وقرا ابن عامر
وابو بكر ويعقوب وضعت برفع التاء جعلوها من كلام ام مريم وليس الذكر كالانثى
في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض
والنفاس واني سميتها مريم وهي بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم اجمل النساء
في وقتها وافضلها واني اعيذها امنعها واجيرها بك وذريتها اولادها من
الشيطان الرجيم فالشيطان الطريد اللعين والرجيم المرمي بالشهب وعن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلعم يقول ما من بني آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد
فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة واني اعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم كل بني آدم يطعن
الشيطان في جنبيه باصبعيه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب
فتقبلها ربها بقبول حسن اي تقبل الله مريم من حنة مكان المحرر وتقبل بمعنى قبل
ورضي والقبول مصدر قبل يقبل قبولا مثل الولوع والوزوع ولم يات غيره في هذه
اللغة وقيل معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشانها وانبتها نباتا حسنا معناه
وانبتها فنبتت نباتا حسنا وقيل هذا مصدر على غير الصدر وكذلك قوله فتقبلها ربها بقبول

حسن ومثله شائع كقولك تكلمت كلاما وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
فتقبلها ربها بقبول اي سلك بها طريق السعداء وانبتها نباتا يعني سوى خلقها من غير زيادة
ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في العام وكفلها زكريا قال اهل الاخبار
اخذت حنة مريم حين ولدتها فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار ابناء
هرون وهم يومئذ يلون في بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم
هذه النذيرة فتنافسوا فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم
زكريا انا احقكم بها عندي خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس
بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وكانوا
تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قال السدي هو نهر الاردن فالقوا اقلامهم في الماء على ان
من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو اولى بها وقيل كان على كل قلم اسم كل واحد منهم وقيل كانوا يكتبون
في التورية فالقوا اقلامهم التي كانت بايديهم في الماء فارتز قلم زكريا فارتفع فوق الماء وانحدرت
اقلامهم ورسبت في النهر قاله محمد بن اسحق وجماعة وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى الماء
وجرت اقلامهم بجري الماء وقال السدي وجماعة بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كانه في طين
وجرت اقلامهم في جرية الماء فذهب بها الماء فسهمهم وقرعهم زكريا وكان راس الاحبار ونبيهم
فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرا حمزة والكسائي وعاصم بتشديد الفاء فيكون زكريا في محل النصب
اي ضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة وقرا الآخرون بالتخفيف فيكون زكريا في محل الرفع اي
ضمها زكريا الى نفسه وقام بامرها وهو زكريا بن آذن بن مسلم بن صدوق من اولاد سليمان
بن داود وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم زكريا مقصورا والآخرون بمدونه فلما ضم
زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقال محمد بن اسحق ضمها الى خالتها ام
يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى
اليها الا بالسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها ودهنها
كل يوم كلما دخل عليها زكريا المحراب واراد بالمحراب الغرفة والمحراب اشرف المجالس
ومقدمها وكذلك هو من المسجد ويقال للمسجد ايضا محراب قال المبرد لا يكون المحراب الا ان يرتقى
اليه بدرج قال الربيع بن انس كان زكريا اذا خرج يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها
غرفتها وجد عندها رزقا اي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء
اي في غرفتها

الارتزاز الاستواء والثبوت

في الصيف قال يا مريم أنى لك هذا قال ابو عبيدة معناه من اين لك هذا وانكر بعضهم عليه
وقال معناه من اي جهة لك هذا لان أنى للسوال عن الجهة واين للسوال عن المكان قالت
هو من عند الله اي من قطف الجنة قال الحسن حين ولدت مريم لم تلقم ثديا قط كان يأتيها رزقها
من الجنة فيقول لها زكريا أنى لك هذا قالت هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب قال محمد بن اسحق ثم اصابت بني اسرائيل ازمة وهي على ذلك من حالها حتى
ضعف زكريا عن حملها فخرج على بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت
عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدي قالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ما ترى
فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل نجار
من بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم مريم فحملها فعرفت مريم في وجهه
شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فجعل يوسف
يرزق بمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها في الكنيسة
أنماه الله فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف
فيقول يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
قال اهل الاخبار فلما رأى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على ان يأتي مريم بالفاكهة في غير
حينها من غير سبب لقادر على ان يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه على الكبر فطمع في الو
لد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد شاخ وأسن وأيس من
الولد قال الله عز وجل هنالك اي عند ذلك دعا زكريا ربه فدخل المحراب واغلق الا
بواب وناجى ربه قال رب اي يا رب هب لي اعطني من لدنك اي من عندك ذرية طيبة
اي ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تكون واحدا وجمعا ذكرا وانثى وهو هنا
واحد بدليل قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا وانما قال طيبة لتانيث لفظ الذرية انك سميع
الدعاء اي سامعه وقيل مجيبه كقوله تعالى اني آمنت بربكم فاسمعون اي فاجيبوني فنادته
الملائكة قرأ حمزة والكسائي فناديه بالياء والآخرون بالتاء فمن قرأ بالتاء فلتانيث
لفظ الملائكة وللجمع مع ان الذكور اذا تقدم فعلهم وهم جماعة كان التانيث فيها احسن
كقوله تعالى قالت الاعراب وعن ابرهيم قال كان عبد الله بن مسعود يذكر الملائكة في
القران قال ابو عبيد انما نرى عبد الله اختار ذلك خلافا على المشركين في قولهم الملائكة بنات
نظن

الله وروى الشعبي ان ابن مسعود قال اذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوها ياء وذكروا
القران واراد بالملائكة ههنا جبريل وحده كقوله في سورة النحل ينزل الملائكة يعني جبريل
بالروح يعني بالوحي ويجوز في العربية ان يخبر عن الواحد بلفظ الجمع كقولهم سمعت هذا الخبر من
الناس وانما سمع من واحد نظيره قوله الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس
يعني ابا سفين بن حرب وقال المفضل بن سلمة اذا كان القائل رئيسا يجوز الاخبار عنه بالجمع
لاجتماع اصحابه معه وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة وقل ما يبعث الا ومعه جمع فجرى على ذلك
وهو قائم يصلي في المحراب اي في المسجد وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربا
ن ويفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في المحراب
يعني في المسجد عند المذبح يصلي والناس ينتظرون ان يأذن لهم في الدخول اذا هو برجل شاب
عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبرائيل يا زكريا ان الله يبشرك قرأ ابن عا
مر وحمزة ان الله بكسر الالف على اضمار القول تقديره فنادته الملائكة فقالت ان
الله وقرأ الآخرون بالفتح بايقاع النداء عليه كانه قال فنادته الملائكة بان الله يبشرك
قرأ حمزة يبشرك وبابه بالتخفيف كل القران الا قوله فبم تبشرون فانهم اتفقوا على
تشديدها ووافقه الكسائي ههنا في موضعين وفي سبحان والكهف وعسق ووافق ابن كثير
وابو عمرو في عسق والباقون بالتشديد فمن قرأ بالتشديد فهو من بشّر يبشّر تبشيرا وهو
اعرب اللغات وافصحها دليل التشديد قوله تعالى فبشر عبادي وبشرناه باسحق قالوا
بشرناك بالحق وغيرها من الآيات ومن خفف فهو من بشر يبشر وهي لغة تهامة وقراءة
ابن مسعود يبشرك بيحيى هو اسم لا يجر لمعرفته وللزائد في اوله مثل يزيد ويعمر وجمعه يحيون
مثل موسون وعيسون واختلفوا في انه لم سمي يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى احيا
به عقر امه قال قتادة لان الله احيا قلبه بالايمان وقيل لان الله احياه بالطاعة حتى لم
يعص ولم يهم بمعصية مصدقا نصب على الحال بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام كلمة لان الله
تعالى قال له كن من غير اب فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لانه يهتدى
به كما يهتدى بكلام الله وقيل هي بشارة الله مريم بعيسى بكلامه على لسان جبرائيل
عليه السلام وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء بكلامه في كتبه انه يخلق نبيا بلا اب فسماه كلمة
لحصوله بذلك الوعد وكان يحيى اول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى

بستة اشهر وكانا ابني الخالة ثم قتل يحيى قبل ان رفع عيسى عليهما السلام وقال ابو عبيدة
بكلمة من الله اي بكتاب الله وآياته يقول العرب انشدني كلمة فلان اي قصيدته وسيدا
وهو فعيل من ساد يسود وهو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله قال المفضل اراد سيدا فعيل بدل
في الدين قال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل
قال سعيد بن المسيب السيد الفقيه العالم قال قتادة سيد في العلم والعبادة والورع
وقيل الحليم الذي لا يغضبه شيء قال مجاهد الكريم على الله وقال الضحاك السيد التقي وقال
سفين الذي لا يحسد وقيل الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو القانع بما قسم الله له
وقيل هو السخي قال رسول الله صلعم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله
واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وحصورا ونبيا من الصالحين
الحصور اصله من الحصر وهو الحبس والحصور في قول ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن
جبير وقتادة وعطاء والحسن الذي لا ياتي النساء ولا يقربهن وهو على هذا القول فعول
بمعنى فاعل يعني انه يحصر نفسه عن الشهوات وقال سعيد بن المسيب هو العنين الذي لا ماء له
فيكون الحصور بمعنى المحصور كانه ممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة
الثوب وقد تزوج مع ذلك ليكون اغض لبصره وفيه قول آخر ان الحصور الممتنع من
الوطي مع القدرة عليه واختار قوم هذا القول لوجهين احدهما لان الكلام خرج في موضع
الثناء وهذا اقرب الى استحقاق الثناء والثاني انه ابعد من الحاق الآفة بالانبياء قال
رب اي يا سيدي قال لجبريل هذا قول الكلبي وجماعة وقيل قاله لله عز وجل اني يكون
من اين يكون لي غلام ابن وقد بلغني الكبر هذا من المقلوب اي وقد بلغت الكبر
وشخت كما يقال بلغني الجهد اي انا في الجهد وقيل معناه وقد نالني الكبر وادركني واضعفني
قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن ثنتين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين
سنة وقال الضحاك عن ابن عباس كان ابن عشرين ومائة سنة وكانت امراته بنت ثمان
وتسعين سنة فذلك قوله وامراتي عاقر اي عقيم لا تلد يقال رجل عاقر وامراة عاقر
وقد عقر بضم القاف يعقر عقرا وعقارة قال كذلك الله يفعل ما يشاء فان قيل لم قال
زكريا بعد ما وعده الله اني يكون لي غلام اكان شاكا في وعد الله وفي قدرته قيل ان زكريا
لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس من الله

انما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه اليك في سائر الامور فقال ذلك دفعا للو
سوسة قاله عكرمة والسدي وجواب آخر انه لم يشك في وعد الله انما شك في كيفيته اي كيف
ذلك اتجعلني وامراتي شابين ام ترزقنا ولدا على الكبر ام ترزقني من امراة اخرى فقال
سائلا لا شاكا هذا قول الحسن قال رب اجعل لي آية اي علامة اعلم بها وقت حمل امراتي
فازيد في العبادة شكرا لك قال آيتك ان لا تكلم الناس تكف عن الكلام ثلثة
ايام وتقبل بكليتك على عبادتي لانه حبس لسانه عن الكلام لكنه نهي عنه وهو صحيح
سوي كما قال في سورة مريم ان لا تكلم الناس ثلث ليال سويا يدل عليه وسبح بالعشي
والابكار فامره بالذكر ونهاه عن كلام الناس وقال اكثر المفسرين عقل لسانه عن الكلام
مع الناس ثلثة ايام قال قتادة امسك لسانه عن الكلام عقوبة له لسؤاله الآية بعد
مشافهة الملائكة اياه فلم يقدر على الكلام ثلثة ايام الا رمزا اي اشارة والاشارة
قد يكون باللسان وبالعين وباليد وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقال الفراء قد يكون
الرمز باللسان من غير ان يبين وهو الصوت الخفي شبه الهمس وقال عطاء اراد
به صوم ثلثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح
بالعشي والابكار قيل المراد بالتسبيح الصلوة والعشي ما بين زوال الشمس الى غروب
الشمس ومنه سمي صلوة الظهر والعصر العشي والابكار ما بين صلوة الفجر الى الضحى واذ
قالت الملائكة يعني جبرائيل يا مريم ان الله اصطفاك اختارك وطهرك قيل من مسيس
الرجال وقيل من الحيض والنفاس قال السدي كانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب
واصطفاك على نساء العالمين قيل على عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين في انها
ولدت بلا اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وقيل بالتحرير في المسجد ولم تحرر انثى وعن علي
رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلعم خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها
خديجة [illegible] ورواه وكيع وابو معاوية عن هشام بن عروة واشار وكيع الى
السماء والارض وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلعم كمل من الرجال كثير ولم
يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امراة فرعون وفضل عائشة على النساء
كفضل الثريد على سائر الطعام وعن انس ان النبي صلعم قال حسبك من نساء العالمين
مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امراة فرعون

يا مريم اقنتي لربك قالت لها الملائكة شفاها اي اطيعي ربك وقال مجاهد اطيلي
القيام في الصلوة لربك والقنوت الطاعة والقنوت طول القيام قال الاوزاعي لما قالت
لها الملائكة ذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا واسجدي واركعي
قيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود
في الشرائع كلها وليس الواو للترتيب بل للجمع يجوز ان يقول الرجل رايت زيدا وعمروا وان
كان قد راى عمروا قبل زيد مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات ليكون اعم واشمل فانه يدخل فيه
الرجال والنساء وقيل مع المصلين في الجماعة ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك رد الكناية
الى ما تقدم يقول لمحمد صلعم ذلك الذي ذكرت من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى من انباء اخبار
الغيب نوحيه اليك رد الكناية الى ذلك فلذلك ذكر وما كنت يا محمد لديهم اذ يلقون
اقلامهم سهامهم في الماء للاقتراع ايهم يكفل مريم يحضنها ويربيها وما كنت لديهم اذ
يختصمون في كفالتها اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى ابن مريم انما قال اسمه رد الكناية الى عيسى واختلفوا في انه لم سمي مسيحا فمنهم من قال
هو فعيل بمعنى المفعول يعني انه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل لانه مسح بالبركة
وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل مسحه جبرائيل بجناحه حتى لم يكن للشيطان
عليه سبيل وقيل لانه كان مسيح القدم لا اخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه كان ممسوح احدى
العينين وقال بعضهم هو فعيل بمعنى الفاعل مثل عليم وعالم قال ابن عباس سمي مسيحا
لانه ما مسح ذا عاهة الا برأ وقيل سمي بذلك لانه كان يسيح في الارض ولا يقيم في مكان
وعلى هذا القول تكون الميم فيه زائدة وقال ابرهيم النخعي المسيح الصديق ويكون بمعنى الكذا
ب وبه سمي الدجال والحرف من الاضداد وجيها اي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر في الدنيا
بالنبوة والتقديم على الناس والآخرة بالشفاعة وارتفاع درجته في الجنة ومن
المقربين عند الله ويكلم الناس في المهد صغيرا قبل اوان الكلام كما ذكره في سورة
مريم قال اني عبد الله آتاني الكتاب الاية وحكي عن مجاهد قال قالت مريم كنت اذا
خلوت انا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح في بطني وانا اسمع وكهلا
قال مقاتل يعني اذا اجتمع قبل ان يرفع الى السماء وقال الحسين بن الفضل وكهلا بعد نزوله من
السماء وقيل اخبرها انه يبقى حتى يكتهل وكلامه بعد الكهولة اخباره عن الاشياء المعجزة وقيل وكهلا

نبيا بشرها بنبوة عيسى وكلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة وقال مجاهد وكهلا اي
حليما والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة
الرأي والتجربة ومن الصالحين اي هو من العباد الصالحين قالت رب يا سيدي تقوله
لجبرائيل وقيل تقوله لله عز وجل اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم يصبني رجل قالت
ذلك تعجبا اذ لم تكن جرت العادة بان يولد ولد لا اب له قال كذلك الله يخلق ما يشاء
اذا قضى امرا اراد كون شيء فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب قرأ اهل المدينة
وعاصم ويعقوب بالياء لقوله تعالى كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل رده على قوله ان الله يبشرك
ونعلمه وقرأ الآخرون بالنون على التعظيم لقوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك قوله الكتاب
اي الكتابة والخط والحكمة العلم والفقه والتورية والانجيل علمه التورية والانجيل
ورسولا اي ونجعله رسولا الى بني اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام فلما بعث قال
اني قال الكسائي انما فتح اني لانه اوقع الرسالة عليه وقيل معناه باني قد جئتكم باية علامة
من ربكم تصدق قولي وانما قال باية وقد اتى بآيات لان الكل دل على شيء واحد وهو صدقه
في الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبني اسرائيل قالوا وما هي قال اني قرأ نافع بكسر الالف على الاستيناف
وقرأ الباقون بالفتح على معنى باني اخلق اي اصور وأقدر لكم من الطين كهيئة الطير قرأ ابو جعفر
كهيئة الطائر ههنا وفي المائدة والهيئة الصورة المهيئة من قولهم هيأت الشيء اذا قدرته
واصلحته فانفخ فيه اي في الطين فيكون طيرا باذن الله قرأه الاكثرون بالجمع لانه خلق طيرا
كثيرة وقرأ اهل المدينة ويعقوب فيكون طائرا على الواحد ههنا وفي سورة المائدة ذهبوا الى
نوع واحد من الطير لانه لم يخلق غير الخفاش وانما خص الخفاش لانه اكمل الطير خلقا لان
لها ثديا واسنانا وهي تحيض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فا
ذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله وليعلم ان الكمال لله عز وجل وابرئ
الاكمه والابرص اي اشفيهما واصححهما واختلفوا في الاكمه قال ابن عباس وقتادة هو
الذي ولد اعمى وقال الحسن والسدي هو الاعمى وقال عكرمة هو الاعمش وقال مجاهد هو
الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص الذي به وضح وانما خص هذين لانهما عيا آن وكان الغالب
على زمن عيسى الطب فاراهم الله المعجزة من جنس ذلك قال وهب ربما اجتمع على عيسى عم
من المرضى في اليوم الواحد خمسون الفا من اطاق منهم ان يبلغه ومن لم يطق مشى اليه

عيسى وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان واحيي الموتى باذن الله قال ابن عباس قد
احيا اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح فاما عازر فكان
صديقا له فارسلت اخته الى عيسى ان اخاك عازر يموت فأته وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة
ايام فاتاه هو واصحابه فوجده قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره
فانطلقت معهم الى قبره فدعا الله فقام عازر وودكه يقطر فخرج من قبره وبقي وولد له واما
ابن العجوز مر به ميتا على عيسى على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق
الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقي وولد له واما ابنة العاشر
فكان رجلا يأخذ العشور ماتت له بنت بالامس فدعا الله عز وجل فاحياها فبقيت وولد لها
واما سام بن نوح فان عيسى جاء الى قبره فدعا باسم الله الاعظم فخرج من قبره وقد شاب
نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال قد قامت القيمة قال
لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال له مت قال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله
ففعل وانبئكم اخبركم بما تأكلون مما لم اعاينه وما تدخرون ترفعونه في بيوتكم حتى تأكلوه
وقيل كان يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما يأكل اليوم وبما ادخره للعشاء وقال السدي كان
عيسى في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا
وكذا ورفعوا لك كذا وكذا فينطلق الصبي الى اهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من
اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم
في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا ههنا فقال فما في هذا البيت قالوا خنازير قال عيسى
كذلك يكونون ففتحوا عنهم فاذا هم خنازير ففشى ذلك في بني اسرائيل فهمت به بنو اسرائيل فلما
خافت عليه امه حملته على حمير لها وخرجت به هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في
المائدة وكان خوانا ينزل عليهم اينما كانوا كالمن والسلوى وامروا ان لا يخونوا ولا يخبأوا
لغد فخانوا وخبأوا فجعل عيسى يخبرهم بما اكلوا من المائدة وبما ادخروا منه فمسخهم الله
خنازير ان في ذلك الذي ذكرت لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا عطف على
قوله ورسولا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم من اللحوم
والشحوم وقال ابو عبيدة اراد بالبعض الكل يعني الكل الذي حرم عليكم وقد يذكر البعض ويراد به
الكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها يعني كل النفوس

وجئتكم بآية من ربكم يعني ما ذكرنا من الآيات وانما وحدها لانها كلها جنس واحد في الدلالة
على رسالته فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
قوله فلما احس عيسى اي وجد قاله الفراء وقال ابو عبيدة عرف وقال مقاتل رأى منهم الكفر واراد
وا قتله استنصر عليهم قال من انصاري الى الله قال السدي كان سبب ذلك ان عيسى لما
بعثه الله عز وجل الى بني اسرائيل وامره بالدعوة نفته بنو اسرائيل واخرجوه فخرج هو وامه
يسيحان في الارض فنزلا في قرية على رجل فاضافهم واحسن اليهم وكان لتلك المدينة جبار
متعد فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما
شأن زوجك اراه كئيبا قالت لا تسأليني قالت اخبريني لعل الله يفرج كربته قالت
ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما ان يطعمه وجنوده ويسقيهم الخمر فان لم يفعل عاقبه
واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا سعة قالت فقولي له لا يهتم فاني آمر ابني فيدعو له فيكفى
ذلك فقالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت فلا تبالي
فانه قد احسن الينا واكرمنا قال عيسى فقولي له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك
ماء ثم اعلمني ففعل ذلك فدعا الله عيسى فتحول ماء القدور مرقا ولحما وماء الخوابي
خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك اكل فلما شرب قال من اين هذه الخمر قال من
ارض كذا قال الملك فان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه قال هي من ارض
اخرى فلما خلط على الملك واشتد عليه قال فانا اخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيئا الا
اعطاه اياه وانه دعا الله فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه فمات قبل ذلك
بايام وكان احب الخلق اليه فقال ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجابن له حتى
يحيي ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا ابالي
أليس اراه فقال عيسى فان احييته تتركوني وامي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله
فعاش الغلام فلما رآه اهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح وقالوا اكلنا هذا حتى
اذا دنا موته يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما اكل ابوه فاقتتلوا وذهب عيسى
وامه فمر بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال ما تصنعون قالوا نصطاد السمك قال
افلا تمشون حتى نصطاد الناس قالوا ومن انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله من
انصاري الى الله فآمنوا به وانطلقوا معه قوله تعالى من انصاري الى الله قال السدي وابن
جريج

مع الله يقول القرب الذود الى الذود ابل اى مع الذود كما قال تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى
اموالكم اى مع اموالكم قال الحسن وابو عبيدة الى بمعنى فى اى من اعوانى فى الله فى ذات الله وسبيله وقيل
الى فى موضعه معناه من يضم نصرته الى نصرة الله لى واختلفوا فى الحواريين قال مجاهد والسدى
كانوا صيادين يصطادون السمك سموا حواريين لبياض ثيابهم وقيل كانوا ملاحين وقال الحسن
كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اى يبيضونها وقال عطاء سلمت
مريم عيسى الى اعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته
الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة
وانا خارج فى سفر لا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد اعلمت على كل
واحد منها بخيط على اللون الذى يصبغ به فيجب ان تكون فارغا منها وقت قدومى وخرج فطبخ
عيسى جبا واحدا على لون واحد وادخل جميع الثياب وقال كونى باذن الله على ما اريد منك فقدم
الحوارى والثياب كلها فى الجب فقال ما فعلت فقال فرغت منها قال اين هى قال فى الجب قال
كلها قال نعم قال لقد افسدت تلك الثياب فقال قم فانظر فاخرج عيسى ثوبا اصفر وثوبا اخضر
وثوبا احمر الى ان اخرجها على الالوان التى ارادها فجعل الحوارى يتعجب وعلم ان ذلك من الله فقال
للناس تعالوا فانظروا فآمن به هو واصحابه فهم الحواريون وقال الضحاك سموا حواريين لصفاء
قلوبهم وقال ابن المبارك سموا به لما عليهم من اثر العبادة ونورها واصل الحور عند العرب شدة
البياض يقال رجل احور وامراة حوراء اى شديد بياض العين وقال الكلبى وعكرمة الحواريون
هم الاصفياء وهم كانوا اصفياء عيسى وكانوا اثنى عشر رجلا قال روح بن القاسم سالت
قتادة عن الحواريين قال هم الذين تصلح لهم الخلافة وعنه انه قال الحواريون هم الوزراء وقال
الحسن الحواريون الانصار والحوارى فى كلام العرب خاصة الرجل الذى يستعين به فيما ينوبه
عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ندب النبى صلعم الناس يوم الخندق فانتدب
الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فقال النبى صلعم لكل نبى حوا
رى وحوارى الزبير قال سفيان الحوارى الناصر قال معمر قال قتادة ان الحواريين كلهم
قريش ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وابو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون
وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم
قال الحواريون نحن انصار الله اعوان دين الله آمنا بالله واشهد يا عيسى بانا

مسلمون ربنا آمنا بما انزلت من كتابك واتبعنا الرسول عيسى فاكتبنا مع الشاهدين
الذين شهدوا للانبياء بالصدق وقال عطاء مع النبيين لان كل نبى شاهد امته وقال
ابن عباس مع محمد وامته لانهم يشهدون للرسل بالبلاغ ومكروا يعنى كفار بنى اسرا
ئيل الذين احس عيسى منهم الكفر ودبروا فى قتل عيسى وذلك ان عيسى بعد اخراج قومه
اياه وامه عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤا على الفتك به
فذلك مكرهم قال الله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فالمكر من المخلوقين الخبث
والخديعة والحيلة والمكر من الله استدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يعلم كما قال سنستد
رجهم من حيث لا يعلمون وقال الزجاج مكر الله عز وجل مجازاتهم على مكرهم فسمى الجزاء باسم
الابتداء لانه فى مقابلته كقوله تعالى الله يستهزئ بهم وهو خادعهم ومكر الله تعالى خاصة بهم فى
هذه الاية القاؤه الشبه على صاحبهم الذى اراد قتل عيسى حتى قتل قال الكلبى عن ابى صالح عن
ابن عباس ان عيسى استقبل رهطا من اليهود فلما راوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة
والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما راى
ذلك يهوذا راس اليهود واميرهم فزع لذلك وخاف دعوته واجتمعت كلمة اليهود على قتل
عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله جبرائيل فادخله خوخة فى سقفها روزنة فرفعه الله
الى السماء من تلك الروزنة فامر يهوذا راس اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس
ان يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل لم ير عيسى فابطا عليهم فظنوا انه يقاتله فيها فالقى
الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب طرقوا عيسى فى بعض
الليل ونصبوا خشبة ليصلبوه فاظلمت الارض فارسل الله الملائكة فحالت بينهم وبينه
فجمع عيسى الحواريين تلك الليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعنى
بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود فقال
لهم ما تجعلون لى ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما دخل
البيت القى الله عليه شبه عيسى فرفع عيسى واخذ الذى دلهم عليه فقال انا الذى دللتكم
عليه فلم يلتفتوا الى قوله وقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى جاءت
مريم ام عيسى وامراة كان عيسى دعا لها فابراها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب
فجاءهما عيسى فقال لهما علام تبكيان ان الله رفعنى ولم يصبنى الا خير وان هذا شئ شبه لهم

فلما كان بعد سبعة ايام قال الله عز وجل لعيسى اهبط على مريم المجدلانية في جبلها فانه
لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض
دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحوا
ريين فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه الله اليه وتلك الليلة هي التي تدخن فيها النصارى
فلما اصبح الحواريون حدث كل منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله ومكروا ومكر الله
والله خير الماكرين وقال ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وعشرة من الحواريين فدخل عليهم
رجل منهم فالقى عليه شبهه وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى قال لاصحابه ايكم يقذ
ف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من القوم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى
ورفعه اليه وكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة
فهو معهم حول العرش وكان انسيا ملكيا سمائيا قال اهل التواريخ حملت مريم
بعيسى ولها ثلث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس
وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى اليه على راس ثلثين سنة ورفعه
الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة
وكانت نبوته ثلث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين اذ قال الله يا
عيسى اني متوفيك ورافعك الي اختلفوا في معنى التوفي ههنا قال الحسن والكلبي وابن جريج
اني قابضك ورافعك من الدنيا الي من غير موت يدل عليه قوله عز وجل فلما توفيتني اي
قبضتني الى السماء وانا حي لان قومه تنصروا بعده لا بعد موته فعلى هذا للتوفي تاويلان
احدهما اني رافعك الي وافيا لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت كذا واستوفيته اذا
اخذته تاما والاخر اني متسلمك من قولهم توفيت منه كذا اي تسلمته وقال الربيع بن انس
المراد بالتوفي النوم وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائما الى السماء معناه اني منيمك ورافعك
الي كما قال وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم وقال بعضهم المراد بالتوفي الموت روى علي بن ابي
طلحة عن ابن عباس ان معناه اني مميتك يدل عليه قوله قل يتوفاكم ملك الموت فعلى هذا
له تاويلان احدهما ما قال وهب توفى الله عيسى ثلث ساعات من النهار ثم رفعه اليه وقال
محمد بن اسحق النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه ورفعه
والاخر ما قاله الضحاك وجماعة ان في الاية تقديما وتاخيرا معناه اني رافعك الي ومطهرك

من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك من السماء عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا يكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد ويروى عن ابي هريرة عن النبي صلعم
في نزول عيسى قال ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال فيمكث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى في القران
قال قوله وكهلا وهو لم يكتهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء ومطهرك من
الذين كفروا اي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا
الى يوم القيمة قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه
واتبعوا دينه في التوحيد من امة محمد صلعم فهم فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة
والمنعة والحجة وقال الضحاك يعني الحواريين فوق الذين كفروا وقيل هم الروم وقيل اراد بهم
النصارى فهم فوق اليهود الى يوم القيمة فان اليهود قد ذهب ملكهم وملك النصارى دائم الى
قريب من قيام الساعة فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء والمحبة لا اتباع الدين ثم
الي مرجعكم في الاخرة فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من الدين وامر عيسى فاما
الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي والجزية والذلة والاخرة اي
في الاخرة بالنار وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
قرا الحسن وحفص بالياء والباقون بالنون اي نوفي اجور اعمالهم والله لا يحب الظالمين
اي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجميل ذلك اي هذا الذي ذكرته لك من الخبر عن عيسى
ومريم والحواريين نتلوه عليك نخبرك به بتلاوة جبريل عليك من الايات والذكر الحكيم
يعني القران اي الذكر ذي الحكمة وقال مقاتل الذكر الحكيم اي المحكم الممنوع من الباطل وقيل الذكر
الحكيم هو اللوح المحفوظ وهو معلق بالعرش من درة بيضاء وقيل من الايات اي العلا
مات الدالة على نبوتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب او من يوحى اليه وانت امي
لا تقرا ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم نزلت في وفد نجران وذلك انهم قالوا لرسول الله صلعم
ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد الله قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته
القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله
عز وجل ان مثل عيسى عند الله عز وجل في كونه خلقا من غير اب كمثل ادم في كونه خلقا من غير اب وام

خلقه من تراب ثم قال له يعني لعيسى كن فيكون يعني فكان فان قيل ما معنى قوله ثم قال له
كن ولا تكوين بعد الخلق قيل معناه خلقه ثم اخبركم اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في
الخلق كما يكون في الولادة وهو مثل قول الرجل اعطيتك اليوم درهما ثم اعطيتك امس درهما
اي ثم اخبرك اني اعطيتك امس درهما وفيما سبق من التمثيل على جواز القياس دليل لان
القياس هو رد فرع الى اصل بنوع شبه وقد رد الله تعالى خلق عيسى الى آدم بنوع شبه الحق
من ربك هو الحق وقيل جاءك الحق من ربك فلا تكن من الممترين الشاكين الخطاب مع النبي
صلعم والمراد منه امته فمن حاجك فيه اي جادلك في عيسى او في الحق من بعد ما جاءك من العلم بان
عيسى عبد الله ورسوله فقل تعالوا واصله تعاليوا تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة على
الياء فحذفت قال الفراء معنى تعالى كانه يقول ارتفع قوله ندع جزم بجواب الامر وعلامة
الجزم سقوط الواو ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم قيل
ابناءنا اراد الحسن والحسين ونساءنا فاطمة وانفسنا عنى نفسه وعليا والعرب تسمي ابن
عم الرجل نفسه كما قال تعالى ولا تلمزوا انفسكم يريد اخوانكم وقيل هو على العموم لجماعة اهل
الدين ثم نبتهل قال ابن عباس نتضرع في الدعاء وقال الكلبي نجتهد ونبالغ في الدعاء
وقال الكسائي وابو عبيدة نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اي لعنته
فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في امر عيسى فلما قرأ رسول الله صلعم هذه
الاية على وفد نجران دعاهم الى المباهلة فقالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم ناتيك غدا فخلا
بعضهم ببعض فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم
يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل والله ما لاعن قوم نبيا قط فعاش كبيرهم
ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الالفة على ما انتم عليه من القول في
صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا رسول الله صلعم محتضنا
الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول لهم اذا انا دعوت فامنوا
فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من
مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا
يا ابا القاسم قد رأينا ان لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونثبت على ديننا فقال رسول
الله صلعم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا فقال

اي المتلاعنين

فاني قد انابذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا
تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب
فصالحهم رسول الله صلعم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب قد تدلى على اهل نجران ولو
تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله
حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا قال الله تعالى ان هذا لهو القصص
النبا الحق وما من اله الا الله ومن صلة تقديره وما اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم
فان تولوا اعرضوا عن الايمان فان الله عليم بالمفسدين الذين يعبدون غير الله
ويدعون الناس الى عبادة غير الله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم قال المفسرون قدم وفد نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختصموا في ابرهيم
عم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان
يهوديا وهم على دينه واولى الناس به فقال لهم رسول الله صلعم كلا الفريقين بريء من
ابرهيم ودينه بل كان ابرهيم حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت
اليهود يا محمد ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصا
رى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة والعرب تسمي كل قصة لها شرح كلمة ومنه سميت القصيدة كلمة
سواء عدل بيننا وبينكم مستوية اي امر يقال دعا فلان الى السواء اي الى النصف وسواء
كل شيء وسطه ومنه قوله تعالى فراه في سواء الجحيم وانما قيل للنصف سواء لان اعدل الامور
وافضلها اوسطها وسواء نعت الكلمة الا انه مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع ولا
تؤنث فاذا فتحت السين مددت واذا كسرت او ضممت قصرت كقوله تعالى مكانا سوى
ثم فسر الكلمة فقال ان لا نعبد الا الله ومحل ان رفع على اضمار هي وقال الزجاج رفع
بالابتداء وقيل محله نصب بنزع حرف الصفة معناه بان لا نعبد الا الله وقيل محله خفض
بدلا من الكلمة اي تعالوا الى ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله كما فعلت اليهود والنصارى قال الله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبا
نهم اربابا من دون الله وقال عكرمة هو سجود بعضهم لبعض اي لا تسجدوا لغير الله وقيل معناه
لا نطيع احدا في معصية الله فان تولوا فقولوا انتم لهم اشهدوا بانا مسلمون مخلصون بالتوحيد

روى عن عبد الله ابن عبد الله ابن عتبة ابن مسعود ان عبد الله بن مسعود اخبره ان ابا
سفيان بن حرب اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام
في المدة التي كان رسول الله صلعم ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه وهم بايليا
فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلعم الذي بعث به دحية الى
عظيم بصرى يدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله
الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم
تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحا
جون في ابرهيم تزعمون انه كان على دينكم وانما دينكم اليهودية والنصرانية وقد
حدثت اليهودية بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وما انزلت التو
رية والانجيل الا من بعده اى بعد ابرهيم بزمان طويل وكان بين ابرهيم وموسى
الف سنة وبين موسى وعيسى الف سنة افلا تعقلون بطلان دينكم ها انتم بتليين الهمز
حيث كان مدا نافع وابو عمرو والباقون بالهمز واختلفوا في اصله فقال بعضهم اصله انتم
وها تنبيه وقال الاخفش اصله اانتم فقلبت الهمزة الاولى هاء كقولهم هرقت الماء
واراقت هؤلاء اصله اولاء دخلت عليه هاء التنبيه وهو في موضع النداء يعني يا هؤلاء
انتم حاججتم جادلتم فيما لكم به علم يعني في امر موسى وعيسى وادعيتم انا على دينهما وقد انزلت
التورية والانجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم يعني في ابرهيم وليس في كتابكم انه
كان يهوديا او نصرانيا وقيل حاججتم فيما لكم به علم يعني في امر محمد لانهم وجدوا نعته في كتا
بهم فجادلوا فيه بالباطل فلم تحاجون في ابرهيم وليس في كتابكم ولا علم لكم به والله يعلم
وانتم لا تعلمون ثم برأ الله ابرهيم عما قالوا فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين والحنيف المائل عن الاديان كلها الى الدين
المستقيم وقيل الحنيف الذي يوحد ويحج ويضحي ويختتن ويستقبل الكعبة وهو اسهل
الاديان واحبها الى الله عز وجل ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه اى من اتبعه
في زمانه وهذا النبي يعني محمدا صلعم والذين آمنوا يعني من هذه الامة والله ولي

المؤمنين روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده
حديث هجرة الحبشة لما هاجر جعفر بن ابي طالب واناس من اصحاب النبي صلعم الى الحبشة
واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلعم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش
في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد ثارا ممن قتل منكم ببدر
فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك
رجلان من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد مع الهدايا الادم وغيره
فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك
ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا
عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا
كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد ولا يخرج منهم
احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك
ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا واية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون
لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما
حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح
فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العا
ص الى صاحبه فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي فساءهما
ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا
لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من
الافاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان
فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة
فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التورية والانجيل قال ايكم الهاتف يستأذن عليك حزب
الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب
ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين
فليتكلم احدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر
للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا

فان ردنا اليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا
من العبودية ثم قال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا
ولا قطرة فقال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها فقال النجا
شي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطلبون منهم
قال عمرو كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره
فبعثنا اليك قومنا لتدفعهم فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه
اصدقني قال جعفر اما الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد
الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب
مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر
النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي
انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيمة نبيا مرسلا فقالوا
اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي
لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم عنه قال يقرا علينا كتاب الله ويامر
بالمعروف وينهى عن المنكر ويامر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله
وحده لا شريك له فقال اقرا علي مما يقرا عليكم فقرا عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت
عينا النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة
الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون
في عيسى وامه فقرا عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة من
سواكه قدر ما تقذى العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه
فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي آمنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا
فلا دهورة اليوم على حزب ابرهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابرهيم قال هؤلاء
الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابرهيم
ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان
الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل ذلك
اليوم على رسول الله صلعم في خصومتهم في ابرهيم وهو بالمدينة قوله عز وجل ان اولى الناس بابرهيم

١٢٦

للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين • ودت طائفة من اهل
الكتاب • نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم
اليهود الى دينهم فنزلت ودت تمنت طائفة جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود
لو يضلونكم • عن دينكم ويردونكم الى الكفر • وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون • يا اهل
الكتاب لم تكفرون بايات الله • يعني القران وبيان نعت محمد صلعم • وانتم تشهدون •
ان نعته مذكور في التورية والانجيل • يا اهل الكتاب لم تلبسون • تخلطون • الحق بالبا
طل • الاسلام باليهودية والنصرانية وقيل لم تخلطون الايمان بعيسى وهو الحق بالكفر بمحمد وهو
الباطل وقيل التورية التي انزلت على موسى بالباطل الذي حرفتموه وكتبتموه بايديكم
• وتكتمون الحق وانتم تعلمون • ان محمدا رسول الله ودينه حق • وقالت طائفة من اهل
الكتاب آمنوا • قال الحسن والسدي تواطا اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة
وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون الاعتقاد ثم
اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس
بذاك وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم واتهموه وقالوا انهم اهل
كتاب وهم اعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي هذا في شان
القبلة لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا
بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم
آخر النهار لعلهم يقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله
رسوله صلعم على سرهم وانزل وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل
على الذين آمنوا وجه النهار • اوله سمي وجها لانه احسنه واول ما يواجه الناظر فيراه • واكفروا
آخره لعلهم • يشكون ثم • يرجعون • عن دينهم • ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم • هذا متصل
بالاول من قول اليهود بعضهم لبعض ولا تؤمنوا اي لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اي
وافق ملتكم واللام في لمن صلة اي لا تصدقوا الا من تبع دينكم اليهودية كقوله تعالى عسى
ان يكون ردف لكم اي ردفكم • قل ان الهدى هدى الله • هذا خبر من الله تعالى ان البيان بيانه ثم
اختلفوا فمنهم من قال هذا الكلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول اخبا
را عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعناه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا

ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الحكمة والكتاب والآيات من المن والسلوى وفلق
البحر وغيرها من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم وهذا
معنى قول مجاهد وقيل ان اليهود قالت لسفلتهم لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم من العلم اى لئلا يؤتى احد ولا فيه مضمر كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا
يقول لا تصدقوهم لئلا يعلموا مثل ما علمتم فيكون لكم الفضل عليهم في العلم ولئلا يحاجوكم عند ربكم
فيقولون عرفتم ان ديننا حق وهذا معنى قول ابن جريج وقرا الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر
الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى يقول قل يا
محمد ان الهدى هدى الله ان يؤتى ان بمعنى الجحد اى ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا امة محمد
او يحاجوكم يعنى الا ان يحاجوكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم عند ربكم اى
فعند ربكم ذكر وهذا قول سعيد بن جبير والحسن والكلبي ومقاتل قال الفراء ويجوز ان يكون او
بمعنى حتى كما يقال تعلق به او يعطيك حقك اى حتى يعطيك حقك ومعنى الآية ما اعطى احد مثل ما
اعطيتم يا امة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرا ابن كثير آن يؤتى بالمد على
الاستفهام وحينئذ يكون فيه اختصار تقديره ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر اليهود
من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قالا هذا من قول الله
تعالى يقول قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله بان انزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا حسدتموه
وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله او يحاجوكم على هذه القراءة رجوع
الى خطاب المؤمنين ويكون او بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء ويوضع احدهما موضع الآخر
وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم فقل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويجوز
ان يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر المؤمنين
حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله وان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويجوز ان يكون الخبر
عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى يثبت به قلوب
المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول لا تصدقوا يا معشر المؤ
منين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا
ان يحاجوكم في دينكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد
الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطاب الله المؤمنين عند تلبيس

اليهود لئلا يرتابوا يختص برحمته بنبوته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل
الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك نزلت في اليهود واخبر الله تعالى ان فيهم اما
نة وخيانة والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن القليل يقول منهم من
يؤدى الامانة وان كثرت ومنهم من لا يؤديها وان قلت قال مقاتل ومن اهل الكتاب
من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك هم مؤمنوا اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه
ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعنى كفار اهل الكتاب كعب بن الاشرف
واصحابه وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله عز وجل ومن اهل الكتاب من
ان تأمنه بقنطار يؤده اليك يعنى عبد الله بن سلام اودعه رجل الفا ومائتى اوقية
من ذهب فاداها ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعنى فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فخانه قوله يؤده اليك قرا ابو عمرو وابو بكر وحمزة يؤده
ولا يؤده ونؤته ونصله ونوله ساكنة الهاء وقرا ابو جعفر وقالون ويعقوب
بالاختلاس مكسورة والباقون بالاشباع كسرا فمن سكن الهاء قال لانها وضعت في موضع الجزم
وهو الياء الذاهبة ومن اختلس فاكتفى بالكسرة عن الياء ومن اشبع فعلى الاصل في الهاء الاشباع
الا ما دمت عليه قائما قال ابن عباس ملحا يريد يقوم بطالبه بالالحاح قال الضحاك
مواظبا اى تواظب عليه بالاقتضاء وقيل اراد ان اودعته ثم استرجعته وانت قائم على راسه
لم تفارقه رده عليك وان فارقته واخرته انكره ولم يرده ذلك اى ذلك الاستحلال والخيا
نة بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل اى في مال العرب اثم وحرج كقوله ما على المحسنين
من سبيل وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في
كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقال الكلبي قالت اليهود ان الاموال كلها كا
نت لنا فما في يد العرب منها فهو لنا وانما ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا في اخذنا اياه منهم وقال
الحسن وابن جريج ومقاتل بايع اليهود رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم
بقية اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم فانقطع العهد بيننا
وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله عز وجل وقال عز من قائل ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون ثم قال ردا عليهم بلى اى ليس كما قالوا بل عليهم سبيل ثم ابتداء فقال
من اوفى اى ولكن من اوفى بعهده اى بعهد الله الذى عهده اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلعم

شرط مبتدا خبره اوفى بعهده وجواب الشرط فان الله

وبالقران واداء الامانة وقيل الهاء راجعة الى الموفي واتقى الكفر والخيانة ونقض العهد فان
الله يحب المتقين عن عبد الله بن عمرو ان النبي صلعم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت
فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا
خاصم فجر ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا قال عكرمة نزلت في احبار
اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التورية في شان محمد صلعم وبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا
انه من عند الله لئلا تفوتهم الماكل والرشى التي كانت لهم من اتباعهم وعن عبد الله قال قال
رسول الله صلعم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل
الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا الى اخر الاية فدخل الاشعث بن قيس
فقال ما حدثكم ابو عبد الرحمن فقالوا كذا وكذا فقال في انزلت كانت لي بئر في ارض ابن عم لي
فاتيت رسول الله صلعم فقال بينتك او يمينه قلت اذا يحلف عليها يا رسول الله فقال رسول الله صلعم
من حلف على يمين صبر وهو فيها فاجر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله يوم القيمة وهو عليه غضبان
وعن علقمة بن وائل بن حجر عن ابيه قال جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى النبي صلعم فقال
الحضرمي يا رسول الله ان هذا قد غلبني على ارض لي كانت لابي فقال الكندي هي ارضي في يدي
ازرعها ليس له فيها حق فقال النبي للحضرمي الك بينة قال لا قال فلك يمينه قال يا رسول الله ان الرجل
فاجر لا يبالي على ما حلف عليه فانه ليس لك منه الا ذلك فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلعم لما
ادبر اما ان حلف على ماله لياكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض ورواه عبد الملك بن
عمير عن علقمة وقال هو امرؤ القيس بن عابس الكندي وخصمه ربيعة بن عبدان وروي
انه لما هم ان يحلف نزلت هذه الاية فامتنع امرؤ القيس ان يحلف واقر لخصمه ودفع اليه حقه
ابي امامة ان رسول الله صلعم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب
النار قالوا وان كان شيئا يسيرا يا رسول الله وان كان قضيبا من اراك قالها ثلث مرات
وعن عبد الله بن ابي اوفى ان رجلا اقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد اعطي بها ما
لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
قوله تعالى ان الذين يشترون اي يستبدلون بعهد الله واداء الامانة وايمانهم الكاذبة ثمنا قليلا
اي شيئا من حطام الدنيا اولئك لا خلاق لهم اي لا نصيب لهم في الاخرة ونعيمها
ولا يكلمهم الله كلاما ينفعهم ويسرهم وقيل هو بمعنى الغضب كما يقول الرجل لا اكلم فلانا اذا

واذا وعد اخلف

كان تغضبت عليه ولا ينظر اليهم يوم القيمة اي لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا
ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم بالجميل ولا يطهرهم من الذنوب ولهم عذاب اليم عن
ابي ذر عن النبي صلعم قال ثلثة لا يكلمهم الله يوم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب
اليم فقرأها رسول الله صلعم ثلث مرات فقال ابو ذر خابوا وخسروا من هم يا رسول الله
قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وفي رواية المسبل ازاره عن ابي هريرة
عن النبي صلعم قال ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم رجل حلف على يمين على مال
مسلم فاقتطعه ورجل حلف على يمين بعد صلاة العصر انه اعطي بسلعته اكثر مما اعطي وهو كاذب
ورجل منع فضل ماء فان الله تعالى يقول اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل
يداك وان منهم يعني من اهل الكتاب لفريقا طائفة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
وحيي بن اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون السنتهم بالكتاب
اي يعطفون السنتهم بالتحريف والتغيير وهو ما غيروا من صفة النبي صلعم واية الرجم وغير ذلك
يقال لوى لسانه عن كذا اي غيره لتحسبوه اي لتظنوا ما حرفوا من الكتاب الذي انزل الله
عز وجل وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على
الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون وقال الضحاك عن ابن عباس ان الاية نزلت في
اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التورية والانجيل والحقوا بكتاب الله ما ليس منه
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب قال مقاتل والضحاك ما كان لبشر يعني عيسى
وذلك ان نصارى نجران كانوا يقولون ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال تعالى ما كان
لبشر يعني عيسى ان يؤتيه الله الكتاب الانجيل وقال ابن عباس وعطاء ما كان لبشر يعني
محمدا صلعم ان يؤتيه الله الكتاب اي القران وذلك ان ابا رافع القرظي من اليهود والرئيس
من نصارى اهل نجران قالا يا محمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نامر
بعبادة غير الله ما بذلك بعثني الله ولا بذلك امرني فانزل هذه الاية ما كان لبشر
اي ما ينبغي لبشر كقوله تعالى ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي ما ينبغي لنا والبشر جميع بني ادم
لا واحد له من لفظه كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد والجمع والحكم الفهم والعلم وقيل
امضاء الحكم عن الله عز وجل والنبوة المنزلة الرفيعة بالانباء ثم يقول للناس كونوا
عبادا لي من دون الله ولكن يقول كونوا اي ولكن يقول كونوا ربانيين اختلفوا فيه قال علي وابن
عباس

ولكن كونوا فقهاء علماء وقال قتادة حكماء علماء وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس
فقهاء معلمين وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقال عطاء علماء حكماء
نصحاء لله في خلقه وعن سعيد بن جبير قال الرباني العالم الذي يعمل بعلمه قال ابو عبيدة سمعت
رجلا عالما يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والامر والنهي العارف بانباء الامة ما
كان وما يكون وقيل الربانيون فوق الاحبار والاحبار العلماء والربانيون الذين
جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس قال المؤرج كونوا ربانيين تدينون لربكم
الربوبية كان في الاصل ربي فادخلت الالف للتفخيم ثم ادخلت النون لسكون الالف كما
قيل صنعاني وبهراني وقال المبرد هم ارباب العلم سموا به لانهم يربون العلم ويقومون
به ويربون المتعلمين بصغار العلم قبل كباره وكل من قام باصلاح شيء واتمامه فقد ربه يربه
وواحدها رباني كما قالوا ريان وعطشان وشبعان وعريان ثم ضمت اليه ياء النسبة
كما قالوا لحياني ورقباني وحكي عن علي انه قال هو الذي يرب علمه بعلمه قال محمد بن
الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة بما كنتم اي بما انتم كقوله تعالى
من كان في المهد صبيا اي من هو في المهد تعلمون الكتاب قرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
تعلمون بالتشديد من التعليم وقرا الآخرون تعلمون بالتخفيف كقوله وبما كنتم تدرسون اي
تقرؤون ولا يامركم قرا ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول
مردودا على البشر اي ولا يامر ذلك البشر وقيل على اضمار ان اي ولا ان يامركم ذلك البشر وقرا
الباقون بالرفع على الاستئناف معناه ولا يامركم الله وقال ابن جريج وجماعة ولا يامركم محمد
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات
الله واليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح وعزير ما قالوا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم
مسلمون قاله على طريق التعجب والانكار يعني لا يقول هذا واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة قرا حمزة لما بكسر اللام وقرا الآخرون بفتحها فمن كسر اللام فهي لام الاضافة
دخلت على ما ومعناه للذي يريد للذي آتيتكم اي اخذ ميثاق النبيين لاجل الذي آتاهم من
الكتاب والحكمة وانهم اصحاب الشرايع ومن فتح اللام فمعناه للذي آتيتكم بمعنى الخبر وقيل
بمعنى الجزاء اي لئن آتيتكم ومهما آتيتكم وجواب الجزاء قوله لتؤمنن به قوله آتيتكم قرا نافع
واهل المدينة آتيناكم على التعظيم كما قال وآتينا داود زبورا وآتيناه الحكم صبيا وقرا الآخرون

بالتاء لموافقة الخط ولقوله وانا معكم واختلفوا في المعنى بهذه الاية فذهب قوم الى ان الله
تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده وان يصدق
بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يؤمن بمن ياتي بعده من الانبياء وينصره ان ادركه
وان لم يدركه ان يامر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى
ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلعم وقال الآخرون انما اخذ الميثاق منهم في امر محمد صلعم فعلى هذا
اختلفوا فمنهم من قال انما اخذ الميثاق على اهل الكتاب الذين ارسل منهم النبيين وهذا قول
مجاهد والربيع الا ترى الى قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به
ولتنصرنه وانما كان محمد صلعم مبعوثا الى اهل الكتاب دون النبيين يدل عليه ان في قراءة
عبد الله بن مسعود وابي بن كعب واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واما القراءة المعروفة
فقد اراد الله اخذ ميثاق النبيين ان ياخذوا الميثاق على اممهم ان يؤمنوا بمحمد صلعم ويصدقوه
وينصروه ان ادركوه وان لم يدركوه ان يامروا قومهم بنصرته ان ادركوه وقال
بعضهم اراد اخذ الله الميثاق على النبيين واممهم جميعا في امر محمد صلعم فاكتفى بذكر الانبياء
لان العهد مع المتبوع عهد على الاتباع وهذا معنى قول ابن عباس وقال علي بن ابي طالب لم
يبعث الله نبيا آدم ومن بعده الا اخذ عليه العهد في امر محمد واخذ العهد على قومه لتؤمنن
به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه قوله تعالى ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم يعني محمدا صلعم
لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم قال الله تعالى للانبياء حين استخرج الذرية من
صلب آدم عم والانبياء فيهم كالمصابيح والسرج واخذ عليهم الميثاق في امر محمد صلعم قال
أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي قبلتم على ذلكم عهدي والاصر العهد الثقيل قالوا
اقررنا قال اي الله تعالى فاشهدوا اي فاشهدوا انتم على انفسكم وعلى اتباعكم وانا معكم
من الشاهدين عليكم وعليهم وقال ابن عباس فاشهدوا اي فاعلموا وقال سعيد بن
المسيب قال الله تعالى للملائكة فاشهدوا عليهم كناية عن غير مذكورين فمن تولى بعد ذلك
الاقرار فاولئك هم الفاسقون العاصون الخارجون عن الايمان افغير دين الله يبغون
وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل واحد انه على دين ابراهيم فاختصموا الى رسول الله
فقال النبي صلعم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم عم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك
ولا ناخذ بدينك فانزل الله تعالى افغير دين الله يبغون قرا ابو جعفر واهل البصرة وحفص

عن عاصم يبغون بالياء لقوله تعالى فاولئك هم الفاسقون وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى لما آتيتكم
وله اسلم خضع وانقاد من في السموات والارض طوعا وكرها فالطوع الانقياد و
الاتباع بسهولة والكره ما كان بمشقة واباء من النفس واختلفوا في قوله طوعا وكرها قال الحسن
اسلم اهل السموات طوعا واسلم من في الارض طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبي
قال مجاهد طوعا المؤمن وكرها ظل الكافر بدليل قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طو
عا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقيل هذا يوم الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى
فقال بعضهم طوعا وبعضهم كرها وقال قتادة المؤمن اسلم طوعا فنفعه والكافر اسلم كر
ها في وقت البأس فلم ينفعه قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقال الشعبي
هو استعاذتهم به عند اضطرارهم كما قال الله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
وقال الكلبي طوعا الذي ولد في الاسلام وكرها الذين اجبروا على الاسلام ممن يسبى منهم
فيجاء بهم في السلاسل واليه يرجعون بالياء حفص عن عاصم ويعقوب كما قرأ يبغون بالياء
وقرأ الباقون بالتاء فيهما الا ابو عمرو فانه قرأ يبغون بالياء وترجعون بالتاء لان الاول
خاص والثاني عام لان مرجع جميع الخلق الى الله عز وجل قل آمنا بالله وما انزل علينا
وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى
والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ذكر الملل والاديان واضطراب
الناس فيها ثم امر رسول الله صلعم ان يقول آمنا بالله الاية ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه نزلت في اثنا عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا
مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الانصاري فنزلت فيهم ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم
لفظه استفهام ومعناه جحد اي لا يهدي الله وقيل معناه كيف يهديهم الله في الآخرة الى الجنة
والثواب وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات على صدق محمد صلعم والله لا يهدي
القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خا
لدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك
واصلحوا فان الله غفور رحيم وذلك ان الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم
فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلعم هل لي من توبة ففعلوا ذلك فانزل الله

تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور لما كان منه فحملها اليه رجل من
قومه فقرأها عليه فقال الحارث انك والله ما علمت لصدوق وان رسول الله صلعم لاصدق منك
وان الله عز وجل لاصدق الثلثة فرجع الحارث الى المدينة واسلم وحسن اسلامه ان
الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون
قال قتادة والحسن نزلت في اليهود كفروا بعيسى عم والانجيل بعد ايمانهم بانبيائهم ثم ازدادوا
كفرا بكفرهم بمحمد صلعم والقرآن وقال ابو العالية نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد
صلعم لما رأوه بعد ايمانهم بنعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا في حال كفرهم
قال مجاهد نزلت في جميع الكفار اشركوا بعد اقرارهم بان الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا اي
اقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل ازدادوا كفرا كلما نزلت اية كفروا بها فازدادوا كفرا وقيل
ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون قال الكلبي نزلت في الاحد عشر من اصحاب
الحارث بن سويد لما رجع الحارث الى الاسلام اقاموا على الكفر بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما
بدا لنا فمتى اردنا الرجعة ينزل فينا ما نزل في الحارث فلما فتح رسول الله صلعم مكة فمن
دخل منهم في الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات كافرا ان الذين كفروا وماتوا وهم
كفار فان قيل قد وعد الله تعالى قبول توبة من تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم اذا وقعوا
في الحشرجة كما قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن وقيل هذا في اصحاب الحارث بن سويد حيث اعرضوا عن الاسلام
وقالوا نتربص بمحمد فان ساعده الزمان نرجع الى دينه لن يقبل ذلك منهم لانهم متر
بصون غير محققين فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اي قدر ما يملأ
الارض من شرقها الى غربها ذهبا نصب على التفسير كقولهم عشرون درهما ولو افتدى
به قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة اولئك لهم عذاب اليم وما لهم
من ناصرين وعن انس بن مالك عن النبي صلعم قال الله لاهون اهل النار عذابا يوم
القيمة لو ان ما في الارض من شيء اكنت تفتدي فيقول نعم فيقول اردت منك اهون
من هذا وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا ان تشرك بي لن تنالوا
البر يعني الجنة قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقال مقاتل بن حيان التقوى
وقيل الطاعة وقيل الخير وقال الحسن ان تكونوا ابرارا وعن عبد الله قال قال رسول الله
صلعم

عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق
ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان
الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا حتى
تنفقوا مما تحبون اي من احب اموالكم اليكم روى الضحاك عن ابن عباس ان المراد منه اداء
الزكوة وقال مجاهد والكلبي هذه الاية نسختها آية الزكوة وقال الحسن كل انفاق يبتغي به
المسلم وجه الله حتى التمرة ينال به البر وقال عطاء لن تنالوا شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا
وانتم اصحاء اشحاء وعن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة انه سمع انس بن مالك يقول
كان ابو طلحة اكثر انصاري بالمدينة مالا وكان احب امواله اليه بيرحا وكانت مستقبلة
المسجد وكان رسول الله صلعم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه
الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام ابو طلحة الى رسول الله صلعم فقال يا رسول
الله ان الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالي الي
بيرحا وانها صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت
فقال رسول صلعم بخ بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت فيها اني ارى ان
تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة في اقاربه وبني عمه
وعن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي
جلولاء يوم فتحت فدعا بها فاعجبته فقال ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال خطرت على قلب عبد الله
بن عمر هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال ابن عمر فذكرت ما اعطاني
الله عز وجل فما كان شيء احب الي من فلانة هي حرة لوجه الله عز وجل وقال لولا اني
لا اعود في شيء جعلته لله لنكحتها وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم اي يعلمه ويجازي
به كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل
التورية سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا لرسول الله صلعم انك تزعم انك على ملة ابرهيم
وكان ابرهيم لا يأكل لحوم الابل والبانها وانت تأكلها فلست انت على ملة ابرهيم فقال النبي
صلعم كان ذلك حلالا لابرهيم فقالوا كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابرهيم حتى
انتهى الينا فانزل الله تعالى كل الطعام حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه

والحل مصدر يقال حل حلالا مثل ذلك والدابة ذلا

من قبل ان تنزل التورية يعني ليس الامر على ما قالوا من حرمة لحوم الابل والبانها على ابرهيم
بل كان الكل حلالا له ولبني اسرائيل وانما حرمها اسرائيل على نفسه قبل نزول التورية يعني ليست في التورية
حرمتها واختلفوا في الطعام الذي حرمه يعقوب على نفسه وفي سببه قال ابو العالية وعطاء ومقاتل
والكلبي كان ذلك الطعام لحمان الابل والبانها روي ان يعقوب مرض مرضا شديدا وطال
سقمه فنذر لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام
اليه لحمان الابل واحب الشراب البانها فحرمهما وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي
والضحاك هي العروق وكان السبب في ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان اصل وجعه فيما روى
جويبر ومقاتل عن الضحاك ان يعقوب كان نذر ان وهب الله اثنا عشر ولدا واتى بيت
المقدس صحيحا ان يذبح آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة فقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل
لك في الصراع فعالجه فلم يصرع واحد منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا
من ذلك ثم قال اما اني لو شئت ان اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك كنت نذرت
ان اتيت بيت المقدس صحيحا ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه من ذلك مخرجا فلما قدمها
يعقوب اراد ذبح ولده ونسي قول الملك فاتاه الملك وقال انما غمزتك للمخرج وقد وفي نذرك
فلا سبيل لك الى ولدك وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي اقبل يعقوب من حران
يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه عيص وكان رجلا بطشا قويا فلقيه ملك فظن
يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب ثم صعد الى السماء ويعقوب عليه
ينظر اليه فهاج به عرق النسا ولقي من ذلك بلاء وشدة فكان لا ينام بالليل من الوجع
ويبيت وله زقاء اي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله ان لا ياكل عرقا ولا طعاما
فيه عرق فحرمه على نفسه وكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق يخرجونها من اللحم وروى
جويبر عن الضحاك عن ابن عباس لما اصاب يعقوب عرق النسا وصف له الاطباء ان يجتنب
لحمان الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقال الحسن حرم اسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبدا لله عز وجل
فسأل ربه ان يجيز ذلك له فحرمه الله على ولده ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على اسرائيل
بعد نزول التورية فقال السدي حرم الله عليهم في التورية ما كانوا يحرمونه قبل نزولها وقال
عطية انما كان محرما عليهم بتحريم بني الله اسرائيل فانه كان قد قال ان عافاني الله لا اكله
لي ولد ولم يكن محرما عليهم في التورية وقال الكلبي لم يحرمه الله عليهم في التورية وانما حرم عليهم

اي اخذ فلم يسقط احد منهما صاحبه

بعد التورية بظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وكان
بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت
وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التورية وانما حرموه على انفسهم اتباعا
لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل فكذبهم الله عز وجل فقال قل يا محمد فأتوا بالتورية
فاتلوها حتى يتبين انه كما قلت ان كنتم صادقين فلم يأتوا فقال الله عز وجل فمن افترى
على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا
وما كان من المشركين وانما دعاهم الى اتباع ملة ابرهيم لان في اتباع ابرهيم اتباع الحق
ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة سبب نزوله ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقد
س قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبياء وقال المسلمون بل الكعبة افضل
فانزل الله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات
بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا وليس
شيء من هذه الفضائل لبيت المقدس واختلف العلماء في قوله تعالى ان اول بيت وضع للنا
س فقال بعضهم هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه الله قبل
الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحته هذا قول عبد
الله بن عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقال بعضهم هو اول بيت بني في الارض روي عن
علي بن الحسين ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة
ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين هم سكان الارض ان يبنوا في الارض بيتا على
مثاله وقدره فبنوا واسمه الضراح وامر من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل
السماء بالبيت المعمور وروي ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفي عام فكانوا يحجونه فلما حج
آدم قالت الملائكة بر حجك يا آدم حججنا هذا قبلك بالفي عام وروي عن ابن عباس انه
قال اراد به انه اول بيت بناه آدم في الارض وقيل هو اول بيت مبارك وضع هدى للنا
س يعبد الله فيه ويحج اليه وقيل هو اول بيت جعل قبلة للناس قال الضحاك ان اول بيت
وضع فيه البركة وقال الحسن والكلبي معناه ان اول مسجد ومتعبد وضع للناس يروى ذلك عن علي
كما قال تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع يعني المساجد وعن ابن ابرهيم التيمي عن ابيه قال سمعت

ابا ذر قلت يا رسول الله اي مسجد وضع في الارض اول قال المسجد الحرام قلت ثم اي
قال المسجد الاقصى قلت كم كان بينهما قال اربعون سنة ثم اينما ادركتك الصلوة بعد
فصل فان الفضل فيه قوله تعالى للذي ببكة قال جماعة هي مكة نفسها وهو قول الضحاك
والعرب تعاقب بين الباء والميم فتقول سبد رأسه وسمده وضربة لازب ولازم وقال
الآخرون بكة موضع البيت ومكة اسم البلد كله وقيل مكة موضع البيت والمطاف سميت
بكة لان الناس يتباكون فيها اي يزدحمون يبك بعضهم بعضا ويصلي بعضهم بين يدي
بعض ويمر بعضهم بين يدي بعض وقال عبد الله بن الزبير سميت بكة لانها تبك اعناق
الجبابرة اي تدقها فلم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله واما مكة سميت بذلك لقلة مائها
من قول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا امتص كل ما فيه من اللبن وتدعى ام رحم
لان الرحمة تنزل بها مباركا نصب على الحال اي ذا بركة وهدى للعالمين لانه قبلة للمؤمنين
قوله تعالى فيه آيات بينات قرأ ابن عباس آية بينة على الوحدان واراد مقام ابرهيم وحده
وقرأ الآخرون آيات بينات بالجمع فذكر منها مقام ابرهيم وهو الحجر الذي قام ابرهيم وكان
اثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالايدي ومن تلك الآيات الحجر الاسود والحطيم
وزمزم والمشاعر كلها وقيل مقام ابرهيم جميع الحرم ومن الآيات في البيت ان الطير يطير
فلا يعلوه فوقه وان الجارحة اذا قصدت صيدا فاذا دخل الصيد الحرم كفت عنه وانها
بلد صدر اليها الانبياء والمرسلون والاولياء والابرار وان الطاعة والصدقة فيه
تضاعف بمائة الف وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم صلاة في مسجدي هذا افضل
من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام ومن دخله كان آمنا من ان يهاج فيه وذلك
بدعاء ابرهيم عليه حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا وكانت العرب في الجاهلية يقتل
بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم امن من القتل والغارة وهو المراد
من الآية على قول الحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما
آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل اراد به ان من دخله عام عمرة القضاء مع رسول
الله صلعم كان آمنا كما قال الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقيل هو خبر
بمعنى الامر تقديره ومن دخله فأمنوه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق اي لا ترفثوا ولا
تفسقوا حتى ذهب بعض اهل العلم الى ان من وجب عليه القتل قصاصا او حدا فالتجأ الى الحرم

لا يستوفى فيه منه لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى حتى يخرج فيقتل قاله ابن عباس وبه قال
ابو حنيفة وذهب قوم الى ان القتل الواجب بالشرع يستوفى فيه اما اذا ارتكب الجريمة في الحرم
يستوفى فيه عقوبته بالاتفاق وقيل معناه من دخله معظما له متقربا الى الله عز وجل كان آمنا
يوم القيمة من العذاب قوله تعالى ولله على الناس حج البيت اى ولله فرض واجب على الناس
حج البيت قرا ابو جعفر وحمزة والكسائى وحفص حج البيت بكسر الحاء في هذا الحرف خاصة
وقرا الآخرون بفتح الحاء وهى لغة اهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان ومعناهما واحد
والحج احد اركان الاسلام وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلعم بنى الاسلام على خمس شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة والحج وصوم
رمضان قال اهل العلم ولوجوب الحج خمس شرايط الاسلام والعقل والبلوغ والحرية
والاستطاعة فلا يجب على الكافر ولا على المجنون ولو حجا بانفسهما لا يصح لان الكافر ليس
من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبى ولا العبد ولو حج صبى يعقل او عبد
يصح حجهما تطوعا ولكن لا يسقط فرض الاسلام عنهما فلو بلغ الصبى او اعتق العبد بعد ما حج
واجتمع في حقه شرايط وجوب الحج يجب عليه ان يحج ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى
من استطاع اليه سبيلا غير انه لو تكلف فحج يسقط عنه فرض الاسلام والاستطاعة نوعان
احدهما ان يكون مستطيعا ببدنه والآخر ان يكون مستطيعا بغيره اما الاستطاعة ببدنه ان يكون
قادرا بنفسه على الذهاب ووجد الزاد والراحلة وعن محمد بن عباد بن جعفر قال قعدنا
الى عبد الله فسمعته يقول سال رجل رسول الله صلعم فقال ما الحاج فقال الشعث التفل فقام
آخر فقال يا رسول الله اى الحج افضل قال العج والثج فقام آخر فقال يا رسول الله ما السبيل
قال زاد وراحلة وتفصيله ان يجد راحلة تصلح لمثله ووجد الزاد للذهاب والرجوع فاضلا
عن نفقة عياله ومن يلزمه نفقتهم وكسوتهم لذهابه ورجوعه وعن دين يكون عليه ووجد
رفقة يخرجون في وقت جرت عادة اهل بلده بالخروج في ذلك الوقت فان خرجوا قبله او اخروا
الخروج الى وقت لا يصلون الا ان يقطعوا كل يوم اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج ويشترط
ان يكون الطريق آمنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر او رصد يطلب شيئا
لا يلزمه ويشترط ان يكون المنازل المأهولة معمورة يجد فيها الزاد والماء فان كان زمان
جدوبة تفرق اهلها وغارت مياهها فلا يلزمه ولو لم يجد الراحلة لكنه قادر على المشى او لم يجد

الزاد ولكنه يمكنه ان يكتسب في الطريق لا يلزمه الحج ويستحب لو فعل وعند مالك يلزمه واما الاستطاعة
بالغير فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به مرض غير مرجو الزوال لكن له مال
يمكنه ان يستاجر من يحج عنه يجب عليه ان يستاجر او لم يكن له مال لكن بذل له ولده او اجنبى الطاعة
في ان يحج عنه يلزمه ان يامره به اذا كان يعتمد صدقه لان وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة
ويقال في العرف فلان مستطيع لبناء دار وان كان لا يفعله بنفسه انما يفعله بماله او باعوانه وعند ابى
حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على المعضوب في المال وحجة من اوجبه ما روى
عن عبد الله بن عباس انه كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلعم فجاءت امراة من خثعم
تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلعم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر
فقالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابى شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت
على الراحلة افاحج عنه قال نعم ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال ابن عباس والحسن
وعطاء جحد فرض الحج قال مجاهد ومن كفر بالله واليوم الآخر وقال سعيد بن المسيب نزلت في
اليهود حيث قالوا الحج الى مكة غير واجب وقال السدى هو من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات
فهو كفر به وعن ابى امامة ان النبى صلعم قال من لم يحبسه حاجة ظاهرة او مرض حابس او
سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا قل يا اهل الكتاب لم
تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله اى لم تصرفون عن دين الله من آمن تبغونها عوجا زيغا وميلا يعنى لم تصدون
عن سبيل الله باغين لها عوجا قال ابو عبيدة العوج بالكسر في الدين والقول والعمل والعوج بالفتح في
الجدار وكل شخص قائم وانتم شهداء ان في التورية مكتوبا نعت محمد وان دين الله الذى
لا يقبل غيره هو الاسلام وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودى
وكان شيخا عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين على نفر من الاوس والخزرج في مجلس جمعهم
يتحدثون فغاظه ما راى من الفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذى كان بينهم
في الجاهلية من العداوة وقال قد اجتمع ملا بنى قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم
اذا اجتمعوا بها من قرار فامر شابا من اليهود كان معه فقال اعمد اليهم فاجلس معهم
ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار

وكان بُعاث يوماً اقتتلت فيه الاوس مع الخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج
فبعد ما تكلم القوم عنده ذكر فتنتا زعموا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب
اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة من الخزرج
فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان
جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي حرة فخرجوا اليها وانضمت
الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول
الله صلعم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجا
هلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع فيه به عنكم امر الجاهلية والّف
بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد
من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول
الله صلعم سامعين مطيعين فانزل الله تعالى فيه يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يعني شاسا واصحابه يردوكم بعد ايمانكم كافرين • قال جابر فما رأيت
قط يوما اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم ثم قال على وجه التعجب • وكيف تكفرون • يعني ولم
تكفرون • وانتم تتلى عليكم آيات الله • القرآن • وفيكم رسوله • محمد صلعم قال قتادة في هذه
الآية علمان بينان كتاب الله ونبي الله اما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فابقاه
بين اظهركم رحمة ونعمة وعن زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله صلعم ذات يوم خطيبا
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي
فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب
الله وخذوا به فحث عليه ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي • ومن يعتصم
بالله • اي يمتنع بالله ويتمسك بدينه وطاعته • فقد هدي الى صراط مستقيم • طريق واضح وقال
ابن جريج ومن يعتصم بالله اي يؤمن بالله واصل العصمة المنع وكل مانع شيء فهو عاصم
• يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته • قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة
في الجاهلية وقتال حتى هاجر النبي صلعم الى المدينة فاصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلان
ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن
ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن ابي الافلح حمي

الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال
الخزرجي منا اربعة احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد
ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الا
شعار وتفاخرا فنادى الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم رسول الله صلعم فانزل الله
تعالى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال عبد الله بن مسعود وابن عباس
هو ان يطاع فلا يعصى قال مجاهد ان تجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله
لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم وآبائكم وابنائكم وعن انس انه قال لا يتقي الله عبد
حق تقاته حتى يخزن لسانه قال اهل التفسير فلما نزلت هذه الآية شق ذلك عليهم فقالوا يا
رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت هذه الآية فقال مقا
تل ليس في آل عمران من المنسوخ الا هذا • ولا تموتن الا وانتم مسلمون • اي مؤمنون وقيل مخلصون
مفوضون اموركم الى الله وقال الفضيل محسنون الظن بالله وعن عبد الله بن عباس قال
قال رسول الله صلعم ايها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو ان قطرة من الزقوم قطرت على الارض
لامرت على اهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه وليس لهم طعام غيره • واعتصموا بحبل الله
جميعا • الحبل السبب الذي يتوصل به الى البغية وسمي الامان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال
الخوف واختلفوا في معناه ههنا قال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله وقال ابن مسعود هو الجما
عة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي امر به وان ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير
مما تحبون في الفرقة وقال مجاهد وعطاء بعهد الله وقال قتادة والسدي هو القرآن روي
عن ابن مسعود عن النبي صلعم قال ان هذا القرآن هو حبل الله وهو النور المبين والشفاء النا
فع وعصمة من تمسك به ونجاة من تبعه وقال مقاتل بن حيان بحبل الله اي بامر الله وطاعته
• ولا تفرقوا • كما افترقت اليهود والنصارى روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم
قال ان الله يرضى لكم ثلثا ويسخط لكم ثلثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان
تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى الله امركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة
المال وكثرة السوال • واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم • قال
محمد بن اسحق بن يسار وغيره من اهل الاخبار كانت الاوس والخزرج اخوين لاب
وام فوقعت بينهما عداوة بسبب قتيل فتطاولت تلك العداوة والحرب بينهم عشرين سنة

الى ان اطفاء الله عز وجل ذلك بالاسلام والفى بينهم برسوله محمد صلعم وكان سبب الفتهم
ان سويد بن الصامت اخا بنى عمرو بن عوف وكان شريفا سمته قومه الكامل لجلده
ونسبه قدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله صلعم قد بعث وامر بالدعوة فتصدى له
حين سمع به ودعاه الى الله والاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له
رسول الله صلعم وما الذى معك قال مجلة لقمن يعنى حكمته فقال رسول الله اعرضها على فعر
ضها فقال ان هذا الكلام حسن والذى معى افضل من هذا قران انزله الله عز وجل على نورا
وهدى فتلا عليه القران ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن
ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج قبل يوم بعاث فان قومه ليقولون قد قتل
وهو مسلم ثم قدم ابو الحيسر انس بن رافع ومعه فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ
يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع رسول الله صلعم اتاهم فجلس اليهم فقال
هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما ذاك قال انا رسول الله بعثنى الى العباد ادعوهم الى ان لا يشر
كوا بالله شيئا وانزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القران فقال اياس
بن معاذ وكان غلاما حدثا اى قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابو الحيسر حفنة من البطحاء
فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام
رسول الله صلعم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ثم لم
يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه خرج رسول
الله صلعم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع
فى كل موسم فلقى عند العقبة رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة
وعوف بن الحارث وهو ابن عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حد
يدة وعقبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبد الله فقال لهم رسول الله صلعم من انتم قالوا
نفر من الخزرج قال امن موالى يهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا
معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القران قال وكان مما صنع الله لهم
به فى الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وهم كانوا اهل اوثان
وشرك وكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا ان نبيا الان مبعوث قد اظل زمانه نتبعه ونقتلكم
معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلعم اولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم

لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبى الذى توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه فاجابوه
وصدقوه واسلموا وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم
وعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم فندعوهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك فلا
رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلعم راجعين الى بلادهم قد آمنوا فلما قدموا
المدينة ذكروا لهم رسول الله صلعم ودعوهم الى الاسلام حتى فشى فيهم فلم يبق دار من
دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلعم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من
الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن
مالك بن العجلان وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعبا
س بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وابو الهيثم بن
التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة وهى العقبة الاولى فبايعوا
رسول الله صلعم على بيعة النساء على ان لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا الى
الاخر الاية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيئا من ذلك فاخذتم بحده فى الدنيا فهو كفا
رة له وان ستر عليكم فامركم الى الله ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم وذلك قبل ان تفترض
عليهم الحرب فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلعم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد
مناف وامره ان يقرئهم القران ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين وكان مصعب يسمى
بالمدينة المقرئ وكان منزله على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج بمصعب فد
خل به حائطا من حوائط بنى ظفر فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال
سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين قد اتيا دارنا ليسفها
ضعفاءنا فازجرهما فان اسعد بن خالتى ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ واسيد
بن حضير سيدى قومهما من بنى عبد الاشهل وهما مشركان فاخذ اسيد بن حضير حر
بته ثم اقبل الى مصعب واسعد وهما جالسان فى الحائط فلما رآه اسعد بن زرارة قال
لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه قال
فوقف عليهما متشتما فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما فى
انفسكما حاجة فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف
عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا

اى لا يشتمل العداوة والشر ما بينهم

اى انا افعل ولا آمرك

اى نقب

عليه القران فقالا والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال
ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في الدين قالا له تغتسل وتطهر
ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق
ثم قام وركع ركعتين ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم اخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذي
ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله
ما رايت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما احببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى
اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد
مغضبا مبادرا للذي ذكره من بني حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ما اراك اغنيت
شيئا فلما راهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما
ثم قال لاسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا
في دارنا بما نكره وقال اسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يتخلف عنك منهم
احد فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا
عنك ما تكره قال سعد انصفت ثم ركز الحربة فجلس فعرض عليه الاسلام وقرا عليه
القران قالا فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم به في اشراقه وتسهله ثم قال لهما
كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد
شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق وصلى ركعتين
ثم اخذ حربته فاقبل عامدا الى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راه قومه مقبلا
قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم
قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا راياً وايمننا نقيبة
قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما امسى في دار بني
عبد الاشهل رجل ولا امراة الا مسلما ومسلمة ورجع اسعد بن زرارة ومصعب الى منزل
اسعد بن زرارة فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار
الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني امية بن زيد وخطمة ووائل وواقف

وذلك انهم كان فيهم ابو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف
بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلعم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا
ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلا مع
حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلعم العقبة من اوسط ايام
التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهدها ذلك فلما فرغنا من الحج
وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلعم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر اخبرناه
وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا له يا ابا جابر انك
سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار
غدا ثم دعوناه الى الاسلام فاسلم فاخبرناه بميعاد رسول الله صلعم فشهد معنا العقبة وكان
نقيبا فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله
صلعم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة
ونحن سبعون رجلا ومعنا امراتان من نسائنا نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى
نساء بني النجار واسماء بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب
ننتظر رسول الله صلعم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ
على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا كان اول من تكلم
العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحي من الانصار
الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل
راينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم
ترون انكم وافون له بما دعوتموه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون
انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد
سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما شئت قال فتكلم رسول الله صلعم فتلا
القران ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه
نساءكم وابناءكم قال فاخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا
فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر قال فاعترض
القول والبراء يكلم رسول الله صلعم ابو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين

حبا لا يعني العهود فاتنا فاطعوها فهل عسيت ان فعلنا نحن ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع
الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلعم ثم قال الدم الدم والهدم الهدم انتم مني وانا منكم
احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلعم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا
كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم فاخرجوا اثنا عشر نقيبا تسعة من
الخزرج وثلثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة قال ان القوم لما اجتمعوا
لبيعة رسول الله صلعم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل
تدرون على ما تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون
انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتل اسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا
والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف
فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا ناخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما
لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه واول
من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلعم صرخ الشيطان
من راس العقبة بانفذ صوت ما سمعته قط يا اهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه
قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلعم هذا عدو الله هذا ازب العقبة اسمع اي عدو
الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول الله صلعم ارفضوا الى رحالكم فقال العباس بن
عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غدا على اهل منى باسيافنا
فقال رسول الله صلعم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا
عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا يا معشر
الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا
وانه والله ما حي من العرب ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث
من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا وما علمناه وصدقوا لم يعلموا
وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه
نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كاني اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوا يا جابر
اما تستطيع ان تتخذ وانت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها
الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما الي وقال والله لتنتعلنهما قال يقول ابو جابر مه والله

اي لتلبسنهما

احتف

احتفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال لا اردهما فال صالح والله لئن صدق الفال
لاستلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شددوا العقد فلما قدموها اظهروا
الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فاذوا اصحاب رسول الله صلعم فقال رسول الله صلعم لاصحابه
ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تامنون فيها فامرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق با
خوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومي ثم عا
مر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع اصحاب رسول الله صلعم ارسالا الى المدينة
فجمع الله اهل المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات بينهم بنبيه محمد صلعم قال
الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم يا معشر الانصار اذ كنتم اعداء قبل الاسلام فالف بين قلو
بكم بالاسلام فاصبحتم اي فصرتم بنعمته برحمته وبدينه الاسلام اخوانا في الدين والولاية
وكنتم يا معشر الاوس والخزرج على شفا حفرة من النار اي على طريق حفرة مثل شفا
البير معناه كنتم على طرف حفرة من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا ان تموتوا على
كفركم فانقذكم الله منها بالايمان كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم
امة يدعون الى الخير اي تكونوا امة ومن صلة ليس للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس
من الاوثان لم يرد واجتناب بعض الاوثان بل اراد فاجتنبوا الاوثان واللام في قوله
ولتكن لام الامر يدعون الى الخير الى الاسلام يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
واولئك هم المفلحون وعن طارق بن شهاب قال قال ابو سعيد سمعت رسول الله صلعم
يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه و
ذلك اضعف الايمان وعن حذيفة ان النبي صلعم قال والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب
لكم وعن قيس بن ابي حازم قال سمعت ابا بكر الصديق يقول يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه
الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فاني سمعت رسول
الله يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعذابه وعن الشعبي
انه سمع النعمان بن بشير يقول قال النبي صلعم مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها
مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في اسفلها وصار بعضهم في اعلاها وكان الذي في
اسفلها يمر بالماء على الذين في اعلاها فتاذوا به فاخذ فاسا فجعل ينقر اسفل السفينة فا

تفعلوا ما لكم قال تاذيتم بي ولا بد لي من اماء فان اخذوا على يديه نجوه ونجوا انفسهم وان
تركوا هلكوه واهلكوا انفسهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
البينات قال اكثر المفسرين هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه
الامة وقال ابو امامة هم الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف ابو امامة
وانا معه على رؤس الحرورية بالشام فقال كلاب النار كانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم ثم
قرأ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات الى قوله اكفرتم بعد ايما
نكم وعن عبد الله بن الزبير ان عمر بن الخطاب قال ان رسول الله صلعم قال من سره بحبوحة الجنة
فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين ابعد واولئك لهم عذاب عظيم
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب اي في يوم وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول
يريد تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود
وجوه المنافقين وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قرأ هذه الاية قال تبيض وجوه اهل السنة
وتسود وجوه اهل البدعة قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس اذا كان يوم القيمة دفع
لكل قوم ما كانوا يعبدون فيسعى كل قوم الى ما كانوا يعبدون وهو قوله تعالى نوله ما تولى
فاذا انتهوا اليه حزنوا فتسود وجوههم من الحزن وبقي اهل القبلة واليهود والنصارى لم
يعرفوا شيئا مما دفع لهم فياتيهم الله فيسجد له من كان يسجد له في الدنيا مطيعا مؤمنا ويبقى
اهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون السجود ثم يؤذن لهم فيرفعون رؤسهم ووجوه
المؤمنين مثل الثلج بياضا والمنافقون واهل الكتاب اذا نظروا الى وجوه المؤمنين
حزنوا حزنا شديدا فاسودت وجوههم ويقولون ربنا ما لنا مسودة وجوهنا فوالله
ما كنا مشركين فيقول الله للملائكة انظروا كيف كذبوا على انفسهم قال اهل المعاني ابيضاض
الوجوه اشراقها واستبشارها بعملها وثواب الله واسودادها حزنها وكآبتها وكسوفها
بعملها وبعذاب الله يدل عليه قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم
قتر ولا ذلة والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة وقال وجوه يومئذ
ناضرة ووجوه يومئذ باسرة وقال وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه
يومئذ عليها غبرة فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم معناه يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم
فان قيل كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم ولم يكونوا مؤمنين حكي عن ابي بن كعب انه اراد به

الايمان يوم الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى يقول اكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق
وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروا بقلوبهم وعن عكرمة انهم اهل
الكتاب آمنوا بانبيائهم وبمحمد صلعم قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به وقال قوم هم من اهل
قبلتنا فقال ابو امامة هم الخوارج وقال قتادة هم اهل البدع وعن اسماء بنت ابي بكر قالت
قال النبي صلعم اني على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني فاقول
يا رب مني ومن امتي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على اعقابهم
وقال الحارث الاعور سمعت عليا على المنبر يقول ان الرجل ليخرج من اهله فما يؤوب اليهم
حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من اهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستو
جب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الاية ثم نادى الذين كفروا بعد الايمان
ورب الكعبة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم
يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الد
نيا فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم هؤلاء اهل الطاعة
ففي رحمة الله جنة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد
ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير امة اخر
جت للناس قال عكرمة ومقاتل نزلت في ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم
مولى ابي حذيفة وذلك ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لهم نحن افضل
منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه فانزل الله هذه الاية وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس كنتم خير
امة هم الذين هاجروا مع النبي صلعم الى المدينة وقال جويبر عن الضحاك هم اصحاب محمد صلعم
خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وروي عن عمر بن الخطاب قال
كنتم خير امة اخرجت للناس تكون لاولنا ولا تكون لآخرنا وعن عمران ابن الحصين عن النبي
صلعم قال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لا ادري اذكر النبي بعد قرنه
مرتين او ثلثا وقال ان بعدكم قوم يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون
وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وبهذا الاسناد عن ابي سعيد عن النبي صلعم
قال لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك
مد احدهم ولا نصيفه وقال الآخرون هم جميع المؤمنين من هذه الامة وقوله كنتم يعني

يعني انتم كقوله تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا وقال في موضع آخر واذكروا اذ انتم قليل وقيل
معناه كنتم خير امة عند الله في اللوح المحفوظ وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي
صلعم يقول في قوله عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس قال انكم تتمون سبعين امة انتم خيرها
واكرمها على الله عز وجل وقال قوم قوله للناس من صلة قوله خير امة اي انتم خير الناس للناس
وقال ابو هريرة معناه كنتم خير الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم
في الاسلام قال قتادة هم امة محمد صلعم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار
فيدخلونهم في دينهم فهم خير امة وقيل قوله للناس من صلة قوله اخرجت معناه ما اخرج الله
للناس امة خيرا من امة محمد صلعم وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم قال الا وان هذه الامة
توفي سبعين امة هي آخرها واكرمها على الله عز وجل وعن انس قال قال رسول الله مثل امتي
مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره وعن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلعم قال ان
الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي وعن عبد الله
بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلعم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون من هذه
الامة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل
الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى قال
مقاتل ان رؤوس اليهود عمدوا الى من آمن منهم عبد الله بن سلام واصحابه فآذوهم فانزل الله
تعالى لن يضروكم الا اذى يعني لا يضركم ايها المؤمنون هؤلاء اليهود الا اذى باللسان وعيدا
وطعنا وقيل كلمة الكفر تتأذون بها وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون
بل يكون لكم النصر عليهم ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا حيث ما وجدوا الا بحبل من الله يعني
اينما وجدوا استضعفوا وقتلوا وسبوا فلا يأمنون الا بحبل عهد من الله بان يسلموا او حبل
من الناس من المؤمنين ببذل جزية او امان يعني الا ان يعتصموا بحبل فيأمنوا وباؤوا بغضب
من الله رجعوا به وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء
بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء قال ابن عباس ومقاتل فانزل
الله تعالى هذه الآية واختلفوا في وجهها فقال قوم فيه اختصار تقديره ليسوا سواء من
اهل الكتاب امة قائمة واخرى غير قائمة فترك الاخرى اكتفاء بذكر احد الفريقين وقال الآخرون
تمام الكلام عند قوله ليسوا سواء وهو وقف لانه قد جرى ذكر الفريقين من اهل الكتاب في قوله

تعالى منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ثم قال ليسوا سواء يعني المؤمنين والفاسقين ثم وصف الفا
سقين فقال لن يضروكم الا اذى ووصف المؤمنين بقوله امة قائمة وقيل قوله من اهل الكتاب
ابتداء الكلام آخر لان ذكر الفريقين قد جرى ثم قال ليس هذان الفريقان سواء ثم ابتداء
فقال من اهل الكتاب قال ابن مسعود معناه لا يستوي اليهود وامة محمد صلعم القائمة بامر الله
الثابتة على الحق المستقيمة قوله امة قائمة قال ابن عباس اي مهتدية قائمة على امر الله لم يضيعوه
ولم يتركوه وقال مجاهد عادلة وقال السدي مطيعة قائمة على كتاب الله وحدوده وقيل قائمة في
الصلاة وقيل الامة الطريقة ومعنى الآية ذو امة اي ذو طريقة مستقيمة يتلون آيات الله
يقرؤون كتاب الله وقال مجاهد يتبعون آناء الليل ساعاته واحدها اني مثل نحي وانحاء
وانا وآنا مثل معى وامعاء وهم يسجدون اي يصلون لان التلاوة لا تكون في السجود واختلفوا
في معناها فقال بعضهم هي في قيام الليل وقال ابن مسعود هي في صلاة العتمة يصلونها ولا
يصليها من سواهم من اهل الكتاب وقال عطاء ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة
الآية يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم
كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا صلعم وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلعم منهم اسعد
بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة ومحمود بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا
موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله بالنبي
صلعم فصدقوه ونصروه يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه
قرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء فيهما اخبارا عن الامة القائمة وقرأ الآخرون بالتاء
فيهما لقوله كنتم خير امة وابو عمرو يرى القراءتين جميعا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير فلن
تعدموا ثوابه بل يشكر لكم وتجازون عليه والله عليم بالمتقين بالمؤمنين ان الذين كفروا لن
تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذاب الله شيئا اي لا يدفع اموالهم بالفدية
ولا اولادهم بالنصرة شيئا من عذاب الله وخصهما بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة
بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد واولئك اصحاب النار وانما جعلهم من اصحابها لانهم
اهلها لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل لا يفارقه هم فيها خالدون مثل ما
ينفقون في هذه الحيوة الدنيا قيل اراد نفقات ابي سفيان واصحابه ببدر واحد على عداوة الرسول عم

وقال مقاتل نفقة اليهود على علمائهم قال مجاهد يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا وصدقاتهم
وقيل اراد انفاق المرائي الذي لا يبتغي به وجه الله تعالى كمثل ريح فيها صر حكي عن ابن عباس
انها السموم الحارة التي تقتل وقيل فيها صر اي صوت واكثر المفسرين قالوا فيها برد شديد
اصابت حرث قوم زرع قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية ومنع حق الله تعالى فاهلكته معنى
الآية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح باردة فاهلكته
او نار فاحرقته فلم ينتفع اصحابه منه بشيء وما ظلمهم الله بذلك ولكن انفسهم يظلمون بالكفر
والمعصية يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم قال ابن عباس كان رجال من
المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل
الله هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين
كانوا يصافون المنافقين فنهاهم الله عن ذلك فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من
دونكم اي اولياء واصفياء من غير اهل ملتكم وبطانة الرجل خاصته تشبيها ببطانة الثوب
التي تلي بطنه لانهم يستبطنون امره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم ثم بين العلة
في النهي عن مباطنتهم فقال جل ذكره لا يألونكم خبالا اي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما
يورثكم الشر والفساد والخبال الشر والفساد ونصب خبالا على المفعول الثاني لان يألو
يتعدى الى مفعولين وقيل بنزع الخافض اي بالخبال كما يقال اوجعته ضربا ودوا ما
عنتم اي يودون ما يشق عليكم من الضر والشر والهلاك والعنت المشقة قد بدت البغضاء
اي البغض معناه ظهرت امارة العداوة من افواههم بالشتيمة والوقيعة في المسلمين وقيل
باطلاع المشركين على اسرار المؤمنين وما تخفي صدورهم من العداوة والغيظ اكبر
اعظم قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها انتم اولاء ها تنبيه وانتم كناية
للمخاطبين من المذكورين واولاء اسم للمشار اليهم يريد انتم ايها المؤمنون تحبونهم اي تحبون
هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة
ولا يحبونكم هم لما بينكم من مخالفة الدين قال مقاتل هم المنافقون يحبهم المؤمنون
لما اظهروا من الايمان ولا يعلمون ما في قلوبهم وتؤمنون بالكتاب كله يعني بالكتب كلها
وهم لا يؤمنون بكتابكم واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا فكان بعضهم مع بعض
عضوا عليكم الانامل يعني اطراف الاصابع واحدتها انملة بضم الميم وفتحها من الغيظ

لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا
من مجاز الامثال وان لم يكن ثم عض قل موتوا بغيظكم اي ابقوا الى الممات بغيظكم ان
الله عليم بذات الصدور اي بما في قلوبكم من خير وشر ان تمسسكم اي تصبكم ايها المؤ
منون حسنة بظهوركم على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم وتتابع الناس في الدخول في
دينكم وخصب في معايشكم تسؤهم تحزنهم وان تصبكم سيئة مساءة باخفاق سرية
منكم او اصابة عدو منكم او اختلاف يكون بينكم او جدب او نكبة تصيبكم يفرحوا بها
وان تصبروا على اذاهم وتتقوا وتخافوا ربكم لا يضركم لا ينقصكم كيدهم
شيئا قرأ ابن كثير ونافع واهل البصرة لا يضركم بكسر الضاد خفيفة يقال ضار يضير ضيرا
وهو جزم على جواب الجزاء وقرأ الباقون بضم الضاد وتشديد الراء من ضر يضر ضرا
مثل رد يرد ردا وفي رفعه وجهان احدهما انه اراد الجزم واصله يضرركم فادغمت الراء
في الراء ونقلت ضمة الراء الاولى الى الضاد وضمت الثانية اتباعا والثاني ان يكون لا
بمعنى ليس وتضمر فيه الفاء تقديره وان تصبروا وتتقوا فليس يضركم كيدهم شيئا
ان الله بما يعملون محيط عالم واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال
فقال الحسن هو يوم بدر وقال مقاتل يوم الاحزاب وقال سائر المفسرين هو يوم
احد لان ما بعده الى قريب من آخر السورة في حرب احد قال مجاهد والكلبي والواقدي
غدا رسول الله صلعم من منزل عائشة فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما
يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء
فلما سمع رسول الله صلعم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم
يدعه قط فاستشاره فقال عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة لا
تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا
اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان
دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان
رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلعم هذا الرأي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج
بنا الى هذه الاكلب لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا وقال رسول الله صلعم اني رأيت
في منامي بقرا فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولتها هزيمة ورأيت اني ادخلت

يدعى في درج حصينة فاولنها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وكان يعجبه ان
يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا في الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر
واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلعم من
حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلعم فلبس لامته فلما راوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا
بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلعم والوحي ياتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا اصنع
ما رايت فقال رسول الله صلعم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد اقام
المشركون باحد يوم الاربعاء والخميس فراح رسول صلعم اليهم يوم الجمعة بعدما صلى باصحابه
الجمعة وقد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه رسول الله صلعم ثم خرج اليهم فاصبح
بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلث من الهجرة وكان من امر حرب
احد ما كان فذلك قوله عز وجل واذ غدوت من اهلك اى واذكروا اذ غدوت من اهلك
تبوئ المؤمنين اى تنزل المؤمنين مقاعد للقتال اى مواطن ومواضع للقتال تبوأ انا الو[illegible]
اذا وطنتهم وتبوؤا اذا توطنوا قال الله تعالى ولقد بوأنا بني اسرائيل وقال ان تبوءا لقو
[illegible] وقيل تتخذ معسكرا والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان
تفشلا ان تجبنا وتضعفا وتتخلفا والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من
الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان رسول الله صلعم خرج الى احد في الف رجل وقيل تسعمائة
وخمسين رجلا فلما بلغوا الشوط انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس ورجع في ثلثمائة وقال علام
نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم ابو جابر السلمي فقال انشدكم الله في نبيكم وفي انفسكم فقال عبد
الله بن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن
ابي فعصمهم الله فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته فقال عز وجل اذ همت طائفتان منكم ان
تفشلا والله وليهما ناصرهما وحافظهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون وعن جابر قال نزلت هذه
الاية فينا اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما بني سلمة وبني حارثة وما احب
انها لم تنزل والله يقول والله وليهما ولقد نصركم الله ببدر وبدر موضع بين مكة والمدينة
وهو اسم الموضع وعليه الاكثرون وقيل اسم لبئر هناك وقيل كانت بدر بئرا لرجل يقال له
بدر قاله الشعبي وانكر الآخرون عليه يذكر الله تعالى في هذه الاية منته عليهم بالنصرة يوم
بدر وانتم اذلة جمع ذليل واراد قلة العدد فانهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا

فنصرهم الله مع قلة عددهم فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان
يمدكم ربكم اختلفوا في هذه الاية فقال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بالف من الملائكة
كما قال فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة آلاف كما قال عز وجل بثلاثة
آلاف من الملائكة منزلين ثم صاروا خمسة آلاف كما ذكر ههنا بلى ان تصبروا وتتقوا ويا
توكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فصبروا يوم
بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة آلاف كما وعد قال الحسن فهؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين الى
يوم القيمة قال ابن عباس ومجاهد لم تقاتل الملائكة في المعركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون
القتال ولا تقاتلون انما يكونون عددا او مددا وقال محمد بن اسحق لما كان يوم احد انجلى القوم
عن رسول الله صلعم وبقي سعد بن مالك يرمي وفتى شاب يتنبل له فلما فني النبل اتاه به فنثره
فقال ارم ابا اسحق ارم ابا اسحق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم يعرف
وعن سعد بن ابي وقاص قال رايت رسول الله صلعم يوم احد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما
ثياب بيض كاشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد ورواه مسلم عن ابي بكر بن
ابي شيبة قال حدثنا محمد بن بشر وابو اسامة عن مسعر عن سعد بن ابرهيم عن ابيه
عن سعد بن ابراهيم عن ابيه عن سعد يعني ابن ابي وقاص قال رايت عن يمين رسول الله
صلعم وشماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبرائيل
وميكائيل وقال الشعبي بلغ رسول الله صلعم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي
يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع فلم ياتهم ولم يمدهم الله ايضا بالخمسة
آلاف وكانوا قد امدوا بالف وقال آخرون انما وعد الله تعالى المسلمين يوم بدر ولم يمدهم
ان صبروا على طاعته واتقوا محارمه ان يمدهم ايضا في حروبهم كلها فلم يصبروا الا
يوم الاحزاب فامدهم الله حين حاصروا قريظة والنضير قال عبد الله بن ابي
اوفى كنا محاصري قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول
الله صلعم بغسل فهو يغسل راسه اذ جاءه جبرائيل فقال وضعتم اسلحتكم ولم تضع
الملائكة اوزارها فدعا رسول الله بخرقة فلف بها راسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا
حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا

سيرًا وقال عكرمة والضحاك كان هذا يوم احد وعدهم الله المدد ان صبروا فلم يصبروا
فلم يمدوا قوله تعالى ان يمدكم ربكم والامداد اعانة الجيش بالجيش وقيل ما كان على جهة
القوة والاعانة يقال فيه امده امدادا وما كان على جهة الزيادة يقال مده مدا ومنه
قوله تعالى والبحر يمده وقيل المد في الشر والامداد في الخير يدل عليه قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم
يعمهون ونمد له من العذاب مدا وقال في الخير اني ممدكم بالف من الملائكة وقال وامددناكم باموال
وبنين قوله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين قرأ ابن عامر بتشديد الزاي على التكثير
لقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقرأ الآخرون بالتخفيف دليله قوله تعالى لولا انزل
علينا الملائكة وانزل جنودا لم تروها ثم قال بلى يمددكم ان تصبروا لعدوكم وتتقوا
مخالفة نبيكم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا وقال ابن عباس والحسن وقتادة
والكلبي ومقاتل من وجههم هذا وقال مجاهد والضحاك من غضبهم هذا لانهم انما رجعوا
للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة
آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف بل اراد معهم قوله مسومين اي معلمين قرأ ابن كثير وابو
عمرو وعاصم بكسر الواو وقرأ الآخرون بفتحها فمن كسر الواو اراد انهم سوموا خيلهم ومن
فتحها اراد به انفسهم والتسويم الاعلام من السومة وهي العلامة واختلفوا في تلك العلامة
قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر وقال علي وابن
عباس كانت عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة
والكلبي عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن
في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلعم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان
الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم وما جعله الله يعني هذا
الوعد والمدد الا بشرى لكم اي بشارة لتستبشروا بها ولتطمئن قلوبكم به فلا تجزعوا
من كثرة عدوكم وقلة عددكم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم يعني لا تحيلوا
النصر على الملائكة والجند فان النصر من عند الله فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز
والحكم له ليقطع طرفا من الذين كفروا يقول لقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا اي لكي
يهلك طائفة من الذين كفروا وقال السدي معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل
والاسر فقتل من قادتهم يوم بدر سبعون واسر سبعون ومن حمل الآية على حرب احد

وسادتهم

فقد قتل منهم يومئذ ستة عشر وكانت النصرة للمسلمين حتى خالفوا امر الرسول صلعم
فانقلب عليهم او يكبتهم قال الكلبي يهزمهم وقال يمان يصرعهم لوجوههم وقال السدي
يلعنهم وقال ابو عبيدة يهلكهم وقيل يحزنهم والمكبوت المحزون وقيل اصله يكبدهم
اي يصيب الحزن والغيظ اكبادهم والتاء والدال يتعاقبان كما يقال سبت
راسه وسبده اذا حلقه وقيل يكبتهم بالخيبة فينقلبوا خائبين لم ينالوا شيئا مما كانوا ير
جون من الظفر بكم ليس لك من الامر شيء اختلفوا في سبب نزول هذه الآية
فقال قوم نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله
صلعم الى بئر معونة في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد ليعلموا
القرآن الناس والعلم اميرهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد
رسول الله صلعم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة
من تلك القبائل باللعن والسنين فنزلت ليس لك من الامر شيء وعن سالم عن ابيه
انه سمع رسول الله صلعم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم
العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل الله
عز وجل ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقال قوم نز
لت يوم احد وعن انس ان رسول الله صلعم كسرت رباعيته يوم احد وشج في راسه فجعل
يسلت الدم منه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم فانزل
الله ليس لك من الامر شيء وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلعم اللهم العن ابا سفيان اللهم
العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم فاسلموا فحسن اسلامهم وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن اسحق لما راى رسول الله
صلعم والمسلمون يوم احد ما اصابهم من جدع الآذان والانوف وقطع المذاكير قالوا لئن ادا
لنا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب باحد
فانزل الله عز وجل هذه الآية وقيل اراد النبي صلعم ان يدعو عليهم بالاستيصال فنزلت هذه
الآية وذلك لعلمه فيهم ان كثيرا يسلمون فقوله ليس لك من الامر شيء اي ليس اليك فاللام بمعنى
الى كقوله تعالى انا سمعنا مناديا ينادي للايمان اي الى الايمان قوله تعالى او يتوب عليهم
قال بعضهم معناه حتى يتوب عليهم او الى ان يتوب عليهم وقيل هو نسق على قوله ليقطع طرفا وقوله

ليس لك من الامر اعتراض بين الكلام ونظم الاية ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم
او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر امري في ذلك
كله ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله
غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة اراد به ما كانوا يفعلون
عند حلول اجل الدين من زيادة المال وتأخير الطلب واتقوا الله في امر الربا فلا تأكلوه لعلكم
تفلحون ثم خوفهم فقال واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون لكي ترحموا وسارعوا قرأ اهل المدينة والشام سارعوا بلا واو
الباقون بالواو الى مغفرة من ربكم اى بادروا وسابقوا الى الاعمال التي توجب المغفرة
قال ابن عباس الى الاسلام وروى عنه الى التوبة وقال عكرمة وقال علي بن ابي طالب الى
الفرائض وقال ابو العالية الى الهجرة وقال الضحاك الى الجهاد وقال مقاتل الى الاعمال الصا
لحة روى عن انس بن مالك انها التكبيرة الاولى وجنة اى والى جنة عرضها السموات والار
ض اى عرضها عرض السموات والارض كما قال في سورة الحديد وجنة عرضها كعرض
السماء والارض اى سعتها وانما خص العرض على المبالغة لان طول كل شيء في الا
اكثر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قال الزهري انما وصف عرضها فاما
طولها فلا يعلمه الا الله وهذا على التمثيل لا انها كالسموات والارض لا غير معناه
كعرض السموات السبع والارضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات
والارض يعني عند ظنكم والا فهما زائلتان وروى عن طارق بن شهاب ان ناسا
من اليهود سألوا عمر بن الخطاب وعنده اصحابه وقالوا ارأيتم قولكم وجنة عرضها
السموات والارض فاين النار قال ارأيتم اذا جاء الليل اين يكون النهار واذا جاء النهار
اين يكون الليل فقالوا انه لمثلها في التورية ومعناه انه حيث يشاء الله فان قيل قد قال الله
وفي السماء رزقكم وما توعدون واراد بالذي وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة في السماء
فكيف يكون عرضها السموات والارض قيل ان باب الجنة في السماء وعرضها السموات والارض
كما اخبر وسئل انس بن مالك عن الجنة افي السماء ام في الارض فقال واي ارض وسماء تسع الجنة
قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة
فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء

والضراء اى في اليسر والعسر فاول ما ذكر من اخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة وقد
جاء في الحديث وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب
من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب
من النار ولجاهل سخي احب الى الله من العالم البخيل والكاظمين الغيظ اى الجارعين
الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الغيظ ان يمتلئ غيظا
فيرده في جوفه ولا يظهره ومنه قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وعن سهل بن معاذ بن
انس عن ابيه قال قال رسول الله صلعم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله يوم
القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره من اى الحور شاء والعافين عن الناس قال الكلبي عن المملو
كين سوء الادب وقال زيد بن اسلم ومقاتل عمن ظلمهم واساء لهم والله يحب المحسنين والذين
اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم قال ابن مسعود قال المؤمنون يا رسول الله كانت
بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة
بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلعم فانزل الله هذه الاية نزلت
في نبهان التمار وكنيته ابو مقبل اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذه
التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق
الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلعم وذكر له ذلك فنزلت هذه الاية وقال مقاتل والكلبي
اخا رسول الله صلعم بين رجلين احدهما من الانصار والاخر من ثقيف فخرج الثقفي في غزاة
واستخلف الانصاري على اهله فاشترى لهم اللحم ذات يوم فلما ارادت المرأة ان تأخذ منه
دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما
رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان
مثله ووصفت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي
حتى وجده فاتى به ابا بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا وقال الانصاري هلكت وذكر
القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر
فقال له مثل ذلك فاتيا النبي صلعم فقال له مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا
فاحشة يعني قبيحة خارجة عما اذن الله فيه واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر
الفاحشة الزنا او ظلموا انفسهم ما دون الزنا من القبلة والمعانقة واللمس وقال مقاتل والكلبي

الفاحشة ما دون الزنا من قبلة او لمسة او نظرة فيما لا يحل او ظلموا انفسهم بالمعصية وقيل
فعلوا فاحشة الكبائر او ظلموا انفسهم بالصغائر وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم
قولا ذكروا الله اى ذكروا وعيد الله وان الله سائلهم قال مقاتل بن حيان ذكروا الله باللسان
عند الذنوب فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله اى وهل يغفر الذنوب
الا الله ولم يصروا على ما فعلوا اى ولم يقيموا ولم يثبتوا عليه ولكن تابوا وانابوا
واستغفروا واصل الاصرار الثبات على الشيء قال الحسن اتيان العبد ذنبا عمدا اصرار حتى
يتوب وقال السدي الاصرار السكوت وترك الاستغفار وعن ابي نصيرة قال لقيت مولى لابي
بكر فقلت له اسمعت من ابي بكر شيئا قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلعم ما اصر من
استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون قال ابن عباس والحسن ومقاتل والكلبي
يعلمون انها معصية وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقال الضحاك وهم يعلمون ان
الله يملك مغفرة الذنوب وقال الحسين بن الفضل وهم يعلمون ان لهم ربا يغفر الذنوب
وهم يعلمون ان الله يملك لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل وهم يعلمون انهم
لهم ان استغفروا غفر لهم اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين ثواب المطيعين وعن اسماء
ابن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلعم
شيئا ينفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف لي
صدقته وانه حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلعم يقول ما من عبد مؤمن
يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ورواه ابو عيسى عن
قتيبة عن ابي عوانة وزاد ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الاية وعن اسحق
بن عبد الله بن ابي طلحة قال كان قاص بالمدينة يقال له عبد الرحمن بن ابي عمرة فسمعته يقول سمعت
ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلعم يقول ان عبدا اذنب ذنبا فقال رب اذنبت ذنبا فا
غفر لي قال فقال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء
الله ثم اصاب ذنبا آخر فقال اذنبت ذنبا فاغفر لي قال قال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر
الذنوب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم اذنب ذنبا آخر فقال اذنبت ذنبا فاغفر
لي قال قال ربه عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل

ما شاء وعن ابي ذر عن النبي صلعم يروي عن ربه تبارك وتعالى قال قال ابن آدم انك ما دعوتني
ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ابن آدم انك ان تلقني بقراب الارض خطايا لقيتني
بقرابها مغفرة بعد ان لا تشرك بي شيئا ابن آدم انك ان تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان
السماء ثم تستغفرني اغفر لك وعن ابن عباس عن رسول الله صلعم قال قال الله تعالى من علم اني ذو
قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا ابالي ما لم يشرك بي شيئا قال ثابت البناني بلغني
ان ابليس بكى حين نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخرها قد خلت من قبلكم
سنن قال عطاء شرائع وقال الكلبي مضت لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوها رضي الله عنهم وقال
مجاهد قد خلت من قبلكم سنن بالهلاك فيمن كذب قبلكم وقيل سنن اى امم والسنة الامة قال
الشاعر ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا مثلكم في سالف السنن وقيل معناه اهل
سنن والسنة هي الطريقة المتبعة في الخير والشر يقال سن فلان سنة حسنة وسنة سيئة اذا
عمل عملا اقتدي به من خير او شر ومعنى الاية قد مضت وسلفت مني فيمن كان قبلكم من الامم
الماضية الكافرة سنن بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم اجلي الذي اجلته لا
هلاكهم وادالة انبيائي فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة اى آخر امر
المكذبين منهم وهذا في حرب احد يقول فانا امهلهم واستدرجهم حتى يبلغ اجلي الذي
اجلت في نصرة النبي صلعم واوليائه وهلاك اعدائه هذا اى هذا القرآن بيان للناس عامة
وهدى من الضلالة وموعظة للمتقين خاصة ولا تهنوا ولا تحزنوا هذا حث لاصحاب النبي
صلعم على الجهاد على ما اصابهم من القتل والجرح يوم احد يقول ولا تهنوا اى لا تضعفوا ولا
تجبنوا عن جهاد اعدائكم بما نالكم من القتل والجرح وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة
منهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وقتل من الانصار سبعون رجلا ولا تحزنوا فانكم
انتم الاعلون اى تكون لكم العاقبة بالنصر والظفر ان كنتم مؤمنين يعني اذ كنتم مؤ
منين اى لانكم مؤمنون قال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلعم في الشعب فاقبل
خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلعم اللهم لا يعلن علينا
لا قوة لنا الا بك وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموا
فذلك قوله عز وجل وانتم الاعلون وقال الكلبي نزلت هذه الاية بعد يوم احد حين امر النبي
صلعم اصحابه بطلب القوم مع ما اصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله هذه

الآية دليله قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان يمسسكم قرح قرأ حمزة والكسائي وابو بكر قُرْح بضم القاف حيث جاء وقرأ الآخرون بالفتح وهما لغتان معناهما واحد كالجَهد والجُهد قال الفراء القَرح بالفتح الجراحة وبالضم ألم الجراحة هذا خطاب مع المسلمين حين انصرفوا من أحد مع الكآبة والحزن يقول ان يمسسكم قرح يوم أحد فقد مس القوم قرح مثله يوم بدر وتلك الايام نداولها بين الناس فيوما لهم ويوما عليهم أديل المسلمين من المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأديل المشركين من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين عن ابي اسحق قال سمعت البراء ابن عازب يحدث قال جعل النبي صلعم على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير فقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم فهزموهم قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اي قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلعم قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك اذ يدعوهم الرسول في أخراهم فلم يبق مع النبي صلعم غير اثني عشر رجلا فأصابوا منا سبعين وكان النبي صلعم واصحابه اصابوا من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان أفي القوم محمد ثلث مرات فنهاهم النبي صلعم ان يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن ابي قحافة ثلث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوؤك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبي صلعم ألا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلعم ألا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وروى هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم

الغالبون وكانت يوم أحد للكفار على المسلمين لمخالفتهم امر رسول الله صلعم وليعلم الله الذين آمنوا يعني انما كانت هذه المداولة ليعلم الله اي ليرى الله الذين آمنوا منكم فيميز المؤمن من المنافق ويتخذ منكم شهداء يكرم قوما بالشهادة والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا اي يطهرهم من الذنوب ويمحق الكافرين يفنيهم ويهلكهم معناه ان قتلوكم فهو تطهير لكم وان قتلتموهم فهو محقهم واستيصالهم ام حسبتم اي احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله اي ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه وذلك ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا ويستشهدوا فأراهم الله يوم أحد وقوله تمنون الموت اي سبب الموت وهو الجهاد من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه يعني اسبابه وانتم تنظرون ليعلم ان المراد فان قيل ما معنى قوله وانتم تنظرون بعد قوله فقد رأيتموه قيل ذكر النظر تأكيدا وقيل الرؤية قد يكون بمعنى العلم فقال وانتم تنظرون ليعلم ان المراد بالرؤية النظر وقيل وانتم تنظرون الى محمد صلعم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل قال اصحاب المغازي خرج رسول الله حتى نزل بالشعب من أحد في سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير وهو اخو خوات بن جبير على الرماة وكانوا خمسين رجلا وقال اقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا فلا تبرحوا مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم فجاءت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن الاشعار وقاتلوا حتى حميت الحرب فأخذ رسول الله صلعم سيفا فقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحني فأخذه ابو دجانة سماك بن خرشة فلما اخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فقال رسول الله صلعم انها لمشية يبغضها الله الا في هذا الموضع ففلق به هام المشركين وحمل النبي واصحابه على المشركين فهزموهم وروي عن البراء بن عازب قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم قال الزبير بن العوام فرأيت هندا وصواحبها هاربات مصعدات في الجبل باديا خدامهن ما دون أخذهن شيء فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا ورأوا اصحابهم

ينتهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب فلما راى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال
الناس بالغنيمة وراى ظهورهم خالية فصاح في خيله من المشركين ثم حمل على اصحاب النبي
صلعم من خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلعم بحجر فكسر
انفه ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله وتفرق عنه اصحابه ونهض رسول الله صلعم الى
صخرة ليعلوها وكان قد ظاهر بين درعين فلم يستطع فجلس تحته طلحة فنهض حتى
استوى عليها فقال رسول الله صلعم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن
بالقتلى من اصحاب النبي صلعم يجدعن الاذان والانوف حتى اتخذت هند من
ذلك قلائد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها
فلفظتها واقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل النبي صلعم فذب مصعب بن عمير وهو صاحب
راية النبي صلعم عن رسول الله صلعم فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلعم
فرجع وقال اني قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال ان ذلك الصارخ
كان ابليس فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلعم يدعو الناس الى عباد الله الى عباد
الله فاجتمع اليه ثلثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص
حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلعم كنانته فقال ارم فداك ابي وامي وكان
ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين او ثلثا وكان الرجل يمر معه
بجعبة من النبل فيقول انثرها لابي طلحة وكان اذا رمى تشرف النبي صلعم فينظر الى موضع
نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله صلعم واصيبت عين قتادة
بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلعم مكانها فعادت كاحسن
ما كانت فلما انصرف رسول الله صلعم ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان
نجوت فقال القوم الا يعطف عليه رجل منا فقال عليه دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابي
قبل ذلك يلقى رسول الله صلعم فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها
فقال رسول الله صلعم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحارث
بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهده عن فرسه وهو يخور كما يخور
الثور وهو يقول قتلني محمد فاحتمله اصحابه وقالوا ليس عليك باس قال بلى لو كانت هذه
الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لي اقتلك فلو بزق علي بعد ذلك لقتلني

فلم يلبث الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف وعن ابن عباس قال اشتد غضب الله على
من قتله نبي واشتد غضب الله على من دمى وجه رسول الله صلعم قالوا وفشا في الناس ان محمدا
قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي سفيان
وبعض الصحابة جلسوا والقوا بايديهم وقال اناس من اهل النفاق ان كان محمد قد
قتل فالحقوا بدينكم الاول فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قد قتل محمد
فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون في الحيوة بعد رسول الله صلعم فقاتلوا على ما قاتل عليه
رسول الله صلعم وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء
يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان
رسول الله صلعم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلعم كعب بن
مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا
هذا رسول الله صلعم فاشار الي ان اسكت فانحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم النبي صلعم
على الفرار فقالوا يا نبي الله فديناك باباءنا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت
قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ومحمد
هو المستغرق لجميع المحامد لان الحمد لا يستوجبه الا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه الا
المستولي على الامد في الكمال واكرم الله نبيه وصفيه باسمين مشتقين من اسمه جل جلاله
محمد واحمد وفيه يقول حسان بن ثابت • الم تر ان الله ارسل عبده • ببرهانه والله اعلى
وامجد • وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد • افان مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم • رجعتم الى دينكم الاول • ومن ينقلب على عقبيه • فيرتد عن دينه فلن
يضر الله شيئا • بارتداده وانما ضر نفسه • وسيجزي الله الشاكرين • وما كان لنفس ان
تموت • قال الاخفش اللام في النفس منقولة تقديره وما كانت نفس لتموت الا باذن
الله • بقضائه وقدره وقيل بعلمه وقيل بامره • كتابا مؤجلا • اي كتب لكل نفس اجلا
لا يقدر احد على تقديمه وتاخيره ونصب الكتاب على المصدر اي كتب كتابا • ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها • يعني من يرد بطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله
يريد نؤته منها ما نشاء مما قدرناه له كما قال من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد نزلت في الذين تركوا المركز يوم احد طلبا للغنيمة • ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها
مقام

أي أراك بعد الآخرة قيل أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا • وسنجزي
الشاكرين • أي المؤمنين المطيعين وعن أنس بن مالك أن النبي صلعم قال من كانت نيته
طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت
نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها إلا ما كتب له
وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلعم إنما الأعمال بالنيات وإنما لامرئ ما نوى فمن
كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله وإلى رسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها
أو إلى امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه • وكأين من نبي قتل • قرأ ابن كثير وكائن
بالمد والهمز على وزن فاعل ويلين الهمزة أبو جعفر وقرأ الآخرون وكأين على وزن كعين
ومعناه وكم وهي كاف التشبيه ضمت إلى أي الاستفهام ولم يقع للتنوين صورة في الخط إلا في
هذا الحرف خاصة ويقف بعض القراء على وكأي بلا نون والأكثرون على الوقف بالنون
قتل قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة قتل بضم القاف والآخرون قاتل فمن قرأ قاتل فلقوله
فما وهنوا ويستحيل وصفهم بأنهم لم يهنوا بعد ما قتلوا ولقول سعيد بن جبير ما سمعنا أن
نبيا قتل في القتال ولأن قاتل أعم قال أبو عبيد إن الله تعالى إذا حمد من قاتل كان
من قتل داخلا فيه وإذا حمد من قتل لم يدخل فيه غيرهم فكان قاتل أعم ومن قرأ قتل فله ثلثة
أوجه أحدها أن يكون القتل راجعا على النبي صلعم وحده فيكون تمام الكلام عند قوله قتل ويكون
في الآية إضمار معناه ومعه ربيون كثير كما يقال قتل فلان معه جيش كثير أي ومعه والوجه
الثاني أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد بعض من معه تقول العرب
قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم ويكون قوله فما وهنوا راجعا إلى الباقين والوجه الثا
لث أن يكون القتل للربيين لا غير • معه ربيون كثير • قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
جموع كثيرة وقال ابن مسعود الربيون الألوف وقال الكلبي الربية الواحدة عشرة آلاف وقال
الضحاك الربية الواحدة ألف وقال الحسن فقهاء وعلماء وقيل هم الأتباع والربانيون الولاة والر
بيون الرعية وقيل منسوب إلى الرب وهم الذين يعبدون الرب • فما وهنوا • أي ما جبنوا
لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا • عن الجهاد بما نالهم من ألم الجراح وقتل الأصحاب • وما
استكانوا • قال مقاتل وما استسلموا وما خضعوا العدو وقال السدي وما ذلوا وقال عطاء
وما تضرعوا وقال أبو العالية وما جبنوا ولكنهم صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم

• والله يحب الصابرين • وما كان قولهم • نصب على خبر كان والاسم في أن قالوا ومعناه
وما كان قولهم عند قتل نبيهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا • أي الصغائر • وإسرافنا
في أمرنا • أي الكبائر • وثبت أقدامنا • كي لا تزول • وانصرنا على القوم الكافرين •
يقول فهلا فعلتم وقلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد صلعم • فآتاهم الله ثواب الدنيا • النصرة
والغنيمة • وحسن ثواب الآخرة • الأجر والجنة • والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا إن
تطيعوا الذين كفروا • يعني اليهود والنصارى وقال علي يعني المنافقين في قولهم للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم • يردوكم على أعقابكم • يرجعوكم إلى أول
أمركم الشرك بالله • فتنقلبوا خاسرين • مغبونين • بل الله مولاكم • ناصركم وحافظكم على
دينكم • وهو خير الناصرين • سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب • وذلك أن أبا سفيان
والمشركين لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ند
موا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ار
جعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك قذف الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما
هموا به سنلقي أي سنقذف في قلوب الذين كفروا الرعب الخوف قرأ أبو جعفر وابن عامر
والكسائي ويعقوب الرعب بضم العين وقرأ الآخرون بسكونها • بما أشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطانا • حجة وبرهانا • ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين • مقام الكافرين
• ولقد صدقكم الله وعده • قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلعم وأصحابه إلى
المدينة من أحد وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد
وعدنا الله النصر فأنزل الله ولقد صدقكم الله وعده بالنصر والظفر وذلك أن الظفر كان للمسلمين
في الابتداء • إذ تحسونهم بإذنه • وذلك أن رسول الله صلعم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل
المدينة وجعل عينين وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبد الله
بن جبير وقال لهم احموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وإن رأيتمونا
نقتل فلا تنصرونا وأقبل المشركون فأخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين
بالنبل والمسلمون يضربونهم بالسيوف حتى ولوا هاربين فذلك قوله إذ تحسونهم
بإذنه أي تقتلونهم قتلا ذريعا بقضاء الله قال أبو عبيدة الحس الاستيصال بالقتل حتى
إذا فشلتم • أي إلى أن جبنتم وقيل معناه فلا فشلتم • وتنازعتم في الأمر • والواو زائدة

في تنازعتم يعني حتى اذا فشلتم تنازعتم وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره حتى اذا
تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل التنازع الاختلاف وكان اختلافهم ان الرماة
اختلفوا حين انهزم المشركون فقال بعضهم انهزم القوم فما مقامنا واقبلوا على النهب
وقال بعضهم لا نجاوز امر رسول الله صلعم فثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة
فلما راى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير
واصحابه واقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دبورا بعد ما كانت صبا فا
نتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم
بعضا ما يشعرون من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة
المسلمين • وعصيتم يعني الرسول صلعم وفي الغنم امره • من بعد ما اريكم الله ما تحبون يعني
المسلمين من الظفر والغنيمة • منكم من يريد الدنيا • يعني الذين تركوا المركز واقبلوا على
النهب • ومنكم من يريد الاخرة • يعني الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد
الله بن مسعود وما شعرت ان احدا من اصحاب النبي صلعم يريد الدنيا حتى كان يوم
احد ونزلت هذه الاية • ثم صرفكم عنهم • اي ردكم عنهم بالهزيمة • ليبتليكم ليمتحنكم
وقيل لينزل البلاء عليكم • ولقد عفا عنكم • فلم يستاصلكم بعد المعصية والمخالفة • والله
ذو فضل على المؤمنين • اذ تصعدون • يعني ولقد عفا عنكم اذ تصعدون هاربين
وقرا ابو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة تَصعَدون بفتح التاء والعين والقراءة
المعروفة بضم التاء وكسر العين الاصعاد السير في مستوى الارض والصعود الار
تفاع على الجبال والسطوح قال ابو حاتم يقال اصعدت اذا مضيت حيال وجهك
وصعدت اذا ارتقيت في جبل او غيره وقال المبرد اصعد اذا ابعد في الذهاب
وكلتا القرائتين صواب فقد كان يومئذ من المنهزمين مصعد وصاعد قال
المفضل صعد واصعد بمعنى واحد • ولا تلوون على احد • اي لا تعرجون
ولا تقيمون على احد لا يلتفت بعض الى بعض • والرسول يدعوكم في اخراكم • اي
في اخركم ومن ورائكم الي عباد الله فانا رسول الله من يكر فله الجنة • فاثابكم • فجازاكم
جعل الاثابة بمعنى العقاب واصلها في الحسنات لانه وضع موضع الثواب كقوله تعالى فبشر
هم بعذاب اليم جعل البشارة في العذاب ومعناه جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون

غما بغم • وقيل الباء بمعنى على اي غما على غم وقيل غما متصلا بغم فالغم الاول ما فاتهم من الظفر
والغنيمة والغم الثاني ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما اصابهم من القتل
والجراح والغم الثاني ما سمعوا ان محمدا قد قتل فانساهم الغم الاول وقيل الغم اشراف
خالد بن الوليد عليهم بخيل المشركين والغم الثاني حين اشرف عليهم ابو سفيان وذكر ان رسول
الله صلعم انطلق يومئذ يدعو الناس حتى انتهى الى اصحاب الصخرة فلما راوه وضع رجل
سهما في قوسه فاراد ان يرميه فقال انا رسول الله ففرحوا حين وجدوا رسول الله صلعم
وفرح النبي صلعم حين راى من يمتنع فاقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون اصحا
بهم الذين قتلوا فاقبل ابو سفيان واصحابه حتى وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون
اليهم همهم ذلك فظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فانساهم هذا ما نالهم فقال
رسول الله صلعم ليس لهم ان يعلونا اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد في الارض ثم
ندب اصحابه فرموهم بالحجارة حتى انزلوهم وقيل انهم غموا الرسول عليه بمخالفة امره
فجازاهم الله بذلك الغم غم القتل والهزيمة • لكيلا تحزنوا على ما فاتكم • من الفتح والغنيمة
ولا ما اصابكم • اي ولا على ما اصابكم من القتل والهزيمة • والله خبير بما تعملون • ثم انزل
عليكم • يا معشر المسلمين • من بعد الغم امنة نعاسا • يعني امنا والامن والامنة بمعنى وا
حد وقيل الامن يكون مع زوال سبب الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف
ههنا قائما نعاسا بدل من الامنة • يغشى طائفة منكم • قرا حمزة والكسائي تغشى بالتاء
ردا الى الامنة وقرا الاخرون بالياء ردا الى النعاس قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس
يغشاهم وانما ينعس من يامن والخائف لا ينام وعن انس ان ابا طلحة قال غشينا النعا
س ونحن في مصافنا يوم احد قال فجعل سيفي يسقط من يدي واخذه ويسقط واخذه وقال
ثابت عن انس عن ابي طلحة قال رفعت راسي يوم احد فجعلت ما ارى احدا من القوم الا
وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال عبد الله بن الزبير عن ابيه الزبير بن العوام
لقد رايتني مع رسول الله صلعم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع
قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من
الامر شيء ما قتلنا ههنا فذلك قوله تعالى يغشى طائفة منكم يعني المؤمنين • وطائفة قد
اهمتهم انفسهم • يعني المنافقين قيل اراد الله به تمييز المؤمنين من المنافقين فاوقع النعاس

على المؤمنين حتى امنوا ولم يوقع على المنافقين وطائفة قد اهمتهم انفسهم اي حملتهم
على الهم يقال امر مهم • يظنون بالله غير الحق اي لا ينصر محمد وقيل ظنوا ان محمدا
قد قتل • ظن الجاهلية • كظن اهل الجاهلية والشرك • يقولون هل لنا من الامر • ما لنا
لفظه استفهام ومعناه جحد • من شيء • يعني النصر • قل ان الامر كله لله • قرا اهل البصرة
كله برفع اللام على الابتداء وخبره في لله وقرا الآخرون بالنصب على البدل وقيل على النعت
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا
وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال اهل مكة ولم
يقتل رؤساؤنا وقيل لو كنا على الحق ما قتلنا ههنا قال الزهري عن ابن عباس يظنون
بالله غير الحق ظن الجاهلية يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شيء
ما قتلنا ههنا • قل لو كنتم في بيوتكم لبرز • لخرج • الذين كتب • قضي • عليهم القتل الى
مضاجعهم • مصارعهم • وليبتلي الله • وليختبر الله • ما في صدوركم • وليمحص
يخرج ويظهر • ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور • بما في القلوب من خير وشر
ان الذين تولوا منكم • اي انهزموا منكم يا معشر المسلمين • يوم التقى الجمعان جمع المسلمين
وجمع الكافرين يوم احد وكان انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلعم الا ثلثة عشر رجلا
ستة من المهاجرين وهم ابو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن
ابي وقاص • انما استزلهم الشيطان • اي طلب زلتهم كما يقال استعجلت فلانا اي
طلبت عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وقيل ازل واستزل بمعنى واحد • ببعض
ما كسبوا • اي بشؤم ذنوبهم قال بعضهم بتركهم المركز وقال الحسن بما كسبوا هو قبولهم
لما من الشيطان ما وسوس اليهم في الهزيمة • ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور
حليم • يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا • يعني المنافقين عبد الله بن ابي
واصحابه • وقالوا لاخوانهم • في النفاق والكفر وقيل في النسب • اذا ضربوا في الارض
اي سافروا فيها لتجارة او غيرها • او كانوا غزى • اي غزاة جمع غاز • فقتلوا • لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك • يعني قولهم وظنهم • حسرة • غما • في قلوبهم
والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير • قرا ابن كثير وحمزة والكسائي بما يعملون بالياء
وقرا الباقون بالتاء • ولئن قتلتم في سبيل الله او متم • قرا نافع وحمزة والكسائي متم

بكسر الميم وقرا الاخرون بالضم فمن ضمه فهو من مات يموت كقولك من قال يقول قلت بضم
القاف ومن كسر فهو من مات يمات كقولك من خاف يخاف خفت • لمغفرة من الله • في العاقبة
فيه • ورحمة خير مما يجمعون • من الغنائم قراءة العامة تجمعون بالتاء لقوله ولئن قتلتم
وقرا حفص عن عاصم بالياء يعني خير مما يجمع الناس • ولئن متم او قتلتم لالى الله
تحشرون • في العاقبة • فبما رحمة من الله لنت لهم • اي فبرحمة من الله وما صلة كقوله
فبما نقضهم ميثاقهم لنت لهم اي سهلت اخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم فيما كان
منهم يوم احد • ولو كنت فظا • يعني جافيا سيء الخلق قليل الاحتمال • غليظ القلب
قال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل • لانفضوا من حولك • اي لتفرقوا وتفرقوا
عنك يقال فضضتهم فانفضوا اي فرقتهم فتفرقوا • فاعف عنهم • تجاوز عنهم ما اتوا
يوم احد • واستغفر لهم • حتى اشفعك فيهم • وشاورهم في الامر • اي استخرج اراءهم
واعلم ما عندهم من قول العرب شرت الدابة وشورتها اذا استخرجت جريها وشرت
العسل واشترته اذا اخذته من موضعه واستخرجته واختلفوا في المعنى الذي لاجله
امر الله تعالى نبيه صلعم بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رايه ونزول الوحي عليه ووجوب
طاعته على الخلق فيما احبوا وكرهوا فقال بعضهم هو خاص في المعنى اي وشاورهم فيما
ليس عندك فيه عهد من الله قال الكلبي يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند
الغزو وقال مقاتل وقتادة امر الله تعالى نبيه بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك
اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامر
شق ذلك عليهم قال الحسن قد علم الله عز وجل انه ما به الى مشاورتهم حاجة ولكنه
اراد ان يستن به من بعده وعن عائشة رضي قالت ما رايت رجلا اكثر استشارة
للرجال من رسول الله صلعم • فاذا عزمت فتوكل على الله • لا على مشاورتهم اي قم بامر الله
وثق به واستعنه • ان الله يحب المتوكلين • ان ينصركم الله • يعنكم الله ويمنعكم
من عدوكم • فلا غالب لكم • مثل يوم بدر • وان يخذلكم • يترككم كما كان باحد والخذلان
لان القعود عن النصرة والاسلام للهلكة • فمن ذا الذي ينصركم من بعده • اي من بعد
خذلانه • وعلى الله فليتوكل المؤمنون • قيل التوكل ان لا تعصي الله من اجل رزقك وقيل
ان لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك شاهدا غيره وعن عمران بن

حصين قال قال رسول الله صلعم يدخل سبعون الفا من امتي الجنة بغير حساب قيل يا
رسول الله من هم قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
فقال عكاشة بن محصن يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام
آخر فقال يا رسول الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة • روى عن عمر ابن الخطا
ب يقول سمعت رسول الله صلعم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا • وما كان لنبي ان يغل • روى عكرمة ومقسم عن
ابن عباس ان هذه الآية نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض
الناس اخذها رسول الله صلعم وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم احد حين ترك الرما
ماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول النبي صلعم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم
الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلعم
الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا
فقال النبي صلعم بل ظننتم انا نغل فلا نقسم لكم فانزل الله هذه الآية وقال قتادة ذكر
لنا انها نزلت في طائفة غلت من اصحابه وقيل ان الاقوياء الحوا عليه يسألونه من
المغنم فانزل الله وما كان لنبي ان يغل فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم
بينهم بالسوية وقال محمد بن اسحق بن يسار هذا في الوحي يقول ما كان النبي ان يكتم
شيئا من الوحي رغبة او رهبة او مداهنة قوله وما كان لنبي ان يغل قرأ ابن كثير
واهل البصرة وعاصم يغل بفتح الياء وضم الغين معناه ان يخون والمراد منه الامة
وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان النبي ليغل وقيل معناه ما كان يظن به ذلك ولا
يليق به وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الغين وله وجهان احدهما ان يكون من الغلول
ايضا اي ما كان لنبي ان يخان يعني ان يخونه امته والوجه الآخر ان يكون من الا
غلال معناه ما كان لنبي ان يخون اي ينسب الى الخيانة • ومن يغلل يأت بما غل
يوم القيامة • قال الكلبي يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله
على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع في النار ثم كلف ان ينزل اليه فيخرجه يفعل ذلك به
وعن ابي هريرة انه قال خرجنا مع رسول الله صلعم عام خيبر فلم نغنم ذهبا ولا فضة
الا الاموال والثياب والمتاع قال فوجه رسول الله صلعم نحو وادي القرى وكان رفاعة

بن زيد وهب لرسول الله صلعم عبدا اسود يقال له مدعم قال فخرجنا حتى اذا
كنا بوادي القرى فبينا مدعم يحط رحل رسول الله صلعم اذا جاءه سهم عائر فاصا
به فقتله فقال الناس هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلعم كلا والذي نفسي بيده ان
الشملة التي اخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا فلما سمع
ذلك الناس جاء رجل بشراك او شراكين الى رسول الله صلعم فقال رسول الله صلعم شراك
من نار او شراكان من نار • وعن زيد بن خالد الجهني انه قال توفي رجل يوم خيبر فذ
كروه لرسول الله صلعم فزعم زيد ان رسول الله صلعم قال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه
الناس لذلك فزعم زيد ان رسول الله صلعم قال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله قال
ففتشنا متاعه فوجدنا خرزات من خرزات اليهود ما تساوي درهمين • وعن ابي
حميد الساعدي قال استعمل النبي صلعم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على الصدقة
فلما قدم قال هذا لكم وهذا اهدي الي فقام النبي صلعم على المنبر فقال ما بال العامل نبعثه
على بعض اعمالنا فيقول هذا لكم وهذا لي فهلا جلس في بيت امه او بيت ابيه فينظر ايهدى
اليه ام لا والذي نفسي بيده لا يأخذ احد منها شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته
ان كان بعيرا له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة
ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت • وروى عن قيس بن ابي حازم عن
معاذ بن جبل قال بعثني رسول الله صلعم الى اليمن فقال لا تصيبن شيئا بغير اذني فانه
غلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة وروى عن عمر بن الخطاب عن النبي صلعم قال اذا
وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه وروى عن عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده ان رسول الله صلعم وابا بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه • ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون • افمن اتبع رضوان الله • فترك الغلول • كمن باء
بسخط من الله • فغل • ومأواه جهنم وبئس المصير • هم درجات • يعني ذوو درجا
ت عند الله • قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو
المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط الله العذاب
الاليم • والله بصير بما يعملون • لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من
انفسهم • قيل اراد به العرب لانه ليس حي من احياء العرب الا وله نسب الا بني تغلب
قبيلة

دليله قوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقال الآخرون اراد به جميع
المؤمنين ومعنى قوله من انفسهم اي بالايمان والشفقة لا بالنسب دليله قوله تعالى لقد جاءكم
رسول من انفسكم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا
وقد كانوا من قبل لفي ضلال مبين او لما اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة
باحد قد اصبتم مثليها ببدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين
وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين قلتم انى هذا من اين لنا هذا القتل
والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلعم فينا قل هو من عند انفسكم روى عبيدة
السلماني عن علي قال جاء جبرائيل الى النبي صلعم ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم
الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين ان يقدموا فتضرب اعناقهم وبين ان
ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلعم للناس فقالوا يا رسول
الله عشائرنا واخواننا لا بل ناخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا
عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى اهل بدر فهذا معنى قوله قل هو من
عند انفسكم باخذكم الفداء واختياركم القتل ان الله على كل شيء قدير وما اصابكم يوم
التقى الجمعان باحد من القتل والجراح والهزيمة فباذن الله اي بقضائه وقدره وليعلم
المؤمنين اي ليميز وقيل ليرى وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل
الله لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا عن اهلكم وحريمكم وقال السدي اي كثروا سواد
المسلمين ورابطوا ان لم تقاتلوا يكون ذلك دفعا وقمعا للعدو قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
وهم عبد الله بن ابي واصحابه الذين انصرفوا عن احد وكانوا ثلثمائة قال الله تعالى
هم للكفر اي الى الكفر يومئذ اقرب منهم للايمان اي الى الايمان يقولون بافواههم
يعني كلمة الايمان ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم في
النسب لا في الدين وهم شهداء احد وقعدوا يعني وقعد هؤلاء القائلون عن الجهاد لو
اطاعونا وانصرفوا عن محمد وقعدوا في بيوتهم ما قتلوا قل لهم يا محمد فادرءوا فادفعوا
عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ان الحذر يغني عن القدر ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة
عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين وقال آخرون نزلت في شهداء احد

وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان
بن شماس وعبد الله بن جحش وسائرهم من الانصار روي عن مسروق قال سألنا
عبد الله عن هذه الاية ولا تحسبن الذين الاية قال اما انا قد سألنا عن ذلك فقال ار
واحهم كطير خضر ويروى في جوف طير خضر تسرح في الجنة في ايها شاءت ثم تاوي الى قنا
ديل معلقة بالعرش فبينما هم كذلك اذ اطلع عليهم ربك اطلاعة فقال سلوني ما شئتم
فقالوا يا رب كيف نسألك ونحن نسرح في الجنة في ايها شئنا فلما راوا انهم لا يتركوا من
ان يسألوا قالوا نسألك ان ترد ارواحنا الى اجسادنا في الدنيا نقتل في
سبيلك فلما رأى انهم لا يسألون الا هذا تركوا وعن ابن عباس قال قال رسول الله
صلعم لما اصيب اخوانكم يوم احد جعل الله عز وجل ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار
الجنة وتاكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتاوي الى قناديل من ذهب
تحت العرش فلما راوا طيب مقيلهم ومطعمهم ومشربهم وراوا ما اعد الله لهم من الكرا
مة قالوا يا ليت قومنا يعلمون وما نحن فيه من النعيم وما صنع الله بنا كي يرغبوا في الجهاد
ولا ينكلوا عنه فقال الله عز وجل انا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا
فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا الى قوله لا يضيع اجر المؤمنين وعن جابر بن عبد الله
يقول لقيني رسول الله صلعم فقال لي يا جابر ما لي اراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد
ابي وترك عيالا ودينا قال افلا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى يا رسول الله قال
ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب واحيا اباك وكلمه كفاحا قال يا عبدي تمن علي
اعطك قال يا رب احيني فاقتل فيك ثانية قال الرب تبارك وتعالى انه قد سبق مني
انهم لا يرجعون قال انزلت فيه ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا وعن انس قال
قال رسول الله صلعم ما من عبد يموت له عند الله خير يحب ان يرجع الى الدنيا وان له الدنيا
وما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يحب ان يرجع الى الدنيا فيقتل مرة
اخرى وقال نزلت الاية في شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك على ما روى عن انس بن ما
لك وغيرهم من اهل العلم قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان
سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلعم المدينة واهدى له هدية فابى رسول الله صلعم
ان يقبلها وقال لا اقبل هدية مشرك فاسلم ان اردت ان اقبل هديتكم ثم عرض عليه

واخبره بما له فيه وما وعد الله المؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان
الذي تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فيدعوهم الى امرك
رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلعم اني اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء
انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلعم المنذر بن عمرو
واخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن
ملحان وعروة بن اسماء بن الصلت السلمي ونافع بن بزيل بن ورقاء الخزاعي وعامر
بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من
احد فساروا حتى نزلوا بير معونة وهي ارض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم
فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلعم اهل هذا الماء فقال
حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلعم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك
الماء فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلعم فقال
حرام يا اهل بير معونة اني رسول رسول الله صلعم اليكم اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به جنبه
حتى خرج من الشق الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل
بني عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر ابا براء قد
عقد لهم عقدا وجوارا ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعل وذكوان
فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف
فقاتلوهم حتى قتلوا من آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث من بين
القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري ورجل من
الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما على مصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر
فقالا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي اصابتهم
واقفة فقال الانصاري لعمرو بن امية ماذا ترى قال نرى ان نلحق برسول الله صلعم
فنخبره فقال الانصاري الله اكبر لكني ما كنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن
عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذوا عمرو بن امية الضمري اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه
عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو بن امية على
انقطع

رسول صلعم واخبره الخبر فقال رسول الله صلعم هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها
متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما اصاب رسول الله صلعم بسببه
وجواره وكان فيهم اصيب عامر بن فهيرة فروى محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن
ابيه ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رايته رفع بين السماء والارض
حتى رايت السماء من دونه قال هو عامر بن فهيرة ثم بعد ذلك حمل ربيعة ابن ابي براء على
عامر بن الطفيل فطعنه على فرسه فقتله وعن انس بن مالك ان رعلا وذكوان وعصية وبني
لحيان استمدوا رسول الله صلعم على عدو فامدهم بسبعين من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم
كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى كانوا ببير معونة فقتلوهم وغدروا بهم فبلغ
النبي صلعم فقنت شهرا يدعو في الصبح على احياء من احياء العرب رعل وذكوان وعصية وبني
لحيان قال انس فقرانا فيهم ثم ان ذلك رفع بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا
ثم نسخت فرفعت بعد ما قرانا طائفة زمانا وانزل الله عز وجل ولا تحسبن الآية وقيل ان اولياء
الشهداء كانوا اذا اصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة وآباؤنا وابناؤنا
واخواننا في القبور فانزل الله تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم ولا تحسبن ولا تظنن
الذين قتلوا في سبيل الله قرا ابن عامر قتلوا بالتشديد والآخرون بالتخفيف امواتا كاموات
من لم يقتل في سبيل الله بل احياء بل هم احياء عند ربهم قيل احياء في الدين وقيل في الذكر وقيل لانهم
يرزقون وياكلون ويتمتعون كالاحياء وقيل لان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش
الى يوم القيمة وقيل لان الشهيد لا يبلى في القبر ولا تاكله الارض وقال عبيد بن عمير مر رسول الله
صلعم حين انصرف من احد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرا من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال ان رسول الله صلعم يشهد ان هؤلاء شهداء
عند الله يوم القيمة فاتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد
الى يوم القيمة الا ردوا عليه يرزقون من ثمار الجنة وتحفها فرحين بما آتاهم الله من فضله
رزقه وثوابه ويستبشرون ويفرحون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم اي اخوانهم
الذين تركوهم احياء في الدنيا على مناهج الايمان والجهاد لعلمهم انهم اذا استشهدوا
لحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما نالوا هم فهم لذلك مستبشرون الا خوف عليهم ولا هم
يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله اي وبان الله وقرا الكسائي بكسر

الالف على الاستيناف • لا يضيع اجر المؤمنين • وعن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال تكفل الله
لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرده
الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر او غنيمة وقال والذي نفسي بيده لا يكلم احد في
سبيل الله والله اعلم بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيمة وجرحه يثعب دما اللون لون
الدم والريح ريح المسك وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم الشهيد لا يجد الم القتل الا كما
يجد احدكم الم القرصة • الذين استجابوا لله والرسول • وذلك ان ابا سفيان واصحابه
لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا لا محمدا قتلتم
ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوا
هم فبلغ ذلك رسول الله صلعم فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب
اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الجراح والقرح الذي
اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله صلعم الا لا يخرجن احد معنا الا من حضر يومنا
بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان ابي كان قد خلفني على اخوات لي سبع وقال لي
يا بني انه لا ينبغي لي ولا لك ان نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي اوثرك
على نفسي في الجهاد مع رسول الله فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلعم فخرج
معه وانما خرج رسول الله صلعم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وان
الذي اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلعم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة
والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان
وابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم في سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثما
نية اميال وروي عن عائشة انها قالت لعبد الله بن الزبير يا ابن اختي اما والله ان اباك
وجدك تعني ابا بكر والزبير لمن الذين قال الله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول ثم
مر برسول الله صلعم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول
الله صلعم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد
والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله كان قد اعفاك فيهم ثم خرج من
عند رسول الله صلعم حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء قد اجمعوا الرجعة الى رسول الله وقالوا
قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما راى ابو سفيان معبدا

قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون
عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من
الحنق عليكم شيء لم ار مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما اراك ترتحل حتى ترى نوا
صي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم قال فاني والله انهاك
عن ذلك فوالله لقد حملني ما رايت على ان قلت فيه ابياتا من شعر كادت تهد من الاصوات
راحلتي اذ سالت الارض بالجرد الابابيل • فذكر ابياتا فثنى ذلك ابا سفيان ومن
معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد
الميرة قال فهل انتم مبلغون محمدا عني رسالة واحمل لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ غدا
اذا وافيتمونا قالوا نعم قال فاذا جئتموه فاخبروه انا قد جمعنا اليه والى اصحابه لنستاصل
بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلعم وهو بحمراء الاسد فاخبروه
بالذي قال ابو سفيان فقال رسول الله صلعم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول
الله صلعم الى المدينة بعد الثالثة هذا قول اكثر المفسرين • وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه
الاية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يا
محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلعم ذلك
بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنة
من ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود
الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم اني واعدت محمدا واصحابه ان
نلتقي بموسم بدر الصغرى وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر
ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا
فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم احب الي من ان يكون من قبلي فالحق
بالمدينة فثبطهم واعلمهم انا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل
اضعها على يدي سهيل بن عمرو ويضمنها قال فجاء سهيل فقال له نعيم يا ابا يزيد اتضمن
لي هذه الفرائض فانطلق الى محمد واثبطه قال نعم فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس
يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال اين تريدون فقالوا واعدنا ابو سفيان بموسم بدر
الصغرى ان نقتتل بها فقال بئس الذي رايتم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم الا شريد

فتى يدفن ان خرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول
الله صلعم الخروج فقال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع
واما الشجاع فانه تاهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلعم في
اصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى فجعلوا يلقون المشركين ويسالونهم عن قريش فيقولون
قد جمعوا لكم يريدون ان يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا
بدرا وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية ايام فاقام رسول
الله صلعم ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله
صلعم واصحابه احدا من المشركين ووافقوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا وا
صابوا للدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله عز وجل الذين استجابوا
لله والرسول اي اجابوا ومحل الذين خفض على صفة المؤمنين تقديره ان الله لا يضيع اجر المؤ
منين المستجيبين لله وللرسول من بعد ما اصابهم القرح اي نالهم الجرح تم الكلام ههنا
ثم ابتدا فقال للذين احسنوا منهم بطاعة رسول الله واجابته الى الغزو واتقوا
معصيته اجر عظيم الذين قال لهم الناس ومحل الذين خفض ايضا مردود على الذين
الاول واراد بالناس نعيم بن مسعود في قول مجاهد وعكرمة فهو من العام الذي اريد به الخاص
كقوله تعالى ام يحسدون الناس يعني محمدا وحده وقال محمد بن اسحق وجماعة اراد بالناس
الركب من عبد القيس بقوله ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان واصحابه فاخشوهم
فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم ايمانا تصديقا ويقينا وقوة وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل اي كافينا الله ونعم الوكيل اي الموكول اليه الامور فعيل بمعنى مفعول
وعن ابن عباس حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابرهيم عم حين القي في النار وقالها محمد عم
حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
فانقلبوا فانصرفوا بنعمة من الله بعافية من الله لم يلقوا عدوا وفضل تجارة وربح
وما هو ما اصابوا في السوق لم يمسسهم سوء لم يصبهم اذى ولا مكروه واتبعوا
رضوان الله طاعة الله وطاعة رسوله وذلك انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم
ثواب الغزو ورضي عنهم والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يعني ذلك الذي قال
لكم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم من فعل الشيطان القى في افواههم لترهبوهم وتجبنوا

عنهم يخوف اولياءه اي يخوفكم باوليائه وكذلك هو في قراءة ابي بن كعب يعني يخوف المؤ
منين بالكافرين قال السدي يعظم اولياءه في صدورهم لتخافوهم يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود
يخوفكم اولياءه فلا تخافوهم وخافون في ترك امري ان كنتم مؤمنين مصدقين بوعدي
فاني متكفل لكم بالنصر والظفر ولا يحزنك الذين قرا نافع يحزنك بضم الياء وكسر
الزاي وكذلك جميع القرآن الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر ضده ابو جعفر وهما لغتان حزن
يحزن واحزن يحزن الا ان اللغة العالية حزن يحزن يسارعون في الكفر بمظاهرة
الكفار انهم لن يضروا الله شيئا بمسارعتهم في الكفر يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في
الآخرة نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر ولهم عذاب عظيم ان
الذين اشتروا استبدلوا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا وانما يضرون انفسهم ولهم
عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا قرا حمزة هذا والذي بعده بالتاء فيهما وقرا الآخرون
بالياء فمن قرا بالياء فالذين في محل الرفع على الفاعل تقديره ولا يحسبن الكفار ان املاءنا
لهم خير ومن قرا بالتاء يعني ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا انما نصب على البدل من
الذين نملي لهم خير لانفسهم والاملاء الامهال والتاخير يقال عشت طويلا وتمليت
حينا ومنه قوله تعالى واهجرني مليا اي حينا طويلا ثم ابتدا فقال انما نملي لهم ليز
دادوا اثما ولهم عذاب مهين قال مقاتل نزلت في مشركي مكة وقال عطاء في قريظة
والنضير روي عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه قال سئل رسول الله صلعم اي الناس خير قال
من طال عمره وحسن عمله قيل فاي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله ما كان
الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه اختلفوا فيها فقال الكلبي قالت قريش يا محمد
تزعم ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو في الجنة والله
عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن فانزل الله هذه الاية وقال السدي قال
قال رسول الله صلعم عرضت علي امتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم واعلمت من يؤ
من بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن ومن
يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقام على المنبر فحمد
الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا في علمي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة
الا انبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وقال من ابي يا رسول الله قال حذافة

من المسلمين

فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فا
عف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلعم فهل انتم منتهون هل انتم منتهون ثم نزل عن المنبر فا
نزل الله هذه الآية فاختلفوا في حكم هذه الآية ونظمها فقال ابن عباس والضحاك ومقاتل
والكلبي واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين يعني ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم
عليه يا معشر الكفار من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقال قوم الخطاب للمؤ
منين الذين اخبر عنهم معناه ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما انتم من التباس
المؤمن بالمنافق فرجع من الخبر الى الخطاب حتى يميز قرأ حمزة والكسائي ويعقوب بضم اليا
والتشديد وكذلك التي في الانفال وقرأ الباقون بالتخفيف يقال ماز الشيء يميزه
ميزا وميزه تمييزا اذا فرقه فامتاز وانماز وهو بمعناه قال ابو معاذ اذا فرقت بين الشيئين قلت
مزت ميزا فاذا كانت اشيا قلت ميزتها تمييزا وكذلك اذا جعلت الشي الواحد شيئين قلت
فرقت بالتخفيف ومنه فرق الشعر فان جعلته اشيا قلت فرقتها تفريقا ومعنى الآية حتى يميز
المنافق من المخلص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم احد حيث اظهروا النفاق وتخلفوا عن
رسول الله صلعم وقال قتادة حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد وقال الضحاك ما
كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه في اصلاب الرجال وارحام النساء يا معشر المنافقين
حتى يفرق بينكم وبين من في اصلابكم وارحام نسائكم من المؤمنين وقيل حتى يميز الخبيث وهو
المذنب من الطيب وهو المؤمن يعني بحط الاوزار عن المؤمن بما يصيبه من نكبة ومحنة و
مصيبة وما كان الله ليطلعكم على الغيب لانه لا يعلم الغيب احد غيره ولكن الله يجتبي من
رسله من يشاء فيطلعه على بعض علم الغيب نظيره قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول وقال السدي معناه وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب ولكن
الله اجتباه فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن
الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم اي ولا يحسبن
الباخلون البخل خيرا لهم بل هو يعني البخل شر لهم سيطوقون اي سوف يطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة يعني يجعل ما منعه من الزكوة حية تطوق في عنقه يوم القيمة تنهشه
من قرنه الى قدمه وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وابي وائل والشعبي والسدي وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكوته مثل له ماله يوم القيمة

شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول
انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون الآية وعن ابي ذر قال انتهيت اليه
يعني النبي صلعم فقال والذي نفسي بيده او والذي لا اله غيره او كما حلف ما من رجل يكون له ابل
او بقر او غنم لا يؤدي حقها الا اتي بها يوم القيمة اعظم ما تكون واسمنه تطؤه باخفافها و
تنطحه بقرونها كلما جازت اخراها ردت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس قال
ابراهيم النخعي معنى الآية يجعل يوم القيمة في اعناقهم طوق من النار قال مجاهد يكلفون
يوم القيمة ان يأتوا بما بخلوا به في الحياة الدنيا من اموالهم وروى عطية عن ابن عباس هذه
الآية نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلعم ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم
كما قال في سورة النساء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم
الله من فضله ومعنى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة يحملون وزره واثمه كقوله
تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم ولله ميراث السموات والارض يعني انه الباقي
الدايم بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فيموتون ويرثهم نظيره قوله عز وجل انا نحن نرث
الارض ومن عليها والله بما تعملون خبير قرأ اهل مكة والبصرة يعملون باليا وقرأ الآ
خرون بالتا لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال الحسن ومجاهد
لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله يستقرض منا ونحن
اغنياء وذكر الحسن ان قائل هذه المقالة حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن
اسحق كتب النبي صلعم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى
اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم
بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا من اليهود قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص
بن عازورا وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص
اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدو
نه مكتوبا عندكم في التورية فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف
لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض اموالنا وما يستقرض
الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنياء وانه ينهاكم عن
الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما اعطانا الربا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة
وارد قوله فيضاعفه كثيرة

وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص
الى رسول الله صلعم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلعم لابي بكر ما حملك على ما
صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت
لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله عز وجل ردا على فنحاص وتصديقا لابي بكر
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء • سنكتب ما قالوا • من الافك و
الفرية على الله فنجزيهم به وقال مقاتل سنحفظ عليهم وقال الواقدي سنامر الحفظة
بالكتابة نظيره وانا له كاتبون • وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب
الحريق • قرا حمزة سيكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول بالياء ذوقوا
عذاب الحريق اي النار وهو بمعنى المحرق كما يقال عذاب اليم اي مولم • ذلك بما قدمت
ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد • فيعذب بغير ذنب • الذين قالوا ان الله
عهد الينا • قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا
وزيد بن التابوت وفنحاص بن عازورا وحيي بن اخطب اتوا النبي صلعم فقالوا يا محمد
تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك وان الله قد عهد الينا في التورية ان لا نومن
لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك
فانزل الله الذين قالوا يعني وسمع الله قول الذين قالوا ومحل الذين خفض ردا على الذين
الاول ان الله عهد الينا اي امرنا واوصانا في كتبه • ان لا نومن لرسول • اي لا نصدق
رسولا يزعم انه جاء من عند الله • حتى ياتينا بقربان تاكله النار • فيكون دليلا على صدقه
والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من نسيكة وصدقة وعمل صالح فعلان من
القربة وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا
غنيمة جاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها دوي وحفيف فتاكل وتحرق ذلك القربا
ن وتلك الغنيمة فيكون ذلك علامة القبول واذا لم يقبل بقي على حاله وقال السدي ان الله
امر بني اسرائيل من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله
النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد عليهما السلام فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير
قربان قال الله تعالى اقامة للحجة عليهم • قل • يا محمد • قد جاءكم • يا معشر اليهود • رسل
من قبلي بالبينات وبالذي قلتم من القربان فلم قتلتموهم • يعني زكريا ويحيى وسائر

من قتلوا من الانبياء واراد بذلك اسلافهم فخاطبهم بذلك لانهم رضوا بفعل اسلافهم
ان كنتم صادقين • معناه تكذيبهم اياك مع علمهم بصدقك كقتل ابائهم الانبياء مع
الاتيان بالقربان ثم قال معزيا لنبيه صلعم • فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
جاؤا بالبينات والزبر • قرا ابن عامر وبالزبر اي الكتب المزبورة يعني المكتوبة وا
حدها زبور مثل رسول ورسل • والكتاب المنير • الواضح المضيء • كل نفس ذائقة الموت • وفي الخبر
لما خلق الله عز وجل ادم اشتكت الارض الى ربها لما اخذ منها فوعدها ان يرد
فيها ما اخذ منها فما من احد الا يدفن في التربة التي خلق منها • وانما توفون اجوركم •
توفون جزاء اعمالكم • يوم القيمة ان خيرا فخير وان شرا فشر • فمن زحزح • نحي وازيل
عن النار وادخل الجنة فقد فاز • ظفر بالنجاة ونجا من الخوف • وما الحيوة الدنيا الا
متاع الغرور • يعني منفعة ومتعة كالفاس والقدر والقصعة ثم يزول ولا يبقى
قال الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل له قال قتادة هي متاع متروكة
توشك ان تضمحل باهلها فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم والغرور
الباطل وعن ابي هريرة رضي قال قال رسول صلعم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصا
لحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وان في الجنة لشجرة يسير الراكب في
ظلها مائة عام ولا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود ولموضع سوط في الجنة خير من
الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما
الحيوة الدنيا الا متاع الغرور • لتبلون في اموالكم وانفسكم • قال عكرمة ومقاتل والكلبي
وابن جريج نزلت في ابي بكر وفنحاص وذلك ان النبي صلعم بعث ابا بكر الى فنحاص بن
عازورا سيد بني قينقاع يستمده وكتب اليه كتابا وقال لابي بكر لا تفتاتن علي بشيء حتى
ترجع فجاء ابو بكر وهو متوشح بالسيف فاعطاه الكتاب فلما قراه قال قد احتاج ربكم
ان نمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف فذكر قول النبي صلعم لا تفتاتن علي بشيء حتى
ترجع فكف ونزلت هذه الاية وقال الزهري نزلت في كعب بن الاشرف فانه كان يهجو
رسول الله صلعم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على النبي صلعم واصحابه في شعره و
يشبب بنساء المسلمين فقال النبي صلعم من لي من ابن الاشرف فانه قد اذى الله

ورسوله فقال محمد بن مسلمة الانصاري انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال فافعل ان قدرت
على ذلك فرجع محمد بن مسلمة الانصاري فمكث ثلثا لا ياكل ولا يشرب الا ما يعلق نفسه
فذكر ذلك لرسول الله صلعم فدعاه فقال له لم تركت الطعام والشراب فقال يا رسول قلت لك قولا
لا ادري هل افي به ام لا فقال انما عليك الجهد قال يا رسول الله انه لا بد لنا من ان نقول قال
فقولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة
ابو نائلة وكان اخا كعب من الرضاعة وعباد بن بشر والحارث بن اوس وابو عبس بن
جبير فمشى معهم رسول الله صلعم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم
ثم رجع رسول الله صلعم وذلك في ليلة مقمرة فاقبلوا حتى انتهوا الى حصنه فقدموا ابا نائلة
فتحدث معه ساعة وتناشدا الشعر وكان ابو نائلة يقول الشعر ثم قال ويحك يا ابن الاشرف
اني قد جئتك لحاجة اريد ذكرها لك فاكتم علي قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل
دنا بلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبل حتى ضاع
العيال وجهدت الانفس قال انا ابن الاشرف اما والله لقد كنت اخبرك يا ابن سلامة
ان الامر سيصير الى هذا فقال ابو نائلة ان معي اصحابا لي اردنا ان تبيعنا من طعامك
ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك فقال ترهنوني ابناءكم فقال انا نستحيي ان يعير
ابناؤنا فيقال هذا رهينة وسق فقال ترهنوني نساءكم قال كعب كيف نرهنك
نساءنا وانت اجمل العرب ولا نامنك واي امراة تمتنع منك لجمالك ولكنا نرهنك
الحلقة يعني السلاح وقد علمت حاجتنا الى السلاح قال نعم واراد ابو نائلة ان لا ينكر
السلاح اذا رآه فواعده ان ياتيه فرجع ابو نائلة الى اصحابه فاخبرهم خبره فاقبلوا
اذا انتهوا الى حصنه ليلا فهتف ابو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته
فقالت امراته اسمع صوتا يقطر منه الدم وانك رجل محارب وان صاحب الحرب لا ينزل في
مثل هذه الساعة فكلمهم من فوق الحصن فقال انما اخي محمد بن مسلمة ورضيعي ابو نائلة
وان هؤلاء لو وجدوني نائما ما ايقظوني وان الكريم اذا دعي الى طعنة بليل اجاب
فنزل اليهم فتحدث معهم ساعة ثم قالوا يا ابن الاشرف هل لك ان تتمشى الى شعب
العجوز فنتحدث معهم ساعة ثم ~~قالوا يا ابن الاشرف~~ فيه بقية ليلتنا هذه قال ان
شئتم فخرجوا يتماشون وكان ابو نائلة قال لاصحابه اني فاتك شعره فاشمه فاذا

رأيتموني استمكنت من راسه فدونكم فاضربوه ثم انه شام يده في فود راسه ثم شم
يده فقال ما رايت كالليلة طيب عروس قط قال انه طيب ام فلان يعني امراته ثم مشى
ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمان ثم مشى ساعة فعاد لمثلها ثم اخذ بفودي راسه حتى استمكن
ثم قال اضربوا عدو الله فاختلفت عليه اسيافهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت
مغولا في سيفي فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا وقد اوقدت عليه
نار قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد
اصيب الحارث بن اوس بجرح في راسه اصابه بعض اسيافنا فخرجنا وقد ابطا علينا
صاحبنا الحارث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم اتانا يتبع آثارنا فاحتملناه فجئنا به
رسول الله صلعم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج الينا فاخبرناه بقتل كعب وجئنا براسه
اليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا الى اهلنا فاصبحنا وقد خافت يهود وقعتنا بعدو الله
فقال رسول الله صلعم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود على شبينة
رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود اذ ذاك لم
يسلم وكان اسن من محيصة فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول اي عدو الله اقتلته اما
والله لرب شحم في بطنك من ماله فقال محيصة والله لو امرني بقتلك من امرني بقتله لضربت
عنقك قال لو امرك محمد بقتلي لقتلتني قال نعم قال والله ان دينا بلغ بك هذا لعجب فا
سلم حويصة وانزل الله في شان كعب لتبلون لتختبرن واللام للتاكيد وفيه معنى
القسم والنون لتاكيد القسم في اموالكم بالجوائح والعاهات والخسران وانفسكم بالامراض
وفقد عصائب الاقارب والعشائر قال عطاء هم المهاجرون اخذ المشركون اموالهم وربا
عهم وعذبوهم قال الحسن هو ما فرض عليهم في اموالهم وانفسهم من الحقوق كالصلوة و
والصيام والحج والجهاد والزكوة ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود
والنصارى ومن الذين اشركوا يعني مشركي العرب اذى كثيرا وان تصبروا على اذاهم و
تتقوا الله فان ذلك من عزم الامور اي من حق الامور وخيرها قال عطاء من حقيقة الايمان
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه قرا ابن كثير واهل
البصرة وابو بكر بالياء فيهما لقوله فنبذوه وراء ظهورهم وقرا الآخرون بالتاء فيهما على اضمار
القول فنبذوه وراء ظهورهم طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به واشتروا به ثمنا قليلا يعني

الماكل والرشا فبئس ما يشترون قال قتادة هذا ميثاق اخذه الله على اهل العلم فمن
علم شيئا فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة قال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل على اهل
الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الاية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية روي
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم يوم القيمة بلجام
من نار وقال الحسن بن عمارة اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت ان رايت ان
تحدثني فقال اما علمت اني قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك فقال
حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب يقول
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا قرا عاصم وحمزة والكسائي تحسبن بالتاء يا محمد الفارحين
وقرا الاخرون بالياء اي لا يحسبن الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب فلا تحسبنهم قرا
ابن كثير وابو عمرو بالياء وضم الباء خبرا عن الفارحين اي فلا يحسبن انفسهم وقرا الاخرون
بالتاء وفتح الباء اي فلا تحسبنهم يا محمد واعاد قوله فلا تحسبنهم تاكيدا وفي حرف عبد الله
بن مسعود ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا بمفازة
من العذاب من غير تكرار واختلفوا فيمن نزلت هذه الاية روي عن ابي سعيد الخدري
ان رجالا من المنافقين كانوا على عهد رسول صلعم كان اذا خرج رسول الله الى الغزو وتخلفوا
عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله فاذا قدم رسول الله اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا
ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت هذه الاية لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا الاية روي عن
ابي مليكة ان علقمة بن وقاص اخبره ان مروان قال لبوابه اذهب يا رافع الى ابن عباس
فقل لئن كان كل امرئ فرح بما اوتي واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون
فقال ابن عباس ومالكم ولهذه انما دعا النبي صلعم يهود فسالهم عن شيء فكتموه اياه واخبروه
بغيره فاروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه فيما سالهم وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم
ثم قرا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب كذلك الى قوله يفرحون بما اتوا
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا قال عكرمة نزلت في فنحاص واشيع وغيرهما من الاحبار
يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة الناس اياهم الى العلم وليسوا باهل علم وقال [illegible]
هم اليهود فرحوا باعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم اياهم عليه وقال سعيد بن

جبير هم اليهود فرحوا بما اعطى الله ال ابراهيم وهم برآء من ذلك وقال قتادة ومقاتل اتت
يهود خيبر نبي الله صلعم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وانا على رايكم ونحن لكم ردء وليس ذلك
في قلوبهم فلما خرجوا قال لهم المسلمون ما صنعتم فقالوا عرفناه وصدقناه فقال لهم المسلمون
احسنتم هكذا فافعلوا فحمدوهم ودعوا لهم فانزل الله هذه الاية وقال يفرحون بما اتوا
قال الفراء بما فعلوا كما قال لقد جئت شيئا فريا اي فعلت ويحبون ان يحمدوا بما لم
يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة بمنجاة من العذاب ولهم عذاب اليم
ولله ملك السموات والارض يصرفهما كيف يشاء والله على كل شيء قدير ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب روي عن عبد
الله بن عباس انه رقد عند النبي صلعم فراه استيقظ فتسوك ثم توضا وهو يقول ان في
خلق السموات والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام والركوع
والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك ثم
يتوضا ثم يقرا هؤلاء الايات ثم اوتر بثلث ركعات ثم اتاه المؤذن فخرج الى الصلوة
وهو يقول اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا وفي لساني نورا واجعل من خلفي نورا ومن
امامي نورا واجعل من فوقي نورا ومن تحتي نورا اللهم اعطني نورا ورواه كريب عن ابن
عباس وزاد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن شمالي
نورا قوله لايات لاولي الالباب ذوي العقول ثم وصفهم فقال الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم قال علي بن ابي طالب وابن عباس والنخعي وقتادة رضي الله عنهم
هذا في الصلوة يصلي قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب روي عن عمران بن
حصين قال سالت رسول الله صلعم عن صلوة المريض فقال صلي قائما فان لم يستطع فقاعدا
فان لم يستطع فعلى جنب وقال سائر المفسرين اراد به المداومة على الذكر في عموم الاحوال لان
الانسان قل ما يخلو من احدى هذه الحالات الثلاث نظيره في سورة النساء ويتفكرون
في خلق السموات والارض وما ابدع فيهما ليدلهم ذلك على قدرة الصانع ويعرفوا ان
لهما صانعا قادرا ومدبرا حكيما قال ابن عون الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب
الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل
الفكرة ربنا اي ويقولون ربنا ما خلقت هذا اي الخلق خلقك هذا باطلا

ان عبثا وهزلا بل خلقته لامر عظيم وانتصب الباطل بنزع الخافض اي بالباطل سبحانك
فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي اهنته وقيل اهلكته وقيل فضحته
لقوله تعالى ولا تخزون في ضيفي فان قيل قد قال الله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا
معه ومن اهل الايمان من يدخل النار وقد قال انك من تدخل النار فقد اخزيته قلنا قال
قيل قال انس وقتادة معناه انك من تخلد في النار فقد اخزيته وقال سعيد بن المسيب
هذه خاصة لمن لا يخرج منها فقد روي انس عن النبي صلعم ان الله تعالى يدخل قوما النار ثم يخرجهم
منها وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا يعني محمدا صلعم قاله ابن مسعود
وابن عباس واكثر الناس وقال القرظي يعني القرآن فليس كل احد يلقى النبي صلعم ينادي
للايمان اي الى الايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
وتوفنا مع الابرار اي في جملة الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة
رسلك ولا تخزنا ولا تعذبنا ولا تفضحنا ولا تهلكنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فان
قيل ما وجه قولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقد علموا ان الله لا يخلف الميعاد
قيل لفظه دعاء ومعناه الخبر لتوتينا ما وعدتنا تقديره فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
ولا تخزنا يوم القيامة لتوتينا ما وعدتنا على رسلك من الفضل والرحمة وقيل معناه ربنا
واجعلنا ممن يستحقون ثوابك وتوتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم
لتلك الكرامة فسالوه ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سالوه تعجيل ما وعدهم من النصر
على الاعداء قالوا قد علمنا انك لا تخلف وعدك من النصر ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل
خزيهم وانصرنا عليهم فاستجاب لهم ربهم اني اي باني لا اضيع لا احبط عمل عامل
منكم ايها المومنون من ذكر او انثى قال مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله اني اسمع
الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فانزل الله هذه الاية بعضكم من بعض قال
الكلبي في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحوا وقال الضحاك رجالكم شكل
نسائكم ونسائكم شكل رجالكم في الطاعة كما قال الله تعالى والمومنون والمومنات بعضهم
اولياء بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي اي في طاعتي وديني
وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون من مكة وقاتلوا وقتلوا قرا ابن كثير
وابن عامر وقتلوا بالتشديد قال الحسن يعني انهم قطعوا في المعركة والاخرون بالتخفيف

اكثر القراء وقاتلوا وقتلوا يريد انهم قاتلوا العدو ثم قتلوا وقرا حمزة والكسائي
قتلوا وقاتلوا وله وجهان احدهما معناه وقاتل من بقي منهم ومعنى قوله وقتلوا اي
قتل بعضهم تقول العرب قتلنا بني فلان وانما قتلوا بعضهم والوجه الاخر وقتلوا
وقد قاتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
ثوابا من عند الله نصب على القطع قاله الكسائي وقال المبرد مصدر لاثيبنهم ثوابا
والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد نزلت في المشركين
وذلك انهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المومنين ان
اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فانزل الله هذه الاية لا يغرنك تقلب الذين كفروا
ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وانواع المكاسب فالخطاب مع النبي صلعم
والمراد منه غيره متاع قليل اي هو متاع قليل بلغة فانية ومتعة زائلة ثم ماواهم
مصيرهم جهنم وبئس المهاد الفراش لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا جزاء وثوابا من عند الله نصب على التفسير
وقيل جعل ذلك نزلا وما عند الله خير للابرار من متاع الدنيا وروي عن عمر بن
الخطاب انه قال جئت فاذا رسول الله صلعم في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه
شيء وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف وان عند رجليه قرظا مصبورا وعند
راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله
ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا
الاخرة وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله قال جابر وابن عباس وانس وقتادة
نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل
لرسول الله صلعم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ
لكم مات بغير ارضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير
النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا
يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية قال عطاء
نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلثين من ارض الحبشة وثمانية من
الروم كانوا على دين عيسى فآمنوا بالنبي صلعم وقال ابن جريج نزلت في عبد الله بن سلام

واوصى به وقال مجاهد نزلت في مؤمني اهل الكتاب كلهم وان من اهل الكتاب لمن يؤمن
بالله وما انزل اليكم يعني القرآن وما انزل اليهم يعني التورية والانجيل خاشعين
خاضعين متواضعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا يعني لا يحرفون كتبهم ولا يكتمون
صفة محمد صلعم لاجل الرياسة والمأكلة كفعل غيرهم من رؤساء اليهود اولئك لهم اجرهم عند
ربهم ان الله سريع الحساب يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا قال الحسن اصبروا
على دينكم فلا تدعوه لشدة ولا رخاء قال قتادة اصبروا على طاعة الله وقال الضحاك ومق
بن سليمان على امر الله وقال مقاتل بن حيان على اداء فرائض الله وقال زيد بن اسلم على
الجهاد وقال الكلبي على البلاء وصابروا يعني الكفار ورابطوا يعني المشركين وقال ابو عبيدة
اي داوموا واثبتوا والربط الشد واصل الرباط ان يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم
ثم قيل ذلك لكل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه وان لم يكن له مركب روي عن سهل بن سعد السا
عدي ان رسول الله صلعم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم
من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الد
نيا وما عليها وعن سلمان الخير ان رسول الله صلعم قال من رابط يوما وليلة في سبيل الله
كان له اجر صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطا اجري له ذلك الاجر واجري عليه الرزق وامن
من الفتان وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمان النبي صلعم غزو يرابط فيه ولكنه
انتظار الصلوة خلف الصلوة ودليل هذا التأويل ما اخبرنا ابو الحسن عن ابي هريرة ان رسول
الله صلعم قال الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على
المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط
فذلكم الرباط واتقوا الله لعلكم تفلحون قال بعض ارباب اهل اللسان اصبروا على
النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء
لعلكم تفلحون في دار البقاء

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء

مدنية وهي مائة وخمس او ست او سبع وسبعون آية يا ايها الناس اتقوا ربكم
الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم عم وخلق منها زوجها يعني حواء وبث
منهما نشر واظهر رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام
اي تتساءلون وقرأ اهل الكوفة بتخفيف السين على حذف احدى التائين كقوله تعالى ولا تعا

والارحام قراءة العامة بالنصب اي اتقوا الارحام ان تقطعوها وقرأ حمزة بالخفض
اي به وبالارحام كما يقال سألتك بالله وبالرحم والقراءة الاولى افصح لان العرب
لا تنسق بظاهر على مكني الا ان تعيد الخافض فتقول مررت به وبزيد الا انه جا
يز مع قلته ان الله كان عليكم رقيبا اي حافظا وآتوا اليتامى اموالهم قال
مقاتل والكلبي نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ
اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلعم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال
اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي صلعم
من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه
في سبيل الله فقال النبي صلعم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف بقي الوزر فقال ثبت
الاجر للغلام وبقي الوزر على والده قوله وآتوا خطاب للاولياء والاوصياء واليتامى جمع
يتيم واليتيم اسم لصغير لا اب له ولا جد وانما يدفع المال اليه بعد البلوغ وسماهم يتامى على
معنى انهم كانوا يتامى ولا تتبدلوا اي لا تستبدلوا الخبيث بالطيب اي مالهم الذي هو
حرام عليكم بالحلال من اموالكم واختلفوا في هذا التبدل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والز
هري والسدي كان اولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي فر
بما كان احدهم يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانها المهزولة ويأخذ الدرهم
الجيد ويجعل مكانه الزيف فيقول درهم بدرهم فنهوا عن ذلك وقيل كان اهل الجاهلية
لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأخذ الاكبر الميراث فنصيبه من الميراث طيب
وهذا الذي يأخذه خبيث وقال مجاهد لا تتعجل الرزق الحرام قبل ان يأتيك الحلال
ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم كقوله من انصاري الى الله اي مع الله انه
كان حوبا كبيرا اي اثما عظيما وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الآية اختلفوا في تأويلها قال
بعضهم معناه ان خفتم يا اولياء اليتامى ان لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا ما طا
ب لكم من النساء غيرهن من الغرائب مثنى وثلاث ورباع روي عن الزهري قال
كان عروة بن الزبير يحدث انه سأل عائشة وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء قالت هي اليتيمة في حجر وليها فيرغب في جمالها ويريد ان يتزوجها باد
نى من سنة نسائها فنهوا عن انكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا

بنكاح من سواهن من النساء قالت عايشة ثم استفتى الناس رسول الله صلعم فانزل الله
يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين الله في هذه
الاية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال او مال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها باكمال
الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء
قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها ليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها
الاوفى من الصداق ويعطوها حقها قال الحسن كان الرجل من اهل المدينة يكون عنده الايتام
وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهي لا تعجبه كراهية ان يدخل غريب
فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص ان تموت فيرثها فعاب الله ذلك وانزل هذه
الاية قال عكرمة كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء والاكثر فاذا
صار معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمه الذي في حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا
على اربع حتى لا يحوجكم الى اخذ اموال اليتامى وهذه رواية طاوس عن ابن عباس وقال بعضهم
كانوا يتحرجون عن اموال اليتامى ويترخصون في النساء فيتزوجون ما شاؤا فربما عدلوا
وربما لم يعدلوا فلما انزل الله في اموال اليتامى وآتوا اليتامى اموالهم انزل هذه الاية وان خفتم ان لا تقسطوا
في اليتامى يقول كما خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء ان لا تعدلوا فيهن
فلا تتزوجوا اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد
بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص في نكاح اربع فقال فانكحوا ما طاب لكم من النساء
مثنى وثلث ورباع • فان خفتم ان لا تعدلوا فيهن فواحدة • وقال مجاهد معناه ان
تحرجتم من ولاية اليتامى في اموالهم ايمانا فكذلك تحرجوا من الزنا فانكحوا النساء الحلال
نكاحا طيبا ثم بين لهم عددا وكانوا يتزوجون ما شاؤا من غير عدد قوله تعالى فانكحوا ما طا
ب اي من طاب كقوله والسماء وما بناها قال فرعون وما رب العالمين والعرب تضع من
وما كل واحد موضع الآخر كقوله فمنهم من يمشي على بطنه وطاب اي حل لكم من النساء مثنى
وثلث ورباع معدولات عن اثنين وثلث واربع ولذلك لا ينصرفن والواو بمعنى او للتخيير كقوله
تعالى ان تقوموا لله مثنى وفرادى اولي اجنحة مثنى وثلث ورباع وهذا اجماع ان
احدا من الامة لا يجوز له ان يزيد على اربع نسوة وكانت الزيادة من خصائص النبي صلعم
لا مشاركة معه لاحد من الامة فيه روي ان قيس بن الحارث كان تحته ثمان نسوة فلما نزلت

هذه الاية قال له رسول الله طلق اربعا وامسك اربعا قال فجعلت اقول للمرأة التي لم تلد مني
يا فلانة ادبري والتي قد ولدت يا فلانة اقبلي وروي ان غيلان بن سلمة الثقفي
اسلم وعنده عشر نسوة فقال النبي صلعم امسك اربعا وفارق سايرهن واذا جمع الحر بين اربع
نسوة حراير يجوز فاما العبد فلا يجوز ان ينكح اكثر من امراتين عند اكثر اهل العلم وروي عن
عمر بن الخطاب انه قال ينكح العبد امراتين ويطلق تطليقتين وتعتد الامة حيضتين وان
لم تكن تحيض فشهرين او شهرا ونصفا وقال ربيعة يجوز للعبد ان ينكح اربع نسوة كالحر فان
خفتم خشيتم وقيل علمتم ان لا تعدلوا بين الاربع فواحدة اي فانكحوا واحدة وقرا ابو جعفر
فواحدة بالرفع • او ما ملكت ايمانكم • يعني السراري لانه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم
في الحراير ولا قسم لهن ولا وقت في عددهن وذكر الايمان بيان تقديره او ما ملكتم وقال بعض
اهل المعاني او ما ملكت ايمانكم اي ما ينفذ فيه اقسامكم جعله من يمين الحلف لا يمين الجارحة ذلك
ادنى اقرب • الا تعولوا • اي لا تجوروا ولا تميلوا يقال ميزان عائل اي جائر هذا
قول اكثر المفسرين وقال مجاهد ان لا تضلوا وقال الفراء ان لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم والعول
المجاوزة ومنه عول الفرائض وقال الشافعي ان لا تكثر عيالكم وما قال احد انما يقال
من كثرة العيال اعال يعيل اعالة اذا كثر عياله قال ابو حاتم كان الشافعي اعلم بلسان
العرب منا ولعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرا طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا وهو حجة لقول
الشافعي • وآتوا النساء صدقاتهن نحلة • قال الكلبي وجماعة هذا خطاب للاولياء وذلك
ان ولي المراة كان اذا زوجها فان كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا
كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطونها من مهرها غير ذلك
فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله وقال الحضرمي كان اولياء النساء
يعطي هذا اخته على ان يعطيه الآخر اخته ولا مهر بينهما فنهوا عن ذلك وامروا بتسمية المهر
في العقد روي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم نهى عن الشغار والشغار ان
يزوج الرجل ابنته على ان يزوجه الآخر ابنته وليس بينهما صداق وقال آخرون الخطاب
للازواج امروا بايتاء نسائهم الصداق وهذا اصح لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين
والصدقات المهور واحدتها صدقة نحلة قال قتادة فريضة وقال ابن جريج فريضة
مسماة قال ابو عبيد ولا تكون النحلة الا مسماة معلومة وقال الكلبي عطية وهبة وقال ابو

عبيدة

عن طيب نفس وقال الزجاج تدينا وروي عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلعم
احق الشروط ان توفوا به ما استحللتم به الفروج • فان طبن لكم عن شيء منه نفسا •
يعني فان طابت نفوسهن بشيء من ذلك فوهبن منكم فنقل الفعل من النفوس الى اصحابها
بها فخرجت النفس مفسرة فلذلك وحد النفس كما قال وضاق بهم ذرعا وقري عينا وقيل
لفظها واحد ومعناها جمع • فكلوه هنيئا مريئا • سائغا طيبا يقال هنأني الطعام يهنئني بفتح
النون في الماضي وكسرها في الغابر وقيل الهنيء الطيب الساغ الذي لا ينغصه شيء والمريء المحمود
العاقبة التام الهضم الذي لا يضر قرا ابو جعفر هنيا مريا بتشديد الياء فيهما من غير همز وكذلك
بريء وبريون وبريا وكهيئة والاخرون يهمزونها • ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله
لكم قياما • اختلفوا في هولاء السفهاء فقال قوم هم النساء وقال الضحاك النساء من اسفه السفهاء
قال مجاهد نهى الرجال ان يؤتوا النساء اموالهم وهن سفهاء من كن ازواجا او بنات او امهات
وقال اخرون هم الاولاد قال الزهري يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد
الله فيفسده وقال بعضهم النساء والصبيان قال الحسن هي امراتك السفيهة وابنك السفيه
قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امراتك وبنيك فيكونوا
هم الذين ينفقون ويقومون عليكم ثم تنظر الى ما في ايديهم ولكن امسك مالك واصلحه وكن
انت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم قال الكلبي اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة
وان ولده مفسد فلا ينبغي ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده قال سعيد بن جبير
وعكرمة هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وانفق عليه حتى يبلغ وانما اضاف الى الاو
لياء فقال اموالكم لانهم قوامها ومدبروها والسفيه الذي لا يجوز لوليه ان يؤتيه
ماله وهو المستحق للحجر عليه وهو ان يكون مبذرا في ماله او مفسدا في دينه فقال جل ذكره
ولا تؤتوا السفهاء اي الجهال بموضع الحق اموالكم التي جعل الله قياما قرا نافع وابن عامر
قيما بلا الف وقرا الاخرون قياما واصله قواما فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وهو
ملاك الامر وما يقوم به الامر واراد هاهنا قوام عيشكم الذي تعيشون به قال الضحاك به
يقام الحج والجهاد واعمال البر وبه فكاك الرقاب من النار • وارزقوهم فيها • اي اطعموهم
• واكسوهم • لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته وانما قال فيها ولم يقل منها لانه اراد اجعلوا لهم
فيها رزقا فالرزق من الله هو العطية من غير حد ومن العباد اجراء موقت محدود • وقولوا

١٦٩

لهم قولا معروفا • عدة جميلة وقال عطاء يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت
جعلت لك حظا وقيل هو الدعاء وقال ابن زيد ان لم يكن ممن يجب عليك نفقته فقل له عافانا
الله واياك بارك الله فيك وقيل قولا لينا تطيب به انفسهم • وابتلوا اليتامى • نزلت في ثابت
بن رفاعة وفي عمه وذلك ان رفاعة توفي وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبي
صلعم وقال ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله عز وجل
وابتلوا اليتامى اختبروهم في عقولهم واديانهم وحفظهم اموالهم • حتى اذا بلغوا النكاح •
اي مبلغ الرجال والنساء • فان آنستم • ابصرتم • منهم رشدا • فقال المفسرون يعني عقلا
وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه قال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي لا يدفع اليه ماله
وان كان شيخا حتى يونس رشده والابتلاء يختلف باختلاف احوالهم فان كان ممن يتصرف
في السوق فيدفع الولي اليه شيئا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان ممن لا يتصرف في السوق
فيختبره في نفقة داره والانفاق على عبيده واجرائه ويختبر المراة في امر بيتها وحفظ متاعها
وغزلها واستغزالها فاذا راى حسن تدبيره وتصرفه في الامور مرارا يغلب على القلب
رشده دفع المال اليه واعلم ان الله تعالى علق زوال الحجر عن الصغير وجواز دفع المال اليه
بشيئين بالبلوغ والرشد فالبلوغ يكون باحد الاشياء الاربعة اثنان يشترك فيهما الرجال
والنساء واثنان يختصان بالنساء فما يشترك فيه الرجال والنساء احدهما السن والثاني
ما سبق الجوعة وما الاحتلام اما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة
حكم ببلوغه غلاما كان او جارية لما روي عن ابن عمر قال عرضت
على رسول الله صلعم عام احد وانا ابن اربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وانا
ابن خمس عشرة فاجازني قال نافع فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال هذا فرق
بين المقاتلة والذرية وكتب ان يفرض لابن خمس عشرة سنة في المقاتلة ومن لم يبلغها في
الذرية وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة
وبلوغ الغلام باستكمال ثمان عشرة سنة واما الاحتلام فنعني به نزول المني سواء كان
بالاحتلام او بالجماع او غيرهما فاذا وجد ذلك بعد استكمال تسع سنين من ايهما كان حكم
ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا وقال النبي صلعم لمعاذ في الجزية
حين بعثه الى اليمن خذ من كل حالم دينارا واما الانبات انبات الشعر الخشن حول الفرج فهو بلوغ في

في اولاد المشركين لما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي بني قريظة فكانوا
ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك
بلوغا في اولاد المسلمين فيه قولان احدهما يكون بلوغا كما في اولاد الكفار والثاني لا يكون
بلوغا لانه يمكن الوقوف على مواليد المسلمين بالرجوع الى ابائهم وفي الكفار لا يوقف على
مواليدهم ولا يقبل قول آبائهم فيه لكفرهم فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا
في حقهم اما ما يختص بالنساء فالحيض والحبل فاذا حاضت المراة بعد استكمال تسع سنين
يحكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل واما
واما الرشد فهو ان يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو ان يكون مجتنبا عن
الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير
هو ان ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنياوية ولا مثوبة اخراوية ولا يحسن التصرف
فيغبن في البيوع فاذا بلغ الصبي وهو مفسد في دينه او غير مصلح لماله دام الحجر ولا يدفع اليه
ماله ولا ينفذ تصرفه وعند ابي حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال الحجر عنه وان كان مفسدا في دينه
واذا كان مفسدا لماله لا يدفع المال اليه حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة غير ان تصرفه يكون
نافذا قبله والقرآن حجة لمن استدام الحجر عليه لان الله تعالى قال اذا بلغوا النكاح فان آنستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم امر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والابن
في سن لا يكون رشيدا او بعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو .. قال سعيد بن جبير
مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لا يكون دفع المال اليه كما قبل
بلوغه هذا السن فاذا بلغ واونس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع المال اليه رجلا كان او
امراة تزوج او لم يتزوج وعند مالك ان كانت امراة لا يدفع المال اليها ما لم تتزوج فاذا تزوجت
دفع المال اليها ولكن لا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب فاذا بلغ
الصبي رشيدا او زال الحجر عنه بعدما نظر ان عاد مبذرا لماله يحجر عليه وان عاد مفسدا
في دينه فعلى وجهين احدهما يعاد الحجر عليه كما يستدام الحجر عليه اذا بلغ بهذه الصفة والثاني
لا يعاد لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتداء وعند ابي حنيفة لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال
والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روي عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله
بن جعفر ابتاع ارضا سبخة بستين الف درهم فقال علي لآتين عثمان فلأحجرن عليك فأتى

ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير انا شريكك في بيعك فاتى علي عثمان وقال احجر
على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف احجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان
ذلك اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه • ولا تأكلوها • يا معشر الاولياء • اسرافا •
بغير حق • وبدارا • مبادرة • ان يكبروا • اي في محل النصب يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم
حذرا ان يبلغوا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين ما يحل لهم من مالهم فقال • ومن كان
غنيا فليستعفف • اي ليمتنع من مال اليتيم فلا يرزاه قليلا ولا كثيرا والعفة الامتناع مما لا
يحل • ومن كان فقيرا • محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده • فليأكل بالمعروف • روي
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا اتى رسول الله صلعم وقال اني فقير ليس لي شيء ولي يتيم
وقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متاثل واختلفوا في انه هل يلزمه القضاء
فذهب قوم الى انه يقضي اذا ايسر وهو المراد من قوله فليأكل بالمعروف والمعروف القرض
اي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن
جبير قال عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله منزلة ولي اليتيم اذا استغنيت استعففت
وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقال الشعبي لا ياكله الا ان يضطر اليه
كما يضطر الى الميتة وقال قوم لا قضاء عليه ثم اختلفوا في كيفية هذا الاكل بالمعروف فقال عطاء
وعكرمة يأكل باطراف اصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه وقال لا يلبس الكتان ولا الحلل ولكن
ما سد الجوعة ووارى العورة وقال الحسن وجماعة يأكل من ثمر نخيله ولبن مواشيه بالمعروف
ولا قضاء عليه واما الذهب والفضة فلا فان اخذ منه شيئا رده عليه وقال الكلبي
المعروف ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان يأكل من ماله شيئا وروي عن يحيى بن
سعيد انه قال سمعت القاسم بن محمد يقول جاء رجل الى ابن عباس فقال ان لي يتيما
وان له ابلا افاشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبتغي ضالة ابله وتهنا
جرباها وتلوط حوضها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب
وقال بعضهم المعروف ان يأخذ من جميع ماله بقدر قيامه واجرة عمله ولا قضاء عليه وهو
قول عائشة وجماعة من اهل العلم • فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم •
هذا امر ارشاد ليس بواجب امر الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعدما بلغ لتزول
عنه التهمة وتنقطع الخصومة • وكفى بالله حسيبا • اي محاسبا ومجازيا وشاهدا • للرجال

نصيبٌ مما ترك الوالدان والاقربون • نزلت في اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراة يقال لها ام كجة وثلث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار وان كان الصغير ذكرا انما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا نعطي الا من قاتل وحاز الغنيمة فجاءت ام كجة فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك علي بنات وانا امراته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني شيئا ولا بناتي وهن في حجري لا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلعم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكا عدوا فانزل الله عز وجل للرجال نصيب يعني للذكور منا ولاد الميت واقربائه نصيب حظ مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث • وللنساء • للاناث منهم • نصيب • حظ • مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه • اي من المال • او كثر نصيبا مفروضا • نصب على القطع وقيل جعل ذلك نصيبا فاثبت لهن الميراث ولم يبين كم هو فارسل رسول الله صلعم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من مال اوس بن ثابت شيئا فان الله تعالى جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله في اولادكم فلما نزلت ارسل رسول الله صلعم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كجة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقي المال • واذا حضر القسمة • يعني قسمة المواريث • اولوا القربى • الذين لا يرثون • واليتامى والمساكين فارزقوهم منه • اي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة اختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال قوم هي منسوخة وقال سعيد بن المسيب والضحاك كانت هذه قبل آية الميراث فلما نزلت آية الميراث جعلت المواريث لاهلها ونسخت هذه الاية وقال الآخرون هي محكمة وهو قول ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري قال مجاهد هي واجبة على اهل الميراث ما طابت به انفسهم قال الحسن كانوا يعطون التابوت والاواني ورث الثياب والمتاع والشيء الذي يستحيى من قسمته وان كان بعض الورثة طفلا فاختلفوا فيه قال ابن عباس وغيره ان كانت الورثة كبارا رضخوا لهم وان كانت صغارا اعتذروا اليهم فيقول الولي او الوصي اني لا املك هذا المال انما هو للصغار ولو كان لي شيء لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفون حقكم وهذا معنى قوله • وقولوا لهم قولا معروفا •
اي لحق المساكين

وقال بعضهم ذلك حق واجب في اموال الصغار والكبار فان كانوا كبارا تولوا الاعطاء وان كانوا صغارا اعطى وليهم روى محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني قسم اموال ايتام فامر بشاة فذبحت فصنع طعاما لاجل هذه الاية وقال لولا هذه الاية لكان هذا من مالي وقال قتادة عن يحيى بن يعمر ثلث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس هذه الاية وآية الاستيذان يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الاية وقوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وقال بعضهم وهو اولى الاقاويل ان هذا على الندب والاستحباب لا على الحتم والايجاب • وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا • اولادا صغارا • خافوا عليهم • الفقر هذا في الرجل يحضره الموت فيقول من بحضرته انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئا قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلانا كذا وفلانا كذا حتى ياتي على عامة ماله فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم ان يامروه ان ينظر لولده ولا يزيد في وصيته على الثلث ولا يجحف بورثته كما لو كان هذا القائل هو الموصي لسره ان يحثه من بحضرته على حفظ ماله لولده وان لا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم وقال الكلبي هذا الخطاب لولاة اليتامى يقول من كان منهم في حجره يتيم فليحسن اليه وليات اليه بما يحب ان يفعل بذريته من بعده • فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا • اي عدلا والسديد العدل والصواب من القول وهو ان يامره بان يتصدق بما دون الثلث ويخلف الباقي لولده • ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما • قال مقاتل بن حيان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال ابن اخيه وهو يتيم صغير فاكله فانزل الله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما حراما يعني بغير حق • انما ياكلون في بطونهم نارا • اخبر عن ماله اي عاقبته تكون كذلك • وسيصلون سعيرا • قراءة العامة بفتح الياء اي يدخلونه يقال صلي النار يصلاها صلا وصلا قال الله تعالى الا من هو صال الجحيم وقرا ابن عامر وابو بكر بضم الياء يدخلون النار ويحرقون نظيره قوله فسوف نصليه نارا ساصليه سقر وفي الحديث قال النبي صلعم رايت ليلة اسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الابل احدهما قالصة على منخريه والاخرى على بطنه وخزنة النار يلقمونهم جمر جهنم وصخرها فقلت يا جبريل من هولاء قال الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما • يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين • اعلم ان الوارثة كانت

في الجاهلية بالذكورة والقوة فكانوا يورثون الرجال دون النساء والصبيان فابطل
الله ذلك بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب وكانت ايضا
في الجاهلية وابتداء الاسلام بالمحالفة قال الله والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ثم صارت
الوراثة بالهجرة قال الله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء فنسخ
ذلك كله وصارت الوراثة باحد الامور الثلثة بالنسب او النكاح او الولاء فالمعنى بالنسب
ان القرابة يرث بعضهم من بعض لقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتا
ب الله والمعنى بالنكاح ان احد الزوجين يرث صاحبه وبالولاء ان المعتق وعصباته ير
ثون المعتق فنذكر بعون الله تعالى فصلا وجيزا في بيان من يرث من الاقارب و
كيفية توريث الورثة فنقول اذا مات ميت وله مال يبدأ بتجهيزه ثم بقضاء ديونه
ثم بانفاذ وصاياه ثم فضل يقسم بين الورثة ثم الورثة على ثلثة اقسام منهم من يرث بالفرض
ومنهم من يرث بالتعصيب ومنهم من يرث بهما جميعا فمن يرث بالنكاح لا يرث الا بالفرض
ومن يرث بالولاء لا يرث الا بالتعصيب اما من يرث بالقرابة فمنهم من يرث بالفروض كا
لبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام ومنهم من يرث بالتعصيب كالبنين والا
خوة والاعمام وبنيهم ومنهم من يرث بهما كالاب يرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد وان كان
للميت ابن يرث الاب بالفرض السدس وان كان للميت بنت يرث الاب السدس بالفرض
ويأخذ الباقي بعد نصيب البنت بالتعصيب وكذلك الجد وصاحب التعصيب من يأخذ جميع المال عند
الانفراد ويأخذ ما فضل عن اصحاب الفرائض وجملة الورثة سبعة عشر عشرة من الرجال
وسبع من النساء فمن الرجال الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد اب الاب وان علا
والاخ سواء كان لاب وام او لاب او لام وابن الاخ للاب والام او للاب وان سفل والعم
للاب والام او للاب وابناؤهما وان سفلوا والزوج ومولى العتاقة ومن النساء البنت
وبنت الابن وان سفلت والام والجدة ام الام او ام الاب والاخت سواء كانت لاب وام
او لاب او لام والزوجة ومولاة العتاقة وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير
الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة والاسباب التي توجب
حرمان الميراث اربعة اختلاف الدين والرق والقتل وعمى الموت نعني باختلاف الدينان
الكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر لما روي عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلعم

قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم واما الكفار يرث بعضهم من بعض مع اختلاف
مللهم لان الكفر كله ملة واحدة لقوله تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض وذهب بعض
اهل العلم الى ان اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث حتى لا يرث اليهودي من النصراني ثم والنصراني
من المجوسي واليه ذهب الزهري والاوزاعي واحمد واسحق لقول النبي صلعم لا يتوارث اهل
الملتين شتى وتاويله الآخر من على الاسلام مع الكفر فاما الكفر فكله ملة واحدة فتورث بعضهم
من بعض لا يكون اثبات التوارث من اهل ملتين شتى والرقيق لا يرث احدا ولا يورث احدا لا
نه لا ملك له ولا فرق فيه بين القن والمدبر والمكاتب وام الولد والقتل يمنع الميراث عمدا او
خطأ لما روي عن ابي هريرة عن النبي صلعم انه قال القاتل لا يرث ونعني بعمى الموت ان المتوار
ثين اذا عمي موتهما بان غرقا في ماء او انهدم عليهما بناء فلم يدر ايهما سبق موته فلا
يورث احدهما من الآخر بل ميراث كل واحد منهما لمن كان حيوته يقينا بعد موته من ورثته
والسهام المحدودة في الفرائض ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف
فرض ثلثة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت عند عدم الواحدة للصلب او بنت الا
بن عند عدم ولد الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام او للاب اذا لم يكن له ولد لاب وام
والربع فرض الزوج اذا كان للميتة ولد وفرض الزوجة اذا لم يكن للميت ولد والثمن فرض الزوجة اذا
كان للميت ولد والثلثان فرض البنتين للصلب فصاعدا او ابنتي الابن عند عدم ولد الصلب وفرض
الاختين للاب والام او للاب فصاعدا والثلث فرض ثلثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد
ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسئلتين احديهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوا
ن فان للام فيهما ثلث ما يبقى بعد نصيب الزوج والزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من
اولاد الام ذكورهم واناثهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض
وكان الثلث خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة واما السدس ففرض سبعة فرض الاب اذا
كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض
الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا
للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من اولاد الام ذكرا كان او
انثى وفرض بنات الابن اذا كان للميت ابنة واحدة للصلب لهم تكملة الثلثين وفرض الاخوا
ت للاب اذا كان للميت اخت واحدة لاب وام تكملة الثلثين روي عن ابن عباس قال قال

رسول الله صلعم الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فهو اولى رجل ذكر وفي الحديث دليل على ان بعض
الورثة يحجب البعض والحجب نوعان حجب نقصان وحجب حرمان فحجب النقصان هو ان
الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من
الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا يحجبون الام من الثلث
الى السدس وحجب الحرمان هو ان الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون
باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب والام يسقطون بثلثة بالا
ب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول
عمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي واحمد رضي
الله عنهم واولاد الاب يسقطون بهولاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان
الاخوة جميعا يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس ومعا
ذ وابي الدرداء وعايشة رضي الله عنهم وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وابو حنيفة رحمهم الله
واقرب العصبات يسقط الابعد من العصوبة فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم
الاب ثم الجد اب الاب وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة او الاخوات للاب والام
او للاب بشي كان في الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم
اقربهم سواء كان لاب وام او لاب فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى ثم العم للاب
والام ثم العم للاب ثم بنوهم على الترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد ثم على هذا الترتيب
فان لم يكن احد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات
المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ
للاب حتى لو مات عن ابن وبنت او عن اخ واخت لاب وام او لاب يكون المال بينهما للذكر مثل
حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذا ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث
ومن فوقها اذا لم ياخذ من الثلثين شيا حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان
ولا شي لبنت الابن فان كان في درجتها او اسفل منها ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل
حظ الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون عصبة مع البنت حتى لو مات عن بنت
واخت كان النصف للبنت والباقي للاخت ولو مات عن بنتين واخت فللبنتين الثلثان
والباقي للاخت والدليل عليه ما روى ابو قيس وقال سمعت هذيل بن شرحبيل يقول سئل

ابو موسى عن بنت وبنت ابن واخت فقال للبنت النصف وللاخت النصف وائت
ابن مسعود فسيتابعني فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابي موسى فقال لقد ضللت اذا وما انا
من المهتدين اقضي فيها بما قضى النبي صلعم للبنت النصف ولابنة الابن السدس تكملة
للثلثين وما بقي فللاخت فاتينا ابا موسى فاخبرناه بقول ابن مسعود فقال لا تسالوني ما
دام هذا الحبر فيكم رجعنا الى تفسير الاية واختلفوا في سبب نزولها روي عن محمد بن المنكدر
سمعت جابرا يقول جاء رسول الله صلعم يعودني وانا مريض لا اعقل فتوضا فصب علي
من وضوءه فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث انما يرثني كلالة فنزلت اية الفرايض
وقال مقاتل والكلبي نزلت في ام كحة امراة اوس بن ثابت وبناته وقال عطاء استشهد
سعد بن الربيع النقيب يوم احد وترك امراة وبنتين واخا فاخذ الاخ المال فاتت امراة
سعد الى رسول الله صلعم بابنتي سعد فقالت يا رسول الله ان هاتين ابنتا سعد وان سعدا
قتل يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما ولا تنكحان الا ولهما مال فقال رسول الله صلعم
ادعي عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فهو لك فهذا اول ميراث قسم في الاسلام
قوله عز وجل يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويفرض عليكم في اولادكم اي في امر اولادكم اذا متم للذ
كر مثل حظ الانثيين فان كن يعني المتروكات وكان من الاولاد نساء فوق اثنتين
اي ابنتين فصاعدا وفوق صلة كقوله عز وجل فاضربوا فوق الاعناق فلهن ثلثا ما
ترك وان كانت يعني البنت واحدة قراءة العامة بالنصب على خبر كان ورفعها اهل
المدينة على معنى ان وقعت واحدة فلها النصف ولابويه يعني لابوي الميت كناية عن
غير مذكور لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد اراد الاب والام يكون
لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد او ولد الابن يكون صاحب فرض فان لم يكن
له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث قرا الكسائي فلامه بكسر الهمزة استثقالا للضمة
بعد الكسرة وقرا الاخرون بالضم على الاصل فان كان له اخوة اثنان او اكثر ذكورا او
اناثا فلامه السدس والباقي يكون للاب ان كان معها اب فالاخوة لا ميراث لهم مع الاب
ولكنهم يحجبون الام من الثلث الى السدس وقال ابن عباس لا تحجب الاخوة الام من الثلث
الى السدس الا ان يكونوا ثلثة قد تفرد به وقال لان الله تعالى قال فان كان له اخوة فلامه السدس
ولا يقال للاثنين اخوة فنقول اسم الجمع قد يقع على التثنية لان الجمع ضم شي الى شي وهو موجود

في الاثنين كما قال الله تعالى فقد صغت قلوبكما ذكر القلب بلفظ الجمع واضاف الى اثنين من بعد
وصية يوصي بها او دين قرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر يوصى بفتح الصاد على ما لم يسم
فاعله وكذلك الثانية ووافق حفص في الثانية وقرا الآخرون بكسر الصاد لانه جرى ذكر الميت
من قبل بدليل قوله من بعد وصية يوصين ويوصون قال علي بن ابي طالب انكم تقرؤون الو
صية قبل الدين وبدا رسول الله صلعم بالدين قبل الوصية وهذا اجماع ان الدين مقدم على الو
صية ومعنى الاية الجمع لا الترتيب وبيان ان الميراث موخر عن الدين والوصية جميعا معناه
من بعد وصية ان كانت او دين ان كان فالارث موخر عن كل واحد منهما آباؤكم وابناؤكم
يعني الذين يرثونكم آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون
ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من
يظن ان الابن انفع له فيكون الاب انفع له وانا العالم بمن هو انفع لكم وقد دبرت امركم على ما
فيه المصلحة فاتبعوه وقال ابن عباس اطوعكم لله عز وجل من الاباء والابناء ارفعكم درجة
يوم القيمة والله تعالى يشفع المومنين بعضهم في بعض فان كان الوالد ارفع درجة في الجنة رفع
اليه ولده وان كان الولد ارفع درجة يوم القيمة رفع اليه والده لتقر بذلك اعينهم فريضة
من الله نصبت مصدر اي فرض الله الميراث فريضة ان الله كان عليما بامور العباد حكيما
بنصب الاحكام ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد
فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين هذا في ميراث الازواج ولهن
الربع يعني الزوجات الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما
تركتم من بعد وصية توصون بها او دين هذا في ميراث الزوجات واذا كان للرجل اربع
نسوة فهن يشتركن في الربع والثمن وان كان رجل يورث كلالة او امراة يورث
كلالة ونظم الاية وان كان رجل او امراة يورث كلالة وهو نصب على المصدر وقيل
على خبر ما لم يسم فاعله تقديره وان كان رجل يورث ماله كلالة واختلفوا في الكلالة
فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد له روي عن الشعبي قال سئل ابو
بكر عن الكلالة فقال اني ساقول فيها قولا برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا
فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الولد والوالد فلما استخلف عمر قال اني لاستحيي من الله ان
ارد شيئا قاله ابو بكر وذهب طاوس الى ان الكلالة من لا ولد له وهو احدى الروايتين عن ابن

عباس واحد القولين عن عمر واحتج من ذهب الى هذا بقول الله تعالى قل الله يفتيكم في الكلا
لة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند العامة ماخوذ من حديث جابر بن عبد الله
لان الاية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها اب ولا ابن لان اباه عبد الله بن حرام
قتل يوم احد واية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي صلعم فصار شان جابر بيانا لمراد الاية
لنزولها فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم لمن منهم من قال اسم للميت وهو قول علي وابن
مسعود لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه ومنهم من قال اسم للورثة وهو
قول سعيد بن جبير لانهم يتكللون الميت من جوانبه وليس في عمود نسبه احد كالاكليل
يحيط بالراس ووسط الراس منه خال وعليه حديث جابر حيث قال انما يرثني كلالة
اي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد وقال نضر بن شميل الكلالة اسم للمال وقال
ابو الخير سال رجل عقبة عن الكلالة فقال الا تعجبون من هذا يسالني عن الكلالة وما اعضل
باصحاب النبي صلعم شيء ما اعضلت بهم الكلالة وقال عمر رضي الله عنه ثلث لان يكون النبي
صلعم بينهن لنا احب الينا من الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وابواب الربا وقال معدا
ن بن ابي طلحة خطب عمر بن الخطاب رض فقال اني لا ادع بعدي شيئا اهم عندي من الكلالة
ما راجعت رسول الله صلعم في شيء ما راجعته في الكلالة وما اغلظ لي في شيء ما اغلظ لي فيه حتى طعن
باصبعه في صدري وقال يا عمر الا تكفيك اية الصيف التي في آخر سورة النساء واني ان اعش
اقض فيها بقضية يقضي بها من يقرا القران ومن لا يقرا القران وقوله الا تكفيك اية الصيف
اراد ان الله تعالى انزل في الكلالة آيتين احديهما في الشتاء وهي التي في اول سورة النساء والاخرى
في الصيف وهي التي في آخرها وفيها من البيان ما ليس في اية الشتاء فلذلك احاله عليها وله اخ
او اخت فلكل واحد منهما السدس واراد به الاخ والاخت من الام بالاتفاق وقرا سعد
بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام ولم يقل لهما مع ذكر الرجل والمراة من قبل على عادة العرب
اذا ذكرت اسمين ثم اخبرت عنهما وكانا في الحكم سواء ربما اضافت الى احدهما وربما اضافت
اليهما كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء
في الثلث وفيه اجماع ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم وانثاهم
فيه سواء قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان الاية التي انزل الله في اول سورة النساء من
شان الفرائض انزلها في الولد والوالد والاية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من
الام

والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام بعضهم اولى من بعض في كتاب
الله من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة
الثلث في الوصية قال الحسن هو ان يوصي بدين ليس عليه وصية من الله مصدر مؤكد
اي يوصيكم الله وصية والله عليم حليم قال قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الموت
ونهى عنه وقدم فيه تلك حدود الله يعني ما ذكر من الفروض المحدودة ومن يطع الله ور
سوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن
يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين
قرأ اهل المدينة وابن عباس ندخله جنات وندخله نارا وفي سورة الفتح ندخله ونعذبه وفي سو
رة التغابن نكفر وندخله وفي سورة الطلاق ندخله بالنون فيهن وقرأ الآخرون بالياء
واللاتي يأتين الفاحشة يعني الزنا من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم
يعني من المسلمين وهذا خطاب للحكام اي فاطلبوا عليهن اربعة من الشهود وفيه بيان ان
الزنا لا يثبت الا باربعة من الشهود فان شهدوا عليهن بالزنا فامسكوهن فاحبسو
هن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا وهذا كان في اول
الاسلام قبل نزول الحدود كانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ ذلك في حق
البكر بالجلد والتغريب وفي حق الثيب بالجلد والرجم روي عن عبادة بن الصامت ان
النبي صلعم قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب
بالثيب جلد مائة والرجم قال شيخنا الامام رضي الله عنه الحديث صحيح رواه مسلم بن الحجاج
عن محمد بن مثنى عن عبد الاعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله
عن عبادة ثم نسخ ذلك في حق الثيب وبقي الرجم عند اكثر اهل العلم وذهب طائفة الى انه يجمع بينهما
روي عن علي رضي الله عنه انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ثم رجمها يوم الجمعة وقال
جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلعم وعامة اهل العلم على ان الثيب لا يجلد
مع الرجم لان النبي صلعم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وعند ابي حنيفة التغريب ايضا
منسوخ في حق البكر واكثر اهل العلم على انه ثابت روى نافع عن ابن عمر ان النبي صلعم
ضرب وغرب وان ابا بكر رض ضرب وغرب وان عمر رض ضرب وغرب واختلفوا في ان
الامساك في البيت كان حدا فنسخ ام كان حبسا ليظهر الحد على قولين واللذان يأتيانها

منكم يعني الرجل والمرأة والهاء راجعة الى الفاحشة وقرأ ابن كثير اللذان واللذين وهذان
وهذين وهاتين مشددة النون للتأكيد ووافقه اهل البصرة في فذانك وقرأ الآخرون
بالتخفيف وقال ابو عبيدة خص ابو عمرو فذانك بالتشديد لقلة الحروف في الاسم فآذوهما
قال عطاء وقتادة يعني عيروهما باللسان اما خفت الله اما استحييت من الله حين ز
نيت قال ابن عباس سبوهما واشتموهما قال ابن عباس هو باللسان واليد يؤذى با
لتعيير وضرب بالنعال فان قيل ذكر الحبس في الآية الاولى وذكر في هذه الآية الايذاء
فكيف وجه الجمع قيل الآية الاولى في النساء وهذه في الرجال وهو قول مجاهد وقيل الآية الاو
لى في الثيب وهذه في البكر فان تابا من الفاحشة واصلحا العمل فيما بعد فاعرضوا
عنهما ولا تؤذوهما ان الله كان توابا رحيما وهذا كله قبل نزول الحدود فنسخت بالجلد
والرجم فالجلد في القرآن قال الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
والرجم في السنة روي عن عتبة بن مسعود عن ابي هريرة وزيد بن خالد الجهني انهما
اخبراه ان رجلين اختصما الى رسول الله صلعم فقال احدهما يا رسول الله اقض بيننا
بكتاب الله وقال الآخر وكان افقههما اجل يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله وائذن
لي في ان اتكلم فقال ان ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته فاخبروني ان على ابني
الرجم فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي ثم اني سألت اهل العلم فاخبروني انما على
ابني مائة جلدة وتغريب سنة وانما الرجم على امرأته فقال رسول الله صلعم اما والذي نفسي
بيده لاقضين بينكما بكتاب الله اما غنمك وجاريتك فرد عليك وجلد ابنه مائة وغربه عاما
وامر انيسا الاسلمي ان يأتي امرأة الآخر فان اعترفت رجمها فاعترفت فرجمها روي عن ابن
عباس قال قال عمر ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان مما انزل الله آية الرجم
فقرأناها وعقلناها ووعيناها رجم رسول الله صلعم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالنا
س بالناس زمان ان يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انز
لها الله والرجم في كتاب حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او كان
الحبل او الاعتراف وجملة حد الزنا ان الزاني اذا كان محصنا وهو الذي اجتمع فيه اربعة او
صاف العقل والبلوغ والحرية والاصابة بالنكاح الصحيح فحده الرجم مسلما كان او ذميا وهو
المراد من الثيب المذكور في الحديث وذهب اصحاب الرأي ان الاسلام من شرائط الاحصان

ولا يرجم الذمي وقد صح عن رسول الله صلعم انه رجم يهوديين زنيا وكانا قد احصنا وان كان الزاني
غير محصن بان لم يجتمع فيه هذه الاوصاف نظر ان كان غير بالغ او كان مجنونا فلا حد عليه وان
كان حرا عاقلا بالغا غير انه لم يصب بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام وان كان عبدا
فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان ان قلنا يغرب كم يغرب فيه قولان اصحهما نصف سنة كما يجلد
خمسين على نصف حد الحر • انما التوبة على الله • قال الحسن يعني التوبة التي يقبلها فتكون على بمعنى عند
وقيل من الله • للذين يعملون السوء بجهالة • قال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلعم على ان كل ما
عصي به الله فهو جهالة عمدا كان او لم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وقال مجاهد المراد من الاية
العمد قال الكلبي لم يجهل انه ذنب لكنه جهل عقوبته وقيل معنى الجهالة اختيارهم اللذة الفانية
على اللذة الباقية • ثم يتوبون من قريب • قيل معناه قبل ان يحيط السوء بحسناته فيحبطها
وقال السدي والكلبي القريب ان يتوب في صحته قبل مرض موته وقال عكرمة قبل الموت وقال الضحاك
قبل معاينة ملك الموت روي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلعم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلعم قال ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوي
عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال الرب عز وجل وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني
لا ازال اغفر لهم ما استغفروني • فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست
التوبة للذين يعملون السيئات • يعني المعاصي • حتى اذا حضر احدهم الموت • ووقع في النزع
قال اني تبت الآن • وهي حالة السوق حين يساق روحه لا يقبل من كافر ايمان ولا من
عاص توبة قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا ولذلك لم ينفع ايمان فرعون
حين ادركه الغرق • ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا • هيأنا • لهم
عذابا اليما • يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها • نزلت في اهل المدينة
كانوا في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها او قريبه
من عصبته فالقى ثوبه على تلك المرأة او على خبائها فصار احق بها من نفسها ومن غيره فان شاء
تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها
وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت هي
فيرثها فان ذهبت المرأة الى اهلها قبل ان يلقي عليها ولي زوجها ثوبه فهي احق بنفسها
وكانوا على هذا حتى توفي ابو قيس بن الاسلت الانصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن

الانصاري فقام ابن له من غيرها يقال حصن وقال مقاتل بن حيان اسمه قيس بن ابي قيس
فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدي
منه فاتت كبيشة رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفي وورث نكاحي ابنه
فلا هو ينفق علي ولا يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى ياتي فيك امر الله
فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قرا حمزة والكسائي كرها
بضم الكاف ههنا وفي التوبة وقرا الباقون بالفتح قال الكسائي هما لغتان قال الفراء
الكره بالفتح ما اكره عليه وبالضم ما كان من قبل نفسه من المشقة • ولا تعضلوهن لتذ
هبوا ببعض ما آتيتموهن • اي لا تمنعوهن من الازواج لتضجر فتفتدي ببعض مالها
قيل هذا خطاب لاولياء الميت والصحيح انه خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون
له امرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي وترد اليه ما ساق
اليها من المهر فنهى الله عن ذلك ثم قال • الا ان ياتين بفاحشة مبينة • فحينئذ يحل لكم اضرار
هن لتفتدي منكم واختلفوا في الفاحشة فقال ابن مسعود وقتادة هي النشوز وقال
بعضهم وهو قول الحسن هي الزنا يعني ان المرأة اذا نشزت او زنت حل للزوج ان يسالها
الخلع وقال عطاء كان الرجل اذا اصابت امرأته الفاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها
فنسخ الله ذلك بالحدود قرا ابن كثير وابو بكر مبينة ومبينات بفتح الياء ووافق اهل
المدينة والبصرة في مبينات والباقون بكسرها • وعاشروهن بالمعروف • قال الحسن رجع
الى اول الكلام يعني وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة
بالمعروف هو الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان يتصنع لها كما تتصنع له • فان
كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا • قيل هو ولد صالح او
يعطفه الله عليها • وان اردتم استبدال زوج مكان زوج • اراد بالزوج الزوجة ثم
يكن من قبلها نشوز ولا فاحشة • وآتيتم احداهن قنطارا • وهو المال الكثير صداقا
فلا تاخذوا منه • اي من القنطار • شيئا اتاخذونه • استفهام نهي وتوبيخ • بهتانا
واثما مبينا • وانتصب بهتانا من وجهين احدهما بنزع الخافض والثاني بالاضمار تقديره تصيبون
في اخذه بهتانا واثما مبينا ثم قال • وكيف تاخذونه • على طريق الاستعظام • وقد افضى بعضكم
الى بعض • اراد به المجامعة ولكن الله حيي يكني واصل الافضاء الوصول الى الشيء من غير واسطة

وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة هو قول الولي عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان قال الشعبي وعكرمة هو ما روي عن النبي صلعم انه قال اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء كان اهل الجاهلية ينكحون ازواج آبائهم قال اشعث بن سوار توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار فخطب ابنه قيس امرأة ابيه فقالت اني اتخذك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني اتي رسول الله صلعم استأمره فاتته فاخبرته فانزل الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم اي من نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف قيل بعد ما سلف وقيل معناه لكن ما سلف اي مضى في الجاهلية فهو معفو عنه انه كان فاحشة اي انه فاحشة وكان صلة فالفاحشة اقبح المعاصي ومقتا اي يورث مقتا والمقت اشد البغض وساء سبيلا وبئس ذلك طريقا وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة ابيه مقتيا وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط بن ابي عمرو بن امية روي عن البراء بن عازب قال مر بي خالي ومعه لواء فقلت اين تذهب قال بعثني النبي صلعم الى رجل تزوج امرأة ابيه آتيه برأسه حرمت عليكم امهاتكم بين الله في هذه الاية المحرمات بسبب الوصلة وجملة المحرمات في كتاب الله اربع عشرة سبع بالنسب وسبع بالسبب منهما اثنتان بالرضاع واربع بالصهرية والسابعة المحصنات وهن ذوات الازواج فالنسب قوله حرمت عليكم امهاتكم جمع ام فيدخل فيها الجدات وان علين من قبل الام او من قبل الاب وبناتكم جمع البنت فيدخل فيهن بنات الاولاد وان سفلن واخواتكم جمع الاخت سواء كانت من قبل الاب والام او من قبل احدهما وعماتكم جمع العمة ويدخل فيهن جميع اخوات آبائكم واجدادكم وان علوا وخالاتكم جمع خالة ويدخل فيهن جميع اخوات امهاتكم وجداتكم وبنات الاخ وبنات الاخت يدخل فيهن بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن وجملته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله وفصول اول اصوله واول فصل من كل اصل بعده فالاصول هن الامهات والجدات والفصول البنات وبنات الاولاد وفصول اول اصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول فصل من كل اصل بعده هن العمات والخالات وان علين واما المحرمات بالرضاع فقوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وجملته انه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب روي عن عائشة رضي الله عنها

ان زوج النبي صلعم ان رسول الله صلعم قال يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة وعنها انها اخبرته ان رسول الله صلعم كان عندها وانها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة فقالت عائشة فقلت يا رسول الله هذا صوت رجل يستأذن في بيتك فقال رسول الله صلعم اراه فلانا لعم حفصة من الرضاعة فقلت ليدخل علي فقال رسول الله صلعم نعم ان الرضاعة تحرم ما تحرم من الولادة وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان يكون قبل استكمال المولود حولين لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وروي عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلعم لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء وعن ابن مسعود عن النبي صلعم لا رضاع الا ما انشز العظم وانبت اللحم وانما يكون هذا في حال الصغر وعند ابي حنيفة مدة الرضاع ثلثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا وهو عند الاكثرين لاقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع واقل مدة الحمل ستة اشهر والشرط الثاني ان توجد خمس رضعات متفرقات يروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعي وذهب اكثر اهل العلم الى ان قليل الرضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب سفيان الثوري ومالك والاوزاعي وعبد الله بن المبارك واصحاب الراي واحتج من ذهب الى ان القليل لا يحرم بما روي عن عبد الله بن الزبير يحدث ان رسول الله صلعم قال لا تحرم المصة والمصتان هكذا روى بعضهم هذا الحديث ورواه عبد الله بن ابي مليكة عن عبد الله بن الزبير عن عائشة عن النبي صلعم وهو الصحيح وروي عن عائشة ام المؤمنين انها قالت كان فيما انزل في القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلعم وهن فيما يقرأ في القرآن واما المحرمات بالصهرية فقوله وامهات نسائكم وجملته ان كل من عقد النكاح على امرأة يحرم على الناكح امهات المنكوحة وجداتها وان علين من الرضاع والنسب بنفس العقد وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن والربائب جمع الربيبة وهي بنت امرأة سميت ربيبة لتربيته اياها وقوله في حجوركم اي في تربيتكم يقال فلان في حجر فلان اذا كان في تربيته دخلتم بهن اي جامعتموهن ويحرم عليه ايضا بنات المنكوحة وبنات اولادها وان سفلن من الرضاع والنسب بعد الدخول بالمنكوحة حتى لو فارق المنكوحة قبل الدخول بها او ماتت جاز له ان ينكح ابنتها ولا يجوز ان ينكح امها لان الله تعالى اطلق تحريم الامهات وقال في تحريم الربائب فان لم تكونوا دخلتم

بهن فلا جناح عليكم • يعني في نكاح بناتهن اذا فارقتموهن او متن وقال علي رضي
الله عنه ام المراة لا تحرم الا بالدخول بالبنت كالربيبة • وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم •
يعني ازواج ابنائكم واحدتها حليلة والذكر حليل سمي بذلك لان كل واحد منهما حلال لصاحبه
وقيل سمي بذلك لان كل واحد يحل حيث يحل صاحبه من الحلول والنزول وقيل لان كل واحد
يحل ازار صاحبه من الحل وهو ضد العقد وجملته انه يحرم على الرجل حلائل ابنائه وابناء اولاده
وان سفلوا من الرضاع والنسب بنفس العقد وانما قال من اصلابكم ليعلم ان حليلة المتبنى لا
تحرم على الرجل الذي تبناه فان النبي صلعم تزوج امراة زيد بن حارثة وكان زيد تبناه ر
سول عم والرابع من المحرمات بالصهرية حليلة الاب والجد وان علا تحرم على الولد وولد الو
لد بنفس العقد سواء كان الاب من الرضاع او من النسب لقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
من النساء وقد سبق ذكره وكل امراة تحرم عليك بعقد النكاح المراة فتحرم بالوطي في ملك
اليمين والوطي بشبهة النكاح حتى لو وطي امراة بالشبهة او جارية بملك اليمين تحرم على الواطي
ام الموطوءة وابنتها وتحرم الموطوءة على اب الواطي وعلى ابنه ولو زنى بامراة فاختلف فيه اهل
العلم فذهب جماعة الى انه لا تحرم على الزاني ام المزني بها وابنتها ولا تحرم الزانية على اب
الزاني وابنه وهو قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة والزهري واليه
ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى التحريم يروى ذلك عن عمران بن حصين وابي هريرة
وبه قال جابر بن زيد والحسن وهو قول اصحاب الراي ولو لمس امراة بشهوة او قبلها فهل
يجعل كالدخول في اثبات حرمة المصاهرة وكذلك لو لمس امراة بشهوة هل يجعل كالوطي
في تحريم الربيبة فيه قولان اصحهما وهو قول اكثر اهل العلم تثبت به الحرمة والثاني لا تثبت
كما لا تثبت بالنظر بالشهوة • وان تجمعوا بين الاختين • لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين
في النكاح سواء كانت الاخوة بينهما بالنسب او بالرضاع فاذا نكح امراة ثم طلقها بائنا جاز له
نكاح اختها وكذلك لو ملك اختين بملك اليمين لا يجوز ان يجمع بينهما في الوطي فاذا وطي احديهما لم
يحل له وطي الاخرى حتى يحرم الاولى على نفسه وكذلك لا يجوز ان يجمع بين المراة وعمتها ولا
بين المراة وخالتها لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال لا يجمع بين المراة وعمتها
ولا بين المراة وخالتها • الا ما قد سلف • يعني لكن ما مضى فهو معفو عنه لانهم كانوا
يفعلونه قبل الاسلام وقال عطاء والسدي الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع

بين ليا ام يهوذا وراحيل ام يوسف وكانتا اختين • ان الله كان غفورا رحيما • و
المحصنات من النساء • يعني ذوات الازواج لا يحل للغير نكاحهن قبل مفارقة الازواج
وهذه السابعة من النساء اللاتي حرمن بالسبب قال ابو سعيد الخدري نزلت في نساء كن
يهاجرن الى رسول الله صلعم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين
فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال • الا ما ملكت ايمانكم • يعني السبايا
اللواتي سبين ولهن ازواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان بالسبي
يرتفع النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدري بعث رسول الله صلعم يوم حنين جيشا
الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن وتحرجوا فانزل
الله هذه الاية وقال عطاء اراد ان تكون امته في نكاح عبده يجوز له ان ينتزعها منه وقال ابن
مسعود اراد ان يبيع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا
فيحل للمشتري وطؤها وقيل اراد بالمحصنات الحرائر ومعناه ان ما فوق الاربع منهن حرام
الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري • كتاب الله عليكم • نصب على المصدر اي
كتب الله عليكم كتاب الله وقيل نصب على الاغراء اي الزموا كتاب الله عليكم اي فرض الله
عليكم • واحل لكم ما وراء ذلكم • قرا ابو جعفر وحمزة والكسائي وحفص احل بضم الالف
وكسر الحاء لقوله حرمت عليكم وقرا الاخرون بالنصب يعني احل الله لكم ما وراء ذلكم اي ما سوى
ذلكم الذي ذكرت من المحرمات • ان تبتغوا • تطلبوا • باموالكم • اي تنكحوا بصداق او تشتروا
بثمن • محصنين • اي متزوجين • غير مسافحين • اي غير زانين ماخوذ من سفح
الماء وصبه وهو المني • فما استمتعتم به منهن • اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد اراد
ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح • فاتوهن اجورهن • اي
مهورهن وقال آخرون هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امراة الى مدة فاذا انقضت تلك المدة
بانت منه بلا طلاق وتستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان ذلك مباحا في ابتداء
الاسلام ثم نهى عنه رسول الله صلعم روي عن ربيع بن سبرة الجهني ان اباه حدثه انه كان
مع رسول الله صلعم فقال يا ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النساء وان
الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن
شيئا روي عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلعم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر

الانسية وهذا مذهب عامة اهل العلم ان نكاح المتعة حرام والاية منسوخة وكان
ابن عباس يذهب الى ان الاية محكمة ويرخص في نكاح المتعة روي عن ابي نضرة قال
سالت ابن عباس عن المتعة فقال اما تقرا سورة النساء فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى
قلت لا اقراها هكذا فقال ابن عباس هكذا انزل الله ثلث مرات وقيل ان ابن عباس
رجع عن ذلك وروى سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر ابن الخطاب صعد المنبر فحمد الله واثنى
عليه فقال ما بال رجال ينكحون هذه المتعة قد نهى رسول الله صلعم لا اجد احدا نكحها الا رجمته
بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الربيع بن سليمان كان
الشافعي يقول لا اعلم في الاسلام شيئا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة • فريضة ولا جنا
ح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة • فمن حمل ما قبلها على نكاح المتعة قال اراد انهما
اذا عقدا الى اجل بمال فاذا تم الاجل فان شاءت المراة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجر
وان لم يتراضيا فارقها ومن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا
جناح عليكم فيما تراضيتم به من الابراء عن المهر والافتداء والاعتياض • ان الله كان
عليما حكيما **فصل في قدر الصداق وفيما يستحب منه** اعلم انه لا تقدير لاكثر الصداق
لقوله تعالى وآتيتم احديهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا والمستحب ان لا يغالى فيه قال عمر بن
الخطاب الا لا تغالوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان
اولاكم بها نبي الله صلعم ما علمت رسول الله صلعم نكح شيئا من نسائه ولا انكح شيئا من بناته على اكثر من اثنتي عشرة
اوقية روى عن ابي سلمة قال سالت عائشة رضي عنها كم كان صداق النبي صلعم قالت كان
صداقه لازواجه اثنتي عشرة اوقية ونش قالت اتدري ما النش قلت لا قالت نصف
اوقية فتلك خمس مائة درهم هذا صداق النبي صلعم لازواجه اما اقل الصداق فاختلفوا فيه
فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل ما جاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو
قول ربيعة وسفين الثوري والشافعي واحمد واسحق قال عمر بن الخطاب في ثلث قبضات
زبيب مهر وقال سعيد لو اصدقها سوطا جاز وقال قوم يتقدر بنصاب السرقة وهو قول
مالك وابي حنيفة غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلثة دراهم وعند ابي حنيفة عشرة دراهم
والدليل على انه لا يتقدر ما روى عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلعم جاءته
امراة فقالت يا رسول الله اني قد وهبت نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال

يا رسول الله زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة فقال رسول الله صلعم هل عندك من شيء تصدقها
اياه فقال ما عندي الا ازاري هذا فقال رسول الله صلعم ان اعطيتها جلست لا ازار لك فا
لتمس شيئا فقال ما اجد قال التمس ولو خاتما من حديد فالتمس فلم يجد شيئا فقال رسول الله
صلعم هل معك من القران شيء قال نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها فقال
النبي صلعم قد زوجتكها بما معك من القران ففيه دليل على انه لا تقدير لاقل الصدا
ق لانه قال التمس شيئا فهذا يدل على جواز اي شيء كان من المال وقال ولو خاتما من
حديد ولا قيمة لخاتم الحديد الا القليل التافه وفي الحديث دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم
القران صداقا وهو قول الشافعي وذهب بعض اهل العلم الى انه لا يجوز وهو قول اصحاب
الراي وكل عمل جاز الاستيجار عليه مثل البناء والخياطة وغير ذلك من الاعمال جاز ان يجعل
صداقا ولم يجوز ابو حنيفة ان يجعل منفعة الحر صداقا والحديث حجة لمن جوزه بدليل ما اخبر
الله تعالى عن شعيب حيث زوج ابنته من موسى عليهما السلام على العمل فقال اني اريد ان انكحك
احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج • ومن لم يستطع منكم طولا • اي فضلا وسعة
ان ينكح المحصنات • الحرائر • المؤمنات • قرا الكسائي المحصنات بكسر الصاد حيث جاء
الا قوله في هذه السورة والمحصنات من النساء وقرا الاخرون بفتح جميعها • فمن ما ملكت
ايمانكم من فتياتكم • اماءكم • المؤمنات • اي من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج
الامة المؤمنة وفيه دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين احدهما ان لا يجد
مهر حرة والثاني ان يكون خائفا على نفسه من العنت وهو الزنا لقوله تعالى في آخر الاية ذلك لمن
خشي العنت منكم وهو قول جابر وبه قال طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب مالك
والشافعي وجوز اصحاب الراي للحر نكاح الامة الا ان يكون في نكاحه حرة اما العبد فيجوز له
نكاح الامة وان كان في نكاحه حرة او امة وعن ابي حنيفة لا يجوز اذا كانت تحته حرة كما
يقول في الحر وفي الاية دليل على انه لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية لانه قال فمما ملكت ايما
نكم من فتياتكم المؤمنات جوز نكاح الامة بشرط ان تكون مؤمنة وقال في موضع آخر وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من
الذين اوتوا الكتاب اي الحرائر جوز نكاح الكتابية بشرط ان تكون حرة وجوز اصحاب الراي
للمسلم نكاح الامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطيها بملك اليمين • والله اعلم بايمانكم •

اى لا تتعرضوا للباطن فى الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم • بعضكم من
بعض • قيل اخوة لبعض وقيل كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء • فانكحو
هن • يعنى الاماء • باذن اهلهن • اى مواليهن • وآتوهن اجورهن • مهورهن • بالمعروف
من غير مطل وضرار • محصنات • عفائف بالنكاح • غير مسافحات • اى غير زانيات • ولا
متخذات اخدان • اى احباب يزنون بهن فى السر قال الحسن المسافحة هى ان كل من
دعاها تبعته وذات الخدن ان تختص بواحد لا تزنى الا معه والعرب كانت تحرم الاولى
وتجوز الثانية • فاذا احصن • قرأ حمزة والكسائى وابو بكر بفتح الالف والصاد اى حفظن
فروجهن وقال ابن مسعود اسلمن وقرأ الاخرون احصن بضم الالف وكسر الصاد اى زوجن
• فان اتين بفاحشة • يعنى الزنا • فعليهن نصف ما على المحصنات • اى الحرائر الابكار اذا زنين
• من العذاب • يعنى الحد فيجلد الرقيق اذا زنى خمسين جلدة وهل يغرب فيه قولان فان
قلنا يغرب يغرب نصف سنة على القول الاصح ولا رجم على العبيد روى عن عبد الله بن عياش
بن ابى ربيعة قال امرنى عمر بن الخطاب فى فتية من قريش فجلدنا ولايد من ولايد الاما
رة خمسين خمسين فى الزنا ولا فرق فى حد المملوك بين من تزوج او لم يتزوج عند اكثر اهل العلم
وذهب بعضهم الى انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنا لان الله تعالى قال فاذا
احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات روى ذلك عن ابن عباس وبه قال
طاوس ومعنى الاحصان عند الاخرين الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان
التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل يراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا بالتزويج
فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الاية وبيان انه بالجلد
فى الخبر وهو ما روى عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلعم يقول اذا زنت امة احدكم
ثم تبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب
عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر • ذلك • يعنى نكاح
الامة عند عدم الطول • لمن خشى العنت منكم • يعنى الزنا يريد المشقة بغلبة الشهوة
• وان تصبروا • عن نكاح الاماء متعففين • خير لكم • كى لا يخلق الولد رقيقا • والله
غفور رحيم • يريد الله ليبين لكم • اى ان يبين لكم كقوله تعالى وامرت لاعدل بينكم
اى ان اعدل وقوله وامرنا لنسلم لرب العالمين وقال فى موضع آخر وامرت ان اسلم

ومعنى الاية يريد الله ليبين لكم اى يوضح لكم شرائع دينكم ومصالح اموركم قال عطاء يبين
لكم ما يقربكم منه قال الكلبى يبين لكم ان الصبر عن نكاح الاماء خير لكم • ويهديكم • ويرشدكم
• سنن • شرائع • الذين من قبلكم • فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة
على من كان قبلكم وقيل ويهديكم الملة الحنيفية وهى ملة ابراهيم عم • ويتوب عليكم • ويتجاوز
عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم وقيل يرجع بكم من المعصية التى كنتم عليها الى طاعته وقيل يوفقكم
للتوبة • والله عليم • بمصالح عباده فى امر دينهم ودنياهم • حكيم • فيما دبر من امورهم
• والله يريد ان يتوب عليكم • ان وقع منكم تقصير فى امر دينه • ويريد الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا • عن الحق • ميلا عظيما • بايتانكم ما حرم عليكم واختلفوا فى الموصوفين
باتباع الشهوات قال السدى هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المجوس لانهم يحلون
نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت وقال مجاهد هم الزناة يريدون ان تميلوا عن الحق
تزنون كما يزنون وقيل هم جميع اهل الباطل • يريد الله ان يخفف عنكم • يسهل عليكم فى احكا
م الشرع وقد سهل كما قال جل ذكره ويضع عنهم اصرهم وقال النبى صلعم بعثت بالحنيفية
السمحة السهلة • وخلق الانسان ضعيفا • قال طاوس والكلبى وغيرهما فى امر النساء لا يصبر
عنهن قال ابن كيسان خلق الانسان ضعيفا يستميله هواه وشهوته وقال الحسن
هو انه خلقه من ماء مهين بيانه قوله تعالى الله الذى خلقكم من ضعف • يا ايها الذين آمنوا
لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل • بالحرام يعنى بالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة
ونحوها وقيل هو العقود الفاسدة • الا ان تكون تجارة • قرأ اهل الكوفة تجارة نصب على
خبر كان اى الا ان تكون الاموال تجارة وقرأ الاخرون بالرفع اى ان تقع تجارة • عن تراض
منكم • اى بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد
البيع فيلزم والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روى عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم قال
المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا الا بيع الخيار • ولا تقتلوا انفسكم •
قال ابو عبيدة اى لا تهلكوها كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل لا تقتلوا انفسكم باكل
المال بالباطل وقيل اراد به قتل المسلم نفسه روى عن ثابت بن الضحاك ان رسول الله صلعم قال من قتل
نفسه بشئ فى الدنيا عذب به يوم القيامة وعن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلعم جرح
رجل فيمن كان قبلكم آراب فجزع منه فاخرج سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال

عز وجل بارتكاب جنايته بنفسه فحرمت عليه الجنة وقال الحسن لا تقتلوا انفسكم يعني اخوانكم اي لا يقتل
بعضكم بعضا ان الله كان بكم رحيما لما روي عن جرير انه قال لي رسول الله صلعم في حجة الوداع
استنصت الناس ثم قال لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ومن يفعل
ذلك يعني ما سبق ذكره من المحرمات عدوانا وظلما فاعلوا ان بمجاوزة الحد والظلم
وضع الشي في غير موضعه فسوف نصليه نارا ندخله في الآخرة نارا يصلى فيها وكان ذلك
على الله يسيرا هينا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اختلفوا في الكبائر التي جعل
الله اجتنابها تكفيرا للصغائر روى فراس وقال سمعت الشعبي عن عبد الله بن عمرو عن النبي
صلعم قال الكبائر الاشراك بالله عز وجل وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس
وروي عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه انه قال قال النبي صلعم الا انبئكم باكبر الكبائر ثلثا
قالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكيا وقال الا وقول
الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وعن عبد الله قال قلت يا رسول اي الذنب
اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قال
ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل تصديق قول النبي صلعم والذين لا يدعون مع
الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون وعن ابي هريرة عن النبي
صلعم قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل
النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
المؤمنات الغافلات قال عبد الله بن مسعود اكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر
الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلعم قال
من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا كيف يسب الرجل والديه قال يسب ابا الرجل
فيسب اباه ويسب امه فيسب امه وعن سعيد بن جبير ان رجلا سال
ابن عباس عن الكبائر اسبع هي قال هي الى السبعمائة اقرب الا انه لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار وقال كل شي عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر فان
الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او
مكذبا بقدر وقال عبد الله بن مسعود ما نهى الله عنه في هذه السورة الى قوله ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه فهو كبيرة وقال علي بن ابي طلحة هي كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او عذاب

او لعنة وقال الضحاك ما اوعد الله عليه حدا في الدنيا او عذابا في الآخرة وقال الحسين بن الفضل
ما سماه الله في القرآن كبيرا او عظيما نحو قوله انه كان حوبا كبيرا ان قتلهم كان خطأ كبيرا
ان الشرك لظلم عظيم ان كيدكن عظيم سبحانك هذا بهتان عظيم ان ذلكم كان عند الله
عظيما قال سفين الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد والصغائر ما كان
بينك وبين الله لان الله كريم يغفر ويصفح لما روي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلعم
ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيمة يا امة محمد ان الله عز وجل قد عفا عنكم جميعا المؤمنين
والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب
اهل البدع والسيئات ذنوب اهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطاء
والنسيان وما اكره عليه وحديث النفس المرفوعة عن هذه الامة وقيل الكبائر ذنوب
المستحلين مثل ذنب ابليس لعنه الله والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنوب آدم عم وقال السدي
الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر والسيئات مقدماتها وتوابعها ما يجتمع فيه
الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباهها قال النبي صلعم العينان تزنيان
واليدان تزنيان والرجلان ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقيل الكبائر ما يستحقره
العباد والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقعته لما روي عن انس قال انكم لتعملون
اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر ان كنا نعدها على عهد رسول الله صلعم من الموبقات وقيل
الكبائر الشرك وما يؤدي اليه وما دون الشرك فهو من السيئات قال الله تعالى ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء نكفر عنكم سيئاتكم اي من الصلوة
الى الصلوة ومن الجمعة الى الجمعة ومن رمضان الى رمضان روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم
يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت
الكبائر وندخلكم مدخلا كريما اي حسنا وهو الجنة قرأ اهل المدينة مدخلا بفتح الميم
وفي الحج وهو موضع الدخول وقرأ الباقون بالضم على المصدر بمعنى الادخال ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله ان الرجال يغزون
ولا نغزو ولهم ضعف ما لنا من الميراث فلو كنا رجالا غزونا كما غزوا واخذنا من الميراث
مثل ما اخذوا فنزلت هذه الآية وقيل لما جعل الله عز وجل للذكر مثل حظ الانثيين في الميراث
قال النساء نحن احق واحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم اقوى واقدر على

على المعاش منا فانزل الله هذه الآية وقال قتادة والسدي لما نزل قوله للذكر مثل حظ
الانثيين قال الرجال انا لنرجوا ان نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة فيكون اجرنا على
الضعف من اجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فقال تعالى للرجال نصيب مما
كتسبوا من الاجر وللنساء نصيب مما اكتسبن معناه ان الرجال والنساء في الاجر في الآخرة
سواء وذلك ان الحسنة تكون بعشر امثالها يستوي فيه الرجال والنساء وان فضل الرجال في
الدنيا على النساء وقيل معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من امر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن
من طاعة الازواج وحفظ الفروج يعني ان كان للرجال فضل الجهاد فللنساء فضل طاعة
الازواج وحفظ الفروج واسئلوا الله من فضله قرأ ابن كثير والكسائي وسلوا وسل
فسل اذا كان قبل السين واو او فاء بغير همز وتنقل حركة الهمزة الى السين والباقون بسكون
السين مهموزا فنهى الله تعالى عن التمني لما فيه من دواعي الحسد والحسد ان يتمنى زوال النعمة
عن صاحبه ويتمناها لنفسه وهو حرام والغبطة ان يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز
قال الكلبي لا يتمنى الرجل مال اخيه ولا خادمه ولا امرأته ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك
في التورية وكذلك في القرآن قال ابن عباس في قوله تعالى واسئلوا من فضله اي من رزقه وقال سعيد بن
جبير من عبادته فهو سؤال التوفيق على العبادة قال سفين بن عيينة لم يأمر بالمسألة الا لان
يعطي ان الله كان بكل شيء عليما ولكل جعلنا موالي اي ولكل واحد من الرجال والنساء
جعلنا موالي اي عصبة يعطون مما ترك الوالدان والاقربون والوالدان والاقربون
هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالي اي ورثة مما ترك اي من الذين تركهم ويكون
ما بمعنى من ثم فسر الموالي فقال الوالدان والاقربون اي هم الوالدين والاقربون فعلى هذا
القول الوالدان والاقربون هم الوارثون والذين عاقدت ايمانكم قرأ اهل الكوفة
بلا الف اي عقدت لهم ايمانكم وقرأ الآخرون عاقدت ايمانكم والمعاقدة المعاهدة والمحالفة
والايمان جمع يمين من اليد والقسم وذلك انهم كانوا عند المحالفة يأخذ بعضهم بيد بعض على
الوفاء والتمسك بالعهد ومحالفتهم ان الرجل في الجاهلية كانوا يعاقد الرجل فيقول دمي دمك
وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي
واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من مال الحليف وكان ذلك ثابتا
في ابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى فآتوهم نصيبهم اي اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ

الله ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقال ابرهيم ومجاهد
اراد فآتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث وعلى هذه الآية غير منسوخة لقوله عز وجل
اوفوا بالعقود وقال رسول الله صلعم في خطبته يوم فتح مكة لا تحدثوا حلفا في الاسلام وما
كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة وقال ابن عباس
نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلعم من المهاجرين والانصار حين قدموا
المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة دون الرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي نسخت
ثم قال والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم من النصر والرفادة والنصيحة فذهب الميراث
ويوصى له وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني وهذه الآية فيهم ثم نسخت ان
الله كان على كل شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء نزلت في سعد بن الربيع
وكان من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد ابي زهير قاله مقاتل وقال الكلبي امرأته بنت
محمد بن سلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلعم فقال افرشته
كريمتي فلطمها فقال النبي صلعم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها فقال النبي
ارجعوا هذا جبريل اتاني فانزل الله هذه الآية فقال النبي صلعم
اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص فقوله الرجال قوامون
على النساء مسلطون على تأديبهن والقوام القيم بمعنى واحد والقوام ابلغ وهو القيم بالمصالح
والتدبير والتاديب بما فضل الله بعضهم على بعض يعني فضل الرجال على النساء
بزيادة العقل والدين والولاية وقيل بالشهادة لقوله تعالى فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
وقيل بالجهاد وقيل بالعبادات من الجمعة والجماعات وقيل هو ان الرجل ينكح اربعا ولا يحل
للمرأة الا زوج واحد وقيل بان الطلاق بيده وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل بالنبوة
وبما انفقوا من اموالهم يعني اعطاء المهر والنفقة روي عن ابي ظبيان ان معاذ بن
جبل قال قال رسول الله صلعم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها
فالصالحات قانتات اي مطيعات حافظات للغيب اي للفروج في غيبة الازواج
وقيل لسرهم بما حفظ الله قرأ ابو جعفر حفظ الله بنصب اي يحفظهن الله في الطاعة وقراءة
العامة بالرفع واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن واصل النشوز التكبر والارتفاع ومنه النشز للموضع المرتفع وقيل بما حفظهن الله بايصاء الازواج بحقهن وامرهم
باداء المهر والنفقة وقيل حافظات للغيب بحفظ الله روي عن ابي هريرة قال قال رسول صلعم خير

النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها
ثم تلا الرجال قوامون الاية • فعظوهن • بالتخويف من الله والوعيد عظ بالقول • واهجروهن
ان لم ينزجرن عن ذلك بالقول فاهجروهن • في المضاجع • قال ابن عباس يوليها ظهره في الفراش
ولا يكلمها وقال غيره يعتزل عنها الى فراش آخر • واضربوهن • ان لم ينزعن مع الهجران فاضربوهن
ضربا غير مبرح ولا شائن قال عطاء ضربا بالسواك وقد جاء في الحديث عن النبي صلعم
في حق المرأة ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تهجر الا
في البيت • فان اطعنكم • فلا تبغوا عليهن سبيلا • اي لا تجنوا عليهن الذنوب وقال
ابن عيينة لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن • ان الله كان عليا كبيرا • متعاليا
من ان يكلف العباد ما لا يطيقونه فظاهر الاية يدل على ان الزوج يجمع عليها بين الوعظ والهجران
والضرب فذهب بعضهم الى ظاهرها وقال اذا ظهر النشوز جمع بين هذه الافعال وحمل الخوف
في قوله واللاتي تخافون نشوزهن على العلم كقوله تعالى فمن خاف من موص جنفا اي علم ومنهم من
حمل الخوف على الخشية لا على حقيقة العلم كقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة وقال هذه الافعال
على ترتيب الجرائم فان خاف نشوزها بان ظهرت اماراته منها من المخاشنة وسوء الخلق وعظها
فان ابدت النشوز هجرها فان اصرت على ذلك ضربها • وان خفتم شقاق بينهما • يعني خلافا
بين الزوجين والخوف بمعنى اليقين وقيل هو بمعنى الظن ان ظننتم شقاق بينهما وجملته انه اذا ظهر
بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصفح ولا الفرقة ولا المرأة تادية
الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا بعث الامام حكما من اهله اليه وحكما من
اهلها اليها رجلين حرين عدلين ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث اليه ان
رغبته في الوصلة او الفرقة ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلاح
فذلك قوله عز وجل • فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها • ان يريدا اصلاحا • يعني
الحكمين • يوفق الله بينهما • يعني بين الزوجين وقيل بين الحكمين • ان الله كان عليما خبيرا • روي
عن عبيدة انه قال في هذه الاية وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها
قال جاء رجل وامرأة الى علي رضي الله عنه ومع كل واحد منهما فئام من الناس فامرهم علي فا
بعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما ان رأيتما ان تجمعا ان
تجمعا وان رأيتما ان تفرقا ان تفرقا قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال

الرجل اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله حتى تقر بمثل الذي اقرت به واختلف القول
في جواز بعث الحكمين من غير رضى الزوجين فاصح القولين انه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم
الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المرأة ان يخلع على مالها الا باذنها وهو قول اصحاب
الرأي لان عليا حين قال الرجل اما الفرقة فلا قال كذبت حتى تقر بمثل الذي اقرت به فثبت
ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاه والقول الثاني يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز
لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم المرأة ان يخلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح فيه
كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا قال ليس المراد
من قول علي للرجل حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان المرأة رضيت بما في كتاب الله
فقال الرجل اما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله فقال علي كذبت حيث انكرت ان
تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وغيره
لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الوزر وذلك تارة يكون بالفراق وتارة بصلاح
حالهما في الوصلة • واعبدوا الله • وحدوه واطيعوه • ولا تشركوا به شيئا روي عن معاذ بن
جبل قال كنت رديف النبي صلعم فقال هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس قال قلت الله ورسوله
اعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا اتدري يا معاذ ما حق الناس على الله
اذا فعلوا ذلك قال قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الناس على الله ان لا يعذبهم قال قلت
يا رسول الله الا ابشر الناس قال دعهم يعملوا • وبالوالدين احسانا • برا بهما وعطفا
عليهما • وبذي القربى • اي احسنوا بذي القرابة • واليتامى والمساكين • روي عن سهل
قال قال رسول الله صلعم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفر
ج بينهما شيئا وعن ابي امامة عن النبي صلعم قال من مسح راس يتيم لم يمسحه الا لله كان له بكل
شعرة تمر عليها يده حسنات ومن احسن الى يتيمة او يتيم عنده كنت انا وهو في الجنة كهاتين
وقرن بين اصبعيه • والجار ذي القربى • اي ذي القرابة • والجار الجنب • اي البعيد الذي ليس
بينك وبينه قرابة روي عن طلحة قال قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ان لي جارين
فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا وعن ابي ذر رضي قال قال رسول الله صلعم لا تحقرن
من المعروف شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه طليق واذا طبخت مرقة فاكثر ماءها واغرف
لجيرانك منها وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلعم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه

سبوٓرته والصاحب بالجنب يعني الرفيق في السفر قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة
وقال علي وعبد الله والنخعي هو المرأة تكون معه الى جنبه وقال ابن جريج وابن زيد هو الذي يصحبك
رجاء نفعك وابن السبيل هو الضيف لانه ملازم للسبيل والاكثرون على انه الضيف وروى عن
ابي شريح الخزاعي ان النبي صلعم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره ومن كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت
وعن ابي شريح الكعبي ان رسول الله صلعم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
جائزته يوم وليلة والضيافة ثلثة ايام فما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل ان يثوي عنده
حتى يحرجه وما ملكت ايمانكم اي المماليك احسنوا اليهم روى عن ام سلمة عن النبي صلعم انه كان يقول
في مرضه الذي مات فيه الصلاة وما ملكت ايمانكم فجعل يتكلم وما يفيض بها لسانه وعن المعرور
عن المعروف عن ابي ذر قال رايت عليه بردا وعلى غلامه بردا فقلت لو اخذت هذا فلبسته كانت
حلة واعطيته ثوبا آخر فقال كان بيني وبين رجل كلام وكانت امه اعجمية فنلت منها فذكرني
الى النبي صلعم فقال لي اساببت فلانا قلت نعم قال افنلت من امه قلت نعم قال انك امرؤ فيك
جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن جعل
الله اخاه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه
ما يغلبه فليعنه عليه وعن ابي بكر الصديق عن النبي صلعم قال لا يدخل الجنة سيء الملكة ان الله
لا يحب من كان مختالا فخورا المختال المتكبر والفخور الذي يفخر على الناس بغير الحق
تكبرا ذكر هذا بعد ما ذكر من الحقوق لان المتكبر يمنع الحق تكبرا وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلعم بينما رجل يتبختر في بردين وقد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها
الى يوم القيمة وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم قال لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثوبه
خيلاء الذين يبخلون البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه وفي الشرع منع الواجب
ويامرون الناس بالبخل قرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الباء والخاء وكذلك في سورة الحديد
وقرأ الآخرون بضم الباء وسكون الخاء نزلت في اليهود بخلوا ببيان صفة محمد صلعم وكتموا
ها قال سعيد بن جبير هذا في كتمان العلم وقال ابن عباس وابن زيد نزلت في كردم بن زيد
وحيي بن اخطب ورفاعة بن التابوت واسامة بن حبيب ونافع ابن نافع وبحري بن عمرو

وكانوا ياتون رجالا من الانصار ويخالطونهم فيقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى
عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله هذه الاية ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
يعني المال وقيل يعني يبخلون بالصدقة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر محل الذين نصب عطف على
الذين يبخلون وقيل خفض عطف على قوله واعتدنا للكافرين نزلت في اليهود وقال السدي في المنا
فقين وقيل في مشركي مكة المنفقين على عداوة الرسول عم ومن يكن الشيطان له قرينا صاحبا
وخليلا فساء قرينا فبئس الشيطان قرينا وهو نصب على التفسير وقيل على القطع بالقاء الالف
واللام كما تقول نعم رجلا عبد الله وكما قال الله تعالى بئس للظالمين بدلا وساء مثلا وماذا
عليهم اي ما الذي عليهم واي شيء عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله
عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة ونظمه ما ذا عليهم لو آمنوا وانفقوا فان الله لا يظلم اي لا
يبخس ولا ينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرة وزن ذرة والذرة هي النملة الحمراء
الصغيرة وقيل الذر اجزاء الهباء في الكوة وكل جزء ذرة ولا يكون لها وزن وهذا مثل
يريد ان الله لا يظلم شيئا كما قال في اية اخرى ان الله لا يظلم الناس شيئا روى عن انس ان
رسول الله صلعم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في
الآخرة قال واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى
بها خيرا وروى عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلعم اذا خلص المؤمنون من النار وآمنوا
فما مجادلة احدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا اشد مجادلة من المؤمنين لربهم في اخوانهم
الذين ادخلوا النار قال فيقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا
ويحجون معنا فادخلتهم النار قال فيقول اذهبوا فاخرجوا من عرفتم منهم فياتونهم
فيعرفونهم بصورهم لا تاكل النار صورهم فمنهم من اخذته النار الى انصاف ساقيه ومنهم
من اخذته الى كعبيه فيخرجونهم فيقولون ربنا قد اخرجنا من امرتنا قال ثم يقول
اخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الايمان ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار
حتى يقول من كان في قلبه مثقال ذرة قال ابو سعيد فمن لم يصدق بهذا فليقرأ هذه
الاية ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا
عظيما قال فيقولون ربنا قد اخرجنا من امرتنا فلم يبق في النار احد فيه خير ثم يقول الله عز وجل

شفعت الملائكة وشفعت الانبياء وشفع المؤمنون وبقي ارحم الراحمين قال فيقبض قبضة من النار او قال فيخرج ناسا لم يعملوا لله خيرا قط قد احترقوا حتى صاروا فحما فيؤتى بهم الى ماء يقال له ماء الحيوة فيصب عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل قال فيخرج اجسادهم مثل اللؤلؤ في اعناقهم الخاتم عتقاء الله فيقال لهم ادخلوا الجنة فما تمنيتم او رايتم من شيء فهو لكم قال فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين قال فيقول فان عندي لكم افضل منه فيقولون ربنا وما افضل من ذلك فيقول رضائي عنكم فلا اسخط عليكم ابدا وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلعم ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول الله اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر او حسنة فيبهت الرجل قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم اليوم عليك فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة قال فلا يثقل اسم الله شيء وقال قوم هذا في الخصوم روي عن عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيمة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى مناد الا من كان يطلب مظلمة فليجيء الى حقه فليأخذه فيفرح المرء ان يذوب له الحق على والده وولده او زوجته او اخيه فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله عز وجل فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم الآية ويؤتى بالعبد وينادي مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا بقي له مثقال ذرة من حسنة فان الملائكة يا ربنا بقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضلي ورحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله عز وجل خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار فمعنى الآية على هذا التاويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم بل ياخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة بل يثيبه

بل يثيبه عليها ويضعفها له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها قرأ اهل الحجاز حسنة بالرفع اي وان توجد حسنة وقرأ الآخرون بالنصب على معنى وان تك زنة الذرة حسنة يضاعفها قرأ ابن كثير وابن عامر يضعفها اي يجعلها اضعافا كثيرة ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يقدر قدره فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اي فكيف الحال وكيف تصنعون اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيها يشهد عليهم بما عملوا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا شاهدا يشهد على جميع الامم على من رآه ومن لم يره روي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم اقرأ علي قلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل قال نعم فقرأت سورة النساء حتى اذا اتيت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان يومئذ اي يوم القيمة يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض قرأ اهل المدينة وابن عامر تسوى بفتح التاء وتشديد السين على معنى تتسوى فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء التفعل كقوله لا تكلم نفس الا باذنه وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين على الفعل المجهول اي لو سويت بهم الارض وصاروا هم والارض شيئا واحدا وقال قتادة وابو عبيدة يعني لو تخرقت الارض فساخوا فيها وعادوا اليها ثم تسوى بهم اي عليهم وقيل ودوا لو انهم لم يبعثوا لانهم انما نقلوا من التراب وكان الارض مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونوا ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو كان ترابا كما قال الله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ولا يكتمون الله حديثا قال عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلعم ولا نعته وقال الآخرون بل هو كلام مستانف يعني ولا يكتمون الله حديثا لان ما عملوه لا يخفى على الله فلا يقدرون على كتمانه وقال الكلبي وجماعة لا يكتمون الله حديثا لان جوارحهم تشهد عليهم قال سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس اني اجد في القرآن اشياء تختلف علي قال هات ما اختلف عليك قال فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال ولا يكتمون الله حديثا وقال والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا وقال ام السماء بناها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها فذكر خلق السماء قبل خلق الارض ثم قال قال ائنكم لتكفرون

بالذي خلق الارض في يومين الى طائعين فذكر في هذه الاية خلق الارض قبل خلق السماء وقال
وكان الله غفورا رحيما عزيزا حكيما فكانه كان ثم مضى فقال ابن عباس فلا انساب بينهم
في النفخة الاولى وقال فنفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا انساب
عند ذلك ولا يتساءلون ثم في النفخة الآخرة اقبل بعضهم على بعض يتساءلون واما قوله
ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا فان الله يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم فقال المشر
كون تعالوا نقول لم نكن مشركين فيختم على افواههم فتنطق ايديهم فعند ذلك عرفوا
ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا
يكتمون الله حديثا وخلق الارض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن
في يومين آخرين ثم دحى الارض ودحيها ان اخرج منها ماءها ومرعاها وخلق الجبال والآكام
وما بينهما في يومين آخرين فقال خلق الارض في يومين فخلقت الارض وما فيها من شيء
في اربعة ايام وخلقت السموات في يومين وكان الله غفورا رحيما اي لم يزل كذلك فلا يختلف
عليك فان كلا من عند الله وقال الحسن ان للقيمة مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا
همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من
سوء وفي موطن يعترفون على انفسهم فهو قوله فاعترفوا بذنبهم وفي موطن يتساءلون
وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم
وهو قوله ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
والمراد من السكر السكر من الخمر عند الاكثرين وذلك ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما
ودعا ناسا من اصحاب النبي صلعم واتاهم بخمر فشربوا قبل تحريم الخمر وسكروا فحضرت
صلوة المغرب فقدموا رجلا ليصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف
لا هكذا الى آخر السورة فانزل الله تعالى هذه الاية فكانوا بعد نزول هذه الاية يجتنبون
السكر اوقات الصلوة حتى نزل تحريم الخمر وقال الضحاك بن مزاحم اراد به سكر النوم نهى
عن الصلوة عند غلبة النوم روي عن عائشة قالت قال رسول الله صلعم اذا نعس احدكم
وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ينعس يذهب
يستغفر فيسب نفسه حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا نصب على الحال يعني ولا
تقربوا الصلوة وانتم جنب يقال رجل جنب وامراة جنب ورجال جنب ونساء جنب

واصل الجنابة البعد وسمي جنبا لانه يتجنب موضع الصلوة او لمجانبته الناس وبعده منهم حتى يغتسل
الا عابري سبيل حتى تغتسلوا اختلفوا في معناه فقال بعضهم الا ان تكونوا مسافرين ولا
تجدون الماء فتيمموا منع الجنب من الصلوة حتى يغتسل الا ان يكون في سفر لا يجد ماء فيصلي با
لتيمم وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقال الآخرون المراد من الصلوة
موضع الصلوة كقوله تعالى وبيع وصلوات ومعناه لا تقربوا المسجد وانتم جنب الا مجتاز
ين فيه للخروج مثل ان ينام في المسجد فيجنب او تصيبه جنابة والماء في المسجد او يكون طريقه عليه
فيمر فيه ولا يقيم وهذا قول عبد الله بن مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن وعكر
مة والنخعي والزهري وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا
ماء عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم في العبور واختلف اهل العلم فيه فاباح
بعضهم المرور فيه على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنع بعضهم على الاطلاق
وهو قول اصحاب الراي وقال بعضهم يتيمم للمرور فيه اما المكث فيه فلا يجوز عند اكثر اهل العلم
لما روينا عن عائشة ان رسول الله صلعم قال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا احل المسجد
لحائض ولا جنب وجوز احمد المكث فيه وضعف الحديث لان راويه مجهول وبه قال المزني
ولا يجوز للجنب الطواف كما لا يجوز له الصلوة ولا يجوز له قراءة القران روي عن عمرو بن مرة
قال سمعت عبد الله بن سلمة يقول دخلت على علي فقال كان رسول الله صلعم يقضي الحاجة ويا
كل معنا ويقرا القرآن وكان لا يحجبه ولا يحجزه عن قراءة القران شيء ليس الجنابة وغسل الجنابة
يجب باحد الامرين اما بنزول المني او بالتقاء الختانين وهو تغيب الحشفة في الفرج وان لم ينزل
وكان الحكم في الابتداء ان من جامع امراته فاكسل لا يجب عليه الغسل ثم صار منسوخا روي
عن سعيد بن المسيب ان ابا موسى الاشعري سال عائشة عن التقاء الختانين فقالت عائشة
قال رسول الله صلعم اذا التقى الختانان فقد وجب الغسل وان كنتم مرضى جمع مريض واراد
به مرضا يضره امساس الماء مثل الجدري ونحوه او كان على موضع طهارته جراحة يخاف
من استعمال الماء فيه التلف او زيادة الوجع فانه يصلي بالتيمم وان كان الماء موجودا
وان كان بعض اعضاء طهارته صحيحا والبعض جريحا غسل الصحيح منها وتيمم للجريح لما
روي عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه فاحتلم فسال اصحابه
هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات

فلما قدمنا على النبي صلعم اخبر بذلك قال قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذا لم يعلموا فانما شفاء
العي السوال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او يعصب شك موسى على جرحه خرقة ثم يمسح
عليها ويغسل سائر جسده ولم يجوز اصحاب الراي الجمع بين التيمم والغسل وقالوا ان كان
اكثر اعضائه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث
حجة لمن اوجب الجمع بينهما • او على سفر • اراد به اذا كان في سفر طويلا كان او قصيرا
وعدم الماء فانه يصلي بالتيمم ولا اعادة عليه لما روي عن ابي ذر قال قال رسول الله صلعم ان
الصعيد الطيب وضوء المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين فان وجد الماء فليمس بشرته واما
اذا لم يكن الرجل مريضا ولا في سفر لكنه عدم الماء في موضع لا يعدم فيه الماء غالبا بان كان
في قرية انقطع ماؤها فانه يصلي بالتيمم ثم يعيد اذا قدر على الماء عند الشافعي وعند مالك
والاوزاعي لا اعادة عليه وعند ابي حنيفة يوخر الصلوة حتى يجد الماء • او جاء احد منكم من
الغائط • اراد به اذا احدث والغائط اسم للمطمئن من الارض وكانت عادة العرب
اتيان الغائط للحدث فكني عن الحدث بالغائط • او لامستم النساء • قرا حمزة والكسائي
لمستم ههنا وفي المائدة وقرا الباقون لامستم واختلفوا في معنى اللمس والملامسة فقال
قوم هما المجامعة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وكني باللمس عن الجماع لان ال
لمس يوصل الى الجماع وقال قوم هما التقاء البشرتين سواء كان بجماع او غير جماع وهو قول
ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي واختلف الفقهاء في حكم الاية فذهب جماعة الى انه اذا
افضى الرجل بشيء من بدنه الى شيء من بدن المراة ولا حائل بينهما ينتقض وضوؤهما وهو
قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي وقال مالك والليث
بن سعد واحمد واسحق ان كان اللمس بشهوة نقض الطهر وان لم يكن بشهوة فلا ينقض
وقال قوم لا ينتقض الوضوء باللمس على كل حال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري وقال
ابو حنيفة لا ينتقض الا ان يحدث الانتشار واحتج من لا يوجب الوضوء باللمس بما روي
عن عائشة زوج النبي صلعم انها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلعم ورجلاي في
قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي فاذا قام بسطتهما قالت والبيوت يومئذ ليس
فيها مصابيح ورواه عن عائشة زوج النبي صلعم قالت كنت نائمة الى جنب رسول الله صلعم
ففقدته من الليل فلمسته بيدي فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد وهو يقول اعوذ

برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على
نفسك واختلف قول الشافعي فيما لو لمس امراة من ذي رحم كالام والبنت والاخت او لمس
اجنبية صغيرة اصح القولين انه لا ينتقض الوضوء لانها ليست بمحل الشهوة كما لو لمس رجلا واختلف
قوله في انتقاض وضوء الملموس احدهما ينتقض لاشتراكهما في الالتذاذ كما يجب الغسل عليهما بالجماع
والثاني لا ينتقض لحديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد
ولو لمس شعر امراة او سنها او ظفرها لا ينتقض وضوؤه عنده واعلم ان المحدث لا تصح صلوته
ما لم يتوضا اذا وجد الماء لما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لا يقبل الله صلوة احدكم اذا احدث
حتى يتوضا والحدث هو خروج الخارج من احد السبيلين عينا كان او اثرا او الغلبة على العقل بجنون
او اغماء على اي حال كان اما النوم فمذهب الشافعي انه يوجب الوضوء الا ان ينام قاعدا فلا وضوء عليه
لما روي عن حميد عن انس قال كان اصحاب رسول الله صلعم ينتظرون العشاء وينامون احسبه قال
قعودا حتى تخفق رؤوسهم ثم يصلون ولا يتوضؤن وذهب قوم الى ان النوم يوجب الوضوء بكل
حال وهو قول ابي هريرة وعائشة وبه قال الحسن واسحق والمزني وذهب قوم الى انه لو نام
قائما او قاعدا او ساجدا لا وضوء عليه حتى ينام مضطجعا وبه قال الثوري وابن المبارك واصحا
ب الراي واختلفوا في لمس امراة كما بينا واختلفوا في مس الفرج من نفسه ومن غيره فذهب جماعة
الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة
وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير واليه ذهب الاو
زاعي والشافعي واحمد واسحق وكذلك المراة تمس فرجها غير ان الشافعي يقول لا ينتقض الا ان
يمس ببطن الكف او ببطون الاصابع واحتجوا بما روي عن محمد بن عمرو بن حزم انه سمع عروة بن
الزبير يقول دخلت على مروان بن الحكم فذكرنا ما يكون منه الوضوء فقال مروان من مس
الذكر الوضوء فقال عروة ما علمت ذلك فقال مروان اخبرتني بسرة بنت صفوان انها
سمعت رسول الله صلعم يقول اذا مس احدكم ذكره فليتوضا وذهب جماعة الى انه لا
يوجب الوضوء روي ذلك عن علي وابن مسعود وابي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن
واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصحاب الراي واحتجوا بما روي عن طلق بن علي ان
النبي صلعم سئل عن مس الرجل ذكره فقال هل هو الا مضغة او بضعة منه ومن اوجب
الوضوء قال هذا منسوخ بحديث بسرة لان ابا هريرة يروي ايضا الوضوء من مس

الذكر وهو متأخر الإسلام وكان قدوم طلق بن علي على رسول الله صلعم أول زمن الهجرة حين كان يبني المسجد واختلفوا في خروج النجاسة من غير المخرجين بالفصد والحجامة والقيء وغيرها فذهب جماعة إلى أنه لا يوجب الوضوء روي ذلك عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وسعيد بن المسيب وإليه ذهب مالك والشافعي وذهب جماعة إلى إيجاب الوضوء بالقيء والرعاف والحجامة والفصد منهم سفين الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد وإسحق واتفقوا على أن القليل منه وخروج الريح من غير السبيلين لا يوجب الوضوء ولو أوجب الوضوء كثيره لأوجبه قليله كالغائط فلم تجدوا ماء فتيمموا اعلم أن التيمم من خصائص هذه الأمة روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلعم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء وكان بدء التيمم ما روي عن عائشة زوج النبي صلعم قالت خرجنا مع رسول الله صلعم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلعم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس أبا بكر فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلعم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلعم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلعم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلعم على فخذي فنام رسول الله صلعم حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فأرسل رسول الله صلعم ناسا من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلوة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبي صلعم شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجا وجعل للمسلمين فيه بركة قوله فتيمموا أي اقصدوا صعيدا طيبا أي ترابا طاهرا نظيفا قال ابن عباس الصعيد هو التراب واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي إلى أنه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما يعلق باليد منه غبار لأن النبي صلعم [قال] وجعلت تربتها لنا طهورا وجوز

أصحاب الرأي التيمم بالزرنيخ والجص والنورة وغيرها من طبقات الأرض حتى قالوا لو ضرب يده على صخرة لا غبار عليها أو على تراب ثم نفخ فيه حتى زال التراب كله فمسح به وجهه ويديه صح تيممه وقالوا الصعيد وجه الأرض لما روي عن جابر أن النبي صلعم قال جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وهذا مجمل وحديث حذيفة في تخصيص التراب مفسر والمفسر من الحديث يقضي على المجمل وجوز بعضهم بكل ما هو متصل بالأرض من شجر ونبات ونحوها وقالوا لأن الصعيد اسم لما تصاعد عن وجه الأرض والقصد إلى التراب شرط لصحة التيمم لأن الله تعالى قال فتيمموا والتيمم القصد حتى لو وقف في مهب الريح فأصاب الغبار وجهه ونوى لم يصح فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا اعلم أن مسح الوجه واليدين واجب في التيمم واختلفوا في كيفيته فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يمسح الوجه واليدين مع المرفقين بضربتين يضرب بكفيه على التراب فيمسح جميع وجهه ولا يجب إيصال التراب إلى ما تحت الشعور ثم يضرب ضربة أخرى فيمسح يديه إلى المرفقين لما روي عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلعم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام إلى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي ففيه دليل على أن التيمم لا يصح ما لم يعلق باليد غبار التراب لأن النبي صلعم حت الجدار بالعصا ولو كان بمجرد الضرب كافيا لكان لا حاجة وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى المنكبين لما روي عن عمار أنه قال تيممنا إلى المناكب وذلك حكاية فعله ولم ينقله عن النبي صلعم كما روي أنه قال أجنبت فتمعكت فلما سأل النبي صلعم أمره بالوجه والكفين انتهى إليه وذهب جماعة إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء بن أبي رباح ومكحول وإليه ذهب الأوزاعي وأحمد وإسحق واحتجوا بما روي عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال إني أجنبت فلم أصب الماء فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت فصليت فذكرت للنبي صلعم إنما يكفيك هذا فضرب النبي صلعم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه وقال محمد بن إسمعيل نا محمد بن كثير عن شعبة بإسناده وقال قال عمار لعمر تمعكت فأتيت النبي صلعم فقال يكفيك الوجه والكفين وفي الحديث دليل على أن الجنب إذا لم يجد الماء يصلي بالتيمم وتذكر الحائض والنفساء إذا طهرتا وعدمتا الماء وذهب عمر وابن مسعود إلى أن الجنب لا يصلي بالتيمم بل يؤخر الصلوة إلى أن يجد الماء فيغتسل وحملا قوله تعالى

اولامستم النساء على اللمس باليد دون الجماع وحديث عمار حجة وكان عمر نسي ماذكره له عمار
فلم يقنع بقوله وروي ان ابن مسعود رجع عن قوله وجوز التيمم للجنب والدليل عليه ايضا ما
روي عن عمران بن حصين ان النبي صلعم امر رجلا كان جنبا ان يتيمم ثم يصلي فاذا وجد الماء
اغتسل وماروي عن ابي ذر قال اجتمعت غنيمة من الصدقة عند رسول الله صلعم فقال يا اباذر
ابد فيها فبدوت الى الربذة وكانت تصيبني الجنابة فامكث الخمس والست فاتيت رسول
الله صلعم فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فامسه جلدك فان
ذلك خير ومسح الوجه واليدين تارة يكون بدلا عن غسل جميع البدن في حق الجنب والحايض والنفساء
والميت وتارة عن غسل الاعضاء الاربعة في حق المحدث وتارة يكون بدلا عن غسل بعض اعضاء
الطهارة بان يكون على بعض اعضائه جراحة لا يمكنه غسل محلها فعليه ان يتيمم بدلا عن غسله ولا
يصح التيمم لصلوة الوقت الا بعد دخول الوقت ولا يجوز ان يجمع بين فريضتين بتيمم واحد لان
الله قال اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الى ان قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ظاهر الاية يدل
على وجوب الوضوء او التيمم اذا لم يجد الماء عند كل صلوة الا ان الدليل قد قام في الوضوء بان النبي
صلعم صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد فبقي التيمم على ظاهره وهذا قول علي وابن عباس
وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي واحمد واسحق وذهب جماعة
الى ان التيمم كالطهارة بالماء يجوز تقديمه على وقت الصلوة ويجوز ان يصلي ما شاء به من الفرايض
ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري واصحاب الراي واتفقوا على انه
يجوز ان يصلي بتيمم واحد مع الفريضة ما شاء من النوافل قبل الفريضة وبعدها وان يقرأ القرآن
ان كان جنبا وان كان انما يتيمم لعذر السفر وعدم الماء فيشترط طلب الماء وهو ان يطلب من رحله
ومن رفقائه وان كان في صحراء لا حائل دون نظره ينظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب
من تل او جدار عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب
وعند ابي حنيفة طلب الماء ليس بشرط فان راى الماء ولكن بينه وبين الماء حائل من عدو او سبع يخاف
من الذهاب اليه او كان الماء في بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم يصلي بالتيمم ولا اعادة
عليه ﴿الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب﴾ يعني يهود المدينة قال ابن عباس نزلت
في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلعم لويا لسانهما وعاباه فا
نزل الله هذه الاية ﴿يشترون﴾ يستبدلون ﴿الضلالة﴾ يعني بالهدى ﴿ويريدون ان تضلوا السبيل﴾

اي عن السبيل يا معشر المؤمنين ﴿والله اعلم باعدائكم﴾ منكم فلا تستنصحوهم فانهم اعداؤكم
﴿وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا﴾ قيل متصلة بقوله الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هي مستانفة معناه من الذين هادوا
من يحرف فعلى هذا يكون كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي من له مقام معلوم يريد فريق ﴿يحرفون
الكلم﴾ يغيرون ﴿عن مواضعه﴾ يعني صفة محمد صلعم قال ابن عباس كانت اليهود ياتون رسول
الله صلعم يسألونه عن الامر فيخبرهم فيرى انهم ياخذون بقوله فاذا انصرفوا من عنده حرفوا
كلامه ﴿ويقولون سمعنا﴾ قولك ﴿وعصينا﴾ امرك ﴿واسمع غير مسمع﴾ اي اسمع منا ولا
نسمع منك غير مسمع اي غير مقبول منك وقيل كانوا يقولون للنبي صلعم اسمع ثم يقولون في انفسهم
لا سمعت ﴿وراعنا﴾ اي ويقولون راعنا يريدون به النسبة الى الرعونة ﴿ليا بالسنتهم﴾ تحريفا
﴿وطعنا﴾ قدحا ﴿في الدين﴾ لان قوله راعنا من المراعاة وهم يحرفونه يريدون به الر
عونة ﴿ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا﴾ اي انظر الينا مكان قولهم راعنا
﴿لكان خيرا لهم واقوم﴾ اي اعدل واصوب ﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا﴾ الا نفرا قليلا منهم وهو عبد الله بن سلام ومن اسلم معه ﴿يا ايها الذين اوتوا الكتاب
آمنوا بما نزلنا﴾ يعني القرآن ﴿مصدقا لما معكم﴾ يعني التورية وذلك ان النبي
صلعم كلم احبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن اسد فقال يا معشر يهود اتقوا الله
واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئت به لحق فقالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر
ونزلت هذه الاية ﴿من قبل ان نطمس وجوها﴾ قال ابن عباس نجعلها كخف البعير وقال
قتادة والضحاك نعميها والمراد بالوجه العين ﴿فنردها على ادبارها﴾ اي نطمس الوجه فنرده
الى القفا وقيل نجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القردة لان منابت شعور الآدميين
في ادبار وجوههم وقيل معناه نمحو آثارها وما فيها من عين وانف وفم وحاجب فنجعلها
فنجعلها كالاقفاء وقيل نجعل عينيه على القفا فيمشي القهقرى روي ان عبد الله بن سلام لما سمع
هذه الاية جاء الى النبي صلعم قبل ان ياتي اهله ويده على وجهه واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان
اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي وكذلك كعب الاحبار لما سمع هذه الاية اسلم في زمن عمر رضي
عنه فقال يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيد هذه الاية فان قيل قد اوعدهم
الله بالطمس ان لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل ذلك قيل هذا الوعيد باق ويكون طمس ومسخ في اليهود

قبل قيام الساعة وقيل كان هذا وعيدا بشرط فلما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه رفع
ذلك عن الباقين وقيل اراد به في القيمة وقال مجاهد اراد بقوله نطمس وجوها اي نتركهم في
الضلالة فيكون المراد طمس وجه القلب والرد عن بصائر الهدى على ادبارها في الكفر والضلالة
واصل الطمس المحو والافساد والتحويل وقال ابن زيد نمحو آثارهم من وجوههم ونواحيهم
التي بها فنردها على ادبارها حتى يعودوا الى حيث جاءوا منه بدءا وهو الشام وقال
قد مضى ذكره وتأوله في اجلاء بني النضير الى اذرعات واريحا من ارض الشام او نلعنهم
كما لعنا اصحاب السبت فنجعلهم قردة وخنازير وكان امر الله مفعولا قال الكلبي نزلت في
وحشي بن حرب واصحابه التوبة وذلك انه لما قتل حمزة كان قد جعل له على قتله ان يعتق فلم
يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلعم انا قد ندمنا على الذي
صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله
الها الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه
الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلعم
اليهم فلما قرأوا كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزل ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان
لا نكون من اهل مشيئته فنزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية فبعث بها اليهم فدخ
لوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلعم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره
قال ويحك غيب وجهك عني فلحق وحشي بالشام فكان بها الى ان مات وقال ابو مجلز
عن ابن عمر لما نزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعا قام رجل فقال والشرك يا رسول الله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلثا
فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال مطرف بن الشخير قال ابن عمر كنا على عهد رسول
الله صلعم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادات حكي عن علي
ان هذه الاية ارجى آية في القرآن ومن يشرك بالله فقد افترى اختلق اثما عظيما روي
عن جابر قال اتى النبي صلعم رجل فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك
بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار روي عن ابي ذر انه قال اتيت

النبي صلعم وعليه ثوب ابيض وهو نايم ثم اتيته وقد استيقظ فقال ما من عبد قال لا اله الا
الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قال
وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق على رغم انف
ابي ذر وكان ابو ذر اذا حدث بها قال وان رغم انف ابي ذر الم تر الى الذين يزكون
انفسهم قال الكلبي نزلت في رجال من اليهود بحري بن عمرو ونعمان بن اوفى ومرحب
بن زيد اتوا باطفالهم الى النبي صلعم قالوا يا رسول الله هل على هؤلاء من ذنب فقال لا قالوا ما
نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل
الله هذه الاية وقال مجاهد وعكرمة كانوا يقدمون اطفالهم في الصلوة يزعمون انهم لا ذ
نوب لهم فتلك التزكية وقال الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل نزلت في اليهود والنصا
رى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وقال عبد الله بن مسعود هو تزكية بعضهم لبعض روى طارق بن شهاب عن ابن مسعود
قال ان الرجل ليغدو من بيته ومعه دينه فياتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا فيقول
والله انك لذيت وذيت فيرجع الى بيته وما معه من دينه شيء ثم قرا الم تر الى الذين
يزكون انفسهم بل الله يزكي اي يطهر ويبرئ من الذنوب ويصلح من يشاء ولا
يظلمون فتيلا وهو اسم لما في شق النواة والقطمير اسم للقشرة التي على النواة والنقير اسم للنقطة
التي تكون على ظهر النواة وقيل الفتيل من الفتل وهو ما يخرج بين الاصبعين من الوسخ عند
الفتل انظر يا محمد كيف يفترون يختلقون على الله الكذب في تغييرهم كتابه وكفى به اي
بالكذب اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
اختلفوا فيهما قال عكرمة هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله وقال ابو عبيدة
هما كل معبود يعبد من دون الله قال الله تعالى ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال
عمر الجبت السحر والطاغوت الشيطان وهو قول الشعبي ومجاهد وقيل الجبت الاوثان والطا
غوت شياطين الاوثان ولكل صنم شيطان يعبر عنها فيغتر بها الناس وقال محمد بن سير
ين ومكحول الجبت الكاهن والطاغوت الساحر وقال سعيد بن جبير وابو العالية الجبت السا
حر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن وروي عن عكرمة الجبت بلسان الحبشة شيطان
وقال الضحاك الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف دليله قوله يريدون ان

ان يتحاكموا الى الطاغوت روى عن قطن بن قبيصة عن ابيه ان النبي صلعم قال العيافة والطرق
والطيرة من الجبت وقيل الجبت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما يطغي الانسان • ويقولون للذين
كفروا هولاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا • قال المفسرين خرج كعب بن الاشرف في سبعين
راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلعم وينقضوا العهد الذي
كان بينهم وبين رسول الله صلعم فنزل كعب على ابي سفين فاحسن مثواه ونزلت اليهود في دور
قريش فقال اهل مكة انكم اهل • كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم
فان اردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون
بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة ليجي منكم ثلثون ومنا ثلثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد
رب الكعبة البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قالوا ابو سفين لكعب انك امرء تقرا الكتاب
وتعلم ونحن لا نعلم نحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي
دينكم فقال ابو سفين نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل
الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم
وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه
محمد فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعبا واصحابه يؤمنون بالجبت
والطاغوت يعني الصنمين ويقولون للذين كفروا ابي سفين واصحابه هولاء اهدى من الذين
آمنوا بمحمد واصحابه سبيلا دينا • اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام
لهم • يعني الهم والميم صلة • نصيب حظ • من الملك • وهذا على جهة الانكار يعني ليس لهم من
الملك شي ولو كان لهم من الملك شي • فاذا لا يؤتون الناس نقيرا • يحسدهم ويبخلهم والنقير
النقطة التي تكون في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وابو العالية وهو نقر الرجل الشي بطرف اصبعه كما
ينقر الدرهم • ام يحسدون الناس يعني اليهود يحسدون الناس قال قتادة والمراد بالناس
العرب حسدهم اليهود وما اكرمهم الله تعالى بمحمد صلعم وقيل اراد محمدا واصحابه وقال ابن عباس
والحسن ومجاهد وجماعة المراد بالناس رسول الله صلعم وحده حسدوه على ما احل الله له من النساء
وقالوا ما له هم الا النكاح والمراد من قوله • على ما آتاهم من فضله • وقيل حسدوه على النبوة
وهو المراد من الفضل المذكور في الاية • فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة • اراد بآل ابرهيم
داود وسليمان وبالكتاب ما انزل عليهم وبالحكمة النبوة • وآتيناهم ملكا عظيما • فمن فسر الفضل

بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النساء فانه كان لسليمان
الف امراة ثلثمائة مهرية وسبعمائة سرية وكان لداود مائة امراة ولم يكن يومئذ
لرسول الله صلعم الا تسع نسوة فلما قال لهم ذلك سكتوا قال الله تعالى • فمنهم من آمن
به • يعني بمحمد صلعم وهم عبد الله بن سلام واصحابه • ومنهم من صد عنه • اعرض عنه
ولم يؤمنوا به • وكفى بجهنم سعيرا • وقودا وقيل الملك العظيم ملك سليمان وقال السدي
الهاء في قوله آمن به وصد عنه راجعة الى ابراهيم عم وذلك ان ابرهيم زرع ذات سنة زرعا
وزرع الناس فهلك زرع الناس وزكى زرع ابرهيم عم فاحتاج الناس اليه فكان
يقول من آمن بي اعطيته فمن آمن منهم اعطاه ومن لم يومن منعه • ان الذين كفروا بآياتنا
سوف نصليهم • ندخلهم • نارا كلما • نضجت • احترقت • جلودهم بدلناهم جلو
دا غيرها • غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي
ان هذه الاية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال عمر للقارئ اعدها فاعادها وكان
عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا
سمعت رسول الله صلعم قال الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عو
دوا فيعودون كما كانوا وروي عن ابي هريرة عن النبي صلعم قال ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلثة
ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة قال قال رسول صلعم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد
وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام فان قيل كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعصه قيل يعاد
الجلد الاول في كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبدل صفتها كما تقول صنعت من خاتمي خاتما
غيره فالخاتم الثاني هو الاول الا ان الصياغة والصفة تبدلت وكمن يترك اخاه صحيحا
ثم بعد مدة يراه مريضا دنفا فيقول انا غير الذي عهدت وهو عين الاول الا انه ان صفته
تغيرت وقال السدي يبدل الجلد جلدا غيره من لحم الكافر يعيد الجلد لحما ثم يخرج من اللحم جلدا
آخر وقيل يعذب الشخص في الجلد لا الجلد بدليل انه قال • ليذوقوا العذاب • ولم يقل لتذوق
وقال عبد العزيز بن يحيى ان الله عز وجل يلبس اهل النار جلودا لا تالم فتكون زيادة عذاب عليهم
فكلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره كما قال سرابيلهم من قطران فالسرابيل تؤلمهم وهي لا تا
لم • ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا • كنا

كننا لا تمسه الشمس ولا يؤذيهم برد ولا حر قوله عز وجل إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانا
ت إلى أهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل
النبي صلعم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلعم المفتاح
فقيل إنه مع عثمان فطلب منه فأبى وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح فلوى علي بن
أبي طالب يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلعم البيت وصلى فيه ركعتين
فلما خرج سأله العباس المفتاح أن يعطيه ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية
فأمر رسول الله صلعم عليا أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه ففعل ذلك علي فقال له عثمان
أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله في شأنك وقرأ عليه الآية فقال عثمان
أشهد أن محمدا رسول الله وأسلم وكان المفتاح معه فلما مات دفعه إلى أخيه شيبة فالمفتاح
والسدانة في أولادهم إلى يوم القيمة وقيل المراد من الآية جميع الأمانات روى عن أنس قال قل
ما خطبنا رسول الله صلعم إلا قال لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وإذا حكمتم
بين الناس أن تحكموا بالعدل أي بالقسط إن الله نعما أي نعم الشيء الذي يعظكم به
إن الله كان سميعا بصيرا روى عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص يرفعه إلى
النبي صلعم فالمقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين هم الذين
يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا روى عن عطية بن أبي سعيد قال قال رسول الله صلعم إن
أحب الناس إلى الله يوم القيمة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل وإن أبغض الناس
إلى الله يوم القيمة وأشدهم عذابا إمام جائر يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الأمر منكم اختلفوا في أولي الأمر قال قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء
الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد دليله قوله تعالى ولو ردوه
إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وقال أبو هريرة هم الأمراء
والولاة قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأما
نة فإذا فعل ذلك حق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلعم من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن
يعص الأمير فقد عصاني وروى عبد الله عن النبي صلعم قال السمع والطاعة على المرء المسلم فيما
أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة روى عن عبادة بن الصا
مت

قال بايعنا رسول الله صلعم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننا
زع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم وروى
عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلعم قال لأبي ذر اسمع وأطع ولو لعبد حبشي كأن رأسه ز
بيبة وعن أبي أمامة أنه يقول سمعت رسول الله صلعم يخطب في حجة الوداع فقال اتقوا
الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكوة أموالكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة
ربكم وقيل المراد أمراء السرايا وعن ابن عباس أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
الأمر منكم قال نزلت في عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدي إذ بعثه النبي صلعم في
سرية وقال عكرمة أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وروى عن حذيفة قال
قال رسول الله اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال عطاء هم المها
جرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان بدليل قوله تعالى والسابقون الأولون من
المهاجرين والأنصار الآية وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلعم مثل أصحابي في أمتي
كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح قال قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح
فإن تنازعتم أي اختلفتم في شيء من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله من
النزع كأن المتنازعين يتجاذبان ويتمانعان فردوه إلى الله والرسول أي إلى كتاب
الله وإلى رسوله ما دام حيا وبعد وفاته إلى سنته والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن
وجد فيهما فإن لم يوجد فسبيله الاجتهاد وقيل الرد إلى الله والرسول أن تقول لما لا نعلم
الله ورسوله أعلم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير أي الرد إلى الله
والرسول خير وأحسن تأويلا أي أحسن مآلا وعاقبة ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم
آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت الآية
قال الشعبي كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي نتحا
كم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ولا يميل في الحكم وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود
لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ويميلون في الحكم فاتفقا على أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه
فنزلت هذه الآية قال جابر كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها واحد في جهينة وواحد
في أسلم وفي كل حي واحد كهان وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت في رجل من
المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق إلى محمد

وقال المنافق بل الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فابى اليهودي الا ان يخ
صمه الا الى رسول الله صلعم فلما راى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلعم فقضى رسول الله صلعم
لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فاتيا عمر فقال اليهودي
اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم اليك فقال عمر للمنافق
اكذلك قال نعم قال لهما رويدكما حتى اخرج اليكما فدخل البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم
خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي بين من لم يرض بقضاء رسوله فنزلت
هذه الاية وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقال السدي كان
ناس من اليهود اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية اذا قتل رجل من
بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به واخذ ديته مائة وسق تمرا واذا قتل رجل من
بني النضير رجلا من بني قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستون وسقا وكانت النضير وهم
حلفاء الاوس اشرف واكثر من قريظة وهم حلفاء الخزرج فلما جاء الله بالاسلام
وهاجر النبي صلعم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقال
بنو النضير كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلون منا وديتكم ستون وسقا
وديتنا مائة وسق فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية
لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا ونحن وانتم اليوم اخوة وديننا ودينكم واحد فلا فضل
لكم علينا فقال المنافقون منهم انطلقوا الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون من
الفريقين لا بل الى النبي صلعم فابى المنافقون وانطلقوا الى ابي بردة ليحكم بينهم فقال
اعظموا اللقمة يعني الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فابوا
ان يعطوه فوق عشرة اوساق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله اية القصاص وهذه
الاية ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان
يتحاكموا الى الطاغوت يعني الكاهن وكعب بن الاشرف وقد امروا ان يكفروا به ويريد
الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الر
سول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا اي يعرضون عنك اعراضا فكيف اذا
اصابتهم مصيبة هذا وعيد اي فكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم
يعني عقوبة صدودهم وقيل هي كل مصيبة تصيب جميع المنافقين في الدنيا والاخرة ثم الكلام

ههنا ثم عاد الكلام الى ما سبق يخبر عن فعلهم فقال ثم جاؤوك يعني يتحاكمون الى الطاغوت
ثم جاؤوك اي يجيئونك ويحلفون لك وقيل اراد بالمصيبة قتل عمر المنافق ثم جاؤوا يطلبون د
يته ويحلفون بالله ان اردنا ما اردنا بالعدول عنه في المحاكمة وبالترافع الى عمر الا
احسانا وتوفيقا قال الكلبي الا احسانا في القول وتوفيقا صوابا وقال ابن كيسان
حقا وعدلا نظيره وليحلفن ان اردنا الا الحسنى وقيل هو احسان بعضهم الى بعض وقيل
هو تقريب الامر من الحق لا القضاء على مر الحكم والتوفيق هو موافقة الحق وقيل
هو التاليف والجمع بين الخصمين اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق
اي علم ان ما في قلوبهم خلاف ما على السنتهم فاعرض عنهم اي عن عقوبتهم وقيل فاعرض
عن قبول عذرهم وعظهم باللسان وقل لهم في انفسهم قولا بليغا قيل هو التخويف
بالله وقيل توعدهم بالقتل ان لم يتوبوا قال الحسن القول البليغ ان يقول لهم ان اظهرتم
ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لانه يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقال الضحاك فاعرض عنهم
وعظهم في الملا وقل لهم في انفسهم قولا بليغا في السر والخلاء وقيل هو منسوخ باية القتال وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله اي بامر الله يعني ان طاعة الرسول وجبت بامر الله قال الزجاج
الا ليطاع لان الله قد اذن فيه وامر به وقيل الا ليطاع كلام تام كاف باذن الله اي بعلم
الله وقضائه اي وقوع طاعته يكون باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بتحاكمهم الى الطا
غوت جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما قوله
عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية روي عن عروة بن الزبير ان الزبير
كان يحدث انه خاصم رجلا من الانصار قد شهد بدرا الى رسول الله صلعم في شراج من الحرة
كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله صلعم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب
الانصاري فقال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلعم ثم قال اسق
ثم احبس حتى يبلغ الجدر فاستوعى رسول الله صلعم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلعم
قبل ذلك اشار الى الزبير براي فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري رسول الله صلعم
استوعى للزبير في صريح الحكم قال عروة قال الزبير والله ما احسب هذه الاية نزلت الا في
ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية وروي ان الانصاري
الذي خاصم الزبير كان اسمه حاطب بن ابي بلتعة فلما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان

العضا فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد
فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد
اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا
فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس
اما والله ان الله ليعلم مني الصدق فلو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت فانزل الله في شان
حاطب بن بلتعة فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية وقال مجاهد والشعبي نزلت في بشر
المنافق واليهودي اللذين اختصما الى عمر قوله فلا معناه ليس الامر كما يزعمون انهم مؤمنون
ثم لا يرضون بحكمك ثم استانف القسم وربك لا يؤمنون ويجوز ان تكون لا في قوله فلا صلة
كما في قوله لا اقسم حتى يحكموك اي يجعلوك حكما فيما شجر بينهم اي اختلف واختلط من امرهم و
والتبس عليهم حكمه ومنه الشجر لالتفاف اغصانه بعضها على بعض ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا قال مجاهد شكا وقال غيره ضيقا مما قضيت وقال الضحاك اثما اي يأثمون بانكارهم
ما قضيت ويسلموا تسليما اي ينقادوا لامرك انقيادا قوله عز وجل ولو انا كتبنا فرضنا
واوجبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم كما امرنا بني اسرائيل او اخرجوا من دياركم
كما امرنا بني اسرائيل بالخروج من مصر ما فعلوه معناه انا ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول
والرضا بحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور ما كان يفعله الا قليل منهم نزلت
في ثابت بن قيس وهو من القليل الذي استثنى الله وقال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الاية قال
عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من اصحاب النبي صلعم وهم القليل والله لو امرنا
لفعلنا فالحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلعم فقال ان من امتي لرجالا الايمان
اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي قرأ ابن عامر واهل الشام الا قليلا منهم بالنصب
على الاستثناء وكذلك هو في مصحف اهل الشام وقيل فيه اضمار تقديره الا ان يكون قليلا منهم وقرأ
الاخرون قليل بالرفع على الضمير الفاعل في قوله فعلوه تقديره الا نفر قليل فعلوه ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به اي يؤمرون به من طاعة الرسول والرضا بحكمه لكان خيرا لهم
واشد تثبيتا تحقيقا وتصديقا لايمانهم واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ثوابا
وافرا ولهديناهم صراطا مستقيما اي الى الصراط المستقيم قوله عز وجل ومن يطع الله والر
سول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلعم وكان شديد

١٨٩

الحب لرسول الله صلعم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال
له رسول الله صلعم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك
استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع
النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك
ابدا فنزلت هذه الاية وقال قتادة قال بعض اصحاب النبي صلعم كيف يكون الحال في الجنة و
انت في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل هذه الاية ومن يطع الله في اداء
الفرائض والرسول في السنن فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين اي لا تفوتهم رؤية
الانبياء ومجالستهم لانهم يرفعون الى درجة الانبياء والصديقين وهم افاضل اصحاب
النبي صلعم والصديق المبالغ في الصدق والشهداء قيل هم الذين استشهدوا يوم احد
وقيل الذين استشهدوا في سبيل الله والصالحين قيل هم اهل الاعتقاد والعمل اذا لم يكن
فساد في الاعتقاد والمعصية فساد في العمل فالصالح قد شهد له الدين الله بانه حق وقال عكرمة
النبيون ههنا محمد صلعم والصديق يعني ابو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلي والصالحون سائر
الصحابة رضي الله عنهم وحسن اولئك رفيقا يعني رفقاء في الجنة والعرب تضع الواحد مو
ضع الجمع كقوله نخرجكم طفلا اي اطفالا ويولون الدبر اي الادبار روي عن انس ان رجلا
قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم فقال رسول الله صلعم المرء مع من احب
وروي عن انس بن مالك قال قال رجل يا رسول الله متى الساعة قال وما اعددت لها
فلم يذكر كثيرا الا انه يحب الله ورسوله قال فانت مع من احببت ذلك الفضل من
الله وكفى بالله عليما اي بثواب الاخرة وقيل بمن اطاع رسول الله واحبه وفيه بيان
انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم انما نالوها بفضل الله عز وجل روي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلعم قاربوا وسددوا واعلموا انه لا ينجو احد منكم بعمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل يا ايها الذين آمنوا خذوا
حذركم من عدوكم اي عدتكم وآلتكم من السلاح والحذر والحذر واحد كالمثل والمثل
والشبه والشبه فانفروا اخرجوا ثبات اي سرايا متفرقين سرية بعد سرية
والثبات جماعات في تفرقة واحدتها ثبة او انفروا جميعا اي مجتمعين كلكم مع نبيكم صلعم
قوله عز وجل وان منكم لمن ليبطئن نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل

الايمان في الجنسية والنسب واظهار الاسلام لا في حقيقة الايمان لَيُبَطِّئَنَّ اي ليتاخرن
وليتثاقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن ابي المنافق واللام في ليبطئن لام القسم والتبطئة
التاخر عن الامر يقال ما بطّأ بك عنا اي ما اخرك ويقال ابطأ ابطاء وبطّأ يبطّئ
تبطئة فان اصابتكم مصيبة اي قتل وهزيمة قال قد انعم الله علي بالقعود اذ
لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا في تلك الغزوة فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل
من الله فتح وغنيمة ليقولن هذا المنافق وفيه تقديم وتاخير فقوله كان لم تكن بينكم
وبينه مودة متصل بقوله فان اصابتكم مصيبة تقديره فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم
الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم يكن بينكم وبينه مودة اي معرفة قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب
تكن بالتاء والباقون بالياء ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم في تلك
الغزاة فافوز فوزا عظيما اي اخذ نصيبا وافرا من الغنيمة وقوله فافوز نصب على جواب
التمني بالفاء كما تقول وددت ان اقوم فيتبعني الناس قوله تعالى فليقاتل في سبيل
الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة قيل نزلت في المنافقين ومعنى يشرون يشترون
يعني الذين يختارون الدنيا على الاخرة ومعناه آمنوا ثم قاتلوا وقيل نزلت في المؤمنين
المخلصين ومعناه فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون اي يبيعون الحيوة الدنيا بالاخرة
ويختارون الاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل يعني يستشهد او يغلب يظفر
فسوف نؤتيه في كلا الوجهين اجرا عظيما ويدغم ابو عمرو والكسائي الباء في الفاء حيث
كان روى عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه
من بيته الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي
خرج منه مع ما نال من اجر او غنيمة وروى عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال مثل المجاهد
في سبيل الله كمثل القانت الصائم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله الى
اهله بما يرجعه من غنيمة او اجر او يتوفاه فيدخله الجنة وما لكم لا تقاتلون اي لا تجاهد
ون في سبيل الله في طاعة الله يعاتبهم على ترك الجهاد والمستضعفين اي وعن المستضعفين
وقال ابن شهاب في سبيل الله المستضعفين لتخليصهم وقيل في تخليص المستضعفين من ايدي
المشركين وكانوا بمكة جماعة من الرجال والنساء والولدان يلقون من المشركين اذى كثيرا
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اي المشرك اهلها يعني

اهلها يعني

القرية التي من صفتها ان اهلها مشركون وانما خفض الظالم لانه نعت للاهل فلما عاد
الاهل على القرية صار كان الفعل لها كما يقال مررت برجل حسنة عينه واجعل لنا من لدنك
وليا اي من يلي امرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا اي من يمنع العدو عنا فاستجاب
الله دعوتهم فلما فتح رسول الله صلعم مكة ولى عليهم عتاب بن اسيد وجعله الله لهم نصيرا
ينصف المظلومين من الظالمين الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله اي في طاعة الله والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي في طاعة الشيطان فقاتلوا ايها المؤمنون اولياء
الشيطان اي حزبه وجنوده وهم الكفار ان كيد الشيطان مكره كان ضعيفا
كما فعل يوم بدر لما راى الملائكة خاف ان ياخذوه فهرب وخذلهم قوله عز وجل الم تر الى الذ
ين قيل لهم كفوا ايديكم الاية قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد
بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص وجماعة كانوا يلقو
ن من المشركين بمكة اذى كثيرا قبل ان يهاجروا ويقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم
فانهم قد آذونا فيقول لهم رسول الله صلعم كفوا ايديكم فاني لم اومر بقتالهم واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة فلما هاجروا الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين شق ذلك
على بعضهم قال الله تعالى فلما كتب فرض عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون
الناس يعني يخشون مشركي مكة كخشية الله اي كخشيتهم من الله او اشد اكبر خشية وقيل
معناه واشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال الجهاد لولا هلا اخرتنا الى
اجل قريب يعني الموت يعني هلا تركتنا حتى نموت باجالنا واختلفوا في هؤلاء الذين
قالوا ذلك قيل قوم من المنافقين لان قوله لم كتبت علينا القتال لا يليق بالمؤمنين وقيل
قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا واهل
الايمان يتفاضلون في الايمان وقيل هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من
الجبن وتخلفوا عن الجهاد قل يا محمد متاع الدنيا اي منفعتها والاستمتاع بها قليل والاخرة
اي وثواب الاخرة خير وافضل لمن اتقى الشرك ومعصية الرسول ولا يظلمون فتيلا
قرأ ابن كثير وابو جعفر وحمزة والكسائي بالياء والباقون تظلمون فتيلا روى عن
المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلعم ما الدنيا في الاخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه
في اليم فلينظر بم يرجع قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت اي ينزل بكم الموت

نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم
بقوله اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والبروج الحصون والقلاع
والمشيدة المرفوعة المطولة قال قتادة معناه في قصور محصنة والشيد الجص وان تصبهم
حسنة نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم قالوا لما قدم رسول الله صلعم المدينة ما زلنا نعرف
النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه قال الله تعالى وان تصبهم
يعني اليهود حسنة اي خصب ورخص في السعر يقولون هذه من عند الله لنا وان تصبهم
سيئة يعني الجدب وغلاء الاسعار يقولوا هذه من عندك اي من شؤم محمد صلعم واصحابه
وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد يقولوا هذه
من عندك اي انت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا يكون هذا من قول المنافقين قل لهم يا
محمد كل من عند الله اي الحسنة والسيئة كلها من عند الله ثم عيرهم بالجهل فقال فمال هؤلاء
القوم يعني المنافقين واليهود لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يفقهون قولا وقيل
الحديث هاهنا هو القران اي لا يفقهون معاني القران فما لهؤلاء قال الفراء كثرت في الكلام
هذه الكلمة حتى توهموا ان اللام متصلة بما وانهما حرف واحد ففصلوا اللام مما بعدها
في بعضه ووصلوا في بعضه والاتصال القراءة ولا يجوز الوقف على اللام لانها لام
خافضة ما اصابك من حسنة خير ونعمة فمن الله وما اصابك من سيئة بلية وامر تكرهه
فمن نفسك اي بذنوبك الخطاب للنبي صلعم والمراد غيره نظيره قوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم وتعلق اهل القدر بظاهر هذه الاية وقالوا نفى الله تعالى
السيئة عن نفسه ونسبها الى العبد فقال وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم
فيه لانه ليس المراد من الاية حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصي بل المراد
منه ما يصيبهم من النعم والمحن وذلك انه ليس من فعلهم بدليل انه نسبها الى غيرهم ولم ينسبها
اليهم فقال ما اصابك ولا يقال في الطاعة والمعصية اصابني انما يقال اصبتها ويقال في النعم
والمحن اصابني بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا
لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر حسنات الكسب وسيئاته
نسبها اليه ووعد الثواب والعقاب فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن
جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقيل معنى الاية ما اصابك من حسنة النصر والظفر يوم

بدر فمن الله اي من فضل الله وما اصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم احد فمن نفسك
اي بذنب نفسك من مخالفة الرسول صلعم فان قيل كيف وجه الجمع بين قوله قل كل من عند الله
وبين قوله فمن نفسك قيل قوله قل كل من عند الله اي الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من
عند الله وقوله فمن نفسك اي ما اصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك كما قال وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يدل عليه ما روي مجاهد عن ابن عباس انه قرا وما
اصابك من سيئة فمن نفسك وانا كتبتها عليك وقال بعضهم هذه الاية متصلة بما قبلها والقول
فيه مضمر تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وارسلناك يا محمد للناس
رسولا وكفى بالله شهيدا على ارسالك وصدقك وقيل وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة
كلها من عند الله قوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله وذلك ان النبي صلعم كان
يقول من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد
هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فانزل الله عز وجل من
يطع الرسول فيما امر به فقد اطاع الله ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك يا محمد عليهم
حفيظا اي حافظا ورقيبا بل كل امورهم اليك قيل نسخ الله عز وجل هذه الاية باية السيف
وامره بقتال من خالف الله ورسوله ويقولون طاعة يعني المنافقين يقولون باللسان للرسول
صلعم انا امنا بك فمرنا فامرك طاعة قال النحويون اي امرنا وشاننا ان نطيعك
فاذا برزوا خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول قال قتادة والكلبي
بيت اي غير وبدل الذي عهد اليهم النبي صلعم ويكون التبييت بمعنى التبديل وقال ابو عبيدة
والقتيبي معناه قالوا وقدروا ليلا غير ما اعطوك نهارا وكل ما قدر بليل فهو مبيت
وقال ابو الحسن الاخفش تقول العرب للشيء اذا قدر قد بيت يشبهونه بتقدير بيوت
الشعر والله يكتب اي يثبت ويحفظ ما يبيتون ما يزورون ويغيرون ويقدرون
وقال الضحاك عن ابن عباس ما يسرون من النفاق فاعرض عنهم يا محمد ولا تعاقبهم
وقيل ولا تخبر باسمائهم منع الرسول صلعم من الاخبار باسماء المنافقين وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا اي اتخذه وكيلا وكفى بالله وكيلا ناصرا افلا يتدبرون القران يعني
افلا يتفكرون في القران والتدبر هو النظر في اخر الامر ودبر الشيء اخره ولو كان من عند غير
الله

لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي تفاوتا وتناقضا كثيرا قاله ابن عباس وقيل لوجدوا فيه اي
في الاخبار عن الغيب بما كانوا وبما يكون اختلافا كثيرا فلا يتفكرون فيه فيعرفون بعدم التنا
قض فيه وصدق ما يخبر به انه كلام الله لان ما لا يكون من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف
قوله عز وجل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به وذلك ان النبي صلعم كان
يبعث السرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم فيفشونه ويحدثو
نه قبل ان يحدث به رسول الله صلعم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله واذا جاء
هم يعني المنافقين امر من الامن اي من الفتح والغنيمة او الخوف من القتل والهزيمة اذاعوا
به اشاعوه وافشوه ولو ردوه الى الرسول اي لم يحدثوا به حتى يكون النبي صلعم هو الذي
يحدث به والى اولي الامر منهم اي ذوي الراي من الصحابة مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي
رضي لعلمه الذين يستنبطونه منهم يستخرجونه وهم العلماء علموا ما ينبغي ان يكتم
وما ينبغي ان يفشى والاستنباط الاستخراج يقال استنبطت الماء اذا استخرجته وقال
عكرمة يستنبطونه اي يحرصون عليه ويسئلون وقال الضحاك يتبعونه يريد الذين سمعوا
تلك الاخبار من المؤمنين والمنافقين لو ردوه الى الرسول صلعم والى ذوي الراي والعلم لعلمه الذين
يستنبطونه اي يحبونه ان يعلموه على حقيقته كما هو ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لاتبعتم الشيطان الا قليلا فان قيل كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع
الكل الشيطان قيل هو راجع الى ما قبله معناه اذاعوا به الا قليلا لم يفشه وعنى بالقليل المؤ
منين وهذا قول الكلبي واختيار الفراء وقال لان علم السرايا اذا ظهر علمه المستنبط وغيره
والاذاعة قد يكون في بعض دون بعض وقيل لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا ثم قوله
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان كلام تام وقيل فضل الله الاسلام ورحمته
القرآن يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان الا قليلا وهم قوم اهتدوا قبل مجيء الرسول ونزول
القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما وفي الاية دليل على جواز
القياس وان من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية وهو النص ومنه ما يدرك بالاستنباط
وهو القياس على المعاني المودعة في النصوص قوله عز وجل فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا
نفسك وذلك ان رسول الله صلعم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي
القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله عز وجل فقاتل

في سبيل الله لا تكلف الا نفسك اي لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين
ولو وحدك فان الله قد وعدك النصر وعاتبهم على ترك القتال والفاء في قوله فقاتل جواب
عن قوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فقاتل وحرض
المؤمنين على القتال اي حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب فخرج رسول الله صلعم في سبعين راكبا
فكفاهم الله القتال فقال جل ذكره عسى الله اي لعل الله ان يكف باس الذين كفروا
اي قتال المشركين وعسى من الله واجب والله اشد باسا اي اشد صولة واعظم سلطانا
واشد تنكيلا اي عقوبة قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها
ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها اي نصيب قال ابن عباس الشفاعة الحسنة
هي الاصلاح بين الناس والشفاعة السيئة هي المشي بالنميمة بين الناس وقيل الشفاعة
الحسنة هي حسن القول في الناس ينال به الثواب والخير والسيئة هي الغيبة واساءة القول في
الناس ينال به الشر وقوله كفل منها اي من وزرها وقال مجاهد هي شفاعة الناس بعضهم
لبعض ويوجر الشفيع على شفاعته وان لم يشفع روي عن ابي موسى قال كان النبي صلعم جالسا
اذ جاءه رجل سائل او طالب حاجة اقبل علينا بوجهه فقال اشفعوا فلتوجروا وليقضي الله
على لسان نبيه ما شاء وكان الله على كل شيء مقيتا قال ابن عباس مقتدرا مجازيا
قال الشاعر وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا [illegible] ان يقيت من
يقوت ويقيت واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها التحية هي دعاء بالحيوة والمراد
بالتحية ههنا السلام يقول اذا سلم عليكم مسلم فاجيبوا باحسن منها مما سلم او ردوها
اي ردوا عليه كما سلم فاذا قال السلام عليكم فقل عليكم السلام ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة
الله فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد مثله
روي ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس ان
السلام انتهى الى البركة وروي عن عمران بن حصين ان رجلا جاء النبي صلعم فقال السلام عليكم
فرد عليه فقال عشرة ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فقال عشرون ثم جاء
آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فقال ثلثون واعلم ان السلام سنة
ورد السلام فريضة وهو فرض على الكفاية وكذلك الابتداء بالسلام سنة على الكفاية فاذا سلم
واحد من جماعة كان كافيا في السنة واذا سلم واحد على جماعة فرد واحد منهم سقط الفرض عن جميعهم

روى خ ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا
تؤمنوا حتى تحابوا اولا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم روى خ عن عبد الله
بن عمرو ان رجلا سال رسول الله صلعم اي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرا السلام على من
عرفت ومن لم تعرف ومعنى قوله اي الاسلام خير يريد اي خصال الاسلام خير وقيل فحيوا باحسن
منها اذا كان الذي سلم مسلما او ردوها مثلها اذا لم يكن مسلما وروى خ عبد الله بن عمر قال قال
رسول الله صلعم ان اليهود اذا سلم عليكم احدهم فانما يقول السام عليك فقل عليك ان الله كان
على كل شيء حسيبا اي على كل شيء من رد السلام بمثله او باحسن منه حسيبا اي حاسبا مجازيا
وقال مجاهد حفيظا وقال ابو عبيدة كافيا يقال حسبي هذا اي كفاني الله لا اله الا هو ليجمعنكم
لام القسم تقديره والله ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور الى يوم القيمة لا ريب فيه وسميت القيمة
قيامة لان الناس يقومون من قبورهم قال الله تعالى يوم يخرجون من الاجداث وقيل لقيامهم
الى الحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا اي قولا
ووعدا قرا حمزة والكسائي اصدق وكل صاد ساكنة بعدها دال باشمام الزاي فما لكم في المنا
فقين فئتين اختلفوا في سبب نزولها فقال قوم نزلت في الذين تخلفوا يوم احد من المنافقين
فلما رجعوا قال بعض الصحابة لرسول الله صلعم اقتلهم فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم
فانهم تكلموا بالاسلام روى خ زيد بن ثابت قال لما خرج النبي صلعم الى احد رجع ناس ممن خرج
معه وكان اصحاب النبي صلعم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت فما لكم
في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا وقال انها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النار خبث
الفضة وقال بعضهم هم قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم ارتدوا واستاذنوا رسول الله صلعم
الى مكة لياتوا ببضايع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقايل يقول
هم منافقون وقايل يقول هم مؤمنون وقال بعضهم نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة
واسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين حتى باعدوا من المدينة كتبوا الى رسول الله صلعم
انا على الذي فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم
خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم فنقتلهم وناخذ ما
معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة كيف تقتلون قوما على دينكم ان لم يذروا ديارهم
وكان هذا بعين النبي صلعم وهو ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين فنزلت هذه الاية

وقال بعضهم هم قوم اسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين فنزلت فما لكم
يا معشر المؤمنين في المنافقين فئتين اي فرقتين مختلفتين والله اركسهم اي نكسهم وردهم الى الكفر بما
كسبوا باعمالهم غير الزاكية اتريدون ان تهدوا ان ترشدوا من اضل الله وقيل معناه
اتقولون ان هؤلاء مهتدون وقد اضلهم الله ومن يضلل الله اي من يضلله الله عن
الهدى فلن تجد له سبيلا طريقا الى الحق ودوا تمنوا يعني اولئك الذين رجعوا عن الدين
لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء في الكفر وقوله فتكونون لم يرد به جواب
التمني لان جواب التمني بالفاء منصوب انما اراد النسق اي ودوا لو تكفرون وودوا لو تكونون
سواء مثل قوله ودوا لو تدهن فيدهنون اي ودوا لو تدهن وودوا لو يدهنون
فلا تتخذوا منهم اولياء منع من موالاتهم حتى يهاجروا في سبيل الله معكم قال عكرمة
هي هجرة اخرى والهجرة على ثلاثة اوجه هجرة المؤمنين في اول الاسلام وهي قوله تعالى للفقراء
المهاجرين وقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ونحوهما من الايات وهجرة المنافقين
وهي الخروج في سبيل الله مع رسول الله صلعم صابرا محتسبا كما حكي هاهنا منع من موالاتهم حتى يهاجروا
في سبيل الله وهجرة سائر المؤمنين وهي ما قال النبي صلعم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه عز وجل
فان تولوا اعرضوا عن التوحيد والهجرة فخذوهم اي خذوهم اسارى ومنه يقال للاسير اخيذ
واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ثم استثنى طائفة
منهم فقال الا الذين يصلون الى قوم هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان
موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون اي ينتسبون اليهم ويتصلون بهم ويد
خلون فيهم بالحلف والجوار قال ابن عباس يريد يلجؤون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اي
عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلعم وادع هلال بن عويمر الاسلمي قبل خروجه الى مكة على ان
لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجا اليه فلهم من الجوار مثل
ما لهلال وقال الضحاك عن ابن عباس اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد
بن مناة كانوا في الصلح والهدنة وقال مقاتل هم خزاعة وقوله او جاؤكم اي يتصلون
بقوم جاؤكم حصرت صدورهم اي ضاقت صدورهم وقرا الحسن ويعقوب حصرة منصو
بة منونة او ضيقة صدورهم يعني القوم الذين جاؤكم وهم بنو مدلج كانوا عاهدوا ان لا يقا
تلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم حصرت ضاقت صدورهم ان يقاتلوكم اي عن

الى قتالكم للعهد الذى بينكم او يقاتلوا قومهم يعنى من آمن منهم ويجوز ان يكون معناه انهم
لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم يعنى قريشا فقد ضاقت صدورهم لذلك وقال بعضهم
او بمعنى الواو اى قوم بينكم وبينهم ميثاق وجاؤكم حصرت صدورهم اى وقد حصرت صدورهم عن
قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله سبحانه وتعالى عن قتال هؤلاء المر
تدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدماء ولو
شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فذكر منته على المسلمين بكف باس المعاهدين
يقول لولا ضيق صدورهم عن قتالكم لما القى الله فى قلوبهم من الرعب لكنتم فى قتالكم ولو شاء
الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم مع قومهم فان اعتزلوكم اى اعتزلوا قتالكم فلم يقاتلوكم من
اتصل بهم ويقال يوم فتح مكة لم يقاتلوكم مع قومهم والقوا اليكم السلم اى الصلح فانقادوا
واستسلموا فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اى طريقا بالغزو والقتال ستجدون آخرين قال الكلبى
عن ابى صالح عن ابن عباس هم اسد وغطفان كانوا حاضرى المدينة تكلموا بالاسلام رياء وهم غير
مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا اسلمت فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب
والخنفساء واذا لقوا اصحاب النبى صلعم قالوا انا على دينكم يريدون بذلك الامن فى الفريقين
وقال الضحاك عن ابن عباس بنو عبد الدار كانوا بهذه الصفة يريدون ان يامنوكم فلا
تغزوهم ويامنوا قومهم فلا تغزوهم قومهم كلما ردوا الى الفتنة اى دعوا
الى الشرك اركسوا فيها اى رجعوا وعادوا الى الشرك فان لم يعتزلوكم اى فان
لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة ويلقوا اليكم اى وان لم يلقوا اليكم السلم اى المهادنة
والصلح ويكفوا ايديهم اى وان لم يقبضوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم اسرى واقتلوهم
حيث ثقفتموهم وجدتموهم واولئكم اى واهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطا
نا مبينا اى حجة بينة ظاهرة بالغزو والقتال قوله عز وجل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا
الا خطأ الاية نزلت فى عياش بن ابى ربيعة المخزومى وذكر انه اتى رسول الله صلعم بمكة
قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن فى اطم
من آطامها فجزعت لذلك امه جزعا شديدا وقالت لابنيها الحارث وابى جهل ابنى هشام وهما
اخواه لامه لا والله لا يظلنى سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تاتونى به فخرجا فى طلبه
وخرج معهما الحارث بن زيد بن ابى انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو فى الاطم فقالا له

انزل فان امك لم يأوها سقف بيت بعدك وقد حلفت ان لا تاكل طعاما ولا شرابا حتى
ترجع اليها ولك الله علينا ان لا نكرهك على شىء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع
امه واوثقوا له بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة ثم اوثقوه بنسعة فجلده كل واحد
منهم مائة جلدة ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت والله لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذى
امنت به ثم تركوه موثقا مطروحا فى الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذى ارادوا فاتاه
الحارث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذى كنت عليه فوالله لئن كان هدى لقد تركت
الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خا
ليا ابدا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر ثم اسلم الحارث بن زيد بعده
وهاجر الى رسول الله صلعم وليس عياش يومئذ حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير
بظهر قباء اذ لقى الحارث فقتله فقال الناس ويحك اى شىء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش
الى رسول الله صلعم وقال يا رسول الله قد كان من امرى وامر الحارث ما قد علمت وانى لم
اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا وهذا نهى عن قتل المؤ
من كقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الا خطأ استثناء منقطع معناه لكن ان
وقع خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة اى فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة
ودية مسلمة كاملة الى اهله اى الى اهل القتيل الذين يرثونه الا ان يصدقوا اى يتصدقوا
بالدية فيعفوا ويتركوا الدية فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
اراد به اذا كان الرجل مسلما فى دار الحرب منفردا مع الكفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية
فيه وعليه الكفارة وقيل المراد منه اذا كان المقتول مسلما فى دار الاسلام وهو من نسب قوم
كفار وقرابته فى دار الحرب حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحارث بن
زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه تحرير رقبة ولم يكن فيه دية لانه لم يكن بين قومه وبين
المسلمين عهد وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة
مؤمنة اراد به ان كان المقتول كافرا ذميا او معاهدا فتجب فيه الدية والكفارة والكفارة
تكون باعتاق رقبة مؤمنة سواء كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او امرأة حرا كان
او عبدا وتكون فى مال القاتل فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فالقاتل ان
كان واجد الرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود ثمنها فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن

ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز ان ينتقل الى الصوم وان عجز عن تحصيلها فعليه صوم شهرين
متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما آخر يجب عليه
استيناف الشهرين وان افطر يوما بعذر مرض او سفر هل ينقطع التتابع اختلف اهل العلم
فيه منهم من قال ينقطع وعليه استيناف الشهرين وهو قول النخعي و الاظهر قولي الشافعي لانه
افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع وله ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي
ولو حاضت المراة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض و لا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت
على ما مضت لانه امر مكتوب على النساء لا يمكنهن الاحتراز عنه وان عجز عن الصوم فهل يخرج
عنه باطعام ستين مسكينا فيه قولان احدهما يخرج كما يخرج في كفارة الظهار والثاني لا لان الشرع
لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله اي جعل الله ذلك توبة لقاتل
الخطاء وكان الله عليما بمن قتل خطاء حكيما فيما حكم عليه **اما الكلام في بيان**
الدية واعلم ان القتل على ثلثة انواع عمد محض وشبه عمد وخطاء محض اما العمد المحض فهو ان
يقصد به القتل غالبا فيقتله ففيه القصاص عند وجود التكافي او دية مغلظة في مال القاتل
حالة وشبه العمد ان يقصد ضربه بما لا يموت مثله من مثله غالبا بان ضربه بعصا خفيف
او حجر صغير ضربة او ضربتين فمات فلا قصاص فيه بل يجب فيه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة
الى ثلث سنين والخطاء المحض هو ان لا يقصد ضربه بل يقصد شيئا آخر فاصابه فمات منه
فلا قصاص فيه بل يجب دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلث سنين و تجب الكفارة في ماله في الانواع
كلها وعند ابي حنيفة قتل العمد لا يوجب الكفارة لانه كبيرة كسائر الكبائر ودية الحر المسلم مائة من
الابل فاذا عدمت الابل تجب قيمتها من الدراهم والدنانير في قول وفي قول يجب بدل مقدر
منها وهو الف دينار او اثنا عشر الف درهم لما روي ان عمر رضي الله عنه فرض الدية على اهل
الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثني عشر الف درهم و ذهب قوم الى ان الواجب في الدية
مائة من الابل او الف دينار او اثني عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري
وبه قال مالك و ذهب قوم الى انها مائة من الابل او الف دينار او عشرة آلاف درهم وهو قول
سفين الثوري وابي حنيفة ودية المراة نصف دية الرجل ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان
كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث روي عن عمر رضي الله عنه انه قال دية اليهودي والنصراني اربعة
آلاف ودية المجوسي ثمان مائة وهو قول سعيد بن المسيب والحسن واليه ذهب الشافعي وذهب قوم

الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم روي ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفين الثوري
واصحاب الراي وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه
قال مالك واحمد والدية في العمد المحض وشبه العمد مغلظة بالسن فيجب ثلثون حقة وثلثون جذعة
واربعون خلفة في بطونها اولادها وهو قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب
الشافعي لما روي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم قال الا ان في قتيل العمد والخطاء بالسوط او
العصا مائة من الابل مغلظة منها اربعون خلفة في بطونها اولادها وذهب قوم الى ان الدية
المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت مخاض و خمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة و
خمس وعشرون جذعة وهو قول الزهري وربيعة وبه قال مالك واحمد واصحاب الراي واما دية الخطاء
فمخففة وهي اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت
مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهو قول عمر بن
عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وابدل قوم بني اللبون
ببني المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب الراي ودية الاطراف على هذا التقدير
ودية المراة فيها على النصف من دية الرجل والدية في قتل الخطاء وشبه العمد على العاقلة وهم عصبات
القاتل من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لان النبي صلعم اوجبها على العاقلة قوله عز وجل
• ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها • نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني
وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلعم فذكر ذلك
له فارسل رسول الله صلعم معه رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلعم يامركم ان علمتم قاتل
هشام بن ضبابة ان تدفعوه الى مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ان تدفعوا اليه ديته
فابلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاعطوه
مائة من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال تقبل
دية اخيك فيكون عليك سبة اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري
فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا فنزل فيه ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي صلعم يوم فتح مكة عمن آمنه
فقتل وهو متعلق باستار الكعبة • وغضب الله عليه ولعنه • اي طرده عن الرحمة • واعد له عذابا عظيما •
واختلفوا في حكم هذه الاية فحكي عن ابن عباس ان قاتل المؤمن عمدا لا توبة له فقيل له اليس قد قال الله تعالى

في سورة الفرقان ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى ان قال ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب فقال كانت هذه الاية في الجاهلية وذلك ان ناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا وزنوا فاتوا رسول الله صلعم فقالوا ان الذي تدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله الا من تاب وآمن فهذه لاولئك واما التي في النساء فالرجل اذا عرف الاسلام وشرايعه ثم قتل فجزاؤه جهنم وقال زيد بن ثابت لما نزلت التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة واراد بالغليظة هذه الاية وباللينة آية الفرقان وقال ابن عباس تلك آية مكية وهذه مدنية نزلت ولم ينسخها شيء والذي عليه الاكثر وهو مذهب اهل السنة ان قاتل المسلم عمدا توبته مقبولة لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وما روي عن ابن عباس فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل كما روي عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم جاء يقال لك توبة ويروى مثله عن ابن عباس وليس في الاية متعلق لمن يقول بالتخليد في النار بارتكاب الكباير لان الاية نزلت في قاتل هو كافر وهو مقيس بن ضبابة وقيل انه وعيد لمن قتل مؤمنا مستحلا لقتله بسبب ايمانه ومن استحل قتل اهل الايمان لايمانهم كان كافرا مخلدا في النار وقيل في قوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها معناه هي جزاؤه ان جازاه ولكنه ان شاء عذبه بذنبه وان شاء غفر له بكرمه فانه وعد ان يغفر لمن يشاء حكي ان عمرو بن عبيد جاء الى ابي عمرو بن العلاء فقال له هل يخلف الله وعده فقال لا فقال اليس قد قال الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فقال له ابو عمرو من العجمة اتيت يا ابا عثمان ان العرب لا تعد الاخلاف في الوعيد خلفا وذما وانما تعد اخلاف الوعد خلفا وذما وانشد واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي والدليل على ان غير الشرك لا يوجب التخليد في النار ما روينا ان النبي صلعم قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة روى عن ابي ادريس عايذ الله بن عبد الله ان عبادة بن الصامت وكان شهد بدرا وهو احد النقباء ليلة العقبة قال ان رسول الله صلعم قال وحوله عصابة من اصحابه بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة ومن اصاب من ذلك

شيئا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه فبايعناه على ذلك قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الاية في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من اهل فدك وكان مسلما لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلعم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا واقام الرجل لانه كان على دين المسلمين فلما راى الخيل خاف ان يكونوا من غير اصحاب رسول الله صلعم فالجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الى الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فلما سمع التكبير عرف انهم من اصحاب النبي صلعم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلعم فاخبروه فوجد رسول الله صلعم من ذلك وجدا شديدا وقد كان سبقهم قبل ذلك الخبر فقال رسول الله صلعم قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا هذه الاية على اسامة بن زيد فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله فقالها رسول الله صلعم ثلث مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلعم يعيدها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم ان رسول الله صلعم استغفر لي بعد ثلث مرات وقال اعتق رقبة وروى ابو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح قال افهلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها ام لا وقال عكرمة عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلعم ومعه غنم له فسلم عليهم قالوا ما سلم عليكم الا ليتعوذ منكم فقاموا فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلعم فانزل الله هذه يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم سافرتم في سبيل الله يعني الجهاد فتبينوا قرا حمزة والكسائي ههنا في موضعين وفي سورة الحجرات بالثاء والتاء من التثبت اي قفوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وقرا الآخرون بالياء والنون من التبين يقال تبينت الامر اذا تاملته ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا هكذا قراة اهل المدينة وابن عامر وحمزة اي الانقياد وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقرا الآخرون السلام وهو السلام الذي هو تحية المسلمين لانه كان قد سلم عليهم وقيل السلم والسلام واحد اي لا تقولوا لمن سلم عليكم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا يعني تطلبون الغنم والغنيمة وعرض الدنيا منافعها ومتاعها فعند الله مغانم اي غنايم كثيرة وقيل ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن كذلك كنتم من قبل قال سعيد بن جبير كذلك كنتم تكتمون ايمانكم في المشركين

فمنّ الله عليكم بإظهار الاسلام وقال قتادة كنتم ضلالا من قبل فمنّ الله عليكم بالهداية وقيل
معناه كذلك كنتم من قبل تأمنون في قومكم من المؤمنين بلا اله الا الله قبل الهجرة فلا تخيفوا من قالها
فمنّ الله عليكم بالهجرة فتبينوا ان تقتلوا مؤمنا ان الله كان بما تعملون خبيرا فلت واذا رأى
الغزاة في بلد او قرية شعار الاسلام عليهم ان يكفوا عنهم فان النبي صلعم كان اذا غزا
قوما فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اغار عليهم روى عن ابن عصام عن ابيه ان النبي
صلعم كان اذا بعث سرية قال اذا رأيتم المسجد او سمعتم مؤذنا فلا تقتلن احدا لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير اولي الضرر روى عن سهل بن سعد الساعدي انه قال رأيت مروان بن
الحكم جالسا في المسجد فاقبلت حتى جلست الى جنبه فاخبرنا ان زيد بن ثابت اخبره ان رسول الله
صلعم املى عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فجاءه
ابن ام مكتوم وهو يمليها علي فقال يا رسول لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلا اعمى
فانزل الله على رسوله وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه
فانزل الله عز وجل غير اولي الضرر فهذه الاية في فضل الجهاد والحث عليه فقال لا يستوي القاعدون
من المؤمنين عن الجهاد غير اولي الضرر قرأ اهل المدينة وابن عامر والكسائي غير بنصب الراء
اي الا اولي الضرر وقرأ الآخرون برفع الراء على نعت القاعدين يريد لا يستوي القاعدون
الذين هم غير اولي الضرر اي غير اولي الزمانة والضعف في البدن والبصر والمجاهدون في سبيل
الله اي ليس المؤمنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمؤمنون المجاهدون سواء غير
اولي الضرر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم روى عن انس ان رسول الله صلعم
لما رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة قال ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا
قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم
العذر وروى مقسم عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون
الى بدر فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة اي فضيلة
وقيل اراد بالقاعدين ههنا اولي الضرر فضل الله المجاهدين عليهم درجة لان المجاهد باشر
الجهاد مع النية واولي الضرر كانت لهم نية ولكنهم لم يباشروا فنزلوا عنهم بدرجة وكلا
يعني المجاهد والقاعد وعد الله الحسنى يعني الجنة بايمانهم وقال مقاتل يعني المجاهد والقاعد المعذور
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما يعني على القاعدين من غير عذر درجات

منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما قال ابن محيريز في هذه الاية هي سبعون
درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقيل الدرجات هي الاسلام
والهجرة والجهاد والشهادة فاز بها المجاهدون روى عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلعم قال
يا ابا سعيد من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة قال فعجب بها ابو سعيد
قال اعدها علي يا رسول الله ففعل فقال رسول الله صلعم واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة
ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض فقال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في
سبيل الله وروى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم من آمن بالله ورسوله واقام الصلوة وصام
رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا
يا رسول الله افلا ننذر الناس بذلك قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله ما
بين كل درجتين كما بين السماء والارض واذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى
الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة واعلم ان الجهاد في الجملة فرض غير انه ينقسم الى فرض
العين وفرض الكفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المؤمنين فيجب على كل مطيق من
الرجال ممن لا عذر له من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم حرا كان او عبدا فقيرا كان او غنيا دفعا
عن انفسهم وعن جيرانهم وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض على الكفاية فان لم تقع الكفاية بمن
نزل بهم يجب على من بعد منهم من المسلمين عونهم وان وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على
الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا القسم العبيد والفقراء ومن هذا القبيل ان يكون
الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي سنة عن غزوة يغزوها بنفسه او سراياه حتى لا
يكون الجهاد معطلا والاختيار للمطيق للجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عن الجهاد
ولكن لا يفترض لان الله تعالى وعد المجاهد والقاعد الثواب في هذه الاية فقال وكلا وعد
الله الحسنى ولو كان فرضا على الكفاية لاستحق القاعد العقاب لا الثواب قوله تعالى ان الذين
توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نزلت في ناس من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا
جروا اشهرهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما
خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فقال تعالى ان الذين توفاهم الملائكة
اراد ملك الموت واعوانه او اراد ملك الموت وحده كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي
وكل بكم والعرب قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع ظالمي انفسهم بالشرك وهو نصب على الحال اي في حال

ظالمي أنفسهم قيل أي بالمقام في دار الشرك لأن الله تعالى لم يكن يقبل الإسلام بعد هجرة النبي صلعم إلا بالهجرة
ثم نسخ بعد فتح مكة فقال النبي صلعم لا هجرة بعد الفتح فهؤلاء قتلوا يوم بدر وضربت الملائكة
وجوههم وأدبارهم قالوا لهم فيم كنتم أي فيما ذا كنتم أو في أي الفريقين كنتم في المسلمين أم
المشركين سؤال توبيخ وتعيير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك قالوا كنا
مستضعفين عاجزين في الأرض يعني أرض مكة قالوا يعني الملائكة لهم ألم تكن أرض الله
واسعة فتهاجروا فيها يعني المدينة وتخرجوا من مكة من بين أهل الشرك فأكذبهم الله تعالى
وأعلمنا بكذبهم فقال فأولئك مأواهم منزلهم جهنم وساءت مصيرا أي بئس
المصير إلى جهنم ثم استثنى أهل العذر منهم فقال إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
لا يستطيعون حيلة لا يقدرون على حيلة ولا على نفقة ولا قوة للخروج منها ولا يهتدون سبيلا
أي لا يعرفون طريقا إلى الخروج وقال مجاهد لا يعرفون طريق المدينة فأولئك عسى
الله أن يعفو عنهم يتجاوز عنهم وعسى من الله واجب لأنه للإطماع والله تعالى إذا
أطمع عبدا أوصله إليه وكان الله عفوا غفورا قال ابن عباس كنت أنا وأمي ممن
عذر الله يعني من المستضعفين وكان رسول الله صلعم وكان رسول الله صلعم يدعو لهؤلاء
المستضعفين في الصلاة روي عن أبي هريرة أن النبي صلعم كان إذا قال سمع الله لمن حمده في
الركعة الأخيرة من صلاة العشاء قنت اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة اللهم أنج الوليد
بن الوليد اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد
وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسني يوسف ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض
مراغما كثيرا وسعة قال علي بن أبي طالب عن ابن عباس مراغما أي متحولا يتحول إليه
وقال مجاهد متزحزحا عما يكره وقال أبو عبيدة المراغم المهاجر يقال راغمت قومي وهاجرتهم
وهو المضطرب والمذهب قيل سميت المهاجرة مراغمة لأن من يهاجر يراغم
قومه وسعة أي وسعة في الرزق وقيل سعة من الضلالة إلى الهدى روي أنه لما نزلت
هذه الآية سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندب بن ضمرة فقال
والله ما أنا ممن استثنى الله عز وجل وإني لأجد حيلة ولي من المال ما يبلغني المدينة
وأبعد منها والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا
به التنعيم فأدركه الموت فصفق يمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك

على ما بايعك عليه رسولك فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلعم فقالوا لو وافى المدينة
لكان أتم أجرا وضحك المشركون وقالوا ما أدرك هذا ما طلب فأنزل الله عز وجل ومن
يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت أي قبل بلوغه إلى مهاجره فقد
وقع أي وجب أجره على الله بإيجابه على نفسه فضلا منه وكان الله غفورا رحيما قوله عز
وجل وإذا ضربتم في الأرض أي سافرتم فليس عليكم جناح أي حرج وإثم أن تقصروا
من الصلاة يعني من أربع ركعات إلى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء إن
خفتم أن يفتنكم أي يغتالكم ويقتلكم الذين كفروا في الصلاة ونظيره قوله على خوف من فرعون
وملئهم أن يفتنهم أي يقتلهم إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا أي ظاهر العداوة اعلم
أن قصر الصلاة في السفر جائز بإجماع الأمة واختلفوا في جواز الإتمام فذهب أكثرهم إلى أن القصر
واجب وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز
وقتادة وهو قول مالك وأصحاب الرأي لما روي عن عائشة أنها قالت الصلاة أول ما فرضت
ركعتين فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر وذهب قوم إلى جواز الإتمام روي ذلك عن
عثمان وسعد بن أبي وقاص وبه قال الشافعي إن شاء أتم وإن شاء قصر والقصر أفضل روي
عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلعم قصر الصلاة وأتم وظاهر القرآن يدل على هذا
لأنه قال فليس عليكم جناح أن تقصروا ولفظ لا جناح إنما يستعمل في الرخص لا فيما يكون حتما
وظاهر الآية لا يجوز إلا عند الخوف وليس الأمر على ذلك إنما نزلت الآية على غالب أسفار النبي
صلعم وأكثرها لم تخل عن خوف العدو والقصر جائز في السفر في حال الأمن عند عامة أهل العلم
والدليل عليه ما روي عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب إنما قال الله أن تقصروا من الصلاة
إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول
الله صلعم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته روي عن ابن عباس قال سافر رسول
الله صلعم بين مكة والمدينة آمنا لا يخاف إلا الله فصلى ركعتين وذهب قوم إلى أن ركعتي السفر تمام
غير قصر إنما القصر أن يصلي ركعة في الخوف يروى ذلك عن جابر وهو قول عطاء وطاوس والحسن
ومجاهد وجعلوا شرط الخوف المذكور في الآية باقيا وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الاقتصار
على ركعة واحدة لا يجوز خائفا كان أو آمنا واختلف أهل العلم في مسافة القصر فقالت طائفة
يجوز القصر في السفر الطويل والقصير روي ذلك عن أنس وقال عمرو بن دينار قال لي جابر بن زيد

أنفذ بعرفة أما عامة الفقهاء لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في حد ما يجوز فيه القصر
قال الأوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في أربعة برد وهي
ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك وأحمد وإسحق وقول الحسن والزهري قريب من ذلك قالا
مسيرة يومين واليه ذهب الشافعي قال مسيرة ليلتين قاصدتين وقال في موضع ستة وأربعون
ميلا بالهاشمي وقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي مسيرة ثلثة أيام وقيل قوله إن خفتم أن
يفتنكم الذين كفروا متصل بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله روي عن أبي أيوب الأنصاري
أنه قال نزلت قوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول
الله صلعم عن صلوة الخوف فنزل إن خفتم أي وإن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا
لكم عدوا مبينا وإذا كنت فيهم الآية ومثله في القرآن كثير أن يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه
خبر آخر وهو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه كقوله الآن حصحص الحق أنا
راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين هذه حكاية عن امرأة العزيز وقوله ذلك ليعلم أني لم أخنه
بالغيب إخبار عن يوسف عم قوله عز وجل وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم
طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر أن
المشركين لما رأوا رسول الله صلعم وأصحابه قاموا إلى الظهر يصلون جميعا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم
فقال بعضهم لبعض دعوهم فإن لهم بعدها صلوة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعني صلوة
العصر فإذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبرائيل فقال يا محمد إنها صلوة الخوف وإن
الله عز وجل يقول وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فعلمه صلوة الخوف وجملته أن العدو إذا
كانوا في معسكرهم في غير ناحية القبلة فيجعل الإمام القوم فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو
تحرسهم ويشرع الإمام مع طائفة في الصلوة فإذا صلى بهم ركعة قام وثبت قائما حتى أتموا صلاتهم
وذهبوا إلى وجاه العدو ثم أتت الطائفة الثانية فصلى بهم الركعة الثانية وثبت جالسا حتى
أتموا لأنفسهم الصلاة ثم يسلم بهم وهذا رواية سهل بن أبي حثمة أن النبي صلعم صلى كذلك بذات
الرقاع إليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحق روي عن صالح بن خوات عمن صلى مع رسول الله
صلعم يوم ذات الرقاع صلوة الخوف أن طائفة صفت معه وصفت طائفة وجاه العدو فصلى
بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما فأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا وصفوا وجاه العدو وجاءت الأخرى
فصلى بهم الركعة التي بقيت ثم ثبت جالسا وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم قال مالك وذكر الحسن

ما سمعت في صلوة الخوف روي عن سهل بن أبي حثمة عن النبي صلعم بهذا وذهب قوم إلى أن الإمام
إذا قام إلى الركعة الثانية تذهب الطائفة الأولى في خلال الصلوة إلى وجاه العدو وتأتي الطا
ئفة الثانية فيصلي بهم الركعة الثانية ويسلم وهم لا يسلمون بل يذهبون إلى وجاه العدو وتعود
الطائفة الأولى فتتم صلاتها ثم تعود الثانية فتتم صلاتها وهذا رواية عبد الله بن عمر أن
النبي صلعم صلى كذلك وهو قول أصحاب الرأي روي عن سالم عن أبيه أن النبي صلعم صلى صلوة الخوف بإحدى
الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا فقاموا في مقام أولئك وجاء أولئك فصلى
بهم ركعة أخرى ثم سلم عليهم فقام هؤلاء فقضوا ركعتهم وقام هؤلاء فقضوا ركعتهم وكلتا الروا
يتين صحيحة فذهب قوم إلى أن هذا من الاختلاف المباح وذهب الشافعي إلى حديث سهل بن
أبي حثمة لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلوة وأبلغ في حراسة العدو وذلك لأن الله تعا
قال فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم أي إذا صلوا ثم قال ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا
فهذا يدل على أن الطائفة الأولى قد صلوا وقال فليصلوا معك ومقتضاه أن يصلوا تمام الصلوة
فظاهره يدل على أن كل طائفة تفارق الإمام بعد تمام الصلوة والاحتياط لأمر الصلوة من حيث
أنه لا يكثر فيها العمل والذهاب والمجيء والاحتياط لأمر الحرب من حيث أنهم إذا لم يكونوا في الصلوة كان
أمكن للحرب والهرب إن احتاجوا إليه ولو صلى الإمام أربع ركعات صلى بكل طائفة ركعتين جاز
روي عن جابر بن عبد الله قال أقبلنا مع رسول الله صلعم حتى إذا كنا بذات الرقاع وكنا إذا أتينا على
شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلعم فجاء رجل من المشركين وسيف نبي الله صلعم معلق بشجرة فأخذ
نبي الله صلعم فاخترطه فقال لرسول صلعم تخافني قال لا قال فمن يمنعك مني قال الله يمنعني منك قال
فتهدده أصحاب رسول الله صلعم فأغمد السيف وعلقه فنودي بالصلوة قال فصلى بطائفة ركعتين
ثم تأخروا فصلى بالطائفة الأخرى ركعتين قال فكانت لرسول الله صلعم أربع ركعات وللقوم ركعتان
روي عن جابر أن النبي صلعم يصلي بالناس صلوة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم
ثم جاءت طائفة أخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم وروي عن حذيفة عن النبي صلعم في صلوة الخوف أنه صلى
بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة ولم يقضوا ورواه زيد بن ثابت وكان للقوم ركعة ركعة وللنبي صلعم ركعتان وتأوله
قوم على صلوة شدة الخوف وقالوا الفرض في هذه الحالة ركعة وأكثر أهل العلم على أن الخوف لا
ينقص من عدد الركعات وإن كان العدو في ناحية القبلة في مستوى إن حملوا عليهم رأوهم صلى
الإمام بهم جميعا وحرسوا في السجود كما روي عن جابر قال شهدت مع رسول الله صلعم صلوة الخوف

فصففنا خلفه صفين والعدو بيننا وبين القبلة فكبّر النبي صلعم وكبّرنا جميعاً ثم رفع رأسه
من الركوع ورفعنا جميعاً ثم انحدر للسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو
فلما قضى النبي صلعم السجود وقام وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود ثم قاموا ثم تقدم الصف
المؤخر وتأخر المقدم ثم ركع النبي صلعم وركعنا جميعاً ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً ثم
انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخراً في الركعة الأولى وقام الصف المؤخر في نحر
العدو فلما قضى النبي صلعم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلّم النبي صلعم
وسلّمنا جميعاً قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمرائهم واعلم أن صلوة الخوف جائزة بعد النبي
صلعم عند عامة أهل العلم وحكي عن بعضهم عدم الجواز ولا وجه له وقال احمد بن حنبل كل ما جاء
في أبواب صلوة الخوف فالعمل به جائز روي فيه ستة أوجه أو سبعة أوجه وقال الكلبي في سبب نزول الآية
عن ابن عياش الزرقي قال كنا مع رسول الله صلعم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلّينا
الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرّة لو حملنا عليهم وهم في الصلوة فنزلت الآية بين الظهر والعصر
قوله تعالى وإذا كنت فيهم أي شهيداً معهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك أي فلتقف
وإذا الحكم عليهم فاموا الى وقفوا وليأخذوا أسلحتهم واختلفوا في الذين يأخذون أسلحتهم فقال
بعضهم أراد هؤلاء الذين وقفوا مع الإمام يصلّون يأخذون الأسلحة في الصلوة
إذا كان لا يشغله عن الصلوة ولا يؤذي من بجنبه فإن كان يشغله حركته وثقله عن الصلوة كالجعبة
والترس الكبير أو يؤذي من بجنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل وليأخذوا أسلحتهم أي الباقون الذين
قاموا في وجه العدو فإذا سجدوا أي صلّوا فليكونوا من ورائكم يريد مكان الذين هم في وجاه العدو
ولتأت طائفة أخرى لم يصلّوا وهم الذين كانوا في وجه العدو فليصلّوا معك وليأخذوا حذرهم
وأسلحتهم قيل هؤلاء الذين أتوا وقيل هم الذين صلّوا أوّلاً ودّ الذين كفروا لو تغفلون
تغفلون أي لو وجدوكم غافلين عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فيقصدو
نكم ويحملون عليكم حملة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا
أسلحتكم رخّص في وضع السلاح في حال المطر والمرض لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين وخذوا
حذركم أي راقبوا العدو كيلا يتغفلوكم والحذر ما يتقى به من العدو وقال الكلبي عن أبي صالح عن
ابن عباس نزلت في رسول الله صلعم أنه غزا محارب وبني أنمار فنزلوا ولا يرون من العدو أحداً
فوضع الناس أسلحتهم وخرج رسول الله صلعم لحاجة له قد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء

في الوادي بين رسول الله صلعم وبين أصحابه فجلس رسول الله صلعم في ظل شجرة فبصر به غورث
بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله إن لم أقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول
الله صلعم إلا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سلّه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال
رسول الله صلعم الله ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ثم أهوى بالسيف إلى رسول الله
صلعم ليضربه فأكب لوجهه من زلخة زلخها من بين كتفيه وبدر سيفه فقام رسول الله صلعم فأخذه
ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا أحد قال تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله
وأعطيك سيفك قال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبداً ولا أعين عليك عدواً فأعطاه رسول الله صلعم
سيفه فقال غورث والله لأنت خير مني فقال النبي صلعم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث
لأصحابه فقالوا ويلك ما منعك منه قال لقد أهويت إليه بالسيف لأضربه فوالله ما أدري من
زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر حاله قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلعم الوادي إلى أصحابه
فأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا
أسلحتكم وخذوا حذركم من عدوكم قال سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية كان عبد الرحمن
بن عوف جريحاً إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً يهانون فيه والجناح الإثم من جنحت إذا
عدلت عن القصد فإذا قضيتم الصلوة يعني صلوة الخوف أي فرغتم منها فاذكروا الله أي صلوا لله
قياماً في حال الصحة وقعوداً في حال المرض وعلى جنوبكم عند الجرح والزمانة وقيل اذكروا الله
بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد على كل حال روي عن عائشة قالت كان رسول الله صلعم يذكر الله
على كل أحيانه فإذا اطمأننتم أي سكنتم وأمنتم فأقيموا الصلوة أي أتموها أربعاً بأركانها إن
الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً قيل واجباً مفروضاً مقدّراً في الحضر أربع ركعات وفي
السفر ركعتان وقال مجاهد أي فرضاً موقّتاً وقّته الله عليهم وقد جاء بيان أوقات الصلوات في
الحديث روي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم أمّني جبريل عند البيت مرتين فصلى بي الظهر
حين زالت الشمس وكانت بقدر الشراك وصلى بي العصر حين كان كل شيء مثل ظله وصلى بي المغرب حين
أفطر الصائم وصلى بي العشاء حين غاب الشفق وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصا
يم وصلى بي الغد الظهر حين كان كل شيء مثل ظله وصلى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثليه وصلى بي المغرب
حين أفطر الصائم وصلى بي العشاء ثلث الليل الأول وصلى بي الفجر فأسفر ثم التفت إليّ فقال يا محمد هذا
الوقت وقت النبيين قبلك الوقت ما بين هذين الوقتين روي عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلعم أن

ان حالاً اتاه فسأله عن مواقيت الصلوة قال فلم يرد عليه شيئاً ثم امر بلالاً فاقام الصلوة حين
انشق الفجر فصلى ثم امره فاقام للظهر والقايل يقول قد زالت الشمس اولم تزل وهو كان اعلم منهم
وامره فاقام للعصر والشمس مرتفعة وامره فاقام للمغرب حين وقعت الشمس وامره فاقام للعشاء حين
سقوط الشفق قال وصلى الفجر من الغد والقايل يقول طلعت الشمس اولم تطلع وصلى الظهر قريباً من
وقت العصر بالامس وصلى العصر والقايل يقول قد احمرت الشمس وصلى المغرب قبل ان يغيب الشفق وصلى
العشاء ثلث الليل الاول ثم قال اين السايل عن الوقت ما بين هذين الوقتين وقت ولا تهنوا
في ابتغاء القوم سبب نزولها ان ابا سفين واصحابه لما رجعوا يوم احد بعث رسول الله صلعم طائفة
في آثارهم فشكوا الم الجراحات فقال تعالى ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب القوم اي سفين
واصحابه ان تكونوا تألمون فتتوجعون من الجراح فانهم يألمون اي يتوجعون جميع الكفار
كما تألمون وترجون من الله اي وانتم مع ذلك تألمون وترجون من الاجر والثواب في الاخرة والنصر
في الدنيا ما لا يرجون وقال بعض المفسرين المراد بالرجاء الخوف لان كل راج خائف ان لا يدرك
ما يأمله ومعنى الاية وترجون اي تخافون من عذاب الله ما لا يخافون قال الفراء ولا يكون الرجاء بمعنى
الخوف الا مع الجحد كقوله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي لا يخافون وقال تعالى
ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون لله عظمة ولا يجوز رجوتك بمعنى خفتك ولا خفتك وانت تريد
رجوتك وكان الله عليما حكيما انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله
ولا تكن للخائنين خصيما روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية في رجل من الا
نصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن
النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار ثم
خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف والله ما اخذها وما له
بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد رأينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق
الى منزل اليهودي فاخذوه فقال اليهودي دفعها الي طعمة بن ابيرق فجاء بنو ظفر وهم قوم
طعمة الى رسول الله صلعم وسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل افتضح صاحبنا فهم رسول
الله صلعم ان يعاقب اليهودي ويروى عن ابن عباس في رواية اخرى ان طعمة سرق الدرع في جراب
فيه نخالة فخرق الجراب حتى كان يتناثر منه النخالة طول الطريق فجاء به الى دار زيد السمين وتركه
على بابه وحمل الدرع الى بيته فلما اصبح صاحب الدرع جاء على اثر النخالة الى زيد السمين فاخذه وحمله

الى رسول الله صلعم فهم النبي صلعم ان يقطع يد زيد اليهودي وقال مقاتل ان زيد السمين اودع درعا عند طعمة
فجحدها طعمة فانزل الله هذه الاية فقال انا انزلنا اليك الكتاب بالحق بالامر والنهي والفصل لتحكم بين
الناس بما اراك الله بما علمك الله واوحى اليك ولا تكن للخائنين طعمة خصيما معينا مدافعا عنه واستغفر
الله مما هممت به من معاقبة اليهودي وقال مقاتل واستغفر الله من جدالك عن طعمة ان الله كان غفورا
رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يظلمون انفسهم بالخيانة والسرقة ان الله لا يحب
من كان خوانا خائنا اثيما يريد خوانا في الدرع اثيما في رميه اليهودي قيل انه خطاب مع النبي صلعم
والمراد به غيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك والاستغفار في حق الانبياء بعد النبوة على
احد الوجوه الثلثة اما لذنب تقدم قبل النبوة او لذنوب امته وقرابته او لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه
بالاستغفار والاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع يستخفون من الناس اي يستترون
ويستحيون من الناس يريد بني ظفر بن الحارث ولا يستخفون من الله اي لا يستترون ولا
يستحيون من الله وهو معهم اذ يبيتون يقولون ويؤلفون والتبييت تدبير الفعل
ليلا ما لا يرضى من القول وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبي صلعم فانه يسمع
قوله ويمينه لانه مسلم ولا يسمع من اليهودي لانه كافر فلم يرض الله ذلك منهم وكان الله بما يعملون محيطا
ثم يقول القوم لطعمة ها انتم هؤلاء اي يا هؤلاء جادلتم اي خاصمتم عنهم يعني طعمة وفي قراءة ابي
عنه في الحيوة الدنيا والجدال شدة المخاصمة من الجدل وهو شدة الفتل فهو يريد ان
فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وقيل الجدال من الجدالة وهي الارض وكل واحد من الخصمين يروم
قهر صاحبه وصرعه على الجدالة فمن يجادل الله عنهم يعني طعمة يوم القيمة اذا اخذه الله بعذابه
ام من يكون عليهم وكيلا كفيلا اي من الذي يذب عنهم ويتولى امرهم يوم القيمة ثم استانف فقال
ومن يعمل سوءا يعني السرقة او يظلم نفسه برميه البري وقيل ومن يعمل سوءا اي شركا او يظلم نفسه يعني
بما دون الشرك ثم يستغفر الله اي يتوب اليه ويستغفره يجد الله غفورا رحيما يعرض التوبة على طعمة
في هذه الاية ومن يكسب اثما يعني يمين طعمة بالباطل اي ما سرقته انما سرقه اليهودي فانما يكسبه على نفسه
فانما يضره به نفسه وكان الله عليما بسارق الدرع حكيما حكم بالقطع على السارق ومن يكسب خطيئة
اي سرقة الدرع او اثما يمينه الكاذبة ثم يرم به بريئا اي يقذف بما جناه بريئا منه وهو نسبة السرقة
الى اليهودي فقد احتمل بهتانا البهتان هو البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا
اي ذنبا بينا وقوله ثم يرم به ولم يقل بهما بعد ذكر الخطيئة والاثم رد الكناية الى الاثم او جعل الخطيئة

والاية كالشئ الواحد ولولا فضل الله عليك ورحمته يقول للنبي صلعم لهمت لقد همت اى اضمرت طائفة
منهم يعنى قوم طعمه ان يضلوك يخطئ اى فى الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدافع عن طعمه وما يضلون
الا انفسهم يعنى يرجع وباله عليهم وما يضرونك من شئ يريد ان ضرره يعود اليهم وانزل الله
عليك الكتاب يعنى القران والحكمة يعنى القضاء بالوحى وعلمك ما لم تكن تعلم من الاحكام وقيل من علم
الغيب وكان فضل الله عليك عظيما قوله تعالى لا خير فى كثير من نجويهم يعنى قوم طعمه وقال
مجاهد الاية عامة فى حق جميع الناس والنجوى هو الاسرار فى التدبير وقيل النجوى ما ينفرد بتدبيره
قوم سرا كان او علانية فمعنى الاية لا خير فى كثير مما يدبرونه بينهم الا من امر بصدقة
اى الا فى نجوى من امر بصدقة فالنجوى يكون فعلا وقيل هذا استثناء منقطع يعنى لكن من امر بصدقة
وقيل النجوى ههنا الرجال المتناجون كما قال واذهم نجوى الا من امر بصدقة اى حث عليها او معروف
اى بطاعة الله وما يعرفه الشرع واعمال النبى كلها معروف لان العقول تعرفها او اصلاح بين
الناس روى عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلعم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصدقة
والصلاة قال قلنا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة روى عن ام كلثوم
بنت عقبة وكانت من المهاجرات الاول قالت سمعت رسول الله صلعم يقول ليس بكذاب من اصلح
بين الناس فقال خيرا او نمى خيرا ومن يفعل اى هذه الاشياء التى ذكرها ابتغاء مرضات
الله اى طلب رضاه فسوف نؤتيه فى الاخرة اجرا عظيما قرا ابو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء يعنى يؤتيه
الله وقرا الاخرون بالنون ومن يشاقق الرسول نزلت فى طعمه بن ابيرق وذلك انه
لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة فهرب الى مكة وارتد عن الدين فقال
تعالى ومن يشاقق الرسول اى يخالفه من بعد ما تبين له الهدى من التوحيد والحدود ويتبع غير
سبيل المؤمنين اى غير طريق المؤمنين نوله ما تولى اى نكله فى الاخرة الى ما تولى فى الدنيا ونصله
جهنم وساءت مصيرا روى ان طعمه بن ابيرق نزل على رجل من بنى سليم من اهل مكة يقال
له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع ان يدخل ولا ان يخرج فاخذه ليقتله
فقال بعضهم دعوه فانه قد لجأ اليكم فتركوه فاخرجوه من مكة فخرج مع تجار من قضاعة نحو
الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم فهرب فطلبوه واخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه
فصار قبره تلك الحجارة وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ فالقى فى
البحر وقيل نزل فى حرة بنى سليم وكان يعبد صنما الى ان مات فانزل الله تعالى فيه

ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل
ضلالا بعيدا اى ذهب عن الطريق وحرم الخير كله وقال الضحاك عن ابن عباس ان هذه الا
ية نزلت فى شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلعم فقال يا نبى الله انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى
لم اشرك بالله شيا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصى جرأة على الله
وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر فما حالى فانزل الله هذه
الاية قوله عز وجل ان يدعون من دونه الا اناثا نزلت فى اهل مكة اى ما يعبدون كقوله وقال
ربكم ادعونى قيل اى اعبدونى بدليل قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى قوله من دونه اى من
دون الله الا اناثا اراد بالاناث الاوثان لانهم كانوا يسمونها باسم الاناث فيقولون اللات
والعزى ومناة وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بنى فلان وكان فى كل واحدة منهن شيطان
يتراءى للسدنة والكهنة يكلمهم فلذلك قال وان يدعون الا شيطانا مريدا هذا قول اكثر
المفسرين يدل على صحة هذا التاويل ان المراد بالاناث الاوثان قراءة ابن عباس ان يدعون
من دونه الا اثنا جمع الوثن فصير الواو همزة وقال الحسن وقتادة الا اناثا اى مواتا لا روح
فيه لان اصنامهم كانت من الجمادات سماها اناثا لانه يخبر عن الموات كما يخبر عن الاناث
ولان الاناث ادون الجنسين كما ان الموات ارذل من الحيوان وقال الضحاك اراد بالاناث
الملائكة وكان بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون الملائكة اناث كما قال تعالى وجعلوا الملا
ئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وان يدعون الا شيطانا اى ما يعبدون الا شيطانا مريدا
لانهم اذا عبدوا الاصنام فقد اطاعوا الشيطان والمريد المارد وهو المتمرد العاتى الخارج
من الطاعة واراد ابليس اللعين لعنه الله اى ابعده من رحمته وقال يعنى قال ابليس لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا اى حظا معلوما فما اطيع فيه ابليس فهو مفروضه وفى بعض التفاسير
من كل الف واحد لله وتسع مائة وتسعة وتسعون لابليس واصل الفرض فى اللغة القطع ومنه الفرضة
فى النهر وهى الثلمة تكون فيه وفرض القوس والحز الذى يكون فيه الوتر والخيط الذى
يشد به السواك ولاضلنهم يعنى عن الحق اى لاغوينهم يقوله ابليس واراد به التزيين والا فليس
اليه من الاضلال شئ كما قال لازينن لهم فى الارض ولامنينهم قيل امنينهم ركوب الاهواء وقيل
امنينهم ان لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل امنينهم ادراك الاخرة مع ركوب المعاصى ولامرنهم
فليبتكن آذان الانعام اى يقطعونها ويشقونها وهى البحيرة ولامرنهم فليغيرن

خلق الله قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن المسيب والضحاك يعني دين الله
نظيره قوله عز وجل لا تبديل لخلق الله اي لدين الله يريد وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال
وقال عكرمة وجماعة من المفسرين فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الآذان حتى حرم
بعضهم الخصاء وجوزه بعضهم في البهائم لان فيه غرضا ظاهرا وقيل تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق
الانعام للركوب والاكل فحرموها وخلق الشمس والقمر والاحجار لمنفعة العباد فعبدوها من
دون الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله اي ربا يطيعه فقد خسر خسرانا مبينا
يعدهم ويمنيهم فوعده وتمنيته ما يوقع في قلب الانسان من طول العمر ونيل الدنيا وقد يكون بالتخو
يف بالفقر فيمنعه من الانفاق وصلة الرحم كما قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويمنيهم بان لا بعث
ولا جنة ولا نار وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي باطلا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها
محيصا اي مفرا ومعدلا عنها والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الا
نهار اي من تحت الغرف والمساكن خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا قوله تعالى
ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب قال مسروق وقتادة والضحاك اراد ليس بامانيكم ايها
المسلمون ولا اماني اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا
يقضي على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى وقال مجاهد اراد بقوله ليس بامانيكم
مشركي اهل مكة وذلك انهم قالوا لا بعث ولا حساب وقال اهل الكتاب لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ولن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فانزل الله تعالى ليس بامانيكم اي
ليس الامر بالاماني وانما الامر بالعمل الصالح من يعمل سوءا يجز به وقال ابن عباس وسعيد بن
جبير وجماعة الاية عامة في حق كل عامل وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس لما نزلت هذه الا
ية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون
في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر امثالها حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت
واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده اعشاره واما ما كان
جزاء في الاخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل
فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله وروي عن ابي بكر الصديق رضي قال كنت عند رسول
الله صلعم فنزلت عليه هذه الاية من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا

قال رسول الله صلعم يا ابا بكر الا اقرئك اية انزلت علي قال قلت بلى قال فاقرأنيها فلا اعلم
الا اني وجدت انقصاما في ظهري حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلعم ما لك يا ابا بكر فقلت يا ر
سول الله بابي انت وامي واينا لم يعمل سوءا وانا لمجزيون بكل سوء عملنا فقال رسول الله صلعم
اما انت يا ابا بكر واصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليست لكم ذنوب واما
الاخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو
مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا اي بقدر النقير وهو النقرة التي تكون في ظهر النواة
وقرأ ابن كثير وابو جعفر واهل البصرة وابو بكر يدخلون بضم الياء وفتح الخاء هاهنا وفي سورة مريم
وحم المؤمن وزاد ابو عمرو يدخلونها في سورة فاطر وقرأ الاخرون بفتح الياء وضم الخاء روى الاعمش
عن ابي الضحى عن مسروق قال لما نزلت ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب قال اهل الكتاب
نحن وانتم سواء فنزلت هذه الاية ومن يعمل من الصالحات الاية ونزلت ايضا ومن احسن
دينا اي احكم دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص عمله وقيل فوض امره الى الله وهو محسن
اي موحد واتبع ملة ابراهيم يعني دين ابراهيم حنيفا اي مسلما مخلصا قال ابن عباس ومن دين
ابراهيم الصلوة الى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج وانما خص ابراهيم لانه كان مقبولا عند
الامم اجمع وقيل لانه بعث على ملة ابراهيم وزيد له اشياء واتخذ الله ابراهيم خليلا صفيا والخلة
صفاء المودة قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس كان ابراهيم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطر
يق يضيف من مر به فاصاب الناس سنة فحشروا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة
له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى الخليل الذي له بمصر فقال خليله لغلمانه لو
كان ابراهيم انما يريده لنفسه احتملنا ذلك له فقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع
رسل ابراهيم فمروا ببطحاء فقالوا لو انا حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بالميرة
فانا نستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا الغرائر رملة ثم اتوا ابراهيم فاعلموه وسارة نا
ئمة فاهتم ابراهيم لمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام فاستيقظت سارة وقد ارتفع
النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فما جاؤا بشئ قالوا بلى فقامت الى الغرائر
ففتحتها فاذا هو اجود حوارى يكون فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم
عليه م فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا قالت من عند خليلك المصري فقال هذا من
عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا قال الزجاج معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل والخلة

الصداقة فسمي خليلا لان الله احبه واصطفاه وقيل هو من الخلة وهي الحاجة سمي خليلا اي فقيرا
الى الله لانه لم يجعل فقره وفاقته الا الى الله والاول اصح لان قوله واتخذ الله ابرهيم خليلا يقتضي
الخلة من الجانبين ولا يتصور الحاجة من الجانبين روي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلعم لو كنت
متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن ابا بكر اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا ولله ما في
السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا اي احاط علمه بجميع الاشياء قوله عز وجل ويستفتونك
في النساء قل الله يفتيكم فيهن قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس هذه الاية في بنات ام كحة و
ميراثهن من ابيهن وقد مضت القصة في اول السورة وقالت عائشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل
وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة صداقها وان كانت مرغوبا
عنها في قلة المال والجمال تركها وفي رواية هي اليتيمة تكون في حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب عنها
ان يتزوجها لدمامتها ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه فيحبسها حتى تموت فيرثها فنهاهم
الله عز وجل قوله ويستفتونك اي يستخبرونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب
قيل معناه ويفتيكم فيما يتلى عليكم وقيل معناه يبين لكم ما يتلى عليكم يريد الله يفتيكم فيهن وكتابه يفتيكم
فيهن وهو قوله وآتوا اليتامى اموالهم وقوله في يتامى النساء هذا اضافة الشيء الى نفسه لانه اراد
باليتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن اي لا تعطونهن ما كتب لهن من صداقهن وترغبون
ان تنكحوهن اي في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقال الحسن وجماعة
اراد لا تؤتونهن حقهن من الميراث لانهم كانوا لا يورثون النساء وترغبون ان تنكحوهن
اي عن نكاحهن لدمامتهن والمستضعفين من الولدان يريد ويفتيكم في المستضعفين
من الولدان وهم الصغار ان تعطوا حقوقهم لانهم كانوا لا يورثون الصغار يريد ما يتلى
عليكم في باب اليتامى من قوله وآتوا اليتامى اموالهم يعني باعطاء حقوق الصغار وان تقوموا
لليتامى بالقسط اي ويفتيكم ان تقوموا لليتامى بالقسط بالعدل في مهورهن ومواريثهن وما
تفعلوا من خير فان الله كان به عليما قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعرا
ضا نزلت في عمرة ويقال خويلة بنت محمد بن سلمة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رافع بن
خديج تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج عليها امراة شابة وآثرها عليها وجفا ابنة محمد
بن سلمة فاتت رسول الله صلعم فشكت اليه فنزلت فيها هذه الاية وقال سعيد بن جبير كان رجل له
امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على ولدي

واقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي
فاتى رسول الله صلعم فذكر له ذلك فانزل الله وان امراة خافت اي علمت من بعلها اي من زوجها نشوزا
اي بغضا قال الكلبي يعني ترك مضاجعتها واعراضا بوجهه عنها وقلة مجالستها فلا جناح عليهما
يعني على المراة والزوج ان يصالحا اي يتصالحا وقرا اهل الكوفة ان يصلحا من اصلح بينهما صلحا
يعني في القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج لها انك قد دخلت في السن واني اريد ان اتزوج امراة
شابة جميلة اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت بهذا فاقيمي وان كرهت خليت سبيلك
فان رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك فان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها
حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان فان امسكها ووفاها حقها مع كراهيته فهو المحسن
وقال سليمان بن يسار في هذه الاية عن ابن عباس فان صالحته عن بعض حقها من القسم والنفقة
فذلك جائز ما رضيت فان انكرت بعد الصلح فذلك لها ولها حقها وقال مقاتل بن حيان في هذه الاية
هو ان الرجل تكون تحته المراة الكبيرة فيتزوج عليها الشابة فيقول للكبيرة اعطيك من مالي نصيبا على
ان اقسم لهذه الشابة اكثر مما اقسم لك فترضى بما اصطلحا عليه فان ابت ان ترضى فعليه ان يعدل
بينهما في القسمة وعن علي في هذه الاية قال تكون المراة عند الرجل فتنبو عينه عنها من دمامة او كبر
فتكره فرقته فان اعطته من مالها فهو له حل وان اعطته من ايامها فهو له حل والصلح خير
يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسمة والنفقة من الفرقة كما يروى
ان سودة كانت امراة كبيرة اراد النبي صلعم ان يفارقها فقالت لا تطلقني وانما بي ان ابعث
في نسائكم وقد جعلت نوبتي لعائشة فامسكها رسول الله صلعم وكان يقسم لعائشة يومها ويوم
سودة واحضرت الانفس الشح يريد شح كل واحد من الزوجين بنصيبه من الآخر والشح اقبح
البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وان تحسنوا اي تصلحوا وتتقوا الجور وقيل هذا خطاب
مع الازواج اي وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها فان الله كان بما
تعملون خبيرا فيجزيكم باعمالكم ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لن تقدروا ان تسووا
بين النساء في الحب وميل القلب ولو حرصتم على العدل فلا تميلوا الى التي تحبونها كل الميل في القسمة
والنفقة اي لا تتبعوا اهواءكم افعالكم فتذروها كالمعلقة اي فتدعوا الاخرى كالمنوطة لا ايما
ولا ذات بعل وقال قتادة كالمحبوسة وفي قراءة ابي بن كعب كانها مسجونة وروي عن ابي قلابة
ان النبي صلعم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك

ولا املك، ورواه بعضهم عن ابي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عايشة متصلا وروي عن ابي
هريرة عن النبي صلعم قال من كانت له امراتان فمال الى احديهما جاء يوم القيمة وشقه مايل وان
تصلحوا او تتقوا الجور فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يعني الزوج والمراة بالطلاق
يغن الله كلا من سعته من رزقه يعني المراة بزوج آخر والزوج بامراة اخرى وكان الله واسعا
حكيما واسع الفضل والرحمة حكيما فيما امر ونهى وجملة حكم الاية ان الرجل اذا كانت تحته امرا
تان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله
عز وجل وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة اما في الجماع فلا لانه يدور على النشا
ط وليس ذلك اليه ولو كانت في نكاحه حرة وامة يبيت عند الحرة ليلتين وعند الامة واحدة واذا
تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال على التوالي ان كانت
بكرا وان كانت ثيبا فثلاث ليال ثم يسوي بعد ذلك بين الكل ولا يجب قضاء هذه الليالي للقد
يمات روي عن انس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج
الثيب اقام عندها ثلثا ثم قسم قال ابو قلابة ولو شئت لقلت ان انسا رفعه الى النبي صلعم
واذا اراد الرجل سفر حاجة فيجوز له ان يحمل بعض نسايه بعد ان يقرع بينهن فيهن ثم لا يجب عليه
ان يقضي للباقيات مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه في بلد على مدة المسافرين والد
ليل عليه ما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان رسول الله صلعم اذا اراد سفرا اقرع بين
نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها اما اذا اراد سفر نقلة فليس له تخصيص بعضهن لا بالقرعة
ولا بغيرها ولله ما في السموات وما في الارض عبيدا وملكا ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم يعني اهل التورية والانجيل وساير الكتب المتقدمة في كتبهم واياكم يا اهل القران في كتا
بكم ان اتقوا الله اي وحدوا الله واطيعوه وان تكفروا بما اوصاكم الله به فان لله ما في
السموات وما في الارض قيل فان لله ملائكة في السموات والارض هم اطوع له منكم وكان
الله غنيا عن جميع خلقه غير محتاج الى طاعتهم حميدا محمودا على نعمه ولله ما في السموات وما في الا
رض وكفى بالله وكيلا قال عكرمة عن ابن عباس يعني شهيدا ان ما فيهما عبيد وقيل دافعا ومجيرا فان
قيل اي فايدة في تكرار قوله ولله ما في السموات وما في الارض قيل لكل واحد منها وجه اما الاول
معناه لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته واما الثاني يقول فان
لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا عن الخلق وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون واما الثالث

يقول ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي له الملك فاتخذوه وكيلا فلا تتو
كلوا على غيره ان يشا يذهبكم اي يهلككم ايها الناس يعني الكفار ويات باخرين
يقول بغيركم خيرا منكم واطوع وكان الله على ذلك قديرا قادرا من كان يريد ثواب الدنيا
فعند الله ثواب الدنيا والاخرة يريد من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا ولا يريد به الله اتاه
الله من عرض الدنيا ودفع عنه فيها ما اراد الله وليس له في الاخرة من ثواب ومن اراد بعمله ثواب
الاخرة اتاه الله من الدنيا ما احب وجزاه الجنة في الاخرة وكان الله سميعا بصيرا يا ايها
الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله يعني كونوا قايمين بالشهادة بالقسط اي بالعدل
لله وقال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كانت ولو على انفسكم او
الوالدين والاقربين في الرحم اي قولوا الحق ولو على انفسكم بالاقرار او الوالدين والاقربين فاقيموها
عليهم لله ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما اي اقيموا على المشهود عليه وان كان غنيا وللمشهود له وان كان فقيرا فالله اولى
بهما منكم اي كلوا امرهما الى الله قال الحسن معناه الله اعلم بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي
تجوروا وتميلوا الى الباطل من الحق وقيل معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا اي لتكونوا عادلين كما
يقال لا تتبع الهوى لترضي ربك وان تلووا اي تحرفوا الشهادة لتبطلوا الحق او تعرضوا
عنها فتكتموها ولا تقيموها ويقال تلووا اي تدافعوا في اقامة الشهادة يقال لويته حقه اذا دا
فعته ومطلته وقيل هذا خطاب مع الحكام وليّهم الاشداق يقول وان تلووا اي تميلوا الى احد الخصمين
او تعرضوا عنه وقرا ابن عامر وحمزة بضم اللام قيل اصله تلووا فحذفت احدى الواوين تخفيفا
وقيل معناه وان تلوا القيام باداء الشهادة او تعرضوا فتتركوا اداءها فان الله كان بما تعملون
خبيرا قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
نزلت هذه الاية في عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن اخت
عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين فهولاء مومنوا اهل الكتاب اتوا رسول
الله صلعم فقالوا انا نومن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب
والرسل فقال لهم صلعم بل امنوا بالله ورسوله محمد والقران وبكل كتاب كان قبله فانزل الله
هذه الاية يا ايها الذين امنوا بمحمد والقران وبموسى والتورية امنوا بالله ورسوله محمد والكتاب
الذي نزل على رسوله يعني القران والكتاب الذي انزل من قبل من التورية والانجيل والزبور

وسائر الكتب قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو نُزِّل وأُنزِل بضم النون والالف وقرأ الا
خرون نَزَّل وأَنزَل بالفتح اى انزل الله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد
ضل ضلالا بعيدا فلما نزلت هذه الآية قالوا فانا نؤمن بالله ورسوله والقرآن وبكل رسول وكتا
ب كان قبل القرآن والملائكة واليوم الآخر لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وقال الضحاك
اراد به اليهود والنصارى يقول يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد والقرآن وقال مجاهد
اراد به المنافقين يقول يا ايها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب وقال ابو العالية وجماعة هذا خطاب
للمؤمنين يقول يا ايها الذين آمنوا آمنوا اى اقيموا واثبتوا على الايمان كما يقال للقائم قم حتى ارجع اليك اى
اثبت قائما وقيل المراد به اهل الشرك يعنى يا ايها الذين آمنوا باللات والعزى آمنوا بالله ورسوله
ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى ثم
كفروا من بعد بعبادتهم العجل ثم آمنوا بالتورية ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم وقيل
هو فى جميع اهل الكتاب آمنوا بنبيهم ثم كفروا به وآمنوا بالكتاب الذى نزل عليه ثم كفروا به وكفرهم
به تركهم اياه ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم وقيل هذا فى قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ومثل هذا
هل تقبل توبته حكى عن على انه لا تقبل توبته بل يقتل لقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم واكثر
اهل العلم على قبول توبته وقال فى هؤلاء ثم ازدادوا كفرا اى ماتوا عليه لم يكن الله ليغفر لهم ما اقاموا
على ذلك ولا ليهديهم سبيلا اى طريقا الى الحق فان قيل ما معنى قوله لم يكن الله ليغفر لهم ومعلوم
انه لا يغفر الشرك وان كان اول مرة قيل معناه ان الكافر اذا اسلم اول مرة ودام عليه يغفر
له كفره السابق فان اسلم ثم كفر ثم اسلم ثم كفر فلا يغفر له كفره السابق الذى كان يغفر له لو دام
على الاسلام بشر المنافقين اى اخبرهم يا محمد بان لهم عذابا اليما والبشارة كل خبر يتغير به
بشرة الوجه سارا كان او غير سار وقال الزجاج معناه اجعل فى موضع بشارتك لهم العذاب
كما يقول العرب تحيتك الضرب وعتابك السيف اى الضرب بدل لك من التحية والسيف بدل لك من
العتاب ثم وصف المنافقين الذين يتخذون الكافرين اولياء يعنى يتخذون اليهود اولياء انصارا
وبطانة من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة اى المعونة والظهور على محمد صلعم واصحابه
اى يطلبون عندهم القوة والغلبة فان العزة اى القوة والغلبة والقدرة لله جميعا وقد نزل قرأ
عاصم ويعقوب نَزَّل بفتح النون والزاى اى نزل الله وقرأ الاخرون نُزِّل بضم النون وكسر الزاى عليكم
يا معشر المسلمين فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يعنى القرآن يكفر بها ويستهزأ بها

فلا تقعدوا معهم يعنى مع الذين يستهزءون حتى يخوضوا فى حديث غيره اى يأخذوا فى حديث غير الا
ستهزاء بمحمد والقرآن وهذا اشارة الى ما انزل الله فى سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون
فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره قال الضحاك عن ابن عباس دخل فى هذه الآية كل محدث
فى الدين وكل مبتدع الى يوم القيمة وقوله انكم اذا مثلهم اى ان قعدتم عندهم وهم يخوضون ويستهزءون
ورضيتم به فانتم كفار مثلهم وان خاضوا فى حديث غيره فلا باس بالقعود معهم مع الكراهية قال الحسن
لا يجوز القعود معهم وان خاضوا فى حديث غيره لقوله تعالى واما ينسينك الشيطان فلا تقعد
بعد الذكرى مع القوم الظالمين والاكثرون على الاول وآية الانعام مكية وهذه مدنية والمتاخر
اولى ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا الذين يتربصون بكم اى ينتظرون
بكم الدوائر يعنى المنافقين فان كان لكم فتح من الله يعنى ظفرا وغنيمة قالوا الم نكن معكم
على دينكم وفى الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة وان كان للكافرين نصيب يعنى دولة وظهورا
على المسلمين قالوا يعنى المنافقين للكفار الم نستحوذ عليكم والاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة
قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان اى استولى وغلب يقول الم نخبركم بعورة محمد واصحابه
ونطلعكم على سرهم قال المبرد يقول المنافقون للكفار الم نغلبكم على رايكم ونمنعكم نصرفكم
عن المؤمنين اى الدخول فى جملتهم وقيل معناه الم نستول عليكم بالنصرة لكم ونمنعكم من المؤمنين اى ندفع
عنكم صولة المؤمنين بتخذيلهم ومراسلتنا اياكم باخبارهم وامورهم ومراد المنافقين بهذا
الكلام اظهار المنة على الكافرين فالله يحكم بينكم يوم القيمة يعنى بين اهل الايمان واهل النفاق
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال على فى الآخرة وقال عكرمة عن ابن عباس اى
حجة وقيل ظهورا على اصحاب النبى صلعم ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم اى يعاملونه
معاملة المخادعين وهو خادعهم اى مجازيهم على خداعهم وذلك انهم يعطون نورا يوم القيمة كما
للمؤمنين فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفى نور المنافقين واذا قاموا الى الصلوة يعنى
المنافقين قاموا كسالى اى متثاقلين لا يريدون بها الله فان رآهم احد صلوا وان انصرفوا فلم
يصلوا يراءون الناس اى يفعلون ذلك مراءاة للناس لا اتباعا لامر الله عز وجل ولا يذكرون
الله الا قليلا قال ابن عباس والحسن انما قال ذلك لانهم يفعلونها رياء وسمعة ولو ارادوا بذلك
القليل وجه الله لكان كثيرا وقال قتادة انما قل ذكر المنافقين لان الله تعالى لم يقبله وكل ما قبل الله فهو
كثير مذبذبين بين ذلك اى مترددين متحيرين بين الكفر والايمان لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

اي ليسوا من المؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ
من الكفار ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي طريقا الى الهدى روى عن ابن عمر عن
النبي صلعم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين نهى الله المؤمنين عن موالاة
الكفار وقال أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي حجة بينة في عذابكم ثم ذكر منازل
المنافقين فقال جل ذكره ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار قرأ اهل الكوفة
في الدرك بسكون الراء والباقون بفتحها وهما لغتان كالظعن والظعن والنهر والنهر قال ابن عباس
في الدرك الاسفل توابيت من حديد مقفلة في النار وقال ابو هريرة بيت مقفل عليهم تتوقد فيه
النار من فوقهم ومن تحتهم ولن تجد لهم نصيرا مانعا من العذاب الا الذين تابوا من النفاق
وآمنوا واصلحوا اعمالهم واعتصموا بالله وثقوا بالله واخلصوا دينهم لله اراد الاخلاص با
لقلب لان النفاق كفر القلب فزواله يكون باخلاص القلب فاولئك مع المؤمنين قال الفراء من
المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين في الآخرة اجرا عظيما يعني الجنة وحذفت الياء من يؤت
في الخط لسقوطها في اللفظ وسقوطها في اللفظ لسكون اللام في الله ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم نعماءه وآمنتم به وفيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الشكر لا ينفع
مع عدم الايمان وهذا استفهام بمعنى التقرير معناه انه لا يعذب المؤمن الشاكر فان تعذ
يبه عباده لا يزيد في ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه والشكر ضد الكفر
فالكفر ستر النعمة والشكر اظهارها وكان الله شاكرا عليما فالشكر من الله تعالى
هو الرضا بالقليل من عباده واضعاف الثواب عليه والشكر من العبد الطاعة ومن الله
الثواب لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم يعني لا يحب الله الجهر بالقول القبيح
الا من ظلم فيجوز للمظلوم ان يخبر عن ظلم الظالم وان يدعو عليه قال الله تعالى ولمن انتصر بعد
ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل قال الحسن دعاؤه عليه ان يقول اللهم اعني عليه اللهم استخرج حقي منه
وقيل ان شتم جاز ان يشتم بمثله لا يزيد عليه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال المستبان
ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقال مجاهد هذا في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم
يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ويذكر ما صنع به روي عن عقبة بن عامر قال قلنا يا رسول الله
انك تبعثنا فننزل على قوم فلا يقرونا فما ترى فقال لنا رسول الله ان نزلتم بقوم فا

مروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم وقرأ
الضحاك بن مزاحم وزيد بن اسلم الا من ظلم بفتح الظاء واللام معناه لكن الظالم اجهروا له بالسوء
من القول وقيل معناه لا يحب الله الجهر بالسوء لكن يجهر به من ظلم والقراءة الاولى هي المعروفة وكان
الله سميعا لدعاء المظلوم عليما بعقاب الظالم ان تبدوا خيرا يعني حسنة فيعمل بها كتبت له عشرا
وان هم بها ولم يعمل كتبت له حسنة واحدة وهو قوله او تخفوه وقيل المراد من الخير المال يريد
ان تبدوا صدقة تعطوها او تخفوها سرا او تعفوا عن سوء اي عن مظلمة فان الله كان
عفوا قديرا فهو اولى بالتجاوز عنكم يوم القيامة قوله عز وجل ان الذين يكفرون بالله ورسله
نزلت في اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وعزير وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلعم والقرآن
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا اي دينا بين اليهودية والاسلام ومذهبا يذهبون اليه اولئك هم الكا
فرون حقا حقق كفرهم ليعلم ان الكفر ببعضهم كالكفر بجميعهم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
والذين آمنوا بالله ورسله كلهم ولم يفرقوا بين احد منهم يعني من الرسل وهم المؤمنون
يقولون لا نفرق بين احد من رسله اولئك سوف نؤتيهم اجورهم بايمانهم بالله وكتبه ورسله
قرأ حفص عن عاصم يؤتيهم بالياء والباقون بالنون وكان الله غفورا رحيما قوله عز وجل
يسألك اهل الكتاب وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا من اليهود قالوا لرسول
الله صلعم ان كنت نبيا صادقا فائتنا بكتاب جملة من السماء كما اتى به موسى عليه السلام فانزل
الله عز وجل يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء وكان هذا السؤال منهم
سؤال تحكم واقتراح لا سؤال انقياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد فقد
سألوا موسى اكبر من ذلك اي اعظم من ذلك يعني السبعين الذين خرج بهم موسى الى الجبل
فقالوا ارنا الله جهرة اي عيانا وقال ابو عبيدة معناه قالوا جهرة ارنا الله فاخذتهم الصا
عقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل يعني الها من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك ولم
نستأصلهم قيل هذا استدعاء الى التوبة معناه ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم
فتوبوا انتم حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا اي حجة بينة من المعجزات وهي الآيات
التسع ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم
لا تعدوا في السبت قرأ اهل المدينة بتشديد الدال وبفتح العين نافع برواية ورش وبجزمها

الآخر فهو معناه لا تعدوا ولا تظلموا باصطياد الحيتان فيه واخذنا منهم ميثاقا غليظا
فبما نقضهم ميثاقهم اى فبنقضهم وما صلة كقوله تعالى فبما رحمة من الله ونحوها وكفرهم
بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم اى ختم عليها
فلا يؤمنون الا قليلا يعنى منهم كذب الرسل لا من طبع على قلبه لا يؤمن ابدا او اراد بالقليل
عبد الله بن سلام واصحابه وقيل معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وبكفرهم وقولهم على مريم
بهتانا عظيما حين رموها بالزنا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما
قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وذلك ان الله تعالى القى شبه عيسى على الذى دل اليهود
عليه وقيل انهم جلسوا عيسى فى بيت وجعلوا عليه رقيبا فالقى الله شبه عيسى على الرقيب فقتلوه
وقيل غير ذلك كذا ذكرناه فى سورة آل عمران وان الذين اختلفوا فيه فى قتله لفى شك منه ان من قتله
قال الكلبى اختلافهم فيه هو ان اليهود قالت نحن قتلناه وقالت طائفة من النصارى نحن قتلناه
وقالت طائفة منهم ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله الى السماء ونحن ننظر اليه وقيل كان
الله تعالى القى شبه وجه عيسى على وجه ططيانوس ولم يلق على جسده فاختلفوا فيه فقال بعضهم
قتلنا عيسى فان الوجه وجه عيسى وقال بعضهم لم نقتله لان جسده ليس بجسد عيسى وقال السدى
اختلافهم من حيث انهم قالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى قال
الله تعالى ما لهم به من علم من حقيقة انه قتل او لم يقتل الا اتباع الظن لكنهم يتبعون الظن فى قتله
قال الله عز وجل وما قتلوه يقينا اى ما قتلوا عيسى يقينا بل رفعه الله اليه وقيل قوله يقينا يرجع
الى ما بعده وقوله وما قتلوه كلام تام تقديره بل رفعه الله يقينا والهاء فى ما قتلوه كناية عن
عيسى وقال الفراء معناه وما قتلوا الذى ظنوه انه عيسى يقينا انه عيسى وروى عن ابن عباس
معناه ما قتلوا ظنهم يقينا وكان الله عزيزا منيعا بالنقمة من اليهود حكيما حكم باللعنة
عليهم فسلط الله عليهم ططيوس بن اسبيانوس الرومى فقتل منهم مقتلة عظيمة وان
من اهل الكتاب اى وما من اهل الكتاب الا ليؤمنن به يعنى بعيسى هذا قول اكثر المفسرين
واهل العلم وقوله قبل موته اختلفوا فى هذه الكناية فقال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدى
انها كناية عن الكتابى معناه وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موته اذا وقع فى البأس
حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق او غرق او تردى او سقط عليه جدار او اكله السبع او مات
فجأة وهذه رواية على بن ابى طلحة عن ابن عباس قال فقيل لابن عباس أرأيت ان خر من فوق

بيت قال يتكلم به فى الهواء قال فقيل ارأيت ان ضرب عنق احدهم قال يتلجلج بها لسانه وذهب
قوم الى ان الهاء فى موته كناية عن عيسى معناه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل
موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى احد الا آمن به حتى تكون الملة واحدة ملة
الاسلام وروينا عن ابى هريرة عن النبى صلعم قال يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وتهلك فى زمانه الملل كلها الا الا
سلام ويقتل الدجال فيمكث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون وقال ابو هريرة
اقرؤا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته عيسى بن مريم ثم يعيدها ابو هريرة
ثلث مرات وروى عن عكرمة ان الهاء فى ليؤمنن به كناية عن محمد صلعم يقول لا يموت كتابى حتى يؤمن
بمحمد صلعم وقيل هى راجعة الى الله عز وجل يقول وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بالله عز وجل قبل موته
عند المعاينة حين لا ينفعه ايمانه ويوم القيمة يكون يعنى عيسى عليهم شهيدا انه قد بلغهم رسالة
ربه واقر بالعبودية على نفسه كما قال تعالى مخبرا عنه وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وكل نبى شاهد
على امته قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبظلم
من الذين هادوا وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبهتانهم على
مريم وقولهم انا قتلنا المسيح حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وهو ما ذكر فى سورة الانعام
فقال وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ونظم الآية فبظلم من الذين هادوا وهو ما ذكرنا
وبصدهم وبصرفهم انفسهم وغيرهم عن سبيل الله عن دين الله صدا كثيرا واخذهم الربا وقد
نهوا عنه فى التورية واكلهم اموال الناس بالباطل من الرشى فى الحكم والمآكل التى يصيبونها من عوا
مهم عاقبناهم بان حرمنا عليهم طيبات فكانوا كلما ارتكبوا كبيرة حرم عليهم شىء من الطيبات
التى كانت حلالا لهم قال الله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون واعتدنا للكافرين منهم
عذابا اليما لكن الراسخون فى العلم منهم يعنى ليس اهل الكتاب كلهم بهذه الصفة لكن الراسخون
البالغون فى العلم منهم يعنى ليس اهل الكتاب كلهم اولى البصائر منهم واراد به الذين اسلموا من
علماء اليهود مثل عبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون يعنى المهاجرين والانصار يؤمنون بما
انزل اليك يعنى القرآن وما انزل من قبلك يعنى سائر الكتب المنزلة والمقيمين الصلاة اختلفوا
فى وجه انتصابه فحكى عن عائشة وابان بن عثمان انه غلط من الكاتب ينبغى ان تكتب والمقيمون
الصلاة وكذلك قوله فى سورة المائدة ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله ان

هذان لساحران قالوا ذلك خطاء من الكاتب وقال عثمان ان في المصحف لحنا وستقيمه العرب
بالسنتها فقيل له الا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وعامة الصحابة واهل العلم
على انه صحيح واختلفوا فيه فقيل هو نصب على المدح وقيل نصب باضمار فعل تقديره اعني المقيمين الصلاة
وهم المؤتون الزكوة وقيل موضعه خفض واختلفوا في وجهه فقال بعضهم معناه لكن الراسخون
في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة وقيل معناه يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة ثم قوله والمؤتون
الزكوة رجوع الى النسق الاول والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما قرا حمزة
سيؤتيهم بالياء الباقون بالنون انا اوحينا اليك هذا بناء على ما سبق من قوله تعالى يسئلك اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فلما ذكر الله عيوبهم وذنوبهم غضبوا وجحدوا الكل ما انزل
الله عز وجل وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء فنزل وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل
الله على بشر من شيء وانزل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده فذكر الله عدة من الر
سل الذين اوحى اليهم وبدأ بذكر نوح عم لانه كان ابا البشر مثل ادم عليه السلام قال الله تعالى وجعلنا
ذريته هم الباقين ولانه اول نبي من انبياء الشريعة واول نذير على الشرك واول من عذ
ب امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان اطول الانبياء عمرا وجعلت
معجزته في نفسه لانه عمر الف سنة فلم تنقص له سن ولم تشب له شعرة ولم تنتقص قوته ولم يصبر
احد على اذى قومه ما صبر هو على طول عمره واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وهم اولاد يعقوب وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن واتينا
داود زبورا قرا الاعمش وحمزة زبورا والزبور بضم الزاء حيث كان بمعنى جمع زبر اي اتينا
داود صحفا وكتبا مزبورة اي مكتوبة وقرا الاخرون بفتح الزاء وهو اسم الكتاب الذي انزل الله
عز وجل على داود عم وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل وكان داود يبرز الى
البرية فيقوم ويقرا الزبور ويقوم معه علماء بني اسرائيل فيقومون خلفه ويقوم الناس
خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس الاعظم فالاعظم والشياطين خلف الجن وتجيء الدوا
ب التي في الجبال فيقمن بين يديه تعجبا لما يسمعن منه والطير ترفرف على رؤسهم فلما قارف الذنب
لم ير ذلك فقيل له ذلك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية روي عن ابي موسى وهو ابن
قال قال لي رسول الله صلعم لو رأيتني البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير
ال داود قال اما والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته تحبيرا وكان عمر اذا راه قال

ذكرنا يا ابا موسى فيقرأ عنده قوله تعالى ورسلا قد قصصناهم اي كما اوحينا الى نوح والى رسل نصب
بنزع حرف الصفة وقيل معناه وقصصنا عليك رسلا وفي قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك
من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما قال الفراء العرب تسمي ما يوصل الى
الانسان كلاما باي طريق وصل ولكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام كالا
رادة يقال فلان اراد ارادة يريد حقيقة الارادة ويقال اراد الجدار ولا يقال اراد الجدار ارادة
لانه مجاز غير حقيقة رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
فيقولوا ما ارسلت الينا رسولا وما انزلت كتابا وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثه
الرسل قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وكان الله عزيزا حكيما روي عن عبد الله
[illegible] المغيرة ووراد كاتب المغيرة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امراتي لضربته بالسيف
غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال تعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل
غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل
ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل ذلك وعد الله الجنة
لكن الله يشهد بما انزل اليك قال ابن عباس ان رؤس مكة اتوا رسول الله صلعم فقالوا يا
محمد انا سالنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك ودخل عليه جماعة
من اليهود فقال لهم والله انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا والله ما نعلم ذلك فانزل الله عز وجل
لكن الله يشهد بما انزل اليك ان جحدوك وكذبوك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بكتمان نعت محمد عم قد ضلوا ضلالا بعيدا ان
الذين كفروا وظلموا قيد اما قال وظلموا مع ان ظلمهم بكفرهم تاكيدا وقيل معناه كفروا بالله وظلموا
محمدا صلعم بكتمان نعته لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا يعني دين الاسلام الا
طريق جهنم يعني اليهودية خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا وهذا في حق
من سبق حكمه فيهم انهم لا يؤمنون يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا
خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما قوله عز وجل يا
اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم نزلت في النصارى وهم اصناف اليعقوبية والملكانية والنسطو
رية والمرقوسية فقالت اليعقوبية عيسى هو الله وكذا الملكانية وقالت النسطورية عيسى ابن الله
وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة فانزل الله هذه الاية ويقال الملكانية يقولون عيسى هو الله

والیعقوبیة یقولون ابن الله والنسطوریة یقولون ثالث ثلاثة علمهم رجل من الیهود یقال
له بولس سیاتی فی سورة التوبة وقال الحسن یجوز ان یکون فی الیهود والنصاری فانهم جمیعا
غلوا فی امر عیسی علیه السلام فالیهود بالتقصیر والنصاری بمجاوزة الحد واصل الغلو مجاوزة الحد وهو فی الدین
حرام قال الله لا تغلوا فی دینکم لا تتشددوا فی دینکم فتفتروا علی الله ولا تقولوا علی الله الا الحق لا تقولوا
ان له شریکا وولدا انما المسیح عیسی بن مریم رسول الله وکلمته وهو قوله کن فکان بشرا من غیر
اب وقیل بشارة الله ایاها القیها الی مریم ای اعلمها واخبرها بها کما یقال القیت الیک کلمة حسنة وروح
منه قیل هو روح کسایر الارواح الا ان الله تعالی اضافه الی نفسه تشریفا وقیل الروح هو النفخ الذی
نفخ جبرائیل فی درع مریم فحملت باذن الله سمی النفخ روحا لانه ریح یخرج من الروح واضافه
الی نفسه لانه کان بامره وقیل روح منه ای ورحمة منه وکان عیسی علیه السلام رحمة لمن تبعه وآمن به وقیل
الروح الوحی اوحی الی مریم بالبشارة والی جبرائیل بالنفخ والی عیسی ان کن فکان کما قال الله تعالی
ینزل الملائکة بالروح من امره یعنی بالوحی وقیل اراد بالروح جبرائیل ومعناه وکلمته القاها الی
الی مریم والقاها الیها ایضا روح منه بامره وهو جبرائیل کما قال تنزل الملائکة والروح یعنی
جبرائیل فیها وقال فارسلنا الیها روحنا یعنی جبرائیل روی عن عبادة عن النبی صلعم قال من شهد
ان لا اله الا الله وحده لا شریک له وان محمدا عبده ورسوله وان عیسی عبد الله ورسوله وکلمته القاها
الی مریم وروح منه والجنة والنار حق ادخله الله الجنة علی ما کان من العمل فآمنوا بالله
ورسله ولا تقولوا ثلثة ای ولا تقولوا هم ثلاثة وکانت النصاری یقولون اب وابن وروح
قدس انتهوا خیرا لکم تقدیره یکن الانتهاء خیرا لکم انما الله اله واحد سبحانه ان یکون له
ولد واعلم ان التبنی لا یجوز لله تعالی لان التبنی انما یجوز لمن یتصور له ولد له ما فی السموات وما
فی الارض وکفی بالله وکیلا قوله عز وجل لن یستنکف المسیح ان یکون عبدا لله وذلک ان
وفد نجران قالوا یا محمد انک تعیب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبی صلعم انه لیس بعار ان
یکون عبدا لله فنزل لن یستنکف المسیح لن یانف ولن یتعظم والاستنکاف التکبر مع الانفة
ولا الملائکة المقربون وهم حملة العرش لا یانفون ان یکونوا عبیدا لله ویستدل بهذه الآیة
من یقول بتفضیل الملائکة علی البشر لان الله ارتقی من عیسی الی الملائکة ولا یرتقی الا الی الاعلی
لا یقال لا یستنکف فلان من کذا ولا عبده انما یقال فلان لا یستنکف من کذا ولا مولاه
ولا حجة لهم فیه لانه لم یقل ذلک رفعا لمقامهم علی مقام البشر بل ردا علی الذین یقولون الملائکة

آلهة کما رد علی النصاری قولهم المسیح ابن الله فقال ردا علی النصاری بزعمهم فانهم یقولون بتفضیل
الملائکة ومن یستنکف عن عبادته ویستکبر فسیحشرهم الیه جمیعا قیل الاستنکاف هو التکبر
مع الانفة والاستکبار العلو والتکبر من غیر انفة فاما الذین آمنوا وعملوا الصالحات فیوفیهم
اجورهم ویزیدهم من فضله من التضعیف ما لا عین رات ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب
بشر واما الذین استنکفوا واستکبروا عن عبادته فیعذبهم عذابا الیما ولا یجدون لهم من
دون الله ولیا ولا نصیرا یا ایها الناس قد جاءکم برهان من ربکم یعنی محمدا صلعم هذا قول
اکثر المفسرین وقیل هو القرآن والبرهان الحجة وانزلنا الیکم نورا مبینا یعنی القرآن فاما الذین آمنوا
بالله واعتصموا به امتنعوا به من زیغ الشیطان فسیدخلهم فی رحمة منه وفضل یعنی الجنة ویهدیهم
الیه صراطا مستقیما قوله عز وجل یستفتونک قل الله یفتیکم فی الکلالة نزلت فی جابر بن عبد الله قال
عادنی رسول الله صلعم وانا مریض لا اعقل فتوضا وصب علی من وضوئه فعقلت فقلت یا رسول الله
لمن المیراث انما یرثنی کلالة فنزلت یستفتونک قل الله یفتیکم فی الکلالة وقد ذکرنا معنی الکلالة وحکم
الآیة فی اول سورة وفی هذه الآیة بیان حکم میراث الاخوة للاب او للام قوله یستفتونک ای یستخبرونک
ویسالونک قل الله یفتیکم فی الکلالة ان امرؤ هلک لیس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترک وهو
یرثها یعنی اذا ماتت الاخت فجمیع میراثها للاخ ان لم یکن لها ولد فان کان لها ابن فلا شیء للاخ
وان کان ولدها انثی فللاخ ما فضل عن فرض البنات فان کانتا اثنتین فلهما الثلثان مما ترک
اراد اثنتین فصاعدا وهو ان مات وله اخوات فلهن الثلثان وان کانوا اخوة رجالا ونساء
فللذکر مثل حظ الانثیین یبین الله لکم ان تضلوا قال الفراء وابو عبیدة معناه ان لا تضلوا وقیل
معناه یبین الله لکم کراهة ان تضلوا والله بکل شیء علیم اخبرنا عبد الواحد الملیحی انبانا احمد
بن عبد الله النعیمی انبانا محمد بن یوسف حدثنا محمد بن اسمعیل ثنا عبد الله بن رجاء ثنا
اسرائیل عن ابی اسحق عن البراء قال آخر سورة نزلت کاملة براءة وآخر آیة نزلت خاتمة سورة
النساء یستفتونک قل الله یفتیکم فی الکلالة وروی عن ابن عباس آخر آیة نزلت آیة الربا وآخر سورة
نزلت اذا جاء نصر الله والفتح ورایت الناس وروی عنه آخر آیة نزلت قوله واتقوا یوما ترجعون
فیه الی الله ویروی بعد ما نزلت سورة النصر عاش النبی صلعم عاما ونزلت بعدها سورة براءة وهی
آخر سورة نزلت کاملة فعاش بعدها ستة اشهر ثم نزل فی طریق حجة الوداع یستفتونک الآیة
فسمیت آیة الصیف ثم نزلت وهو واقف بعرفة الیوم اکملت لکم دینکم فعاش بعدها احدا

وثلثين يومًا ثم نزلت اية الربا ثم نزلت واتقوا يومًا ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدا
وعشرين يومًا **سورة المائدة مدنية كلها الا قوله اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت**
بعرفات بسم الله الرحمن الرحيم روي عن ابي ميسرة قال انزل الله
تعالى في هذه السورة ثمانية عشر حكمًا لم ينزلها في غيرها قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
وما اكل السبع وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وتمام الطهور في قوله اذا قمتم الى
الصلوة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم الاية وما جعل من بحيرة ولا سائبة ولا و
صيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم ● يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود اي بالعهود
قال الزجاج هي اوكد العهود يقال عاقدت فلانا وعقدت عليه اي الزمته ذلك باستيثاق واصله
من عقد الشيء بغيره ووصله به كما يعقد الحبل بالحبل واختلفوا في هذه العقود قال ابن جريج هذا خطا
ب لاهل الكتاب يعني يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعهود التي عهدتها اليكم في شان
محمد صلعم وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس وقال الآخرون
هو عام قال قتادة اراد بها الحلف الذي تعاقدوا عليه في الجاهلية وقال ابن عباس هي عهود
الايمان والقرآن وقيل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم ● احلت لكم بهيمة الانعام قال
الحسن وقتادة هي الانعام كلها وهي الابل والبقر والغنم واراد تحليل ما حرم اهل الجاهلية
على انفسهم من الانعام وروى ابو ظبيان عن ابن عباس قال بهيمة الانعام هي الاجنة التي تو
جد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت ذهب اكثر اهل العلم الى تحليله قرات على ابي
عبد الله محمد بن الفضل الخرقي فقلت قرئ على ابي سهل محمد بن عمر بن طرفة السجزي
وانت حاضر فقيل له حدثكم ابو سليمان الخطابي نا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجستاني
نا مسدد نا هشيم عن مجالد عن ابي الوداك عن ابي سعيد قال قلنا يا رسول الله ننحر النا
قة ونذبح البقرة والشاة فنجد في بطنها الجنين انلقيه ام ناكله قال كلوه ان شئتم فان ذكوته
ذكاة امه وروى ابو الزبير عن جابر عن رسول الله صلعم قال ذكاة الجنين ذكاة امه وشرط بعضهم
الاشعار قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن
المسيب وعند ابي حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام وقال الكلبي بهيمة الانعام
وحشيها وهي الظباء وبقر الوحش وحمر الوحش سميت بهيمة لانها ابهمت عن التمييز وقيل لا نطق
لها

الا ما يتلى عليكم اي ما ذكر في قوله حرمت عليكم الميتة الى قوله وما ذبح على النصب
غير محلي الصيد وهو نصب على الحال اي لا محلي الصيد ومعنى الاية احلت لكم الانعام كلها الا ما كان
منها وحشيا فانه صيد لا يحل لكم في حال الاحرام فذلك قوله وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد يا ايها
الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله نزلت في الحطيم واسمه شريح بن ضبيعة البكري اتى المد
ينة وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلعم فقال له الى ما تدعو الناس فقال الى
شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع
امرا دونهم ولعلي اسلم وآتي بهم وقد كان النبي صلعم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة ي
تكلم بلسان شيطان ثم خرج شريح من عنده فقال رسول الله صلعم لقد دخل بوجه كافر وخرج
بعقب غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه وانطلق فتبعوه فلم يدركوه فلما كان
العام القابل خرج حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة بتجارة عظيمة وقد قلدوا الهدي
فقال المسلمون للنبي صلعم هذا الحطيم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلعم قد قلد الهدي
فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلعم عليهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس ومجاهد هي مناسك الحج وكان المشركون يحجون
ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقال ابو عبيدة شعائر الله
هي الهدايا المشعرة والاشعار من الشعار وهي العلامة واشعارها اعلامها بما يعرف
انها هدي وهو هاهنا ان يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل الدم فيكون ذلك علامة
انها هدي وهو سنة في الهدايا اذا كانت من الابل لما روي عن عائشة انها قالت فتلت قلائد
بدن النبي صلعم بيدي ثم قلدها واشعرها واهداها فما حرم عليه شيء كان احل له وقاس الشا
فعي البقر على الابل في الاشعار فاما الغنم فلا تشعر بالجرح لانها لا تحتمل الجرح لضعفها
وعند ابي حنيفة لا يشعر الهدي وقال عطية عن ابن عباس لا تحلوا شعائر الله هي ان تصيدوا وانتم
محرمون بدليل قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا وقال السدي اراد حرم الله وقيل المراد منه النهي
عن القتل في الحرم وقال عطاء شعائر الله حرمات الله واتباع طاعته واجتناب سخطه ● ولا
الشهر الحرام ● اي بالقتال فيه وقال ابن زيد هو النسيء وذلك انهم كانوا يحلونه عاما ويحرمونه
عاما ● ولا الهدي ● وهو كل ما يهدى الى بيت الله من بعير او بقرة او شاة ● ولا القلائد اي الهدايا
المقلدة يريد ذوات القلائد وقال عطاء اراد اصحاب القلائد وذلك انهم كانوا في الجاهلية

اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم بشيء من لحاء شجر الحرم كيلا يتعرض
لهم فنهى الشرع عن استحلال شيء منها وقال مطرف بن الشخير هي القلائد نفسها وذلك ان
المشركين كانوا ياخذون من لحاء شجر مكة ويتقلدونها فنهوا عن نزع شجرها ولا آمين البيت
الحرام اي قاصدين البيت الحرام يعني الكعبة فلا تتعرضوا لهم يبتغون يطلبون فضلا من ربهم
يعني الرزق بالتجارة ورضوانا اي على زعمهم لان الكافر لا نصيب له في الرضوان وقال قتادة هو
ان يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل ابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين
عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة لان الحج للمسلمين والمشركين كانوا يحجون وهذه الاية الى
ههنا منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يامن كافر بالهدي والقلائد قوله عز وجل واذا حللتم اي من احرامكم
فاصطادوا امر اباحة اباح للحلال اخذ الصيد كقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض
ولا يجرمنكم قال ابن عباس وقتادة لا يحملنكم يقال جرمني فلان على ان صنعت كذا اي حملني قال
الفراء لا يكسبنكم يقال جرم اي كسب وفلان جريمة اهله اي كاسبهم وقيل لا يدعونكم شنآن قوم
اي بغضهم وعداوتهم وهو مصدر شنئت وقرأ ابن عامر وابو بكر شنآن بسكون النون الاولى وقرأ
الآخرون بفتحها وهما لغتان والفتح اجود لان المصادر اكثرها على فعلان بفتح العين مثل الضربان
والنسلان ونحوهما ان صدوكم قرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الآ
خرون بفتح الالف اي لان صدوكم ومعنى الاية لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لانهم صدوكم
وقال محمد بن جرير لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية وكان الصد قد تقدم عن المسجد
الحرام ان تعتدوا عليهم بالقتل واخذ الاموال وتعاونوا اي ليعن بعضكم بعضا على البر والتقوى
قيل البر متابعة الامر والتقوى مجانبة النهي وقيل البر الاسلام والتقوى السنة ولا تعاونوا
على الاثم والعدوان قيل الاثم الكفر والعدوان الظلم وقيل الاثم المعصية والعدوان البدعة
عن النواس بن سمعان الانصاري قال سئل رسول الله صلعم عن البر والاثم فقال البر حسن
الخلق والاثم ما حاك في نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس واتقوا الله ان الله شديد العقاب
قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي ما ذكر على ذبحه
اسم غير الله والمنخنقة هي التي تخنق فتموت قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة
حتى اذا ماتت اكلوها والموقوذة هي المقتولة بالخشب قال قتادة كانوا يضربونها بالعصا فاذا

ماتت اكلوها والمتردية هي التي تتردى من مكان عال او في بئر فتموت والنطيحة هي التي
ينطحها اخرى فتموت وهاء التأنيث تدخل في الفعيل اذا كان بمعنى الفاعل فاذا كان بمعنى المفعول
استوى فيه المذكر والمؤنث نحو عين كحيل وكف خضيب فاذا حذف الاسم وافردت الصفة ادخلوا
الهاء فقالوا رأينا كحيلة وخضيبة وههنا ادخل الهاء لانه لم يتقدمها الاسم فلو اسقط الهاء
لم يدر انها صفة مؤنث ام مذكر ومثله الذبيحة والنسيكة واكيلة السبع وما اكل السبع
يريد ما بقي مما اكل السبع وكان اهل الجاهلية يأكلونه الا ما ذكيتم يعني الا ما ادركتم من
هذه الاشياء واصل التذكية الاتمام يقال ذكيت النار اذا اتممت اشتعالها والمراد هنا تمام
فري الاوداج وانهار الدم قال النبي صلعم ما انهر الدم وذكر اسم الله فكل ليس السن والظفر واقل
الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع المرئ والحلقوم وكماله ان يقطع الودجين معهما ويجوز بكل محدد
يجرح من حديد او قصب او زجاج او حجر الا السن والظفر لنهي النبي صلعم عن الذبح بهما [illegible]
ذكيته بعد ما جرحه السبع واكل شيئا منه اذا ادركته والحياة فيه مستقرة فذبحته فاما ما صار
بجرح السبع الى حالة المذبوح فهو في حكم الميتة فلا يكون حلالا وان ذبحته وكذلك المتردية والنطيحة
اذا ادركتها حية قبل ان تصير الى حالة المذبوح فذبحتها تكون حلالا ولو رمى الى صيد في الهواء فاصابه
به فسقط على الارض ومات كان حلالا لان الوقوع على الارض من ضرورته وان سقط على جبل
او شجر ثم تردى منه فمات فلا يحل وهو من المتردية الا ان يكون السهم اصاب مذبحه في الهواء فيحل
كيف ما وقع لان الذبح قد حصل باصابة السهم المذبح وما ذبح على النصب قيل النصب جمع واحدها
نصاب وقيل واحد وجمعه انصاب مثل عنق واعناق وهو الشيء المنصوب واختلفوا فيه
فقال مجاهد وقتادة كانت حول البيت ثلاثمائة وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية
يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هي باصنام انما الاصنام هي المصورة المنقوشة
وقال الآخرون هي الاصنام المنصوبة ومعناه وما ذبح على اسم النصب قال ابن زيد وما ذبح
على النصب وما اهل لغير الله به هما واحد قال قطرب على بمعنى اللام اي وما ذبح لاجل النصب وان
تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالازلام والاستقسام هو طلب القسم والحكم
من الازلام والازلام هي القداح التي لا ريش لها ولا نصل واحدها زلم وزلم بفتح الزاي وضمها وكانت ازلامهم
سبعة قداح مستوية من شوحط تكون عند سادن الكعبة مكتوب على واحد نعم وعلى واحد
لا وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وواحد غفل ليس عليه

... يعني لي شيئي وكانوا اذا ارادوا امرا من سفر او نكاح او ختان او غيره او تدارؤا في نسب او اختلفوا في عقل
جاؤوا الى هبل وكانت اعظم اصنام قريش بمكة وجاؤوا بمائة درهم فاعطوها صاحب القداح
حتى يجيل القداح ويقولون يا الهنا انا اردنا كذا وكذا فان خرج نعم فعلوا وان خرج لا لم يفعلوا
ذلك حولا ثم عادوا الى القداح ثانية واذا اجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسيطا منهم وان
خرج من غيركم كان حليفا وان خرج ملصق كان على منزلته لا نسب ولا حلف واذا اختلفوا في
العقل فمن خرج عليه قدح العقل حمله وان خرج الغفل اجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب فنهى الله عز وجل
عن ذلك وحرمه ذلكم فسق وقال سعيد بن جبير الازلام حصى بيض كانوا يضربونها وقال
مجاهد هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون بها وقال الشعبي وغيره الازلام للعرب والكعاب
للعجم وقال سفيان بن وكيع هي الشطرنج وروينا ان رسول الله صلعم قال العيافة والطرق والطيرة
من الجبت والمراد من الطرق الضرب بالحصى روي عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلعم من تكهن او
استقسم او تطير طيرة تردّه عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة اليوم
يئس الذين كفروا من دينكم يعني ان ترجعوا الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون
في عود المسلمين الى دينهم فلما قوي الاسلام ايسوا ويئس وايس بمعنى واحد فلا تخشوهم واخشون
بالعزائم خشيتي ولا تخشوا غيري قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم نزلت هذه الاية يوم
الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع والنبي صلعم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت
عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت روي عن عمر بن الخطاب ان رجلا من اليهود قال له
يا امير المؤمنين آية من كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا
قال اي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا قال
عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلعم وهو قائم بعرفة يوم جمعة اشار
عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا قال ابن عباس كان ذلك اليوم خمسة اعياد جمعة وعرفة وعيد
اليهود والنصارى والمجوس ولم يجتمع اعياد اهل الملل في يوم قبله ولا بعده وروى هارون بن
عنترة عن ابيه قال لما نزلت هذه الاية بكى عمر فقال له النبي صلعم ما يبكيك يا عمر قال ابكاني انا كنا في ز
يادة من ديننا فاما اذا كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعي
رسول الله صلعم وعاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات يوم الاثنين بعدما زاغت الشمس
لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وقيل توفي يوم عشر من شهر ربيع

الاول وكانت الهجرة في الثاني عشر منه قوله عز وجل اليوم يعني يوم نزول هذه الاية اكملت لكم دينكم
يعني الفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الاية حلال ولا
حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس وروي عنه ان اية الربا نزلت بعدها وقال سعيد
بن جبير وقتادة اكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك وقيل اظهرت دينكم وامنتكم من العدو قوله عز وجل
واتممت عليكم نعمتي يعني وانجزت وعدي في قولي ولاتم نعمتي عليكم وكان من تمام نعمته ان دخلوا
مكة آمنين وعليها ظاهرين وحجوا مطمئنين ولم يخالطهم احد من المشركين ورضيت لكم الاسلام دينا روينا
عن جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلعم يقول قال جبرئيل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته
لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه فمن اضطر في مخمصة اي اجهد
في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء يقال رجل خميص البطن اذا كان طاويا خاويا غير
متجانف لاثم اي مائل الى الاثم وهو ان ياكل فوق الشبع وقال قتادة غير متعرض لمعصية في
مقصده فان الله غفور رحيم وفيه اضمار اي فاكله فان الله غفور رحيم روي عن ابي واقد
الليثي ان رجلا قال يا رسول الله انا نكون بالارض فتصيبنا بها المخمصة فمتى تحل لنا الميتة فقال
ما لم تصطبحوا او تغتبقوا او تحتفئوا بها بقلا فشانكم بها قوله عز وجل يسئلونك ماذا
احل لهم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين
وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلعم زيد الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة
فماذا يحل لنا منها فنزلت هذه الاية وقيل سبب نزولها ان النبي صلعم لما امر بقتل الكلاب قالوا
يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فنزلت هذه الاية فلما نزلت اذن رسول
الله صلعم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها روي عن ابي هريرة
ان النبي صلعم قال من اتخذ كلبا الا كلب ماشية او صيد او زرع انتقص من اجره كل يوم قيراط
والاول اصح في سبب نزول هذه الاية قل احل لكم الطيبات يعني الذبائح على اسم الله عز وجل
وقيل كلما تستطيبه العرب وتستلذه من غير ان يرد بتحريمه نص كتاب او سنة وما علمتم
من الجوارح يعني واحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح واختلفوا في هذه الجوارح فقال الضحاك والسدي
هي الكلاب دون غيرها ولا يحل ما صاده غير الكلب الا ان تدرك ذكاته وهذا غير معمول به بل
عامة اهل العلم على ان المراد من الجوارح الكواسب من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب ومن سباع
الطير كالبازي والعقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم فيحل صيد جميعها سميت جارحة لجرحها

اربابها اقوى منهم من الصيد اى كسبها يقال فلان جارحة اهله اى كاسبهم مكلبين فالمكلب الذى يغرى الكلاب على الصيد ويقال للذى يعلمها ايضا مكلب والكلاب صاحب الكلاب ويقال للصايد بها ايضا كلاب ونصب مكلبين على الحال فى حال تكليبكم هذه الجوارح اى اغرائكم اياها على الصيد وذكر الكلاب لانها اكثر واعم والمراد جميع جوارح الصيد تعلمونهن تؤدبونهن آداب اخذ الصيد مما علمكم الله اى من العلم الذى علمكم الله وقال السدى اى كما علمكم الله من بمعنى الكاف فكلوا مما امسكن عليكم اراد ان الجارحة المعلمة اذا خرجت بارسال صاحبها فاخذت الصيد وقتلته كان حلالا والتعليم هو ان توجد فيها ثلثة اشيا اذا اغريت استشلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد امسكت ولم تاكل فاذا وجد ذلك منها مرارا واقلها ثلث مرات كانت معلمة يحل قتيلها اذا خرجت بارسال صاحبها روى عن عدى بن حاتم عن النبى صلعم قال اذا ارسلت كلبك وسميت فامسك وقتل فكل وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه واذا خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تاكل فانك لا تدرى ايها قتل وان رميت الصيد فوجدته بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل وان وقع فى الماء فلا تاكل واختلفوا فيما اذا اخذت الصيد واكلت منه شيا فذهب اكثر اهل العلم الى تحريمه وروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء والشعبى وبه قال الثورى وابن المبارك واصحاب الراى وهو اصح قولى الشافعى لقوله عم وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم فى اكله روى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسى وسعد بن ابى وقاص وبه قال مالك لما روى عن ابى ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله صلعم اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه اما غير المعلم من الجوارح اذا اخذت صيدا او المعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فلا يكون حلالا الا ان يدركه صاحبه حيا فيذكيه فيكون حلالا روى عن ابى ثعلبة الخشنى قال قلت يا نبى الله انا بارض قوم اهل كتاب افنأكل فى آنيتهم وبارض صيد اصيد بقوسى وبكلبى الذى ليس بمعلم وبكلبى المعلم فما يصلح لى قال اما ما ذكرت من اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها فكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله فكل وما صدت بكلبك غير معلم فادركت ذكاته فكل واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب ففيه بيان ان ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة شرط حالة ما يذبح وفى الصيد حالة ما يرسل الجارحة او السهم روى عن انس ان النبى صلعم كان يضحى بكبشين املحين اقرنين على صفاحها ويذبحهما بيده ويقول بسم الله والله اكبر اليوم احل لكم الطيبات يعنى الذبايح على اسم الله عز وجل وطعام الذين اوتوا الكتاب يريد ذبايح اليهود والنصارى ومن دخل فى دينهم من ساير الامم قبل مبعث محمد صلعم حلال لكم فاما من دخل فى دينهم بعد مبعث النبى صلعم فلا تحل ذبيحته ولو ذبح يهودى او نصرانى على اسم غير الله كالنصرانى يذبح باسم المسيح فاختلفوا فيه قال ابن عمر لا يحل وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل وهو قول الشعبى وعطاء والزهرى ومكحول سئل الشعبى وعطاء عن النصرانى يذبح باسم المسيح قالا يحل فان الله قد احل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودى والنصرانى فذكر غير اسم الله وانت تسمع فلا تاكله واذا غاب عنك فكل فقد احل الله لك وطعامكم حل لهم فان قيل كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من اهل الشرع قال الزجاج معناه حلال لكم ان تطعموهم فيكون خطاب الحل مع المسلمين وقيل لانه ذكر عقيبه حكم النساء ولم يذكر حل المسلمات لهم فكانه قال حلال لكم ان تطعموهم حرام عليكم ان تزوجوهم قوله عز وجل والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم هذا راجع الى الاول منقطع عن قوله وطعامكم حل لهم واختلفوا فى معنى المحصنات فذهب اكثر العلماء الى ان المراد منهن الحراير واجازوا نكاح كل حرة مؤمنة كانت او كتابية فاجرة كانت او عفيفة وهو قول مجاهد وقال هؤلاء لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات جوز نكاح الامة بشرط ان تكون مؤمنة وجوز اكثرهم نكاح الكتابية الحربية وقال ابن عباس لا يجوز وقرا قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد فمن اعطى الجزية حل لنا نساؤه ومن لم يعط فلا تحل لنا نساؤه وذهب قوم الى ان المراد من المحصنات فى الاية العفايف من الفريقين حراير كن او اماء واجازوا نكاح الامة الكتابية وحرموا البغايا من المؤمنات والكتابيات وهو قول الحسن وقال الشعبى احصان الكتابية ان تستعف من الزنا وتغتسل من الجنابة اذا آتيتموهن اجورهن اى مهورهن محصنين غير مسافحين غير معالنين بالزنا ولا متخذى اخدان اى تسروهن بالزنا قال الزجاج حرم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة واحله على جهة الاحصان وهو التزويج ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله قال ابن عباس ومجاهد فى معنى قوله ومن يكفر بالايمان اى بالله الذى يجب الايمان به وقال الكلبى ومن يكفر بالايمان اى بشهادة ان لا اله الا الله وقال مقاتل بن حيان يقول ليس احصان المسلمين اياهن بالذى يخرجهن من الكفر او يغنى عنهن شيئا وهى للناس عامة ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين

وقال ابن عباس وبي قطر قوله ومن يكفر بالايمان اي بالله الذي يجب الايمان به وقال الكلبي
بالايمان اي بكلمة التوحيد وهي شهادة ان لا اله الا الله وقال مقاتل بما انزل على محمد صلعم وهو القرآن
وقيل ومن يكفر بالايمان اي يستحل الحرام ويحرم الحلال فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين
قال ابن عباس خسر الثواب قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة قوله اذا قمتم الى الصلوة
اي اردتم القيام الى الصلوة كقوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت القراءة وظاهر
هذه الاية يقتضي وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام الى الصلوة لكن اعلمنا ببيانه السنة بفعل
النبي صلعم ان المراد من الآية اذا قمتم الى الصلوة وانتم على غير طهر قال النبي صلعم لا تقبل صلوة احدكم
اذا احدث حتى يتوضا وقد جمع النبي صلعم يوم الخندق بين اربع صلوات بوضوء واحد روي عن سليمان
بن بريدة عن ابيه ان النبي صلعم صلى يوم فتح مكة الصلوات بوضوء واحد ومسح على خفيه وقال زيد
بن اسلم معنى الاية اذا قمتم الى الصلوة من النوم وقال بعضهم هو امر على طريق الندب ندب من قام
الى الصلوة ان يجدد لها طهارة وان كان على طهر روى ابن عمر ان النبي صلعم قال من توضا على طهر
كتب الله له عشر حسنات وروي عن عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر ان رسول الله صلعم امر بالوضوء
عند كل صلوة طاهرا او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك لكل صلوة وقال بعضهم هذا اعلام
من الله تعالى رسوله صلعم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلوة دون غيرها من الاعمال فاذن له
ان يفعل بعد الحدث ما بدا له من الافعال غير الصلوة روي عن ابن عباس يقول كنا عند النبي صلعم
فرجع من الغائط فاتي بطعام فقيل الا تتوضا فقال لم اصلي فاتوضا فاغسلوا وجوه
كم وحد الوجه من منابت شعر الراس الى منتهى الذقن طولا وما بين الاذنين عرضا يجب غسل
جميعه في الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين واهداب العينين والشاربين والعذار
والعنفقة وان كانت كثيفة فاما العارض واللحية فان كانت كثيفة لا ترى البشرة من تحتها لا
يجب غسل باطنها في الوضوء بل يجب غسل ظاهرها وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية
عن الذقن فيه قولان احدهما وبه قال ابو حنيفة لا يجب لان الشعر النازل عن حد الراس لا يكون
حكمه حكم الراس في جواز المسح عليه كذا النازل عن حد الوجه لا يكون حكمه حكم الوجه في وجوب غسل
والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الله تعالى امر بغسل الوجه والوجه ما يقع في المواجهة
من هذا العضو ويقال في اللغة بقل وجه فلان وخرج وجهه اذا نبتت لحيته وايديكم الى المرا
فق اي مع المرافق كما قال الله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم وقال من انصاري

الى الله اي مع الله واكثر العلماء على انه يجب غسل المرفقين وفي الرجلين يجب غسل الكعبين وقال الشعبي
ومحمد بن جرير لا يجب غسل المرفقين والكعبين في غسل اليد والرجل لان حرف الى للغاية والحد فلا يد
خل في المحدود قلنا ليس هذا بحد ولكنه بمعنى مع كما ذكرنا وقيل الشيء اذا حد الى جنسه تدخل فيه الغاية
واذا مد الى غير جنسه لا تدخل كقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لم يدخل الليل فيه لانه ليس من جنس
النهار وامسحوا برؤسكم اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الراس فقال مالك يجب مسح
جميع الراس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم وقال ابو حنيفة يجب ربع مسح الراس وعند الشافعي يجب
قدر ما ينطلق عليه اسم الراس واحتج من اجاز مسح بعض الراس بما روي عن المغيرة بن شعبة
ان النبي صلعم توضا فمسح بناصيته وعلى عمامته وخفيه فاجاز بعض اهل العلم المسح على العمامة بهذا
الحديث وبه قال الاوزاعي واحمد واسحق ولم يجوز اكثر اهل العلم المسح على العمامة بدلا عن مسح الراس
وقال في حديث المغيرة ان المسح على العمامة سقط عنه بمسح الناصية وفيه دليل على ان مسح جميع الراس غير واجب
وارجلكم الى الكعبين قرا نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص وارجلكم بنصب اللام وقرا
الآخرون وارجلكم بالخفض فمن قرا وارجلكم بالنصب فيكون عطفا على قوله فاغسلوا وجوهكم
وايديكم اي فاغسلوا ارجلكم ومن قرا بالخفض فقد ذهب قليل من اهل العلم الى انه يمسح على الرجلين
روي عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن عكرمة وقتادة وقال
الشعبي نزل جبرائيل بالمسح وقال الا ترى التيمم يمسح ما كان غسلا ويلغي ما كان مسحا وقال
محمد بن جرير الطبري يتخير المتوضي بين المسح على الخفين وبين غسل الرجلين وذهب عامة اهل العلم
من الصحابة والتابعين وغيرهم الى وجوب غسل الرجلين وقالوا خفض اللام في الارجل على مجاورة
اللفظ لا على موافقة الحكم كما قال تعالى عذاب يوم اليم فالاليم صفة العذاب ولكنه اخذ اعراب اليوم للمجا
ورة وكقولهم جحر ضب خرب فالخرب نعت الجحر واخذ اعراب الضب للمجاورة والدليل على
وجوب غسل الرجلين ما روي عن عبد الله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله صلعم في سفر سافرنا
فادركنا وقد ارهقتنا الصلاة صلاة العصر ونحن نتوضا فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادانا
باعلى صوته ويل للاعقاب من النار روي عن حمران رايت عثمان توضا فافرغ على يديه ثلثا
ثم تمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلثا ثم غسل يده اليمنى الى المرفق ثلثا ثم غسل يده اليسرى
الى المرفق ثلثا ثم مسح راسه ثم غسل رجله اليمنى ثلثا ثم اليسرى ثلثا ثم قال رايت رسول الله
صلعم توضا نحو وضوئي هذا ثم قال من توضا وضوئي هذا ثم يصلي ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء

يغفر له ما تقدم من ذنبه وقال بعضهم اراد بقوله وارجلكم المسح على الخفين كما روي ان النبي صلعم كان
اذا ركع وضع يديه على ركبتيه وليس المراد منه انه لم يكن بينهما حايل ويقال قبل فلان راس الامير
ويده وان كانت العمامة على راسه ويده في كمه وروي عن عروة بن المغيرة عن ابيه قال كنت مع النبي
صلعم ذات ليلة في سفر فقال امعك ما فقلت نعم فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل
ثم جا فافرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه
منها حتى اخرجهما من اسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح براسه ثم اهويت لانزع خفيه فقال
دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما قوله الى الكعبين فالكعبان هما العظمان الناتيان من جانبي
القدمين وهما مجمع مفصل الساق والقدم فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين وفرايض
الوضوء غسل الاعضاء الثلثة كما ذكر الله تعالى ومسح الراس واختلف اهل العلم في وجوب النية فذ
هب الاكثر الى وجوبها لان الوضوء عبادة فيفتقر الى النية كساير العبادات وذهب بعضهم الى
انها غير واجبة وهو قول الثوري واصحاب الراي واختلفوا في وجوب الترتيب وهو ان يغسل اعضاءه
على الولاء كما ذكر الله تعالى فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول مالك والشافعي واحمد واسحق ويروى ذلك عن
ابي هريرة واحتج الشافعي بقول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله وبدا النبي صلعم بالصفا
وقال نبدا بما بدا الله تعالى به كذلك هنا بدا تعالى بذكر غسل الوجه فيجب علينا ان نبدا بفعلها بدا
الله به ذكرا وذهب جماعة الى ان الترتيب سنة وقالوا الواوات المذكورة في الاية للجمع لا للترتيب كما قال
تعالى انما الصدقات للفقرا والمساكين الاية واتفقوا على انه لا يجب مراعاة الترتيب في صرف الصدقات
الى اهل السهمان ومن اوجب الترتيب اجاب بانه لم ينقل عن النبي صلعم انه راعى الترتيب بين اهل
السهمان وفي الوضوء لم ينقل انه توضا الا مرتبا كما ذكر الله تعالى وبيان الكتاب يوخذ من السنة كما
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا ولما قدم ذكر الركوع على السجود ولم ينقل عن النبي صلعم
انه فعل الا كذلك فكان مراعاة الترتيب فيه واجبا كذلك هنا وان كنتم جنبا فاطهروا اي
اغتسلوا روي عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلعم كان اذا اغتسل من الجنابة بدا فغسل يديه
ثم توضا كما يتوضا للصلوة ثم يدخل اصابعه في الما فيخلل بها اصول شعره ثم يصب على راسه
ثلث غرفات بيديه ثم يفيض الما على جسده كله وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم من
الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه فيه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب ما يريد الله ليجعل عليكم

عليكم من الوضوء والغسل والتيمم من حرج من ضيق ولكن يريد ليطهركم من الاحداث والجنا
بات والذنوب وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون قال محمد بن كعب القرظي اتمام النعمة تكفير
الخطايا بالوضوء كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه
روي عن حمران ان عثمان توضا بالمقاعد ثلثا ثلثا ثم قال سمعت رسول الله صلعم يقول من توضا
وضوءي هذا خرجت خطاياه من وجهه ويديه ورجليه وروي حمران مولى عثمان بن عفان جلس
على المقاعد يوما فاتاه الموذن فاذنه بصلوة العصر فدعا بما فتوضا ثم قال والله لاحدثنكم حديثا
لولا اية في كتاب الله ما حدثتكموه ثم قال اني سمعت رسول الله صلعم يقول ما من امرئ يتوضا
فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلوة الا غفر له ما بينه وبين الصلوة الاخرى حتى يصليها قال مالك اراه يريد
هذه الاية واقم الصلوة لذكري ورواه ابن شهاب وقال قال عروة الاية ان الذين يكتمون
ما انزلنا من البينات روي عن نعيم المجمر قال رقيت مع ابي هريرة على ظهر المسجد فتوضا فقال اني
سمعت رسول الله صلعم يقول ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء فمن
استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل واذكروا نعمة الله عليكم يعني النعم كلها وميثاقه الذي وا
ثقكم به يعني عهده الذي عاهدكم به ايها المومنون اذ قلتم سمعنا واطعنا وذلك حين بايعوا
رسول الله صلعم على السمع والطاعة فيما احبوا وكرهوا هذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد ومقاتل
يعني الميثاق الذي اخذ عليهم حين اخرجهم من صلب ادم واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور
بما في القلوب من خير وشر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهدا بالقسط اي كونوا قايمين
بالعدل قوالين بالصدق امرهم بالعدل والصدق في افعالهم واقوالهم ولا يجرمنكم لا يحملنكم
شنان قوم بغض قوم على ان لا تعدلوا اي على ترك العدل فيهم لعداوتهم ثم قال اعدلوا
يعني في اوليايكم واعدايكم هو اقرب للتقوى يعني الى التقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم وهذا في موضع النصب لان فعل الو
عد واقع على المغفرة ورفعها على تقدير ان وقال لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بايا
تنا اوليك اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم اذ هم قوم
يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل قال قتادة نزلت هذه الاية ورسول الله صلعم ببطن نخل فاراد
بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا به وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلوة فاطلع الله نبيه على ذلك وانزل
صلوة الخوف وقال الحسن كان النبي صلعم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم في ان

افتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فاتى النبي صلعم والنبي صلعم متقلد
سيفه فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة الى السيف ومرة الى
النبي صلعم وقال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلعم فشام السيف ومضى فانزل
الله هذه الاية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي وابن يسار بعث رسول الله صلعم المنذر بن
عمرو الساعدي وهو احد النقباء ليلة العقبة في ثلثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن
صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بير معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر بن
عمرو واصحابه الا ثلثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري فلم يرعهم الا الطير تحوم
في السماء يسقط من بين خراطيمها علق الدم فقال احد النفر قتل اصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا فاختلفا
بضربتين فلما خالطته الضربة رفع راسه الى السماء وفتح عينيه وقال الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع صا
حباه فلقيا رجلين من بني سليم وبين النبي صلعم وبين قومهم موادعة فانتسبا لهما الى بني عامر فقتلاهما
وقدم قومهما الى النبي صلعم يطلبون الدية فخرج ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن
عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلعم على ترك
القتال وعلى ان يعينوه في الديات فقالوا نعم يا ابا القاسم قد آن لك ان تاتينا وتسالنا حاجة اجلس
حتى نطعمك ونعطيك الذي تسالنا فجلس رسول الله صلعم واصحابه فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن
تجدوا محمدا اقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن
جحاش انا فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله ايديهم وجاء جبريل واخبره فخرج النبي صلعم
راجعا الى المدينة ثم دعا عليا وقال لا تبرح مقامك فمن خرج عليك من اصحابي فسالك عني فقل توجه الى
المدينة ففعل ذلك علي حتى تناهوا اليه ثم تبعوه فانزل الله هذه الاية وقوله فكف ايديهم عنكم
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون قوله عز وجل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا
منهم اثني عشر نقيبا وذلك ان الله تعالى وعد موسى عم ان يورثه وقومه الارض المقدسة وهي
الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فلما استقرت لبني اسرائيل الدار بمصر امرهم الله
تعالى بالسير الى اريحا من ارض الشام وهي الارض المقدسة وكانت لها الف قرية في كل قرية الف
بستان وقال يا موسى اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني
ناصركم عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم
على ما امروا به فاختار موسى النقباء وسار ببني اسرائيل حتى قربوا من اريحا بعث هؤلاء النقباء

يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبابرة يقال له عوج بن عنق وكان طوله
ثلثة آلاف وثلثمائة وثلثين ذراعا وثلث ذراع وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول
الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس ثم ياكله ويروى ان الماء طبق ما على الارض
من جبل وما جاوز ركبتي عوج وعاش ثلثة آلاف سنة حتى اهلكه الله على يدي موسى وذلك انه
جاء وقور صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله
الهدهد فقور الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته فاقبل موسى وهو مصروع فقتله وكانت امه
عنق احدى بنات آدم وكان مجلسها جريبا من الارض فلما لقي عوج النقباء وعلى راسه حزمة
حطب اخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته فانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون
انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت امراته لا بل خل عنهم
حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل ذلك وروي انه جعلهم في كمه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه فقال
الملك ارجعوا فاخبروهم بما رايتم وكان لا يحمل عنقودا من عنبهم الا خمسة انفس منهم في خشبة ويدخل
في شطر الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس فرجع النقباء وجعلوا يتعرفون احوالهم وقال
بعضهم لبعض يا قوم انكم ان اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا
واخبروا موسى وهرون فيريان رايهما واخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم نكثوا
العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا رجلين فذلك قوله تعالى ولقد
اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم ناصركم على عدوكم
ثم ابتدا الكلام فقال لئن اقمتم الصلاة يا معشر بني اسرائيل وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي
وعزرتموهم نصرتموهم وقيل وقرتموهم وعظمتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا قيل هو اخراج
الزكوة وقيل هو النفقة على الاهل لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات
تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل اي اخطا قصد السبيل
يريد طريق الحق وسواء كل شيء وسطه فبما نقضهم ميثاقهم اي فبنقضهم وما صلة قال قتادة
نقضوه من وجوه كذبوا الرسل الذين جاءوا بعد موسى وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا
فرايضه لعناهم قال عطاء ابعدناهم من رحمتنا قال الحسن ومقاتل عذبناهم بالمسخ وجعلنا قلو
بهم قاسية قرا حمزة والكسائي قسية بتشديد الياء من غير الف وهما لغتان مثل الزاكية
والزكية وقال ابن عباس قاسية اي يابسة وقيل غليظة لا تلين وقيل معناه ان قلوبهم ليست

خالصة للايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق ومنه الدراهم القسية وهي الردية المغشوشة
يحرفون الكلم عن مواضعه قيل هو تبديلهم نعت النبي صلعم وقيل تحريفهم بسوء التاويل ونسوا حظا
مما ذكروا به اي وتركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلعم وبيان نعته ولا تزال يا محمد تطلع
على خائنة منهم اي على خيانة فاعلة بمعنى المصدر كالكاذبة واللاغية وقيل هو بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة
مثل راوية وعلامة ونسابة وقيل على فرقة خائنة قال ابن عباس على خائنة اي على معصية وكانت
خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلعم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خيا
ناتهم التي ظهرت الا قليلا منهم لم يخونوا وهم لم ينقضوا العهد وهم الذين اسلموا من اهل الكتاب فاعف
عنهم واصفح اي اعرض عنهم ولا تتعرض لهم ان الله يحب المحسنين وهذا منسوخ باية السيف
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم قيل اراد بهم اليهود والنصارى فاكتفى بذكر احدهما
والصحيح ان الاية في النصارى خاصة لانه قد تقدم ذكر اليهود قال الحسن فيه دليل على انهم نصارى
بتسميتهم لا بتسمية الله عز وجل اخذنا ميثاقهم في التوحيد والنبوة فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا
بينهم اوقعنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بالاهواء المختلفة والجدال في الدين
قال مجاهد وقتادة يعني بين اليهود والنصارى وقال قوم هم النصارى وحدها صاروا فرقا
منهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية وكل فرقة تكفر الاخرى وسوف ينبئهم الله بما كانوا
يصنعون في الاخرة يا اهل الكتاب يريد اهل الكتابين قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما
كنتم تخفون من الكتاب اي من التورية والانجيل مثل صفة محمد صلعم واية الرجم وغير ذلك
ويعفو عن كثير اي يعرض عن كثير مما اخفيتم فلا يتعرض له ولا يواخذكم به قد جاءكم من الله نور
يعني محمدا وقيل الاسلام وكتاب مبين اي بين وقيل مبين وهو القرآن يهدي به الله
من اتبع رضوانه رضاه سبل السلام قيل السلام هو الله وسبيله دينه الذي شرع لعباده
وبعث به رسله وقيل السلام هو السلامة كاللذاذ واللذاذة بمعنى واحد والمراد به طرق
السلامة ويخرجهم من الظلمات الى النور اي من ظلمات الكفر الى نور الايمان باذنه بتو
فيقه وهدايته ويهديهم الى صراط مستقيم وهو الاسلام لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم وهو اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله قل فمن يملك
من الله شيئا اي من يقدر ان يدفع من امر الله شيئا اذا قضاه ان اراد ان يهلك المسيح
بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء

والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قيل اراد ان الله
كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وقال ابرهيم النخعي ان
اليهود وجدوا في التورية يا ابناء احباري فبدلوا وقالوا يا ابناء ابكاري فمن ذلك قالوا
نحن ابناء الله وقيل معناه ابناء رسل الله قل فلم يعذبكم بذنوبكم يريد ان كان الامر
كما زعمتم انكم ابناؤه واحباؤه فان الاب لا يعذب ولده والحبيب لا يعذب حبيبه وانتم
مقرون انه معذبكم وقيل فلم يعذبكم اي لم عذب من قبلكم بذنوبهم فمسخهم قردة وخنازير بل
انتم بشر ممن خلق كسائر بني آدم تجزون بالاحسان والاساءة يغفر لمن يشاء فضلا
ويعذب من يشاء عدلا ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا محمد صلعم يبين لكم اعلام الهدى وشرائع الدين على فترة اي انقطاع
من الرسل اختلفوا في مدة الفترة بين عيسى وبين محمد صلوات عليهما قال ابو عثمان النهدي
ستمائة سنة قال قتادة خمسمائة وستون سنة وقال معمر والكلبي خمسمائة واربعون سنة
وسميت فترة لان الرسل كانت تترى بعد موسى عم من غير انقطاع الى عيسى ولم يكن بعد
عيسى سوى رسولنا صلعم ان تقولوا كيلا تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير
ونذير والله على كل شيء قدير واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل
فيكم انبياء اي منكم انبياء وجعلكم ملوكا قال ابن عباس يعني اصحاب خدم وحشم
قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروي عن ابي سعيد الخدري عن
النبي صلعم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا وقال ابو عبد
الرحمن الحبلي سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال السنا من فقراء المهاجرين
فقال له عبد الله الك امرأة تاوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم فانت من الا
غنياء قال فان لي خادما قال فانت من الملوك قال السدي وجعلكم احرارا تملكون امر انفسكم بعد ما
كنتم في ايدي القبط يستعبدونكم قال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان
مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين يعني عالمي زمانكم
قال مجاهد يعني المن والسلوى والحجر وتظليل الغمام يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
التي كتب الله لكم اختلفوا في الارض المقدسة قال مجاهد هي الطور وما حوله قال الضحاك
ايليا وبيت المقدس وقال عكرمة والسدي هي اريحا قال الكلبي هي دمشق وفلسطين

وبعض الاردن وقال قتادة هي الشام كلها قال كعب وجدت في كتاب الله المنزل ان
الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من عباده قوله عز وجل كتب الله لكم يعني في اللوح
المحفوظ انها لكم مساكن قال ابن اسحق وهب الله لكم وقيل جعلها لكم وقال السدي امركم الله
بدخولها قال قتادة امروا بها كما امروا بالصلوة اي فرض عليكم ولا ترتدوا على ادباركم اعقابكم بخلاف
امر الله فتنقلبوا خاسرين قال الكلبي صعد ابرهيم ع‍م جبل لبنان فقيل له انظر ما ادركه بصرك
فهو مقدس وهو ميراث لذريتك قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وذلك ان النقباء
الذين خرجوا يتجسسوا الاخبار ثم رجعوا الى موسى واخبروه بما عاينوا قال لهم موسى اكتموا شانهم
ولا تخبروا به احدا من اهل العسكر فيفشلوا فاخبر كل رجل قريبه وابن عمه الا رجلين وفيا
بما قال لهم موسى احدهما يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف فتى موسى والآخر كالب بن
يوفنا ختن موسى على اخته مريم بنت عمران وكان من سبط يهوذا وهما من النقباء فعلمت
جماعة بني اسرائيل ذلك ورفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في ارض مصر او ليتنا نموت
في هذه البرية ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا واثقالنا غنيمة لهم وجعل
الرجل يقول لصاحبه تعالوا نجعل علينا راسا وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قا
لوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا
داخلون واصل الجبار المتعظم الممتنع عن القهر يقال نخلة جبارة اذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول
الايدي اليها وسمي اولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة اجسادهم وكانوا من
العمالقة وبقية قوم عاد فلما قال بنو اسرائيل ما قالوا وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى
وهرون عليهما السلام ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله
تعالى عنهما في قوله قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله وقرأ سعيد بن جبير يخا
فون بضم الياء وقال الرجلان كانا من الجبارين فاسلما واتبعا موسى انعم الله عليهما
بالتوفيق والعصمة قالوا ادخلوا عليهم الباب يعني قرية الجبارين فاذا دخلتموه فانكم
غالبون لان الله تعالى منجز وعده وانا رأيناهم فكانت اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة
فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فاراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجا
رة وعصوهما قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون روي عن طارق بن شهاب قال سمعت عبد الله بن مسعود

يقول لقد شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان اكون صاحبه احب الي مما عدل
به اتى النبي صلعم وهو يدعو على المشركين فقال لا نقول كما قال قوم موسى اذهب انت ور
بك فقاتلا ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرايت النبي صلعم اشرق
وجهه وسره فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من مخالفتهم امر ربهم وهمهم بيوشع
وكالب غضب موسى ودعا عليهم قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قيل معناه واخي
لا يملك الا نفسه وقيل معناه لا يطيعني الا نفسي واخي فافرق فافصل بيننا وقيل فا
قض بيننا وبين القوم الفاسقين العاصين قال اي الله فانها محرمة عليهم قيل هاهنا
تم الكلام ومعناه تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم يرد به تحريم تعبد وانما اراد تحريم منع فاو
حى الله الى موسى بي حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب
ولاتيهنهم في هذه البرية اربعين سنة يتيهون في الارض مكان كل يوم من الايام التي
تجسسوا فيها سنة ولالقين جيفهم في هذه القفار واما بنوهم الذين لم يعملوا الشر يد
خلونها فذلك قوله فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون اي يتحيرون في الارض فلا تاس
على القوم الفاسقين اي لا تحزن على مثل هولاء القوم فلبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ وهم
ستمائة الف مقاتل وكانوا يسيرون في كل يوم جادين فاذا امسوا كانوا في الموضع الذي
ارتحلوا عنه وقيله ان ان موسى وهرون لم يكونا فيهم والاصح انهما كانا فيهم ولم يكن
لهما عقوبة انما كانت العقوبة لاولئك القوم ومات في التيه كل من دخلها ممن جاوز عشرين
سنة غير يوشع وكالب ولم يدخل اريحا احد ممن قالوا انا لن ندخلها ابدا فلما هلكوا وانقضت
الاربعين سنة ونشأت النواشي من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين واختلفوا فيمن تولى
تلك الحرب وعلى يدي من كان الفتح فقال قوم انما فتح اريحا موسى وكان يوشع على مقدمته
فسار موسى اليهم بمن بقي من بني اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبارين ثم دخلها موسى واقام
فيها ما شاء الله ثم قبضه الله اليه ولا يعلم قبره احد وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلماء ان
عوج بن عنق قتله موسى وقال الآخرون انما قاتل الجبارين يوشع ولم يسر اليهم الا بعد موت
موسى وقالوا مات موسى وهرون جميعا في التيه قصة وفاة هارون قال السدي اوحى
الله تعالى الى موسى اني متوفي هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون
نحو ذلك الجبل فاذا هما بشجرة لم ير مثلها واذا ببيت مبني وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيب

طيبة فلما نظر هرون الى ذلك اعجبه قال يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير قال فنم
عليه فقال اني اخاف ان ياتي رب هذا البيت فيغضب علي قال له موسى لا ترهب اني اكفيك
رب هذا البيت فنم قال يا موسى نم انت معي فان جاء رب البيت غضب علي وعليك جميعا فلما
نام اخذ هارون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض رفع البيت وذهبت
تلك الشجرة ورفع السرير به الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل وليس معه هارون قالوا ان
موسى قتل هارون وحسده لحب بني اسرائيل له قال موسى ويحكم كان اخي افتروني اقتله فلما اكثروا
عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وعن
علي بن ابي طالب قال صعد موسى وهرون الجبل فمات هرون فقالت بنو اسرائيل لموسى انت قتلته
فآذوه فامر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفت بنو
اسرائيل انه قد مات فبرأه الله مما قالوا ثم ان الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره
احد الا الرخم فجعله الله اصم ابكم وقال عمرو بن ميمون مات هارون وموسى عليهما السلام في
التيه مات هرون قبل موسى وكانا خرجا الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه موسى وانصرف
الى بني اسرائيل فقالوا قتله لحبنا اياه وكان محببا في بني اسرائيل فتضرع موسى الى ربه فاوحى الله
اليه ان انطلق بهم الى قبره فاني باعثه فانطلق بهم الى قبره فنادى يا هرون فخرج من قبره ينفض
رأسه فقال انا قتلتك قال لا ولكني مت قال فعد الى مضجعك فعاد وانصرفوا **واما وفاة موسى عم**
قال ابن اسحق كان صفي الله قد كره الموت فاعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون
وكان يغدو ويروح عليه فيقول له يا نبي الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله الم اصحبك
كذا وكذا سنة هل كنت اسالك عن شيء مما احدث الله اليك حتى تكون انت الذي تبتدئ به وتذكره
ولا يذكر له شيئا فلما راى ذلك موسى كره الحيوة واحب الموت روي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلعم جاء ملك الموت الى موسى فقال له اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها
قال فرجع ملك الموت الى الله فقال انك ارسلتني الى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال فرد
الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدي فقل له الحيوة تريد فان كنت تريد الحيوة فضع يدك على متن
ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالآن من قريب
قال رب ادنني من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلعم لو اني عنده لاريتكم قبره الى
جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وقال وهب خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة

يحفرون قبرا لم ير شيئا قط احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم
يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله لـ
بمنزل ما رايت كاليوم مضجعا فقالت الملائكة يا صفي الله تحب ان يكون لك قال وددت قا
لوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت
عليه الملائكة وقيل ان ملك الموت اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض وكان عمر موسى مائة
وعشرين سنة فلما مات موسى وانقضت الاربعون سنة بعث الله يوشع نبيا فاخبرهم ان
الله قد امرهم بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرائيل الى اريحا ومعه تابوت
الميثاق فاحاط بمدينة اريحا ستة اشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون وضج الشعب
ضجة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلو
نهم وكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال
يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس
علي وقال للشمس انك في طاعة الله وانا في طاعة الله فسال الشمس ان تقف والقمر ان يقيم حتى
ينتقم من اعداء الله قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين
وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم واحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت
الشام كلها لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله الى يوشع
ان فيها غلولا فمرهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك
فاتاه براس ثور من ذهب مكلل باليواقيت والجواهر كان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل
معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة
وستا وعشرين سنة وتدبيره امر بني اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة قوله عز وجل
واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق وهما هابيل وقابيل ويقال قابين اذ قربا قربانا
وكان سبب قربانهما على ما ذكره اهل العلم ان حوى كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية
وكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوامته اقليميا وآخرهم عبد
المغيث وتوامته امة المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده
وولد ولده اربعين الفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حوا بعد
مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوامته اقليميا في بطن ثم هابيل وتوامته

في بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء في
الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا حين ولدتهما
ولم تر معهما دما فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والو
صب والطلق والدم وكان آدم اذا شب اولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن آخر فكان
الرجل يتزوج ايت اخواته شاء الا توأمته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم
فلما ولد قابيل وتوأمته ثم هابيل وتوأمته لبودا وكان بينهما سنتان في قول الكلبي وادرك امر
الله عز وجل آدم ان ينكح قابيل لبودا اخت هابيل وينكح هابيل اقليميا اخت قابيل وكانت اخت
قابيل احسن من اخت هابيل فذكر ذلك آدم لولده فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي فانا
احق بها ونحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فقال له ابوه انها لا تحل لك فابى ان يقبل
ذلك وقال ان الله لم يأمره بهذا وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فايكما يقبل قربانه
فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء بيضاء فاكلتها واذا لم تكن
مقبولة لم تنزل النار واكلته الطير والسباع فخرجا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة
من طعام من اردى زرعه واضمر في نفسه ما ابالي يقبل مني ام لا لا تتزوج اختي ابدا وكان هابيل صاحب
غنم فعمد الى احسن كبش في غنمه فقربه واضمر في نفسه رضا الله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل
ثم دعا آدم فنزلت نار من السماء واكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله عز وجل
فتقبل من احدهما يعني هابيل ولم يتقبل من الآخر يعني قابيل فنزل عن الجبل وقد غضب قا
بيل لرد قربانه وكان يضمر الحسد في نفسه الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت فلما غاب آدم اتى قابيل
هابيل وهو في غنمه قال لاقتلنك قال ولم قال لان الله تعالى قبل قربانك ورد قرباني وتنكح
اختي الحسناء وانكح اختك الدميمة فيتحدث الناس انك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي قال
هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت مددت الي يدك لتقتلني ما
انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قال عبد الله بن عمرو وايم الله
ان كان المقتول لاشد الرجلين ولكن منعه التحرج ان يبسط الى اخيه يده وهذا في الشرع جائز
لمن اريد قتله ان ينقاد ويستسلم طلب الاجر كما فعل عثمان وقال مجاهد كتب عليهم
في ذلك الوقت اذا اراد رجل قتل رجل ان لا يمتنع ويصبر اني اريد ان تبوء ترجع وقيل تحتمل
باثمي واثمك اي باثم قتلي الى اثمك اي اثم معاصيك التي عملت من قبل وهذا قول اكثر المفسرين

وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال معناه اني اريد ان تكون عليك خطيئتي التي عملتها انا اذا
قتلتني واثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعا وقيل معناه ان ترجع باثم قتلي واثم معصيتك التي لم يتقبل
لاجلها قربانك واثم حسدك فان قيل كيف قال اريد ان تبوء باثمي واثمك وارادة القتل والمعصية
لا تجوز قيل ليس ذلك بحقيقة ارادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة وطن نفسه على الاستسلام
طلبا للثواب فكأنه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة ~~ارادة لكنه لما علم انه يقتله~~
وقيل معناه اني اريد ان تبوء بعقاب قتلي فتكون ارادة صحيحة لانها موافقة لحكم الله عز وجل
فلا يكون هذا ارادة للقتل بل لموجب القتل من الاثم والعقاب فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء
الظالمين فطوعت له نفسه اي طاوعته وتابعته قتل اخيه اي في قتل اخيه وقال مجاهد فشجعته
وقال قتادة زينت له نفسه وقال يمان سهلت له ذلك اي جعلته سهلا تقديره صورت له
نفسه ان قتل اخيه طوع له سهل عليه فقتله فلما قصد قابيل قتله لم يدر كيف يقتله قال ابن
جريج فتمثل له ابليس واخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه
القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين قيل قتل وهو مستسلم وقيل اغتاله وهو
في النوم فشدخ رأسه فقتله وذلك قوله عز وجل فقتله فاصبح من الخاسرين وكان
لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في موضع قتله قال ابن عباس على جبل ثور وقيل عند
عقبة حراء فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من
بني آدم وقصده السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى ار
وح وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكن له ثم القاه في الحفرة وواراه وقابيل
ينظر فذلك قوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة
اخيه فلما رأى قابيل ذلك قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة
اخي اي جيفته وقيل عورته لانه كان قد سلب ثيابه فاصبح من النادمين على حمله على عاتقه
لا على قتله وقيل على فوات اخيه وقيل ندم لقلة النفع بقتله فانه اسخط والديه وما انتفع
بقتله شيئا ولم يكن ندمه على القتل وركوب الذنب قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن
آدم اخاه رجفت الارض بما عليها سبعة ايام شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه
الله اين اخوك هابيل قال ما ادري ما كنت رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني

من الأرض فلم قتلت أخيك قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله عز وجل على الأرض يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا وقال مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وأمر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فأتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول وهو اول من قال الشعر تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه الصبيح وروي عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب ان محمدا والانبياء كلهم عليهم السلام في النهي عن الشعر سواء لكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يا بني انك وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط بالعربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزيد فيها ابيات وما لي لا اجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الضريح ارى طول الحيوة علي غما فهل انا من حيوتي مستريح فلما مضى من عمر آدم مائة وثلثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل علمه الله ساعات الليل والنهار واعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منها وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فأتاه ابليس فقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب انت ايضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان لا يمر به احد الا رماه فاقبل ابن له اعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه هذا ابوك قابيل فرمى الاعمى اباه فقتله فقال ابن الاعمى قتلت اباك فرفع يده فلطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت ابي برميتي وقتلت ابني بلطمتي قال مجاهد فعلقت احدى رجلي قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس حيثما دارت عليه في الصيف حظيرة من نار وفي الشتاء حظيرة من ثلج قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله تعالى بالطوفان ايام نوح وبقي نسل شيث روي عن عبد الله قال قال رسول الله صلعم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل من اجل ذلك قرأ ابو جعفر من اجل بكسر النون موصولا وقرأ العامة بجزم النون مقطوعا اي من جراء ذلك القاتل وجنايته يقال اجل يأجل اجلا اذا جنى مثل اخذ يأخذ اخذا كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس قتلها فيقاد منه او فساد في الارض يريد بغير نفس وبغير فساد في الارض من كفر او زنا او قطع طريق فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا واختلفوا في تأويلها فقال ابن عباس في رواية عكرمة من قتل نبيا او امام عدل فكأنما قتل الناس جميعا ومن شد على عضد نبي او امام عدل فكأنما احيا الناس جميعا قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعا ومن احياها من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعا قال قتادة عظم الله اجرها وعظم وزرها معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما قتل جميعا في الاثم لانهم لا يسلمون منه ومن احياها وتورع عن قتلها فكأنما احيا الناس جميعا في الثواب لسلامتهم منه قال الحسن فكأنما قتل الناس جميعا يعني انه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها اي عفا عمن وجب عليه القصاص له فلم يقتله فكأنما احيا الناس جميعا قال سليمان بن علي قلت للحسن يا ابا سعيد أهي لنا كما كانت لبني اسرائيل قال اي والذي لا اله غيره ما كان دماء بني اسرائيل اكرم على الله من دمائنا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله قال الضحاك نزلت في قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلعم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض وقال الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبي صلعم وادع هلال بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال بن عامر الى رسول الله صلعم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من اسلم من قوم هلال بن عويمر ولم يكن هلال شاهدا فنهدوا اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبرائيل بالقضية فيهم وقال سعيد بن جبير نزلت في ناس من عرينة وعكل اتوا النبي صلعم وبايعوه على الاسلام كذبة فبعثهم النبي صلعم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل روي عن انس قال قدم على النبي صلعم نفر من عكل فاسلموا فاجتووا المدينة فامرهم ان يأتوا

ابل الصدقة فيشربوا من ابوالها والبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوها
فبعث في آثارهم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا ورواه
ابو ايوب عن ابي قلابة عن انس وقال فقطع ايديهم وارجلهم ثم امر بمسامير فكحلهم بها وطر
حهم بالحرة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا قال ابو قلابة قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله
وسعوا في الارض فسادا وهو المراد من قول الله تعالى ويسعون في الارض فسادا واختلفوا
في حكم هولاء العرنيين فقال بعضهم هي منسوخة لان المثلة لا تجوز وقال بعضهم حكمه ثابت
الا السمل والمثلة روى قتادة عن ابن سيرين ان ذلك كان قبل ان تنزل الحدود قال ابو الزناد
لما فعل رسول الله صلعم ذلك بهم انزل الله الحدود ونهاه عن المثلة فلم يعد وعن قتادة قال بلغنا
ان النبي صلعم بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة وقال سليمان بن التيمي عن انس
انما سمل النبي صلعم اعين اولئك لانهم سملوا اعين الرعاة وقال الليث بن سعد نزلت هذه
الاية معاتبة لرسول الله صلعم وتعليما منه اياه عقوبتهم وقال انما جزاؤهم هذا لا المثلة
ولذلك ما قام النبي صلعم خطيبا الا نهى عن المثلة واختلفوا في المحاربين الذين يستحقون هذا الحد
فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في الامصار وهو قول الا
وزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال قوم المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحا
ربين في استحقاق هذا الحد وهو قول ابي حنيفة وعقوبة المحاربين ما ذكر الله تعالى ان يقتلوا
او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض فذهب قوم الى ان
الامام بالخيار في امر المحاربين بين القتل والقطع والصلب والنفي كما هو ظاهر الاية وهو قول سعيد
بن المسيب والحسن والنخعي ومجاهد وذهب الاكثرون الى ان هذه العقوبات على ترتيب الجرائم
لا على التخيير روى عن ابن عباس في قطاع الطريق اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا
قتلوا ولم ياخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم
من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم ياخذوا مالا نفوا من الارض وهو قول قتادة والاوزاعي
واصحاب الراي واذا قتل في قطع الطريق يقتل حتما حتى لا يسقط بعفو ولي الدم واذا اخذ من المال
نصابا وهو ربع دينار تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى واذا قتل واخذ المال يقتل ويصلب
واختلفوا في كيفيته فظاهر مذهب الشافعي انه يقتل ثم يصلب وقيل يصلب حيا ثم يطعن حتى
يموت مصلوبا وهو قول الليث بن سعد وقيل يصلب ثلاثة ايام حيا ثم ينزل فيقتل واذا

اخاف السبيل ينفى واختلفوا في النفي فذهب قوم الى ان الامام يطلبه ففي كل بلد يوجد ينفى عنه وهو
قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبوا لتقام الحدود عليهم وهو قول ابن عباس
والليث بن سعد وبه قال الشافعي وقال اهل الكوفة النفي هو الحبس وهو نفي من الارض وقال محمد بن
جرير ينفى من بلده الى غيره ويحبس في السجن في البلد الذي نفي اليه حتى تظهر توبته قال مكحول ان
عمر بن الخطاب اول من حبس في السجون وقال احبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه الى بلد فيوذيهم
ذلك الذي ذكرت من الحد لهم خزي في الدنيا اي عذاب وهوان وفضيحة في الدنيا ولهم
في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم فمن ذهب
الى ان الاية نزلت في الكفار قال معناه الا الذين تابوا من شركهم واسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل
عليهم بشيء من الحدود ولا تباعة عليهم فيما اصابوا في حال الكفر من دم او مال اما المسلمون المحاربون
فمن تاب منهم قبل القدرة عليه وهو قبل ان يظفر به الامام يسقط عنه كل عقوبة وجبت حقا لله تعالى
ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فان كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة
تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولي القتيل فان شاء عفا عنه وان شاء استوفاه وان كان قد
اخذ المال يسقط عنه القطع وان كان جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال وهو
قول الشافعي وقال بعضهم اذا جاء تائبا قبل القدرة لا يكون لاحد عليه تبعة في دم ولا مال الا ان
يوجد معه مال بعينه فيرد الى صاحبه روي عن علي في حارثة بن بدر وكان خرج محاربا فسفك
الدماء واخذ الاموال ثم جاء تائبا قبل ان يقدر عليه فلم يجعل عليه علي رضي الله عنه تبعة اما من تاب بعد
القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها وقيل كل عقوبة تجب حقا لله من عقوبات قطع الطريق وقطع
السرقة وحد الزنا والشرب يسقط بالتوبة بكل حال والاكثرون على انها لا تسقط يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وابتغوا اي اطلبوا اليه الوسيلة اي القربة فعيلة من توسل الى فلان بكذا اي
تقرب اليه وجمعها وسائل وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون لكي تسعدوا امتثلوا امر الله تنجوا
ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة
ما تقبل منهم اخبر ان الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل
منه ذلك الفداء ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها وله معنيان
احدهما انهم يقصدون ويطلبون المخرج منها كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها
والثاني انهم يتمنون ذلك ويطلبون المخرج منها كما قال تعالى اخبارا عنهم ربنا اخرجنا ولهم عذاب

والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما أراد به أيمانهما وكذلك هو في مصحف عبد الله بن
مسعود وحكم الآية أن من سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه تقطع يده اليمنى من الكوع ولا
يجب القطع بسرقة ما دون النصاب عند عامة أهل العلم حكي عن ابن الزبير أنه كان يقطع في الشيء
القليل وعامة العلماء على خلافه واختلفوا في القدر الذي يقطع به فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقطع في أقل
من ربع دينار فإن سرق ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهو قول أبي بكر وعمر وعثمان
وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي لما روي عن عائشة أن رسول الله صلعم القطع في
ربع دينار فصاعدا وروي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلعم قطع سارقا في مجن ثمنه ثلثة
دراهم وروي عن عثمان أنه قطع سارقا في أترجة قومت ثلثة دراهم من صرف اثني عشر درهما
بدينار وهذا قول مالك أنه يقطع في ثلثة دراهم وذهب قوم إلى أنه لا يقطع في أقل من دينار أو عشرة
دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود وإليه ذهب سفين الثوري وأصحاب الرأي وقال قوم لا يقطع إلا
في خمسة دراهم يروى ذلك عن أبي هريرة وبه قال ابن أبي ليلى وروي عن أبي هريرة عن رسول الله
صلعم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فيقطع يده ويسرق الحبل فيقطع يده قال الأعمش
كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل يرون أنه منها ما يساوي ثلثة دراهم ويحتج بهذا الحديث
من يرى القطع في الشيء القليل وهو عند الأكثرين محمول على ما قاله الأعمش لحديث عائشة وإذا سرق
شيئا من غير حرز كثمر في حائط لا حارس له أو حيوان في برية لا حافظ له أو متاع في بيت منقطع
عن البيوت لا قطع عليه روي عن رسول الله صلعم أنه قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فإذا
آواها المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن وروي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر
عن النبي صلعم قال ليس على خائن ومنتهب ومختلس قطع وإذا سرق مالا له فيه شبهة كالعبد يسرق
من مال سيده أو الولد يسرق مال والده أو الوالد مال ولده أو أحد الشريكين يسرق من
المال المشترك شيئا لا قطع عليه وإذا سرق السارق أول مرة يقطع يده اليمنى من الكوع ثم
إذا سرق ثانيا يقطع رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما إذا سرق ثالثا فذهب
أكثرهم إلى أنه يقطع يده اليسرى ثم إذا سرق رابعا يقطع رجله اليمنى ثم إذا سرق بعده يعزر
ويحبس حتى تظهر توبته وهو المروي عن أبي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما
روي عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلعم قال في السارق إن سرق فاقطعوا يده ثم إن
سرق فاقطعوا رجله ثم إن سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله وذهب قوم إلى أنه

إن سرق ثالثا بعدما قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى لا يقطع بل يحبس روي ذلك عن
علي وقال إني لأستحيي أن لا أدع له يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها وهو قول الشعبي والنخعي وبه
قال الأوزاعي وأحمد وأصحاب الرأي جزاء بما كسبا نصب على الحال والقطع ومثله نكالا
أي عقوبة من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه أي سرقته وأصلح العمل
فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم هذا فيما بينه وبين الله تعالى فأما القطع فلا يسقط
عنه بالتوبة عند الأكثرين قال مجاهد قطعه توبته فإذا قطع حصلت التوبة والصحيح أن القطع
للجزاء على الجناية كما قال جزاء بما كسبا نكالا فلا بد من التوبة بعده وتوبته الندم على ما مضى والعزم
على تركه في المستقبل وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال
سفين الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه وبالاتفاق إن كان المسروق قائما عنده يسترد وتقطع
يده لأن القطع حق الله عز وجل والغرم حق العبد فلا يمنع أحدهما الآخر كاسترداد العين ألم
تعلم أن الله له ملك السموات والأرض الخطاب مع النبي صلعم والمراد به الجميع وقيل معناه
ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطابا لكل أحد من الناس يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء
قال السدي والكلبي يعذب من يشاء من مات على كفره ويغفر لمن يشاء من تاب من كفره وقال ابن
عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة والله على كل شيء قدير يا أيها
الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر أي في موالاة الكفار فإنهم لن يعجزوا الله من
الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم المنافقون ومن الذين هادوا يعني
اليهود سماعون أي قوم سماعون للكذب أي قائلون للكذب كقول المصلي سمع الله لمن حمده أي
قبل الله وقيل سماعون لأجل الكذب أي يسمعون منك ليكذبوا عليك وذلك أنهم كانوا يسمعون من
الرسول صلعم ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا ولم يسمعوا ذلك منه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك
أي هم جواسيس يعني بني قريظة لقوم آخرين وهم أهل خيبر وذلك أن امرأة ورجلا من أشراف
أهل خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم في التورية فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما
وقالوا إن هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فأرسلوا إلى إخوانكم بني قريظة
فإنهم جيرانه وصلح له فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم
سلوا محمدا عن الزانيين إذا أحصنا ما حدهما فإن أمركم بالجلد فاقبلوا منه وإن أمركم بالرجم فا
حذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على قريظة والنضير

فقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة فجرا وقد
احصنا فنحب ان تسألوا لنا محمدا عن قضائه فيه فقالت لهم قريظة والنضير اذن والله يامركم
بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف
وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلعم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا
ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبرائيل بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا
ان ياخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال رسول الله صلعم هلا
تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو
فيكم قالوا اعلم يهودي بقي على وجه الارض بما انزل الله على موسى في التورية قال فارسلوا اليه
ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلعم انت ابن صوريا قال نعم قال وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون
قال اتجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال له النبي صلعم انشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية
على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون والذي ظلل عليكم الغمام
وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على
من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشية ان تحرقني التورية ان كذبت او
غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخل
فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التورية على موسى هكذا
انزل الله عز وجل في التورية على موسى فقال له النبي صلعم فماذا كان اول ما ترخصتم به امر الله عز وجل
قال كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى
زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل آخر في اسرة من الناس فاراد ذلك الملك رجمه فقام
دونه قومه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا
دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة بحبل مطلي
بالقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا
هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما اثنينا عليك
باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم انه قد انشدني بالتورية ولولا خشية التورية
ان تهلكني لما اخبرته به فامر بهما النبي صلعم فرجما عند باب مسجده وقال اللهم اني اول من احيى
امرك اذ اماتوه فانزل الله يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر عبدالله بن عمر قال

ان اليهود جاؤوا الى رسول الله صلعم فذكروا له ان رجلا منهم وامراة زنيا فقال لهم رسول الله
صلعم ما تجدون في التورية في شان الرجم قالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبدالله بن سلام كذبتم ان
فيها لآية الرجم فاتوا بالتورية فنشروها فوضع احدهما يده على آية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها
فقال عبدالله ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم قالوا صدق يا محمد فيها اية الرجم فامر
بهما رسول الله صلعم فرجما قال عبدالله بن عمر فرايت الرجل يجني على المراة يقيها الحجارة وقيل سبب
نزول هذه الاية القصاص وذلك ان بني النضير كان لهم فضل على بني قريظة فقال بنو قريظة يا
محمد اخواننا بنو النضير وابونا واحد وديننا واحد اذا قتلوا منا قتيلا لم يقيدونا واعطونا ديته
سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من
تمر وان كان القتيل امراة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد الحر منا وجراحاتنا
على التضعيف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فانزل الله هذه الاية والاول اصح ان
الاية في الرجم قوله عز وجل ومن الذين هادوا سماعون للكذب قيل اللام بمعنى الى وقيل اللام
كي اي يسمعون لكي يكذبوا عليك واللام في قوله اي من اجل قوم آخرين لم ياتوك وهم
اهل خيبر يحرفون الكلم جمع الكلمة من بعد مواضعه اي من بعد وضعه مواضعه ذكر
الكناية ردا الى لفظ الكلم يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم
فاقبلوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته كفره وضلالته قال الضحاك
هلاكه وقال قتادة عذابه فلن تملك له من الله شيئا اي فلن تقدر على دفع امر الله فيه اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وفيه رد على من ينكر القدر لهم في الدنيا خزي
اي للمنافقين واليهود خزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر باظهار نفاقهم وخزي اليهود
الجزية والقتل والسبي والنفي ورؤيتهم من محمد والصحابة فيهم ما يكرهون ولهم في الآخرة
عذاب عظيم الخلود في النار سماعون للكذب اكالون للسحت قرا ابن كثير وابو جعفر واهل
البصرة والكسائي السحت بضم الحاء والآخرون بسكونها وهو الحرام واصله الهلاك والشدة
قال الله تعالى فيسحتكم بعذاب نزلت في حكام اليهود كعب بن الاشرف وامثاله كانوا يرتشون
ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فيريه
اياها ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب وياكل الرشوة وعنه ايضا قال
انما ذلك في الحكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا فاما ان يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه
اي الملك

ليبدل به عن نفسه فلا باس فالسحت هو الرشوة في الحكم على قول الحسن ومقاتل وقتادة والضحاك وقال
ابن مسعود هو الرشوة في كل شيء وقال ابن مسعود من شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها
ظلما فاهدي له فقبل فهو سحت فقيل يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ
على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون روي عن عبد الله بن عمرو ان
رسول الله صلعم قال لعنة الله على الراشي والمرتشي قال الاخفش السحت كل كسب لا يحل فان
جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا خير الله
رسوله صلعم في الحكم بينهم ان شاء حكم وان شاء ترك واختلفوا في حكم الاية اليوم هل للحاكم
الخيار في الحكم بين اهل الذمة اذا تحاكموا الينا فقال اكثر اهل العلم هو حكم ثابت وليس في سورة
المائدة منسوخ وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين اهل الكتاب ان شاؤا حكموا وان شاؤا
لم يحكموا وان حكموا حكموا بحكم الاسلام وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة وقال قوم
يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بينهم والاية منسوخة نسخها قوله عز وجل وان احكم بينهم بما انزل الله
وهو قول مجاهد وعكرمة وروي ذلك عن ابن عباس وقال لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله
لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله اقتلوا المشركين وقوله فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
نسخها وان احكم بينهم بما انزل الله فاما اذا تحاكم الينا مسلم وذمي فيجب علينا الحكم بينهما لا
تختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة وان حكمت فاحكم بينهم با
لقسط اي بالعدل ان الله يحب المقسطين اي العادلين وروينا عن النبي صلعم انه قال ان
المقسطين عند الله على منابر من نور وكيف يحكمونك وعندهم التورية هذا تعجيب للنبي
صلعم وفيه اختصار اي وكيف يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التورية فيها حكم
الله وهو الرجم ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التورية
فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا اي سلموا وانقادوا لامر الله كما اخبر عن
ابرهيم عم اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وكما قال وله اسلم من في السموات والا
رض واراد بهم النبيين الذين بعثوا بعد موسى عليهم السلم ليحكموا بما في التورية وقد اسلموا لحكم التو
رية وحكموا بها فان من النبيين من لم يؤمر بحكم التورية منهم عيسى عم قال الله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا وقال الحسن والسدي اراد به محمدا صلعم حكم على اليهود بالرجم ذكر بلفظ الجمع كما قال
ان ابرهيم كان امة قانتا وقوله للذين هادوا قيل فيه تقديم وتاخير تقديره فيها هدى

ونور للذين هادوا ثم قال يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون وقيل هو على مو
ضعه ومعناه يحكم بها النبيون الذين اسلموا على الذين هادوا كما قال وان اسأتم فلها اي
فعليها وكقوله لهم اللعنة اي عليهم وقيل فيه حذف كانه قال للذين هادوا وعلى الذين هادوا
فحذف احدهما اختصارا والاحبار يعني العلماء واحدهم حبر وحبر بفتح الحاء وكسرها والكسر
افصح وهو العالم المحكم للشيء قال الكسائي وابو عبيد هو من الحبر الذي يكتب به وقال قطرب هو
من الحبر الذي بمعنى الجمال بفتح الحاء وكسرها وفي الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره
اي حسنه وهيئته ومنه التحبير وهو التحسين فسمي العالم حبرا لما عليه من جمال العلم وبهائه وقيل
الربانيون ههنا من النصارى والاحبار من اليهود وقيل كلاهما من اليهود بما استحفظوا من
كتاب الله استودعوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء انه كذلك فلا تخشوا الناس
واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون قال قتادة والضحاك نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود دون من اساء من
هذه الامة روي عن البراء بن عازب في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
والظالمون والفاسقون كلها في الكافرين وقيل هي على الناس كلهم وقال ابن عباس وطاوس
ليس بكفر ينقل عن الملة بل اذا فعله فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر قال عطاء هو
كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وقال عكرمة معناه ومن لم يحكم بما انزل الله
جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وسئل عبد العزيز بن يحيى الكناني
عن هذه الآيات فقال انها تقع على جميع ما انزل الله لا على بعضه فكل من لم يحكم بجميع ما انزل
الله فهو كافر ظالم فاسق فاما من حكم بما انزل الله من التوحيد وترك الشرك ثم لم يحكم ببعض
ما انزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات وقال العلماء هذا اذا رد نص حكم الله
عيانا عمدا فاما من خفي عليه او اخطا في تاويل فلا وكتبنا عليهم فيها اي اوجبنا على بني اسرا
ئيل في التورية ان النفس بالنفس يعني نفس القاتل بنفس المقتول وفاء يقتل به والعين
بالعين تفقأ به والانف بالانف يجدع به والاذن بالاذن تقطع به قال ابن عباس
اخبر الله بحكمه في التورية وهو ان النفس بالنفس الى آخره فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس
النفسين ويفقؤن بالعين العينين وخفف نافع الاذن في جميع القرآن وثقلها الآخرون والسن
بالسن تقلع به وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص والجروح قصاص وهذا تعميم

والقصاص مصدر اريد به المقتول به اي والجروح متقاصة

بعد التخصيص لانه ذكر العين والانف والسن ثم قال والجروح قصاص اى فيما يمكن الاقتصاص
كاليد والرجل واللسان ونحوها واما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم وجرح لحم كالجائفة
ونحوها فلا قصاص فيه لانه لا يمكن الوقوف على نهايته وقرا الكسائى والعين وما بعدها بالرفع
وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وابو جعفر والجروح بالرفع فقط وقرا الآخرون كلها بالنصب كالنفس
فمن تصدق به اى بالقصاص فهو كفارة له قيل الهاء فى له كناية عن المجروح وولى القتيل
اى كفارة للمتصدق وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص والشعبى وقتادة روى عن عبادة
بن الصامت قال قال رسول الله صلعم من تصدق من جسده بشى كفر الله عنه بقدره من ذنوبه وقال
جماعة هى كناية عن الجارح والقاتل يعنى اذا عفى المجنى عليه عن الجانى فعفوه كفارة لذنب
الجانى لا يؤاخذ به فى الآخرة كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافى فعلى الله قال الله تعالى
فمن عفى واصلح فاجره على الله روى عن ابن عباس وهو قول ابرهيم ومجاهد وزيد بن اسلم
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم على آثار النبيين الذين اسلموا
بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه اى فى الانجيل هدى ونو
ر ومصدقا يعنى الانجيل لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل
الانجيل بما انزل الله فيه قرا الاعمش وحمزة وليحكم بكسر اللام ونصب الميم اى لكى يحكم وقرا الآخرون
بسكون اللام وجزم الميم على الامر قال مقاتل بن حيان امر الله تعالى الربانيين والاحبار ان
يحكموا بما فى التورية وامر القسيسين والرهبان ان يحكموا بما فى الانجيل فكفروا وقالوا عزير
بن الله والمسيح بن الله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون الخارجون من
امر الله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب يا محمد القرآن بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
اى من الكتب المنزلة من قبل ومهيمنا عليه روى الوالبى عن ابن عباس اى شاهدا عليه
وهو قول مجاهد وقتادة والسدى والكسائى قال حسان ان الكتاب مهيمن لنبينا والحق
يعرفه ذوو الالباب يريد شاهدا ومصدقا وقال عكرمة دالا وقال سعيد بن جبير وابو
عبيدة مؤتمنا عليه وقال الحسن امينا وقيل اصله مؤيمن مفيعل من امين كما قالوا مبيطر فقلبت
الهمزة ها كما قال ارقت الماء وهرقت وايهات وهيهات ونحوها ومعنى امانة القرآن ما قال
ابن جريج القرآن امين على ما قبله من الكتب فما اخبر اهل الكتاب عن كتابكم فان كان فى القرآن
فصدقوا والا فكذبوا وقال سعيد بن المسيب والضحاك قاضيا وقال الخليل رقيبا وحافظا

والمعانى متقاربة ومعنى الكل ان كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله وما لا فلا فاحكم
يا محمد بينهم بين اهل الكتاب اذا ترافعوا اليك بما انزل الله بالقرآن ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك من الحق اى لا تعرض عما جاءك من الحق ولا تتبع اهواءهم لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
قال ابن عباس والحسن ومجاهد اى سبيلا وسنة فالشرعة والمنهاج الطريق الواضح وكل ما شرعت
فيه فهو شرعة وشريعة ومنه شرائع الاسلام لشروع اهلها فيها فاراد بهذا ان الشرائع مختلفة ولكل
اهل ملة شريعة قال قتادة الخطاب للامم الثلث امة موسى وعيسى وامة محمد عليهم الصلاة والسلام
للتورية شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة اى على ملة واحدة ولكن ليبلوكم ليختبركم فيما آتيكم من الكتب وبين لكم من الشرايع
فيتبين المطيع من العاصى والموافق من المخالف فاستبقوا الخيرات فبادروا الى الاعمال الصالحة
الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع
اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك قال ابن عباس قال كعب
بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض اذهبوا بنا
الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم
وانا ان اتبعناك لم يخالفنا اليهود وان بيننا وبين القوم خصومات فنحاكمهم اليك فاقض
لنا عليهم ونؤمن بك ويتبعنا غيرنا ولم يكن قصدهم الايمان انما كان قصدهم التلبيس ودعوته
الى الميل فى الحكم فانزل الله هذه الاية فان تولوا اى اعرضوا عن الايمان والحكم بالقرآن فاعلم
انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اى فاعلم ان اعراضهم من اجل ان الله يريد ان يعجل
لهم العقوبة فى الدنيا ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس يعنى اليهود لفاسقون أفحكم
الجاهلية يبغون قرا ابن عامر بالتاء وقرا الآخرون بالياء اى يطلبون ومن احسن من الله
حكما لقوم يوقنون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء اختلفوا فى
نزول هذه الاية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين فقال قوم نزلت فى عبادة بن الصامت وعبد الله
بن ابى بن سلول وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لى اولياء من اليهود كثير عددهم شديدة
شوكتهم وانى ابرأ الى الله والى رسوله منهم ومن ولايتهم ولا مولى لى الا الله ورسوله فقال عبد الله لكنى لا ابرأ
من ولاية اليهود لانى اخاف الدوائر ولا بد لى منهم فقال النبى صلعم يا ابا الحباب ما نفست به من
ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال اذن اقبل فانزل الله هذه الاية قال السدى

لما كانت وقعة احد اشتدت على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من
المسلمين انا الحق بفلان اليهودى وآخذ منه امانا انى اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر
اما انا فالحق بفلان النصرانى من اهل الشام وآخذ منه امانا فانزل الله هذه الاية ينهاهما وقال
عكرمة نزلت فى ابى لبابة بن عبد المنذر بعثه النبى صلعم الى بنى قريظة حين حاصرهم فاستشاروه فى
النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه على حلقه انه الذبح اى يقتلكم فنزلت هذه الاية بعضهم
اولياء بعض فى العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين ومن يتولهم منكم فانه منهم ومن يتولهم
فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض اى نفاق يعنى عبد الله
بن ابى واصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود يسارعون فيهم اى فى معونتهم وموالاتهم
يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة دولة يعنى ان يدول الدهر دولة فنحتاج الى نصرهم ايانا وقال
ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور الامر علينا وقيل نخشى ان يدور الدهر
علينا بمكروه من جدب وقحط فلا يعطونا الميرة والقرض فعسى الله ان ياتى بالفتح قال قتا
دة ومقاتل بالقضاء الفصل من نصر محمد صلعم على من خالفه وقال الكلبى والسدى فتح مكة وقال
الضحاك فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك او امر من عنده قبل اتمام امر محمد صلعم وقيل هلاك لهم
وقيل اجلاء بنى النضير فيصبحوا يعنى هؤلاء المنافقين على ما اسروا فى انفسهم من موالاة اليهود
ودس الاخبار اليهم نادمين ويقول الذين آمنوا قرا اهل الكوفة ويقول بالواو والر
فع وقرا اهل البصرة بالواو ونصب اللام عطفا على ان ياتى اى وعسى ان يقول الذين آمنوا
وقرا الآخرون بحذف الواو ورفع اللام وكذلك هو فى مصاحف اهل العالية استغنى عن حرف العطف
لملابسة هذه الاية بما قبلها يعنى يقول الذين آمنوا فى وقت اظهار الله تعالى نفاق المومنين
اهؤلاء الذين اقسموا حلفوا بالله جهد ايمانهم حلفوا باغلظ الايمان انهم لمعكم اى انهم مو
منون يريد ان المومنين حينئذ يتعجبون من كذبهم وحلفهم بالباطل قال الله تعالى حبطت اعمالهم
بطل كل خير عملوه فاصبحوا خاسرين خسروا فى الدنيا بافتضاحهم وفى الاخرة بالعذاب وفوات
الثواب يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرا اهل المدينة والشام من يرتدد بدا
لين على اظهار التضعيف عن دينه فيرجع الى الكفر قال الحسن علم الله ان قوما يرجعون عن الاسلام
بعد موت نبيهم صلعم فاخبرانه سياتى بقوم يحبهم ويحبونه واختلفوا فى اولئك القوم من هم قال
على بن ابى طالب والحسن وقتادة هم ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعى الزكوة

وذلك ان النبى صلعم لما قبض ارتد عامة العرب الا اهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس
ومنع بعضهم الزكوة وهم ابو بكر بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول الله صلعم وقال عمر كيف نقاتل
الناس وقد قال رسول الله صلعم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم
منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلوة
والزكوة فان الزكوة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلعم لقا
تلتهم على منعها قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعى الزكوة وقالوا اهل القبلة
فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره قال ابن مسعود كرهنا ذلك
فى الابتداء ثم حمدناه عليه فى الانتهاء قال ابو بكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد
النبيين مولود افضل من ابى بكر لقد قام مقام نبى من الانبياء فى قتال اهل الردة وكان
قد ارتد فى حيوة النبى صلعم ثلث فرق منهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار عبهلة بن كعب العنسى
ويلقب بالاسود وكان كاهنا مشعبذا فتنبى باليمن واستولى على بلادها فكتب رسول
الله صلعم الى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وامرهم ان يحثوا الناس على التمسك بدينهم
وعلى النهوض الى حرب الاسود فقتله فيروز الديلمى على فراشه قال ابن عمر فاتى الخبر رسول الله
صلعم من السماء الليلة التى قتل فيها فقال عم قتل الاسود البارحة قتله رجل مبارك قيل ومن
هو قال فيروز فاز فيروز فبشر النبى صلعم اصحابه بهلاك الاسود وقبض رسول الله صلعم من
الغد واتى خبر مقتل العنسى المدينة فى آخر شهر ربيع الاول بعد مخرج اسامة وكان ذلك اول
فتح جاء ابا بكر رضى الله عنه والفرقة الثانية بنو حنيفة باليمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب
وكان قد تنبى فى حيوة رسول الله صلعم فى آخر سنة عشر وزعم انه اشرك مع محمد فى النبوة
وكتب الى رسول الله صلعم من مسيلمة رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها
لك وبعث بذلك اليه مع رجلين من اصحابه فقال لهما رسول الله صلعم لولا ان الرسل لا تقتل
لضربت اعناقكما ثم اجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومرض رسول الله صلعم وتوفى فبعث ابو بكر خالد
بن الوليد الى مسيلمة الكذاب فى جيش كثير حتى اهلكه الله على يدى وحشى غلام مطعم بن عدى
الذى قتل حمزة ابن عبد المطلب بعد حرب شديد وكان وحشى يقول قتلت خير الناس فى
الجاهلية وشر الناس فى الاسلام والفرقة الثالثة بنو اسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان

اى فى جاهليتى واسلامى

اى خبر قتله بعد خبر النبى عم بكرم

الى محمد رسول الله صح

طليحة اخر من ارتد وادعى النبوة في حياة رسول الله صلعم واول من قوتل بعد وفاة النبي صلعم
من اهل الردة فبعث ابو بكر خالد بن الوليد اليه فهزمهم خالد بعد قتال شديد وافلت طليحة
فمر على وجهه هاربا نحو الشام ثم انه اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد بعد وفاة النبي صلعم
في خلافة ابي بكر خلق كثير حتى كفى الله المسلمين امرهم ونصر دينه على يدي ابي بكر رضي قالت عا
يشة توفي رسول الله صلعم وارتدت العرب واشرابت النفاق ونزل بابي ما لو نزل بالجبال
الراسيات لهاضها وقال قوم المراد بقوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه هم
الاشعريون روي عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الاية فسوف يأتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلعم هم قوم هذا واشار الى ابي موسى الاشعري وكانوا من اليمن وروي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان
يمان والحكمة يمانية وقال الكلبي هم احياء من اليمن الفان من النخع وخمسة آلاف من
كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في ايام
عمر رضي الله عنه اذلة على المؤمنين يعني ارقاء رحماء كقوله تعالى واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة ولم يرد به الهوان بل اراد ان جانبهم لين على المؤمنين وقيل هو من الذل
من قولهم دابة ذلول يعني انهم متواضعون قال الله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا اعزة على الكافرين اي اشداء غلظاء على الكفار يعادونهم ويغالبونهم
من قولهم عزه اي غلبه قال عطاء اذلة على المؤمنين كالولد لوالده وكالعبد لسيده اعزة
على الكافرين كالسبع على فريسته نظيره قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم يجاهدون في سبيل
الله ولا يخافون لومة لائم يعني لا يخافون في الله لوم الناس وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون
الكفار ويخافون لومهم وروينا عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلعم
على السمع والطاعة وان نقوم او نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء اي محبتهم لله ولين جانبهم للمسلمين وشدتهم على الكافرين من فضل الله
عليهم والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا روي عن ابن عباس انها نزلت
في عبادة بن الصامت وعبد الله بن ابي بن سلول حين تبرأ عبادة من اليهود وقال اتولى
الله ورسوله والذين آمنوا فنزل فيهم من قوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء بعضهم الى قوله انما وليكم ~~والذين آمنوا فنزل فيهم من قوله يا ايها الذين~~ الله ورسوله

والذين آمنوا يعني عبادة بن الصامت واصحاب رسول الله صلعم قال جابر بن عبد الله جاء عبد الله
بن سلام الى النبي صلعم فقال يا رسول الله صلعم ان قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا
واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الاية فقرأها عليه رسول الله صلعم فقال رضينا بالله وبرسوله وبا
المؤمنين اولياء وعلى هذا التاويل اراد بقوله وهم راكعون صلاة التطوع بالليل والنهار قاله ابن
عباس وقال السدي قوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون
اراد علي بن ابي طالب مر به سائل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه وقال جويبر عن الضحاك
في قوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا قال هم المؤمنون بعضهم اولياء بعض وقال ابو جعفر
محمد بن علي الباقر انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا نزلت في المؤمنين فقيل له ان ناسا يقولون
انها نزلت في علي فقال هو من المؤمنين ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا يعني يتولى القيام
بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار فان حزب الله يعني
انصار دين الله هم الغالبون لانه تعالى ناصرهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا قال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن
الحارث قد اظهر الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله عز وجل هذه
الاية يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا باظهار ذلك بالسنتهم
قولا وهم مستبطنون الكفر من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والكفار قرأ
اهل البصرة والكسائي والكفار بخفض الراء يعني ومن الكفار وقرأ الآخرون بالنصب اي لا
تتخذوا الكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين حقا فان الايمان حق يوجب معاداة اعداء
الدين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا بانهم قوم لا يعقلون قال
الكلبي كان منادي رسول الله صلعم اذا نادى الى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود
قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء وضحكوا فانزل الله هذه الاية وقال
السدي نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول
الله قال حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فتطايرت منها
شرارة فاحرقت البيت واحترق هو واهله وقال آخرون ان الكفار لما سمعوا الاذان
حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله صلعم وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من
الامم فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان اولى

الناس به الانبياء فقد ابن لكم صياح كصياح العير فما اقبح من صوت وما اسمج من امر
فانزل الله هذه الاية ونزل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية قل يا اهل الكتاب
هل تنقمون منا قرأ الكسائي هل تنقمون منا بادغام اللام في التاء وكذلك يدغم لام هل في
التاء والنون وافقه حمزة في التاء والثاء وابو عمرو في هل ترى من فطور قال ابن عباس اتى رسول
الله صلعم نفر من اليهود ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وغيرهما فسالوه عمن يؤمن
به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل الى قوله ونحن له
مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة
منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الاية قوله تنقمون منا اي هل تكرهون الا ان
آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون اي هل تكرهون
الا ايماننا وفسقكم اي انما كرهتم ايماننا وانتم تعلمون انا على حق لانكم فسقتم بان اقمتم على
دينكم لحب الرياسة ولحب الاموال ثم قال قل يا محمد هل انبئكم اخبركم بشر من ذلك الذي
ذكرتم يعني قولهم لم نر اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم
فذكر الجواب بلفظ الابتداء وان لم يكن الابتداء شرا كقوله تع قل افانبئكم بشر من ذلكم
النار مثوبة ثوابا وجزاء نصب على التفسير عند الله من لعنه الله اي طرده من رحمة الله وغضب
عليه يعني اليهود وجعل منهم القردة والخنازير والقردة اصحاب السبت والخنازير كفار
مائدة عيسى وروى عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ان الممسوخين كلاهما من اصحاب السبت
فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وعبد الطاغوت اي جعل منهم من عبد الطاغوت
اي اطاع الشيطان فيما سول له وتصديقها قراءة ابن مسعود ومن عبدوا الطاغوت وقرأ حمزة
وعبد بضم الباء الطاغوت بجر التاء اراد العبد وهما لغتان عبد بجزم الباء وعبد بضمها مثل
سبع وسبع وقيل جمع العباد وقرأ الحسن وعبد الطاغوت على الواحد اولئك شر مكانا واضل
عن سواء السبيل اي طريق الحق واذا جاؤكم يعني هؤلاء المنافقين وقيل هم الذين قالوا آمنا بالذي
انزل على الذين آمنوا وجه النهار دخلوا على النبي صلعم وقالوا آمنا بك وصدقناك فيما
قلت وهم يسرون الكفر وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به يعني دخلوا كافرين وخرجوا كافرين
والله اعلم بما كانوا يكتمون من النفاق وترى كثيرا منهم يعني من اليهود يسارعون
في الاثم والعدوان قيل الاثم المعاصي والعدوان الظلم وقيل الاثم ما كتموا من التورية والعدوان

والعدوان ما زادوا فيها واكلهم السحت الرشى لبئس ما كانوا يعملون لولا هلا ينهاهم
الربانيون والاحبار يعني العلماء قيل الربانيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود
عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة
قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر
الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلعم وكذبوا به كف الله عنهم ما بسط عليهم
من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة اي محبوسة مقبوضة عن الرزق
نسبوه الى البخل قيل انما قال هذه المقالة فنحاص فلما لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله اشركهم
الله فيها وقال الحسن معناه يد الله مكفوفة من عذابنا فليس يعذبنا الا بما يبر به قسمه قدر
ما عبد آباؤنا العجل والاول اولى لقوله ينفق كيف يشاء غلت ايديهم اي امسكت ايديهم
عن الخيرات وقال الزجاج اجابهم الله تعالى فقال انا الجواد وهم البخلاء وايديهم هي المغلولة
الممسكة وقيل هو من الغل في النار يوم القيمة كقوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل ولعنوا
عذبوا بما قالوا قيل لعنهم انهم مسخوا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا
والاخرة بل يداه مبسوطتان ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه قال
جل ذكره لما خلقت بيدي وقال النبي صلعم كلتا يديه يمين والله اعلم بصفاته فعلى العباد فيها
الايمان والتسليم قال ائمة السلف من اهل السنة في هذه الصفات امروها كما جاءت بلا كيف
ينفق يرزق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
اي كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء
يعني اليهود والنصارى قاله الحسن ومجاهد وقيل بين طوائف اليهود جعلهم الله في دينهم مختلفين
متباغضين الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله يعني اليهود افسدوا وخالفوا
حكم التورية فبعث الله بخت نصر ثم افسدوا فبعث الله طيطوس الرومي ثم افسدوا فسلط
عليهم المجوس ثم افسدوا فبعث عليهم المسلمين وقيل كلما اجمعوا امرهم ليفسدوا امر محمد صلعم واو
قدوا نارا لمحاربته اطفأها الله فردهم وقهرهم ونصر نبيه ودينه هذا معنى قول الحسن وقال قتا
دة هذا عام في كل حرب طلبته اليهود فلا تلقى اليهود في بلد الا وجدتهم من اذل الناس
ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد صلعم
واتقوا الكفر لكفرنا عنهم سيآتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية

والانجيل يعني احكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما وما انزل اليهم من ربهم يعني القران
وقيل كتب انبياء بني اسرائيل لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قيل من فوقهم هو المطر ومن
تحت ارجلهم نبات الارض قال ابن عباس لانزلت عليهم القطر واخرجت لهم من نبات الارض
وقال الفراء اراد به التوسعة في الرزق كما يقال فلان في الخير من قرنه الى قدمه نظيره قوله تعالى
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض منهم امة مقتصدة
يعني مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه مقتصدة اي عادلة غير غالية ولا مقصرة
جافية ومعنى الاقتصاد في اللغة الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير وكثير منهم كعب بن
الاشرف واصحابه ساء ما كانوا يعملون بئس شيئا عملهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب
بالنبي صلعم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك روي عن مسروق قال قالت عائشة
من حدثك ان محمدا كتم شيئا مما انزل الله فقد كذب وهو يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من
ربك الاية وروي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من
يكذبه فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلعم دعاهم الى الاسلام فقالوا
قد اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزءون به فيقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذ النصارى
عيسى حنانا فلما رأى النبي صلعم ذلك سكت فنزلت هذه الاية وامره بان يقول لهم يا اهل الكتاب
لستم على شيء الاية وقيل بلغ ما انزل اليك من الرجم والقصاص نزلت في قصة اليهود وقيل نزلت
في امر زينب بنت جحش ونكاحها وقيل نزلت في الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه كما قال الله تعالى
فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي
عليه من الموت وكرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
الاية وكان النبي صلعم يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهية بعضهم
فانزل الله هذه الاية وان لم تفعل فما بلغت رسالته قرا اهل المدينة رسالاته جمع والباقون
رسالته على التوحيد ومعنى الاية ان لم تبلغ الجميع وتركت بعضه فما بلغت شيئا اي جرمك في
ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل كقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا اخبر ان كفرهم بالبعض
محبط للايمان بالبعض وقيل بلغ ما انزل اليك اي اظهر تبليغه كقوله فاصدع بما تؤمر
وان لم تفعل وان لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته امره بتبليغ ما انزل اليه مجاهرا

محتسبا صابرا غير خائف فان اخفيت منه شيئا لخوف يلحقك فما بلغت رسالته والله يعصمك
من الناس يحفظك ويمنعك من الناس فان قيل اليس قد شج راسه وكسرت رباعيته واوذي
بضروب من الاذى قيل معناه يعصمك من القتل فلا يصلوا الى قتلك وقيل نزلت هذه الاية بعدما
شج راسه لان سورة المائدة من آخر ما نزل من القران وقيل والله يخصك بالعصمة من بين
الناس لان النبي صلعم معصوم ان الله لا يهدي القوم الكافرين روي عن ابي سلمة بن
عبد الرحمن ان جابر بن عبد الله اخبره انه غزا مع رسول الله صلعم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلعم
قفل معه فادركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلعم وتفرق الناس يستظلون
بالشجر فنزل رسول الله صلعم تحت سمرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلعم يدعونا
واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط سيفي وانا نائم واستيقظت وهو في يده صلتا فقال
من يمنعك مني فقلت الله ثلثا ولم يعاقبه وجلس وروى محمد بن كعب القرظي عن ابي هريرة ان
الاعرابي سل سيفه وقال من يمنعك مني يا محمد قال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف
من يده وجعل يضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه فانزل الله هذه الاية روي عن عبد الله بن عا
مر بن ربيعة قال سمعت عائشة تقول كان النبي صلعم سهر فلما قدم المدينة قال ليت رجلا من
اصحابي صالحا يحرسني الليلة اذ سمعنا صوت سلاح فقال من هذا قال انا سعد بن ابي وقاص
جئت لاحرسك ونام النبي صلعم وقال عبد الله بن شقيق عن عائشة كان النبي صلعم يحرس
حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلعم راسه من القبة فقال
لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم اي تقيموا احكامهما وما يجب عليكم فيهما وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس فلا تحزن على القوم الكافرين في الكفر
[illegible] كفاية عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى وكان حقه و
الصابئين وقد ذكرنا في سورة البقرة وجه ارتفاعه وقال سيبويه فيه تقديم وتاخير وتقديره
ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله الى آخر الاية والصابئون كذلك
وقوله ان الذين آمنوا اي باللسان وقوله من آمن بالله اي بالقلب وقيل ان الذين آمنوا على
حقيقة الايمان من آمن بالله اي ثبت على الايمان واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل في التوحيد والنبوة وارسلنا اليهم رسلا

كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا يعني عيسى ومحمدا وفريقا يقتلون زكريا ويحيى
وحسبوا وظنوا الا تكون فتنة اى عذاب وقيل ابتلاء واختبار اى ظنوا ان لا يبتلوا ولا يعذبوا
بما لهم الله قرا اهل البصرة وحمزة والكسائي تكون برفع النون على معنى انه لا يكون ونصبها الآخرون
بما لم يكن قبله لا فعموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه يعني وصموا بعد موسى ثم تاب
الله عليهم ببعث عيسى ثم عموا وصموا كثير منهم بالكفر بمحمد صلعم والله بصير بما يعملون لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم يعني الملكانية واليعاقبة منهم وقال
المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة يعني
المرقوسية وفيه اضمار معناه ثالث ثلثة آلهة لانهم يقولون الالهية مشتركة بين الله
ومريم وعيسى كل واحد من هؤلاء اله فهم ثلثة آلهة يبين هذا قوله عز وجل للمسيح أأنت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ومن قال ان الله ثالث ثلثة ولم يرد به الالهة لا
يكفر فان الله يقول ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم قال النبي صلعم لابي بكر ما ظنك باثنين الله
ثالثهما ثم قال ردا عليهم وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين
كفروا منهم عذاب اليم خص الذين كفروا لعلمه ان بعضهم يؤمنون افلا يتوبون الى الله ويـ
ستغفرونه قال الفراء هذا بلفظ الاستفهام ومعناه الامر كقوله فهل انتم منتهون اى انتهوا والمعنى ان الله
يأمرهم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم
الا رسول قد خلت مضت من قبله الرسل اى ليس باله كالرسل الذين مضوا لم يكونوا آلهة
وامه صديقة كثيرة الصدق وقيل سميت صديقة لانها صدقت بآيات الله كما قال الله في وصفها
وصدقت بكلمات ربها كانا يأكلان الطعام اى كانا يعيشان بالطعام والغذاء كسائر الآ
دميين فكيف يكون الها من لا يقيم الا اكل الطعام وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان من اكل
واشرب لا بد له من البول والغائط ومن هذه صفته كيف يكون الها ثم عجب من كفرهم مع
قيام البرهان على بشريتها فقال انظر كيف نبين لهم الايات اى الدلالات على ذكر
ثم تعجب ثانيا من تركهم الايمان مع وضوح الدليل فيما بثم للتراخي بين العجبين فقال ثم
انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا
ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اى لا تجاوزوا

الحد والغلو والتقصير كل واحد منهما مذموم في الدين وقوله غير الحق اى في دينكم المخالف للحق
وذلك انهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا فيه بالاصرار عليه ولا تتبعوا اهواء قوم والاهواء
جمع الهوى وهو ما تدعو اليه شهوة النفس قد ضلوا من قبل يعني رؤساء الضلالة من
فريقي اليهود والنصارى والخطاب للذين كانوا في عصر النبي صلعم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما
ابتدعوه باهوائهم واضلوا كثيرا يعني من اتبعهم على اهوائهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد
الطريق بالاضلال فالضلال الاول من الضلالة والثاني باضلال من اتبعهم لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل على لسان داود يعني اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم
واجعلهم آية فمسخوا قردة وعيسى ابن مريم اى لسان عيسى يعني كفار اصحاب المائدة لما لم
يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا خنازير ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى لا ينهى بعضهم بعضا لبئس ما كانوا يفعلون
روى عن عبد الله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلعم كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل
اذا عمل العامل منهم بالخطيئة نهاه الناهي تعذيرا فاذا كان من الغد جالسه وآكله وشاربه
كانه لم يره على الخطيئة بالامس فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض وجعل منهم القردة
والخنازير ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي
نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على
الحق اطرا او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم ترى كثيرا منهم قيل من
اليهود كعب بن الاشرف واصحابه يتولون الذين كفروا مشركي مكة حين خرجوا اليهم يجيشو
ن على النبي صلعم وقال ابن عباس ومجاهد ولكن منهم يعني من المنافقين يتولون اليهود لبئس
ما قدمت لهم انفسهم بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة ان سخط الله عليهم اى غضب
الله وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي محمد صلعم وما انزل اليه يعني القرآن
ما اتخذوهم يعني الكفار اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون اى خارجون عن امر الله تعالى
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا يعني مشركي العرب
ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى لم يرد جميع النصارى
لانهم في عداوتهم مسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين واسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجد
هم واحراق مصاحفهم لا ولا كرامة لهم بل الآية فيمن اسلم منهم مثل النجاشي واصحابه قال اهل

الشفيرا بمدك قريش ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذو
نهم ويعذبونهم فافتتن ما افتتن وعصم الله من شاء ومنع الله رسوله بعمه ابي طالب فلما رأى رسول
الله صلعم ما اصاب اصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان
بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا واراد به النجاشي
واسمه اصحمة وهو بالحبشية عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم قيصر وكسرى فخرج اليها سرا
احد عشر رجلا واربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلعم والزبير بن العوام
وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل
بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وامرأته ام سلمة بنت ابي امية وعثمان بن
مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء
فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة
من مبعث رسول الله صلعم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون اليها
فكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت
قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا الى النجاشي والى بطارقته ليردهم اليهم
فعصمهم الله وذكرت القصة في سورة آل عمران فلما انصرفوا خائبين اقام المسلمون هناك
بخير النجاشي على يد عمرو بن امية الضمري ليزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت
اليه مع زوجها فمات زوجها وبعث اليه من عنده من المسلمين فارسل النجاشي الى ام حبيبة جارية
له يقال لها ابرهة تخبرها بخطبة رسول الله صلعم اياها فاعطتها اوضاحا لها سرورا بذلك
فاذنت لخالد بن سعيد بن العاص حتى انكحها على صداق اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول
الله صلعم النجاشي فانفذ اليها النجاشي اربعمائة دينار على يد ابرهة فلما جاءتها بها اعطتها
خمسين دينارا فردتها وقالت امرني الملك ان لا آخذ منك شيئا وقالت انا صاحبة دهن الملك
وثيابه وقد صدقت محمدا رسول الله صلعم وآمنت به وحاجتي منك ان تقرئيه مني السلام قالت
نعم وقد امر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من عود وعنبر وكان رسول الله صلعم يراه
عليها وعندها فلا ينكر قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله بخيبر فخرج من خرج اليه
واقمت بالمدينة حتى قدم النبي صلعم فدخلت عليه فكان يسائلني عن النجاشي فقرأت عليه من
ابرهة السلام فرد رسول الله صلعم وانزل الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم

وان جعلته حالا على تقدير متلبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون
غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم او عن المؤمن به وعن ابن مسعود رض قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل
من الايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم
لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة
وعلى الثالث للآلة ويقيمون الصلوة يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ
في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت
واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا
فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه
او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد
وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها
بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد
لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن
وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون
ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة
فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص
بها لاشتمالها على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده

واشتهاره بهذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في المعنى الأول لا يقدح في نقله عنه وإنما
سمي الداعي مصلياً تشبيهاً له في تخشعه بالراكع والساجد ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾
الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ والعرف خصصه بتخصيص الشيء
بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا على الله أن يمكن من الحرام لأنه
منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام ألا يرى أنه تعالى
أسند الرزق ههنا إلى نفسه إيذاناً بأنهم ينفقون الحلال المطلق فإن إنفاق الحرام
لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله ﴿قل أرأيتم
ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً﴾ وأصحابنا جعلوا الإسناد للتعظيم
والتحريض على الإنفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة و
تمسكوا لشمول الرزق له بقوله عم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيباً فاخترت
ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل لك من حلاله وبأنه لو لم يكن المتغذي به طول عمره
مرزوقاً وليس كذلك لقوله تعالى ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ وأنفق الشيء
وأنفده أخوان ولو استقريت الألفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دل على
معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الإنفاق صرف المال في سبيل الخير فرضاً كان أو نفلاً
ومن فسره بالزكوة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه أو خصصه بها لاقترانه بما هو
شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وإدخال من التبعيضية
عليه للكف عن الإسراف المنهي عنه ويحتمل أن يراد به الإنفاق من جميع المعاون التي منحهم الله

سودة يعني أبا سفيان مودة يعني بتزوج أم حبيبة وما جاء أبا سفيان تزويج أم حبيبة قال ذلك الفحل
لا يقرع أنفه وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر إلى رسول الله صلعم ابنه ارها بن اصحمة بن ابجر في ستين ر
جلاً من الحبشة وكتب إليه يا رسول الله أشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبا
يعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت إليك ابني ارها وإن شئت أن آتيك
بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا سفينة في أثر جعفر وأصحابه حتى إذا كانوا في
وسط البحر غرقوا ووافى جعفر وأصحابه رسول الله صلعم في سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف
منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فقرأ عليهم رسول الله صلعم يس إلى آخرها
فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عم فأنزل الله فيهم
ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا
مع جعفر وهم السبعون وكانوا أصحاب الصوامع وقال مقاتل والكلبي كانوا أربعين رجلاً اثنان
وثلثون من الحبشة وثمانية من أهل الشام وقال عطاء كانوا ثمانين رجلاً أربعون من أهل نجران
من بني الحارث بن كعب واثنان وثلثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام وقال
قتادة نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عم فلما بعث
الله محمداً صدقوه وآمنوا به فأثنى الله تعالى عليهم ذلك بأن منهم قسيسين أي علماء قال
قطرب القس والقسيسين العالم بلغة الروم ورهباناً والرهبان العباد أصحاب الصوا
مع واحدهم راهب مثل فارس وفرسان وراكب وركبان وقد يكون واحداً وجمعه رهابين
مثل قربان وقرابين وأنهم لا يستكبرون أي لا يتعظمون عن الإيمان والإذعان للحق
وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول محمد صلعم ترى أعينهم تفيض تسيل من الدمع مما عرفوا
من الحق قال ابن عباس في رواية عطاء يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة كهيعص
فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين يعني
أمة محمد صلعم دليله قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا
من الحق وذلك أن اليهود عيروهم وقالوا لم آمنتم فأجابوهم بهذا ونطمع أن يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين أي في أمة محمد صلعم بيانه أن الأرض يرثها عبادي الصالحون
فأثابهم الله أعطاهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وإنما أنجح
قولهم وعلق الثواب بالقول لاقترانه بالإخلاص بدليل قوله وذلك جزاء المحسنين يعني

المعتدين الوامنين وقوله من قبل ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق فدل ان الا
خلاص والمعرفة بالقلب مع القول يكون ايماناً والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب
الجحيم يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قال اهل التفسير ذكر النبي صلعم
الناس يوماً ووصف القيمة فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان
بن مظعون الجمحي وهم ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو
وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي و
معقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم
ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء
والطيب ويسيحوا في الارض فبلغ ذلك رسول الله صلعم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه
فقال لامراته ام حكيم بنت ابي امية واسمها خولة وكانت عطارة احق ما بلغني عن زوجك واصحا
به فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي على زوجها فقالت يا رسول الله ان كان اخبرك عثمان
فقد صدقك فانصرف رسول الله فلما دخل عثمان اخبرته بذلك فاتى رسول الله صلعم هو واصحابه
فقال لهم رسول الله الم انبا انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير
فقال عم اني لم اومر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقاً فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فا
ني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني
ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات
الدنيا اما اني لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهباناً فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء
ولا اتخاذ الصوامع ان سياحة امتي ورهبانيتهم الجهاد والصوم اعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئاً وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم
فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الد
يارات والصوامع فانزل الله هذه الاية روى عن ابن انعم عن سعيد بن مسعود ان عثمان بن
مظعون اتى النبي صلعم فقال ائذن لنا في الاختصاء فقال رسول الله صلعم ليس منا من خصى
ولا اختص ان خصاء امتي الصيام فقال يا رسول الله ائذن لنا في السياحة فقال ان سيا
حة امتي الجهاد في سبيل الله فقال يا رسول الله ائذن لنا في الترهب فقال ان ترهب امتي الجلوس
في المساجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة وروى عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا قال

يا رسول الله اني اصبت من اللحم فانتشرت واخذتني شهوة فحرمت اللحم فانزل الله يا ايها
الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم يعني اللذات التي تشتهيها النفوس مما احل الله
لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة ولا تعتدوا اي لا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل هو
جب المذاكير ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً قال عبد الله
بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذا ونما فاما الجوامد كالطين والتراب وما لا
يغذا فمكروه الا على وجه التداوي واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون روى عن عائشة قالت
كان النبي صلعم يحب الحلواء والعسل لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم قال ابن عباس لما نز
لت لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكا
نوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقد
تم الايمان قرا حمزة والكسائي وابو بكر عقدتم بالتخفيف وقرا ابن عامر عاقدتم بالالف وقرا
الآخرون عقدتم بالتشديد اي وكدتم والمراد من الاية قصدتم وتعمدتم فكفارته اي كفارة
ما عقدتم الايمان اذا حنثتم اطعام عشرة مساكين واختلفوا في قدره فذهب قوم الى انه
يطعم لكل مسكين مداً من الطعام بمد النبي صلعم وهو رطل وثلث رطل من غالب قوت البلد وكذلك في
جميع الكفارات وهو قول زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم
وسليمان بن يسار والحسن وقال اهل العراق عليه لكل مسكين مدان وهو نصف صاع يروى
ذلك عن عمر وعلي وقال ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان اطعم من غيرها فصا
ع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والحكم ولو غدّاهم وعشاهم لا يجوز وجوز
ابو حنيفة ويروى ذلك عن علي ولا يجوز الدراهم والدنانير ولا الخبز ولا الدقيق بل يجب اخرا
ج الحب وجوز ابو حنيفة كل ذلك ولو صرف الكل الى مسكين واحد لا يجوز وجوز ابو حنيفة ان
يصرف طعام عشرة مساكين الى مسكين واحد في عشرة ايام ولا يجوز ان يصرف الا الى مسلم حر
محتاج فان صرف الى ذمي او عبد او غني لا يجوز وجوز ابو حنيفة صرفه الى اهل الذمة واتفقوا
على ان صرف الزكوة الى اهل الذمة لا يجوز من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من خير قوت عيا
لكم وقال عبيدة السلماني الاوسط الخبز والخل والاعلى الخبز واللحم والادنى الخبز البحت والكل
مجزي او كسوتهم كل من لزمته كفارة اليمين فهو فيها مخير ان شاء اطعم عشرة من المساكين
وان شاء كساهم وان شاء اعتق رقبة فان اختار الكسوة فاختلفوا في قدرها فذهب

قوم الى انه يكسو لكل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازار او رداء او قميص او سراويل
او عمامة او كساء او نحوها وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشا
فعي وقال مالك يجب لكل انسان ما تجوز فيه صلاته فيكسو الرجال ثوبا والنساء ثوبين درعا وخما
را وقال سعيد بن المسيب لكل مسكين ثوبان او تحرير رقبة واذا اختار العتق يجب اعتاق
رقبة مؤمنة وكذلك جميع الكفارات مثل كفارة القتل والظهار والجماع في نهار رمضان يجب فيها
اعتاق رقبة مؤمنة واجاز ابو حنيفة والثوري اعتاق الرقبة الكافرة في جميعها الا في كفارة القتل
لان الله تعالى قيد الرقبة فيها بالايمان قلنا المطلق يحمل على المقيد كما ان الله تعالى قيد الشهادة
بالعدالة في موضع فقال واشهدوا ذوي عدل منكم واطلق في موضع فقال واستشهدوا شهيدين
من رجالكم ثم العدالة شرط في جميعها حملا للمطلق على المقيد كذلك هذا ولا يجوز اعتاق المرتد بالا
تفاق عن الكفارة ويشترط ان يكون سليم الرق حتى لو اعتق عن كفارته مكاتبا او ام ولد او عبدا
اشتراه بشرط العتق او اشترى قريبه الذي يعتق عليه بنية الكفارة يعتق ولكن لا يجوز الكفارة
وجوز اصحاب الرأي المكاتب اذا لم يكن ادى شيئا من النجوم وعتق القريب عن الكفارة ويشترط
ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل اضرارا بينا حتى لا يجوز مقطوع احدى اليدين او
احدى الرجلين ولا الاعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز الاعور والاصم ومقطوع الاذنين
والانف لان هذه العيوب لا تضر بالعمل اضرارا بينا وعند ابي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة
يمنع الجواز حتى جوز مقطوع احدى اليدين ولم يجوز مقطوع الاذنين فمن لم يجد فصيام ثلثة
ايام اذا عجز الذي لزمته كفارة اليمين عن الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة يجب عليه صوم ثلثة ايام والعجز
ان لا يفضل من ماله عن قوته وقوت عياله وحاجته ما يطعم او يكسو او يعتق فانه يصوم ثلثة ايام
وقال بعضهم اذا ملك ما يمكنه الاطعام وان لم يفضل عن كفايته فليس له الصيام وهو قول الحسن
وسعيد بن جبير واختلفوا في وجوب التتابع في هذا الصيام فذهب جماعة الى انه لا يجب فيه التتا
بع بل ان شاء تابع وان شاء فرق والتتابع افضل وهو احد قولي الشافعي وذهب قوم الى
انه يجب فيه التتابع قياسا على كفارة القتل والظهار وهو قول الثوري وابي حنيفة ويدل عليه قراءة
ابن مسعود فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اي ذلك الذي ذكرت كفارة ايمانكم اذا حلفتم
اي اذا حلفتم وحنثتم فان الكفارة لا تجب الا بعد الحنث واختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب
قوم الى جوازه لما روينا ان النبي صلعم قال من حلف بيمين فرأى غيرها خيرا فليكفر عن يمينه وليفعل

الذي هو خير وهو قول عمر وابن عباس وعائشة وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك
والاوزاعي والشافعي الا ان الشافعي يقول ان كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لانه بدني انما يجوز
بالاطعام او الكسوة او العتق كما يجوز تقديم الزكوة على الحول ولا يجوز تعجيل صوم رمضان قبل وقته
وذهب قوم الى انه لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث وبه قال ابو حنيفة واحفظوا ايمانكم
قيل اراد به ترك الحلف لا تحلفوا وقيل وهو الاصح اراد به اذا حلفتم فلا تحنثوا فالمراد منه حفظ
اليمين عن الحنث هذا اذا لم يكن يمينه على ترك مندوب او فعل مكروه فان حلف على ترك مندوب او فعل
مكروه فالافضل ان يحنث نفسه ويكفر لما روي عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلعم
يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسئل الامارة فانك ان اوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اوتيتها
عن غير مسئلة اعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وائت الذي
هو خير كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون اي نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج
منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر اي القمار والانصاب يعني الاوثان سميت بذ
لك لانهم كانوا ينصبونها واحدها نصب بفتح النون وسكون الصاد ونصب بضم النون
مخففا ومثقلا والازلام يعني القداح التي كانوا يستقسمون بها واحدها زلم رجس خبيث
مستقذر من عمل الشيطان من تزيينه فاجتنبوه رد الكناية الى الرجس لعلكم
تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر اما العداوة
في الخمر فان الشاربين اذا سكروا عربدوا وتشاجروا كما فعل الانصاري الذي شج راس سعد
بن ابي وقاص بلحي الجمل واما العداوة في الميسر قال قتادة كان الرجل يقامر على الاهل والمال
ثم يبقى حزينا مسلوب الاهل والمال مغتاظا على حرفائه ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة
وذلك ان من اشتغل بشرب الخمر والقمار الهاه ذلك عن ذكر الله وشوش عليه صلوته كما فعل
باضياف عبد الرحمن بن عوف تقدم رجل ليصلي بهم صلوة المغرب بعد ما شربوا فقرأ قل يا ايها
الكافرون اعبد بحذف لا فهل انتم منتهون اي انتهوا لفظه استفهام ومعناه امر كقوله تعالى
فهل انتم شاكرون واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا المحارم والمناهي فان توليتم فا
علموا انما على رسولنا البلاغ المبين وفي وعيد شارب الخمر روي عن ابن عمر عن رسول الله صلعم
انه قال كل مسكر حرام ان حقا على الله ان لا يشربه عبد في الدنيا الا سقاه الله يوم القيمة من
طينة الخبال هل تدرون ما طينة الخبال قال عرق اهل النار وروي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله

قال من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة وروي عن ابن عمر انه قال اشهد لسمعت
رسول الله صلعم وهو يقول لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها و
ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها • ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا • سبب نزول هذه الآية ان الصحابة قالوا لما نزل تحريم الخمر يا رسول الله كيف باخوا
ننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال الميسر فانزل الله تعالى ليس على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي شربوا من الخمر واكلوا من مال الميسر • اذا ما اتقوا •
الشرك • وآمنوا • وصدقوا • وعملوا الصالحات ثم اتقوا • الخمر والميسر بعد تحريمهما • وآمنوا • ازدا
دوا ايمانا ثم اتقوا • ما حرم الله عليهم كله • واحسنوا • الطاعة الله • والله يحب المحسنين • وقيل معنى
الاول اذا ما اتقوا الشرك وآمنوا وصدقوا ثم اتقوا اي داوموا على ذلك التقوى وآمنوا ازدادوا
ايمانا ثم اتقوا المعاصي كلها واحسنوا اي اتقوا بالاحسان وكل محسن متق والله يحب المحسنين
• يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد • نزلت عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم
الله بالصيد وكانت الوحوش تغشى رحالهم كثيرة فهموا باخذها فنزلت يا ايها الذين آمنوا ليبلو
نكم الله ليختبرنكم الله وفائدة البلوى اظهار المطيع من العاصي والا فلا حاجة له الى البلوى بشيء
من الصيد وانما بعض فقال بشيء لانه ابتلاهم بصيد البر خاصة • تناله • ايديكم • يعني الفرخ
والبيض وما لا يقدر ان يفر من صغار الصيد • ورماحكم • يعني الكبار من الصيد • ليعلم الله
من يخافه بالغيب • ليرى الله لانه قد علم من يخافه بالغيب اي يخاف الله ولم يره كقوله الذين
يخشون ربهم بالغيب اي يخافه فلا يصطاد في حال الاحرام • فمن اعتدى بعد ذلك اي صاد بعد
تحريمه • فله عذاب اليم • روي عن ابن عباس انه قال يوشع ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيا
به • يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم • اي محرمون بالحج او بالعمرة وهو جمع حرام
يقال رجل حرام وامرأة حرام وقد يكون من دخول الحرم يقال احرم الرجل اذا عقد الاحرام واحرم
اذا دخل الحرم نزلت في رجل يقال له ابو اليسر شد على حمار وحش وهو محرم فقتله • ومن قتله منكم
متعمدا • اختلفوا في هذا العمد فقال قوم هو العمد لقتل الصيد مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا و
هو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله لانه اعظم من ان يكون له كفارة وهذا قول مجاهد
والحسن وقال آخرون هو ان يعمد المحرم قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فعليه الكفارة واختلفوا فيما لو قتله
خطأ فذهب اكثر الفقهاء الى ان العمد والخطأ سواء في لزوم الكفارة قال الزهري على المتعمد بالكتاب

وعلى المخطئ بالسنة وقال سعيد بن جبير لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطأ بل يختص بالعمد • فجزاء • مثل
قرأ اهل الكوفة ويعقوب فجزاءٌ منونٌ مثلُ رفع على البدل من الجزاء وقرأ الآخرون بالاضافة فجزاءُ
مثلِ ما قتل من النعم • معناه انه يجب عليه مثل ذلك الصيد من النعم واراد ما يقرب من الصيد
المقتول شبها من حيث الخلقة لا من حيث القيمة • يحكم به ذوا عدل منكم • اي يحكم بالجزاء
رجلان عدلان وينبغي ان يكونا فقيهين ينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكما
ن به وممن ذهب الى ايجاب المثل من النعم عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن
عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة حكموا في بلدان مختلفة وازمان شتى بالمثل من
النعم فحكم حاكمهم في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهي
لا تساوي بقرة وفي الضبع بكبش وهي لا تساوي كبشا فدل انهم نظروا الى ما يقرب من الصيد
شبها من حيث الخلقة ويجب في الحمام شاة وهو كل ما عب وهدر من الطير كالفواخت
والقمري والدبسي وروي عن عمر وعثمان وابن عباس انهم قضوا في حمام مكة بشاة روي
عن جابر بن عبد الله ان عمر بن الخطاب قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق
وفي اليربوع بجفرة • هديا بالغ الكعبة • اي يهدي تلك الكفارة الى الكعبة فيذبحها بمكة ويتصد
ق بلحمها على مساكين الحرم • او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما • قال الفراء العدل با
لكسر المثل من جنسه واراد به انه في جزاء الصيد يخير بين ان يذبح المثل من النعم فيتصدق باللحم على
مساكين الحرم وبين ان يقوم المثل دراهم والدراهم طعاما فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم
او يصوم عن كل مد من الطعام يوما وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه للمساكين وقال
مالك ان لم يخرج المثل يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا
يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شيء من النعم وان شاء الى الطعام
فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع بر او صاع من غيره يوما قال الشافعي والنخعي جزاء
الصيد على الترتيب والآية حجة لمن ذهب الى التخيير • ليذوق وبال امره • اي جزاء معصيته • عفا
الله عما سلف • يعني قبل التحريم ونزول الآية وقال السدي عفا الله عما سلف في الجاهلية • ومن عاد
فينتقم الله منه • في الآخرة • والله عزيز ذو انتقام • واذا تكرر من المحرم قتل الصيد فيتعدد
عليه الجزاء عند عامة اهل العلم قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا يسئل هل قتلت قبله
شيئا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه وقيل اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيئا حكم عليه

فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ بطنه وظهره وصدره ضربا وجيعا وكذلك حكم رسول الله
صلعم في وج وهو واد بالطايف واختلفوا في المحرم هل يجوز له اكل لحم الصيد فذهب قوم الى انه لا
يحل له بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس وبه قال سفين الثوري واحتجوا بما روي
عن الصعب بن جثامة الليثي انه اهدى لرسول الله صلعم حمارا وحشيا وهو بالابواء او بودان
فرده رسول الله صلعم قال فلما رأى رسول الله صلعم ما في وجهي قال انا لم نرده عليك الا انا حرم وذهب
الاكثرون الى انه يجوز للمحرم اكله اذا لم يصطد بنفسه ولا اصطيد لاجله او باشارته وهو قول
عمر وعثمان وابي هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي واحمد
واسحق واصحاب الراي وانما رد النبي صلعم على الصعب بن جثامة لانه ظن انه صيد من اجله والد
ليل على جوازه ما روي عن نافع مولى ابي قتادة عن ابي قتادة بن ربعي الانصاري انه كان
مع رسول الله صلعم حتى اذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع اصحاب له محرمين وهو غير محرم فرأى
حمارا وحشيا فاستوى على فرسه فسال اصحابه ان يناولوه سوطه فابوا فسألهم رمحه فابوا
فاخذه ثم شد على الحمار فقتله فاكل منه بعض اصحاب النبي صلعم وابى بعضهم فلما ادركوا رسول
الله سألوه عن ذلك فقال انما هي طعمة اطعمكموها الله وروي عن جابر بن عبد الله ان رسول
الله صلعم قال لحم الصيد لكم في الاحرام حلال ما لم تصيدوه او يصاد لكم قال ابو عيسى المطلب لا
نعرف له سماعا من جابر واذا اتلف المحرم شيئا من الصيد لا مثل له من النعم مثل بيض او طاير
دون الحمام ففيه قيمته يصرفها الى الطعام فيتصدق به او يصوم عن كل مد يوما واختلفوا في الجرا
د فرخص فيه قوم للمحرم وقالوا هو من صيد البحر روي ذلك عن كعب الاحبار والاكثرون على انها
لا تحل فان اصابها فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمرة وروي عنه وعن ابن عباس قبضة
من طعام احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة والمراد بالبحر جميع المياه قال
عمر صيده ما اصطيد وطعامه ما رمي به وعن ابن عباس وابن عمر وابي هريرة طعامه ما قذفه الماء
الى الساحل ميتا وقال قوم هو المالح منه وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة وسعيد بن المسيب
وقتادة والنخعي قال مجاهد صيده طريه وطعامه مالحه متاعا لكم منفعة لكم وللسيارة
يعني المارة وجملة حيوانات الماء على قسمين سمك وغيره اما السمك فميتته حلال مع اختلاف
انواعها قال النبي صلعم احلت لنا ميتتان السمك والجراد ولا فرق بين ان يموت بسبب او بغير سبب
وعند ابي حنيفة لا يحل الا ان يموت من سبب من وقوع على حجر او انحسار الماء عنه ونحو ذلك اما

غير السمك فقسمان قسم يعيش في البر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكله وقسم يعيش في الماء
ولا يعيش في البر الا عيش المذبوح فاختلف القول فيه فذهب قوم الى انه لا يحل شيء منه الا السمك
وهو قول ابي حنيفة وذهب قوم الى ان ميتة الكل حلال لان كلها سمك وان اختلفت صورها كالجريث
يقال له حية الماء وهو على شكل الحية واكله مباح بالاتفاق وهو قول ابي بكر وعمر وابن عباس
وزيد بن ثابت وابي هريرة وبه قال شريح والحسن وعطاء وهو قول مالك وظاهر مذهب الشا
فعي وذهب قوم الى ان ما له نظير في البر يؤكل فميتته من حيوانات البحر حلال مثل بقر الماء ونحوه
وما لا يؤكل نظيره في البر لا تحل ميتته من حيوانات البحر مثل كلب الماء والخنزير والحمار ونحوها و
قال الاوزاعي كل شيء عيشه في الماء فهو حلال قيل والتمساح قال نعم وقال الشعبي لو ان اهلي
اكلوا الضفادع لاطعمتهم وقال سفين الثوري ارجو ان لا يكون بالسرطان باس وظاهر الا
ية حجة لمن اباح جميع حيوانات البحر وكذلك الحديث روي عن ابي هريرة يقول سال رجل
رسول الله صلعم فقال يا رسول الله انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فان توضأنا
به عطشنا افنتوضأ بماء البحر فقال رسول الله صلعم هو الطهور ماؤه والحل ميتته روي عن
جابر يقول غزوت جيش الخبط وامر ابو عبيدة فجعنا جوعا شديدا فالقى البحر حوتا
ميتا لم نر مثله يقال عنبر فاكلنا منه نصف شهر فاخذ ابو عبيدة عظما من عظامه فمر الراكب
تحته واخبرني ابو الزبير انه سمع جابرا يقول قال ابو عبيدة كلوا فلما قدمنا ذكرنا ذلك للنبي
صلعم فقال كلوا رزقا اخرجه الله اطعمونا ان كان معكم فاتاه بعضهم فاكله وحرم عليكم
صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون صيد البحر حلال للمحرم كما هو حلال
لغير المحرم اما صيد البر فحرام على المحرم وفي الحرم والصيد هو الحيوان الوحشي الذي يحل اكله فاما
ما لا يحل اكله فلا يحرم بسبب الاحرام ولا الحرم اخذه وقتله ولا جزاء على من قتله الا المتولد بين ما
يؤكل لحمه وما لا يؤكل لحمه كالمتولد بين الذيب والضبع لا يحل اكله ويجب بقتله الجزاء على المحرم
لان فيه جزاء من الصيد روي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلعم قال خمس من الدواب ليس
على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور وروي عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلعم قال يقتل المحرم السبع العادي وعن ابي هريرة ان النبي صلعم قال خمس
قتلهن حلال في الحرم الحية والعقرب والحداة والفارة والكلب العقور وقال سفين بن
عيينة الكلب العقور كل سبع يعقر ومثله عن مالك وذهب اصحاب الراي الى وجوب الجزاء

في قتل ما لا يوكل لحمه من الفهد والنمر والخنزير ونحوها الا الاعيان المذكورة في الخبر وقاسوا
عليها الذيب فلم يوجبوا فيه الكفارة وقاس الشافعي عليها جميع ما لا يوكل لحمه لان الحديث يشتمل
على اعيان بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا
هي من جملة الهوام انما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب الحكم
عليه • جعل الله الكعبة البيت الحرام • قال مجاهد سميت كعبة لتربعها والعرب تسمي كل بيت مربع
كعبة قال مقاتل سميت كعبة لانفرادها من البناء وقيل سميت كعبة لارتفاعها من الارض
واصلها من الخروج والارتفاع سمي الكعب كعبا لنتوه وخروجه من جانبي القدم ومنه قيل
للجارية اذا قاربت البلوغ وخرج ثديها تكعبت وسميت البيت الحرام لان الله تعالى حرمه وعظم
حرمته قال النبي صلعم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض • قياما للناس • قرا ابن
عامر قيما بلا الف والاخرون قياما بالالف اي قواما لهم في امر دينهم ودنياهم اما الدين لان
به يقوم الحج والمناسك واما الدنيا فيما يجبى اليه من الثمرات وكانوا يامنون فيه من النهب
والغارة فلا يتعرض لهم احد في الحرم قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم • والشهر الحرام • اراد به الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب اراد انه جعل الاشهر الحرم قياما للناس يامنون فيه القتال • والهدي
والقلائد • اراد انهم كانوا يامنون بتقليد الهدي فذلك القوام فيه • ذلك
لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم • فان قيل اي اتصال
لهذا الكلام بما قبله قيل اراد ان الله عز وجل جعل الكعبة قياما للناس لانه يعلم صلاح
العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض وقال الزجاج قد سبق في هذه السورة الاخبار عن
الغيوب والكشف عن الاسرار مثل قوله سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ومثل اخباره
بتحريفهم الكتب ونحو ذلك فقوله ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض راجع اليه
• اعلموا ان الله شديد العقاب • لمن عصاه • وان الله غفور رحيم • لمن اطاع • البلاغ • ما
على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون • قل لا يستوي الخبيث
والطيب • اي الحرام والحلال • ولو اعجبك • سرك • كثرة الخبيث • نزلت في شريح بن ضبيعة
البكري وحجاج بكر بن وائل • فاتقوا الله • ولا تتعرضوا للحجاج وان كانوا مشركين
وقد مضت القصة في اول السورة • يا اولي الالباب لعلكم تفلحون • يا ايها الذين آمنوا لا

تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم • روي عن انس سالوا رسول الله صلعم حتى احفوه
المسئلة فغضب فصعد المنبر فقال لا تسالوني اليوم عن شيء الا بينته لكم فجعلت انظر يمينا و
شمالا فاذا كل رجل لاف راسه في ثوبه يبكي فاذا رجل كان اذا لاحى الرجال يدعى لغير ابيه فقال
يا رسول الله من ابي قال حذافة ثم انشا عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام د
ينا وبمحمد رسولا نعوذ بالله من الفتن فقال رسول الله صلعم ما رايت في الخير والشر كاليوم قط
انه صورت لي الجنة والنار وراء الحايط حتى رايتهما وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه
الاية يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وقال يونس عن ابن شهاب اخبر
عبيد الله قال قالت ام عبد الله بن حذافة ما سمعت بابن قط اعق منك امنت ان تكون امك
قد قارفت بعض ما يقارف نساء اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس قال عبد الله بن
حذافة والله لو الحقني بعبد اسود للحقته وروي ان عمر قال يا رسول الله انا حديثوا عهد بجا
هلية فاعف عنا يعف الله عنك فسكن غضبه روي عن ابن عباس قال كان قوم يسئلون رسول
الله صلعم استهزاء فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل فيهم
هذه الاية يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم حتى فرغ من الاية كلها
وروي عن علي رضي قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال رجل يا رسول الله افي كل عام
فاعرض عنه حتى عاد مرتين او ثلثا فقال النبي صلعم وما يومنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم
لوجبت ولو وجبت ما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم
واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه فانزل
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اي ان تظهر لكم تسؤكم
ان امرتم بالعمل بها فان من سال عن الحج لم يامن ان يومر به في كل عام فيسوه ومن سال
عن نسبه لم يامن ان يلحقه بغيره فيفتضح وقال مجاهد نزلت حين سالوا رسول الله صلعم عن
البحيرة والسائبة والوصيلة والحام الا تراه ذكرها بعد ذلك • وان تسئلوا عنها حين ينزل
القرآن تبد لكم • معناه ان صبرتم حين ينزل القرآن بحكم من فرض او نهي او حكم وليس
في ظاهره شرح ما بكم اليه حاجة ومست حاجتكم اليه فاذا سالتم عنها حينئذ تبد لكم • عفا الله
عنها والله غفور حليم قد سالها • قوم من قبلكم • كما سالت ثمود صالحا الناقة وسال
قوم عيسى المائدة • ثم اصبحوا بها كافرين • فاهلكوا قال ابو ثعلبة الخشني ان الله فرض فرايض

فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفى عن
أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ﴿ما جعل الله من بحيرة﴾ أي ما أنزل ولا أمر به ﴿ولا
سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ قال ابن عباس في بيان هذه الأوضاع البحيرة هي الناقة
كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنها أي شقوها وتركوا الحمل عليها وركوبها ولم يجزوا
وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا إلى خامس ولدها فإن كان ذكرا نحروه فأكله
الرجال والنساء وإن كان أنثى بحروا أذنها أي شقوها وتركوها وحرم على النساء لبنها ومنا
فعها وكانت منافعها خاصة للرجال فإذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة إذا
تابعت بين عشر إناث سيبت ولم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما
نتجت بعد ذلك أنثى شق أذنها ثم خلي سبيلها مع أمها في الإبل فلم تركب ولم يجز وبرها
ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة السائبة وقال أبو عبيدة السائبة البعير
الذي يسيب وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا مرض أو غاب له قريب نذر
فقال إن شفاني الله أو شفا مريضي أو رد غائبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس
عن رعي ولا ماء ولا يركبها أحد وكانت بمنزلة البحيرة وقال علقمة هو العبد يسيب على أن
لا ولاء عليه فلا عقل ولا ميراث وقال النبي صلعم إنما الولاء لمن أعتق والسائبة فاعلة بمعنى
المفعولة وهي المسيبة كقوله ماء دافق وعيشة راضية وأما الوصيلة فمن الغنم كانت الشا
ة إذا ولدت سبعة أبطن نظر فإن كان السابع ذكرا ذبحوه فأكل منه الرجال والنساء وإن
كانت أنثى تركوها في الغنم وإن كان ذكرا وأنثى استحيوا الذكر من أجل الأنثى وقالوا
وصلت أخاها فلم يذبحوه وكان لبن الأنثى حراما على النساء فإن مات منهما شيء أكله الرجال
والنساء جميعا وأما الحام فهو الفحل إذا ركب ولد ولده ويقال إذا نتج من صلبه عشرة أبطن
قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يجز وبره ولا يمنع من كلأ وماء فإذا مات أكله الرجال والنساء وروي
عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسا
ئبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال أبو هريرة قال رسول صلعم رأيت عمرو بن
عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب وروى محمد بن إسحق عن محمد بن
إبرهيم التيمي عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلعم لأكثم بن جون الخزاعي
يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت من رجل أشبه به منك

به ولا به منك وذلك أنه أول من غير دين إسمعيل ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السا
ئبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي ولقد رأيته في النار يؤذي أهل النار بريح قصبه فقال أكثم
أيضرني شبهه يا رسول الله فقال لا إنك مؤمن وهو كافر ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على
الله الكذب﴾ في قولهم الله أمرنا بها ﴿وأكثرهم لا يعقلون وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل
الله وإلى الرسول﴾ في تحليل الحرث والأنعام وبيان الشرايع والأحكام ﴿قالوا حسبنا ما وجد
نا عليه آباءنا﴾ من الدين قال الله تعالى ﴿أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا أ
يها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ روينا عن أبي بكر الصديق
رضي الله عنه قال يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من
ضل إذا اهتديتم وإني سمعت رسول الله صلعم يقول إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك أن
يعمهم الله بعقابه وفي رواية لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فليسو
مونكم سوء العذاب ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لكم قال أبو عبيدة خاف الصديق أن
يتأول الناس الآية غير متأولها فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف فأعلمهم أنها ليست كذلك
وأن الذي أذن في الإمساك عن تغييره من المنكر هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من
أجل أنهم يتدينون به وقد صولحوا عليه فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام
فلا بد من التغيير فيه وقال مجاهد وسعيد بن جبير الآية في اليهود والنصارى يعني عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وعن ابن مسعود قال في هذه
الآية مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فإن رد عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال إن
القرآن قد نزل منه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه آي وقع تأويلهن على عهد رسول
الله صلعم ومنه آي وقع تأويلهن بعد رسول الله صلعم بيسير ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان
ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيمة ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم وأهواؤكم
واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا فإذا اختلفت القلوب
والأهواء وألبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل
هذه الآية روي عن أبي أمية الشعباني قال أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت يا أبا ثعلبة كيف
تصنع في هذه الآية قال أية آية قلت قول الله عز وجل عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا
اهتديتم فقال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلعم فقال بل ائتمروا بالمعروف
رسولا

... عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي
برأيه ورأيت أمرًا لا بد لك منه فعليك نفسك ودع أمر العوام فإن وراءكم أيام الصبر فمن صبر
فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله قال ابن المبارك
وزادني غيره قال يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم وقيل نزلت في أهل الأهواء قال أبو
جعفر الرازي دخل على صفوان بن محرز شاب من أهل الأهواء فذكر شيئًا من أمره فقال
صفوان ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعًا الضال والمهتدي فينبئكم بما كنتم
تعملون يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم سبب نزول هذه الآية ما روي أن تميم بن أوس
الداري وعدي بن زيد خرجا من المدينة للتجارة إلى أرض الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل
مولى عمرو بن العاص وكان مسلمًا فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابًا فيه جميع
ما معه من المتاع وألقاه في جوالقه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه أوصى إلى تميم
وعدي وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله ومات بديل ففتشا متاعه وأخذا
منه إناء من فضة منقوشًا بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة فغيباه ثم قضيا حاجتهما
وانصرفا إلى المدينة فدفعا المتاع إلى أهل البيت ففتشوا وأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان
معه فجاؤوا تميمًا وعديًا فقالوا هل باع صاحبنا شيئًا من متاعه قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا
لا قالوا فهل طال مرضه فأنفق على نفسه قالا لا فقالوا إنا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما
معه وإنا قد فقدنا منها إناء من فضة مموهًا بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة قالا ما ندري
إنما أوصى لنا بشيء وأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء فاختصموا إلى رسول
الله صلعم فأصروا على الإنكار وحلفا فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة
بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان أي يشهد اثنان لفظه خبر ومعناه
أمر الشهادة فيما بينكم عند الوصية عند الموت اثنان واختلفوا في هذين الاثنين فقال قوم
هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي وقال آخرون هما الوصيان لأن الآية
نزلت فيهما ولأنه قال تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان ولا يلزم الشاهد يمين وجعل
الوصي اثنين تأكيدًا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت
قال الله تعالى وليشهد عذابهما طائفة يريد الحضور ذوا عدل أي أمانة وعقل منكم أي من أهل

دينكم يا معشر المؤمنين أو آخران من غيركم أي من غير دينكم وملتكم في قول أكثر المفسرين قاله
ابن عباس وأبو موسى الأشعري وهو قول سعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وسعيد بن
جبير ومجاهد وعبيدة ثم اختلف هؤلاء في حكم الآية فقال النخعي وجماعة هي منسوخة وكانت شهادة
أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت وذهب قوم إلى أنها ثابتة وقالوا إذا لم نجد مسلمين
فنشهد كافرين قال شريح من كان بأرض غربة ولم يجد مسلمًا يشهده على وصيته فأشهد كافرين
على أي دين كانا من دين أهل الكتاب أو عبدة الأوثان فشهادتهم جائزة ولا تجوز شهادة
كافر على مسلم إلا على وصية في سفر وعن الشعبي أن رجلًا من المسلمين حضرته الوفاة
بدقوقا ولم يجد مسلمًا يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة بتركته
وأتيا الأشعري فقال الأشعري هذا أمر لم يكن بعد الذي على عهد رسول الله صلعم فأحلفهما وأمضى
شهادتهما وقال الآخرون قوله ذوا عدل منكم أي من حي الموصي أو آخران من غيركم أي من غير حيكم
وعشيرتكم وهو قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من الأحكام
إن أنتم ضربتم سرتم وسافرتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت فأوصيتم إليهما
ودفعتم إليهما مالكم فاتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن تحبسونهما أي
تستوقفونهما من بعد الصلاة أي بعد الصلاة ومن صلة يريد بعد صلاة العصر هذا قول الشعبي
والنخعي وسعيد بن جبير وقتادة وعامة المفسرين لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت
ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقال الحسن أراد من بعد صلاة الظهر وقال السدي من بعد صلاة
أهل دينهما وملتهما لأنهما لا يباليان بصلاة العصر فيقسمان يحلفان بالله إن ارتبتم
أي شككتم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما أي في قول اللذين ليسا من أهل ملتكم فإن كانا
مسلمين فلا يمين عليهما لا نشتري به ثمنًا أي لا نحلف بالله كاذبين على عوض نأخذه أو مال نذ
هب به أو حق نجحده ولو كان ذا قربى ولو كان المشهود له ذا قرابة منا ولا نكتم شهادة الله
أضاف الشهادة إلى الله لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها وقرأ يعقوب شهادة بالتنوين آلله
ممدود جعل الاستفهام عوضًا عن حرف القسم ويروى عن أبي جعفر شهادة منونة الله بقطع
الألف وكسر الهاء من غير استفهام على ابتداء اليمين أي والله إنا إذًا لمن الآثمين أي إن كتمناها
كنا من الآثمين فلما نزلت هذه الآية فصلى رسول الله صلعم صلاة العصر ودعا تميمًا وعديًا فاستحلفهما
عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يختانا شيئًا مما دفع إليهما فحلفا على ذلك وخلى رسول

يعني صلعم سهمها ثم ظهر الاناء واختلفوا في كيفية ظهوره فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه
وجد بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدي وقال آخرون لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بني
سهم فاتوهما في ذلك فقالا انا كنا قد اشتريناه منه فقالوا الم تزعما ان صاحبنا لم يبع
شيئا من متاعه فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكتمنا لذلك فرفعوهما الى رسول
الله صلعم فانزل الله عز وجل فان عثر اي اطلع على خيانتهما واصل العثور الوقوع على الشيء
على انهما يعني الوصيين استحقا اثما استوجبا اثما بخيانتهما وبايمانهما الكاذبة فآخران
من اولياء الميت يقومان مقامهما يعني الوصيين من الذين استحق عليهم بضم التاء
على المجهول هذا قراءة العامة يعني الذين استحق عليهم اي فيهم ولاجلهم الاثم وهم ورثة الميت استحق بمعنى
الحالفان بسببهم الاثم وعلى بمعنى في كما قال تعالى على ملك سليمان اي في ملك سليمان وقرأ حفص استحق
بفتح التاء والحاء وهي قراءة علي والحسن اي حق ووجب عليهم الاثم يقال حق واستحق بمعنى واحد
الاوليان نعت للآخرين اي فآخران الاوليان وانما جاز ذلك والاوليان معرفة والآخران
نكرة لانه لما وصف الآخرين فقال من الذين صارا كالمعرفة في المعنى والاوليان تثنية الاولى
والاولى هو الاقرب وقرأ حمزة وابو بكر عن عاصم ويعقوب الاولين بالجمع فيكون بدلا من الذ
ين والمراد منهم ايضا اولياء الميت ومعنى الآية اذا ظهرت خيانة الحالفين يقوم اثنان آخران
من اقارب الميت فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما يعني يميننا احق من يمينهما
نظيره قوله تعالى في اللعان فشهادة احدهم اربع شهادات بالله والمراد بها الايمان فهو كقول القائل
اشهد بالله اي اقسم بالله وما اعتدينا في ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما
انا اذا لمن الظالمين فلما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان
فحلفا بالله بعد العصر ودفع الاناء اليهما والى اولياء الميت وكان تميم الداري بعد ما اسلم يقول صدق
الله ورسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله واستغفره وانما انتقل اليمين الى الاولياء لان الوصيين
ادعيا انهما ابتاعاه والوصي اذا اخذ شيئا من مال الميت وقال انه اوصى لي به حلف الوارث اذا انكر
ذلك وكذلك لو ادعى رجل سلعة في يد رجل فاعترف ثم ادعى انه اشتراها من المدعي حلف المدعي انه لم يبعها
منه وروي عن ابن عباس عن تميم الداري قال كنا بعنا الاناء بالف درهم فقسمتها انا وعدي فلما اسلمت
تأثمت فاتيت موالي الميت فاخبرتهم ان عند صاحبي مثلها فاتوا به الى رسول الله صلعم وحلف عمرو والمطلب
فنزعت الخمسمائة من عدي ورددت انا الخمسمائة فذلك قوله تعالى ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها

اي ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين اجدر واحرى ان يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس امثالهم
اي اقرب الى الاتيان بالشهادة على ما كانت او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي اقرب
الى ان يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعين فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا
يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم واتقوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة وتخونوا امانة
واسمعوا الموعظة والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل وهو يوم القيامة
فيقول لهم ماذا اجبتم اي ما الذي اجابكم امتكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم الى توحيدي
وطاعتي قالوا اي فيقولون لا علم لنا قال ابن عباس لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا
وقيل لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن امر انت اعلم به منا وقال ابن جريج لا علم لنا بعاقبة
امرهم وبما احدثوا من بعد دليله انه قال انك انت علام الغيوب اي انت الذي تعلم
ما غاب ونحن لا نعلم الا ما نشاهد روي عن انس عن النبي صلعم قال ليردن علي اناس من
اصحابي الحوض حتى اذا عرفتهم اختلجوا دوني فاقول اصحابي فيقال لا تدري ما احدثوا بعدك
قال ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي ان للقيامة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب
عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك اليوم ويذهلون عن الجواب ثم بعد ما ثابت اليهم عقولهم
يشهدون على اممهم اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك قال الحسن ذكر
النعم شكرها واراد بقوله نعمتي اي نعمي لفظه واحد ومعناه جمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وعلى والدتك مريم ذكر النعم فقال اذ ايدتك قويتك بروح القدس يعني
جبرائيل تكلم الناس يعني وتكلم الناس في المهد صبيا وكهلا نبيا قال ابن عباس ارسله الله
وهو ابن ثلثين سنة فمكث في رسالته ثلثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه واذ علمتك الكتاب يعني
الخط والحكمة يعني العلم والفهم والتورية والانجيل واذ تخلق تجعل وتصور من الطين كهيئة
الطير كصورة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا حيا يطير باذني وتبرئ الاكمه والا
برص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت منعت وصرفت بني اسرائيل يعني
اليهود عنك حين هموا بقتلك اذ جئتهم بالبينات يعني الدلالات والمعجزات وهي التي ذكرنا
فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين يعني ما جاءهم من البينات وقرأ حمزة والكسائي
ساحر مبين ههنا وفي سورة هود والصف فيكون راجعا الى عيسى عم وفي هود يكون راجعا الى محمد صلعم
واذ اوحيت الى الحواريين الهمتهم وقذفت في قلوبهم وقال ابو عبيدة يعني امرت ... والى ...

والحواريون خواص أصحاب عيسى ثم أن آمنوا بي وبرسولي عيسى قالوا حين وفقتهم آمنا
واشهد بأننا مسلمون إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك قرأ الكسائي هل
تستطيع بالتاء وربك بنصب الباء وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس وهي هل تستطيع أن
تدعو وتسأل ربك وقرأ الآخرون يستطيع بالياء ربك برفع الباء ولم يقولوه شاكين في قدرة الله
ولكن معناه أينزل أم لا كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تنهض معي وهو يعلم أنه يستطيع
وإنما يريد هل تفعل أم لا وقيل يستطيع بمعنى يطيع يقال أطاع واستطاع بمعنى واحد كقولهم
أجاب واستجاب معناه هل يطيعك ربك بإجابة سؤالك وفي الآثار من أطاع الله أطاعه الله
وأجرى بعضهم على الظاهر فقالوا غلط القوم وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشرا فقال
لهم عيسى عند الغلط استعظاما لقولهم اتقوا الله إن كنتم مؤمنين أي أن تشكوا في قدر
ته أن ينزل علينا مائدة من السماء والمائدة الخوان الذي عليه الطعام وهي فاعلة من
ماده يميده إذا أعطاه وأطعمه كقولهم ماره يميره وامتار افتعل منه فالمائدة هي المطعمة
المعطية للآكلين الطعام وسمي الطعام أيضا مائدة على الجواز لأنه يؤكل على المائدة وقال
أهل الكوفة سميت مائدة لأنها تميد بالآكلين أي تميل وقال أهل البصرة فاعلة بمعنى المفعول
أي ميد بالآكلين إليها كقولهم عيشة راضية أي مرضية قال عيسى مجيبا لهم اتقوا الله
إن كنتم مؤمنين فلا تشكوا في قدرته وقيل اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم تسأله الأمم قبلكم
فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان قالوا نريد أي إنما سألنا لأنا نريد أن نأكل
منها أكل تبرك لا أكل حاجة فنستيقن قدرته وتطمئن وتسكن قلوبنا ونعلم أن
قد صدقتنا بأنك رسول الله أي نزداد إيمانا ويقينا وقيل إن عيسى بن مريم أمرهم أن يصو
موا ثلثين يوما فإذا أفطروا لا يسألون شيئا إلا أعطاهم ففعلوا وسألوا المائدة وقالوا
ونعلم أن قد صدقتنا في قولك إنا إذا صمنا ثلثين يوما لم نسأل الله شيئا إلا أعطانا ونكون
عليها من الشاهدين لله بالوحدانية والقدرة ولك بالنبوة والرسالة وقيل ونكون
من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم قال عيسى ابن مريم عند ذلك اللهم
ربنا أنزل علينا مائدة من السماء وقيل إنه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ
رأسه وغض بصره وبكى ثم قال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
لأولنا وآخرنا أي عائدة من الله علينا حجة وبرهانا والعيد يوم السرور سمي به

للعود من الترح إلى الفرح وهو اسم لما اعتدته ويعود إليك وسمي يوم الفطر والأضحى عيدا
لأنهما يعودان في كل سنة قال السدي معناه نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيدا لأولنا وآخر
نا أي نعظمه نحن ومن بعدنا وقال سفيان نصلي فيه قوله لأولنا لأهل زماننا وآخرنا أي لمن
يجيء بعدنا وقال ابن عباس يأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وآية منك دلالة وحجة
وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله مجيبا لعيسى إني منزلها عليكم يعني المائدة وقرأ أهل
المدينة وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد لأنها نزلت مرات والتفعيل يدل على التكرير
مرة بعد أخرى وقرأ الآخرون بالتخفيف لقوله أنزل علينا فمن يكفر بعد منكم أي بعد نزول المائدة
فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أي جنس عذاب لا أعذبه أحدا من العالمين يعني عالمي زمانه
فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير قال عبد الله بن عمرو إن أشد
الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء
في المائدة هل نزلت أم لا فقال مجاهد والحسن لم تنزل فإن الله تعالى لما وعد على كفرهم بعد نزول
المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وقوله إني منزلها عليكم
يعني إن سألتم والصحيح والذي عليه الأكثرون أنها نزلت لقوله تعالى إني منزلها عليكم ولا خلف في خبره
وتواتر الأخبار فيه عن رسول الله صلعم والصحابة والتابعين واختلفوا في صفتها فروى خلاس بن عمرو
عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلعم أنها نزلت خبزا ولحما وقيل لهم إنها مقيمة لكم ما لم تخونوا و
تخبئوا فما مضى يومهم حتى خانوا وخبئوا فمسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس إن عيسى قال لهم
صوموا ثلثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى إنا لو عملنا لأحد
فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة
أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم قال كعب الأحبار نزلت
منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل طعام إلا اللحم وقال سعيد بن جبير عن
ابن عباس أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية
العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي كان عليها خبز أرز وبقل وقال وهب
بن منبه أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا وكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون
حتى أكلوا بأجمعهم وفضل وعن الكلبي ومقاتل أنزل الله خبزا وسمكا وخمسة أرغفة فأكلوا ما شاء الله
والناس ألف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهدوا وقالوا ويحكم
بطعم

انفسهم اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبته على بصيرة ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا
خنازير ليس فيهم صبي ولا امراة فمكثوا بذلك ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم
يشربوا وكذلك كل ممسوخ وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن
والسلوى لبني اسرائيل وقال عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي لما سال الحواريون
لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة الاية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم
فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظر
ون الى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقال عيسى ليقم احسنكم عملا فيكشف
عنها ويذكر اسم الله فقال شمعون الصفا راس الحواريين انت اولى بذلك منا فقام عيسى فتوضا
وصلى صلوة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
ليس عليها فلوسها ولا شوك عليها تسيل من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحو
لها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد زيتون وعلى الثاني عسل
وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام
الدنيا هذا ام من طعام الاخرة فقال ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام
الاخرة ولكنه اختلقه الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سالتم يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله
كن اول من ياكل منها فقال عيسى معاذ الله ان اكل منها ولكن ياكل منها من سالها فخافوا
ان ياكلوا منها فدعا لها اهل الفاقة والمرضى واهل البرص والجذام والمقعدين وقال كلوا
من رزق الله ولكم الهنا ولغيركم البلاء فاكلوا وصدروا عنها الف وثلثمائة رجل وامراة من
فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان واذا السمكة كهيئتها حين نزلت ثم طارت المائدة صعدا
وهم ينظرون اليها حتى توارت فلم ياكل منها زمن ولا مريض ولا مب[illegible]عوفي ولا فقير الا
استغنى وندم من لم ياكل منها فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمعت الاغنياء
والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء ولا تزال منصوبة [illegible] منها حتى اذا فاء الفيء
طارت وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة
ثمود فاوحى الله الى عيسى اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء
حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا اترون المائدة حقا تنزل من السماء فاوحى الله الى عيسى

الظنون

اني شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز فمسخ منهم ثلثمائة وثلثون
رجلا باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكنا
سات ياكلون العذرة في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا فلما ابصرت
الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف بعيسى وجعل عيسى يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤسهم
ويبكون ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلثة ايام ثم هلكوا واذ قال الله يا عيسى بن
مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله اختلفوا في ان هذا القول
متى يكون فقال السدي قال الله تعالى هذا القول لعيسى حين رفعه الله الى السماء لان حرف اذ يكون
للماضي وقال سائر المفسرين انما يقول الله له هذا القول يوم القيمة بدليل قوله من قبل يوم يجمع
الله الرسل وقال من بعد هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم واراد بهما يوم القيمة وقد يجيء
اذ بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا يريد القيمة وان لم تكن بعد ولكنها كالكائنة لانها اتية
لا محالة قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قيل فما وجه هذا السؤال
مع علم الله عز وجل ان عيسى لم يقله قيل هذا السؤال منه لتوبيخ قومه وتعظيم امر هذه المقالة
كما يقول القائل لاخر افعلت كذا وكذا فيما يعلم انه لم يفعله اعلاما واستعظاما لا استخبارا
واستفهاما وايضا اراد الله عز وجل ان يقر عيسى على نفسه بالعبودية فيسمع قومه ويظهر كذبهم
عليه انه امرهم بذلك قال ابو روق اذا سمع عيسى هذا الخطاب ارتعدت مفاصله وانفجرت من
اصل كل شعرة من جسده عين من دم ثم قال مجيبا لله عز وجل سبحانك تنزيها وتعظيما
لك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك قال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل تعلم سري ولا اعلم سرك وقال
ابو روق تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في الاخرة قال الزجاج النفس عبا
رة عن جملة الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع ما اعلم من حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك انك
انت علام الغيوب ما كان وما يكون ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله
ربي وربكم وحدوه ولا تشركوا به شيئا وكنت عليهم شهيدا ما دمت اقمت فيهم فلما
توفيتني قبضتني ورفعتني اليك كنت انت الرقيب عليهم الحفيظ عليهم تحفظ اعمالهم وانت
على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم

فان قيل كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار وكيف قال وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذا
لا يليق بسوال المغفرة قيل اما الاول معناه ان تعذبهم باقامتهم على كفرهم وان تغفر لهم بعد
الايمان وهذا يستقيم على قول السدي ان هذا السوال قبل القيمة لان الايمان لا ينفع في القيمة وقيل
هذا في فريق منهم معناه ان تعذب من كفر منهم وان تغفر لمن آمن منهم وقيل ليس هذا على
وجه طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر وتفويضه
الى مراده اما السوال الثاني فكان ابن مسعود يقرا وان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم
وكذلك هو في مصحفه واما على القراة المعروفة فيه تقديم وتاخير تقديره ان تغفر لهم فانهم عبادك
وان تعذبهم فانك انت العزيز الحكيم وقيل معناه ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز في الملك والحكيم في القضاء لا ينقص من عزك شي ولا يخرج من حكمك ويدخل
في حكمته وسعة رحمته مغفرة الكفار لكنه اخبر انه لا يغفر وهو لا يخلف خبره روى عبد الله بن
عمرو بن العاص ان النبي صلعم تلا قول الله تعالى في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فمن تبعني فانه مني الاية وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم
فسله ما يبكيه فاتاه جبريل فساله فاخبره رسول الله صلعم بما قال فقال الله يا جبريل اذهب
الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوك ❁ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ❁
قرا نافع يوم بنصب الميم يعني تكون هذه الاشيا في يوم فحذف في فانتصب وقرا الاخرون بالرفع
على خبر هذا اي ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة ولو كذبوا ختم على افواههم ونطقت
جوارحهم فافتضحوا وقيل اراد بالصادقين النبيين وقال الكلبي ينفع المومنين ايمانهم وقال قتادة
متكلمان يخطبان يوم القيمة عيسى عم وهو ما قص الله وعدو الله ابليس وهو قوله وقال
الشيطان لما قضي الامر الاية فصدق عدو الله يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه
واما عيسى كان صادقا في الدنيا والآخرة فنفعه صدقه وقال عطا هذا يوم من ايام الدنيا لان
الآخرة دار جزاء لا دار عمل ثم بين ثوابهم فقال ❁ لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ❁ ثم عظم نفسه فقال
❁ لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شي قدير سورة الانعام
مائة وستون وخمس آيات مكية نزلت بمكة جملة ليلا معها سبعون الف ملك قد سدوا

ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي صلعم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا وروي
مرفوعا من قرا سورة الانعام يصلي عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره وقال الكلبي عن
ابي صالح عن ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا قوله وما قدروا الله حق قدره الى آخر ثلث
آيات وقوله تعالى قل تعالوا اتل الى قوله لعلكم تتقون فهذه الست آيات مدنيات بسم الله
الرحمن الرحيم ❁ الحمد لله الذي خلق السموات والارض ❁ قال كعب الاحبار هذه الاية
اول آية في التورية وآخر آية قوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وقال ابن عباس فتح الله
الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمهم بالحمد فقال وقضي بينهم اي
بين الخلايق وقيل الحمد لله رب العالمين قوله الحمد لله حمد الله نفسه تعليما لعباده اي احمدوا الله الذي
خلق السموات والارض خصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبر والمنا
فع للعباد ❁ وجعل الظلمات والنور ❁ والجعل بمعنى الخلق قال الواقدي كل ما في القران من الظلمات
والنور هو الكفر والايمان الا في هذه الاية فانه يريد بهما الليل والنهار وقال الحسن وجعل
الظلمات والنور يعني الكفر والايمان وقيل اراد بالظلمات الجهل وبالنور العلم وقال قتادة
يعني الجنة والنار وقيل معناه خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور لانه خلق
الظلمة والنور قبل خلق السموات والارض قال قتادة خلق السموات قبل الارض والظلمة
قبل النور والجنة قبل النار وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلعم قال ان الله
خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه
ضل ❁ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ❁ اي ثم الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون
اي يشركون واصله من مساواة الشي بالشي ومنه العدل اي يعدلون بالله غير الله يقال عدلت
هذا بهذا اذا ساويته به وقال النضر بن شميل الباء بمعنى عن اي عن ربهم يعدلون اي يميلون
وينحرفون من العدول قال الله تعالى عينا يشرب بها عباد الله اي منها وقيل تحت قوله ثم
الذين كفروا معنى لطيف وهو مثل قول القائل انعمت عليكم بكذا وتفضلت بكذا ثم تكفرون
بنعمتي ❁ هو الذي خلقكم من طين ❁ يعني آدم خاطبهم به اذ كانوا من ولده قال السدي بعث
الله عز وجل جبريل الى الارض لياتيه بطائفة منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك
ان تنقص مني فرجع ولم ياخذ قال يا رب انها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت فرجع
فبعث ملك الموت فاستعاذت منه بالله فقال انا اعوذ بالله ان اخالف امره فاخذ من وجه

الارض فخلط الحمراء والسوداء والبياض فلذلك اختلفت الوان بني آدم ثم عجنها بالماء
العذب والملح والمر لذا اختلفت اخلاقهم فقال الله للملك رحم جبرائيل الارض وميكا
ئيل ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك وروي عن ابي هريرة خلق
الله آدم من تراب وجعله طينا ثم تركه حتى كان حمأ مسنونا ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان
صلصالا كالفخار ثم نفخ فيه روحه ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده قال الحسن وقتادة
والضحاك الاجل الاول من الولادة الى الموت والاجل الثاني من الموت الى البعث وهو البرزخ
ويروى ذلك عن ابن عباس وقال لكل احد اجلان اجل الى الموت واجل من الموت الى البعث
فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا
قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول
اجل الدنيا والاجل الثاني اجل الآخرة وقال عطية عن ابن عباس ثم قضى اجلا يعني النوم تقبض
فيه الروح ثم ترجع عند اليقظة واجل مسمى عنده هو اجل الموت وقيل هما واحد معناه ثم قضى اجلا
يعني جعل لاعماركم مدة تنتهون اليها واجل مسمى عنده يعني وهو اجل مسمى عنده لا يعلمه غيره
ثم انتم تمترون تشكون في البعث وهو الله في السموات وفي الارض يعني وهو اله السموات
والارض كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وقيل هو المعبود في السموات
والارض وقال محمد بن جرير معناه وهو الله في السموات يعلم سركم وجهركم في الار
ض وقال الزجاج فيه تقديم وتاخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات والارض
ويعلم ما تكسبون تعملون من الخير والشر وما تاتيهم يعني اهل مكة من آية من آيات
ربهم مثل انشقاق القمر وغيره وقال عطاء يريد من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين
لها تاركين وبها مكذبين فقد كذبوا بالحق بالقرآن وقيل بمحمد صلعم لما جاءهم فسوف
ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤون اخبار استهزائهم وجزاؤه اي سيعلمون عاقبة
استهزائهم اذا عذبوا الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن يعني الامم الماضية والقرن
الجماعة من الناس وجمعه قرون وقيل القرن مدة من الزمان يقال ثمانون سنة ويقال ستون
سنة ويقال اربعون سنة ويقال ثلثون سنة ويقال مائة سنة لما روي ان النبي صلعم قال لعبد
الله بن بسر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فيكون معناه على هذه الاقاويل من اهل
قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي اعطيناهم ما لم نعطكم قال ابن عباس امهلناهم

في العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود يقال مكنته ومكنت له وارسلنا السماء عليهم مدرارا
يعني المطر مفعال من الدر قال ابن عباس مدرارا اي متتابعا في اوقات الحاجات وقوله
ما لم نمكن لكم من خطاب التلوين رجع من الخبر من قوله الم يروا الى الخطاب كقوله حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم وقال اهل البصرة اخبر عنهم بقوله الم يروا وفيهم محمد صلعم واصحابه
ثم خاطبهم معهم والعرب تقول قلت لعبد الله ما اكرمه وقلت لعبد الله ما اكرمك وجعلنا
الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا خلقنا وابتدأنا من بعدهم
قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن
الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب
من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فانزل
الله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا من عندي فلمسوه بايديهم اي عاينوه
ومسوه بايديهم وذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لان اللمس ابلغ في ايقاع العلم من الرؤية
فان السحر يجري على المرئي ولا يجري على الملموس لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
معناه انه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي وقالوا لولا انزل عليه على محمد ملك ولو انزلنا
ملكا لقضي الامر اي لوجب العذاب وفرغ من الامر وهذا سنة الله في الكفار انهم متى
اقترحوا آية فانزلت ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب ثم لا ينظرون اي لا يؤجلون ولا
يمهلون وقال قتادة لو انزلنا ملكا ثم لم يؤمنوا لعجل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين
وقال مجاهد لقضي الامر اي لقامت القيامة وقال الضحاك لو اتاهم ملك في صورته لماتوا
ولو جعلناه ملكا يعني لو ارسلنا اليهم ملكا لجعلناه رجلا يعني في صورة رجل آدمي لانهم
لا يستطيعون النظر الى الملائكة وكان جبرائيل ياتي النبي صلعم في صورة دحية الكلبي وجاء ملكان
الى داود في صورة رجلين وللبسنا عليهم ما يلبسون اي خلطنا عليهم ما يخلطون وشبهنا
عليهم فلا يدرون املك هو ام آدمي وقيل معناه شبهوا على ضعفائهم فشبه عليهم وعن ابن
عباس قال هم اهل الكتاب فرقوا دينهم وحرفوا الكلم عن مواضعه فلبس الله عليهم ما
لبسوا على انفسهم وقرأ الزهري وللبسنا بالتشديد على التكرير والتاكيد ولقد استهزئ
برسل من قبلك كما استهزئ بك يا محمد يعزي نبيه صلعم فحاق قال الربيع بن انس فنزل
وقال عطاء حل وقال الضحاك احاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون اي جزاء استهزائهم

من العذاب والنقمة قل يا محمد لهولاء المكذبين المستهزئين سيروا في الارض معتبرين يحتمل هذا السير السير بالعقول والفكرة ويحتمل السير بالاقدام ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين الى آخر امرهم وكيف اورثهم الكفر والتكذيب الهلاك يحذر كفار مكة عذاب الامم الخالية قل لمن ما في السموات والارض فان اجابوك والا قل انت لله امره بالجواب عقيب السؤال ليكون ابلغ في التاثير وآكد في الحجة كتب اي قضى على نفسه الرحمة هذا استعطاف منه للمتولين عنه الى الاقبال اليه واخبار بانه رحيم بالعباد لا يعجل العقوبة ويقبل الانابة والتوبة روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وروى ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رحمتي سبقت غضبي وعنه قال قال رسول الله صلعم ان لله مائة رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على اولادها واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة روي عن عمر بن الخطاب قدم على النبي صلعم سبي فاذا امراة من السبي قد تحلبت ثديها تسعى اذا وجدت صبيا في السبي اخذته فالصقته ببطنها وارضعته فقال لنا النبي صلعم اترون هذه طارحة ولدها في النار قلنا لا وهي تقدر على ان لا تطرحه فقال الله ارحم بعباده من هذه بولدها ليجمعنكم اللام فيه لام القسم والنون نون التاكيد مجازه والله ليجمعنكم الى يوم القيمة اي في يوم القيمة وقيل معناه ليجمعنكم في قبوركم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار اي استقر قيل اراد ما سكن وما تحرك كقوله سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه اكثر قال محمد بن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكني الليل والنهار والمراد منه جميع ما في الارض وقيل معناه له ما يمر عليه الليل والنهار وهو السميع لاصواتهم العليم باسرارهم قل اغير الله اتخذ وليا وهذا حين دعي الى دين ابائه فقال تعالى قل يا محمد اغير الله اتخذ وليا ربا ومعبودا وناصرا ومعينا فاطر السموات والارض اي خالقهما ومبدعهما ومبتدئهما وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كما قال ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون قل اني امرت ان اكون اول من اسلم يعني من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام لامر الله وقيل اسلم اخلص ولا تكونن يعني وقيل لي ولا تكونن من المشر

لئن قل اني اخاف ان عصيت ربي فعبدت غيره عذاب يوم عظيم يعني عذاب يوم القيمة من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه يعني يصرف العذاب عنه قرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم ويعقوب بفتح الياء وكسر الراء من يصرف الله عنه العذاب لقوله فقد رحمه وقرا الآخرون بضم الياء وفتح الراء يومئذ يعني يوم القيمة وذلك الفوز المبين اي النجاة البينة وان يمسسك الله بضر بشدة وبلية فلا كاشف له لا رافع له الا هو وان يمسسك بخير عافية ونعمة فهو على كل شيء قدير من الخير والضر روي عن ابن عباس قال اهدي للنبي صلعم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت الي فقال يا غلام قلت لبيك يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سالت فاسل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب الفرج وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده القاهر الغالب وفي القهر زيادة معنى على القدرة وهي منع غيره عن بلوغ المراد وقيل المنفرد بالتدبير الذي يجبر الخلق على مراده فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي تفرد الله به وهو الحكيم في امره الخبير باعمال عباده قل اي شيء اكبر شهادة قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله صلعم فقالوا ارنا من يشهد بانك رسول الله فانا لا نرى احدا يصدقك ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل اي شيء اكبر اعظم شهادة فان اجابوك والا قل الله شهيد بيني وبينكم على ما اقول اي يشهد لي بالحق وعليكم بالباطل واوحي الي هذا القرآن لانذركم به لاخوفكم به يا اهل مكة ومن بلغ يعني ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم من الامم الى يوم القيمة روي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلعم بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار روي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن ابيه ان رسول الله صلعم قال نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها واداها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه ثلث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص

النصح لله والنصيحة للمسلمين ولزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط من ورائهم قال مقاتل من بلغه القرآن من الجن والانس فهو نذير له وقال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكانما رأى محمدا صلعم وسمع منه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى ولم يقل اخر لان الجمع يلحقه التانيث كقوله ولله الاسماء الحسنى وقال فما بال القرون الاولى قل يا محمد لا اشهد انا ان معه الها قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعني التورية والانجيل يعرفونه يعني محمدا بنعته وصفته كما يعرفون ابناءهم من بين الصبيان الذين خسروا انفسهم غبنوا انفسهم فهم لا يؤمنون وذلك ان الله تعالى جعل لكل آدمي منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيمة جعل الله للمؤمنين منازل اهل النار في الجنة ولاهل النار منازل اهل الجنة في النار وذلك الخسران ومن اظلم ممن افترى اختلق على الله كذبا فاشرك به غيره او كذب بآياته يعني بالقرآن انه لا يفلح الظالمون الكافرون ويوم نحشرهم جميعا اي العابدين والمعبودين يعني يوم القيمة وقرأ يعقوب يحشرهم ههنا وفي سبأ بالياء ووافق حفص في سبأ وقرأ الآخرون بالنون ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انها تشفع لكم عند ربكم ثم لم تكن فتنتهم قرأ حمزة والكسائي ويعقوب يكن بالياء لان الفتنة بمعنى الافتتان فجاز تذكيره وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الفتنة وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم فتنتهم بالرفع جعلوه اسم كان وقرأ الآخرون بالنصب فجعلوا الاسم قوله ان قالوا وفتنتهم الخبر ومعنى قوله فتنتهم اي قولهم وجوابهم وقال ابن عباس وقتادة معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة لاظهار ما في قلوبهم قيل لهم فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك مثل الرجل يفتتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا هذا كذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها يقول الله ثم لم تكن فتنتهم في محبتهم للاصنام الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء المضاف وقرأ الآخرون بالخفض على نعت والله وقيل انهم اذا رأوا يوم القيمة مغفرة الله وتجاوزه عن اهل التوحيد قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر فقال الله

لهذا قال العلماء ينبغي لمن ابتلي بالاسلام ان يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى الاسلام ونص الشافعي على الاستحباب ضمه التبري الى الشهادة

انظر كيف كذبوا على انفسهم باعتذارهم بالباطل وتبريهم عن الشرك وضل عنهم زال وذهب عنهم ما كانوا يفترون من الاصنام وذلك انهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها فبطل كله في ذلك اليوم ومنهم من يستمع اليك قال الكلبي اجتمع ابو سفيان بن حرب وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف والحارث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد قال ما ادري ما يقول الا اني اراه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون واخبارها فقال ابو سفيان اني ارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا نقر بشيء من هذا وفي رواية الموت اهون علينا من هذا فانزل الله عز وجل ومنهم من يستمع اليك الى كلامك وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان كالاعنة جمع عنان ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا هذا دليل على ان الله يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى ويجعل بعضها في اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن وان يروا كل آية من المعجزات والدلالات لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين يعني احاديثهم واقاصيصهم والاساطير جمع اسطورة واسطارة وقيل هي الترهات والاباطيل واصلها من سطرت اي كتبت وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن اتباع محمد صلعم وينأون عنه اي يتباعدون عنه بانفسهم نزلت في كفار مكة قاله محمد بن الحنفية والسدي والضحاك وقال قتادة ينهون عن القرآن وعن النبي صلعم ويتباعدون عنه وقال ابن عباس ومقاتل نزلت في ابي طالب كان ينهى الناس عن اذى النبي صلعم ويمنعهم وينأى عن الايمان به اي يبعد حتى روي انه اجتمع اليه رؤوس المشركين وقالوا خذ شابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ابو طالب ما انصفتموني ادفع اليكم ولدي لتقتلوه واربي ولدكم وروي ان النبي صلعم دعاه الى الايمان فقال لولا ان تعيرني قريش لاقررت بها عينك ولكن اذب عنك ما حييت وقال فيه ابياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا قد علمت بانه ... من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وان يهلكون وما يهلكون الا انفسهم اي لا

وبال فعلهم الا انهم واوزار الذين يضلونهم عليهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على
النار يعني في النار كقوله على ملك سليمان اي في ملك سليمان وقيل عرضوا على النار وجواب لو
محذوف معناه لو تراهم في تلك الحالة لرايت عجبا فقالوا يا ليتنا نرد يعني الى الدنيا ولا نكذ
ب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين قراءة العامة كلها بالرفع على معنى يا ليتنا نرد ونحن
لا نكذب ونكون من المؤمنين وقرا حمزة وحفص ويعقوب ولا نكذب ونكون
بنصب الباء والنون على جواب التمني اي ليت ردنا وقع وان لا نكذب ونكون والعرب
تنصب جواب التمني بالواو كما تنصب بالفاء وقرا ابن عامر نكذب بالرفع ونكون بالنصب
لانهم تمنوا ان يكونوا من المؤمنين واخبروا عن انفسهم انهم لا يكذبون بآيات ربهم ان
ردوا الى الدنيا بل بدا لهم قوله بل رد لقولهم اي ليس على ما قالوا انهم لو ردوا
لآمنوا بدا لهم ظهر لهم ما كانوا يخفون من قبل اي يسرون في الدنيا من كفرهم ومعاصيهم
وقيل ما كانوا يخفون وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فاخفوا شركهم وكتموا حتى شهدت
عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا لانهم كانوا لا يخفون كفرهم في الدنيا الا ان تجعل الاية في
المنافقين وقال المبرد بل بدا لهم جزاء ما كانوا يخفون كفرهم وقال النضر بن شميل بل بدا
عنهم ثم قال ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر وانهم لكاذبون
في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين وقالوا ان هي الا
حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين هذا اخبار عن انكارهم البعث وقال عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم هذا من قولهم لو ردوا لقالوه ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي على حكمه
وقضائه ومسألته وقيل عرضوا على ربهم قال لهم وقيل وقالت لهم الخزنة بامر الله اليس
هذا بالحق يعني اليس هذا البعث والعذاب بالحق قالوا بلى وربنا انه حق قال ابن
عباس هذا في موقف وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين في موقف آخر وللقيامة مواقف
ففي موقف يقرون وفي موقف ينكرون قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله اي خسروا انفسهم بتكذيبهم المصير الى الله وبالبعث بعد الموت
حتى اذا جاءتهم الساعة اي القيامة بغتة اي فجأة قالوا يا حسرتنا ندامتنا ذكر
على وجه النداء للمبالغة قال سيبويه كانه يقول ايتها الحسرة هذا اوانك على ما فرطنا اي
قصرنا فيها اي في الطاعة وقيل تركنا في الدنيا من عمل الآخرة قال محمد بن جرير الهاء راجعة

الى الصفقة وذلك انه عاين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الآخرة بالدنيا قالوا
يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اي في الصفقة فترك ذكر الصفقة اكتفاء بقوله قد خسر لان
الخسران انما يكون في صفقة بيع والحسرة شدة الندم حتى يتحسر النادم كما يتحسر الذي
تقوم به دابته في السفر البعيد وهم يحملون اوزارهم اثقالهم وآثامهم على ظهورهم
وقال السدي وغيره ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورة واطيبه
ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك
في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح
شيء صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتني
في الدنيا فانا اليوم اركبك فهو معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء
ما يزرون يحملون قال ابن عباس بئس الحمل حملوا وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو باطل
وغرور لا بقاء لها وللدار الآخرة قرأ ابن عامر ولدار الآخرة مضافا اضاف الدار
الى الآخرة ويضاف الشيء الى نفسه عند اختلاف اللفظين كقوله وحب الحصيد وقولهم ربيع الاول
ومسجد الجامع سميت الدنيا لدنوها وقيل لدناءتها وسميت الآخرة لانها بعد الدنيا خير للذين
يتقون الشرك افلا يعقلون ان الآخرة افضل من الدنيا قرأ اهل المدينة وابن عامر ويعقوب
افلا تعقلون بالتاء ههنا وفي الاعراف وفي سورة يوسف ويس ووافق ابو بكر في يوسف ووافق
حفص في يس وقرأ الآخرون بالياء فيهن قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون قال السدي التقى
الاخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن
محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله
ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجا
بة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الاية وقال ناجية بن
كعب قال ابو جهل للنبي صلعم ما نتهمك لا نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت به فانزل الله قد
نعلم انه ليحزنك الذي يقولون بانك كاذب فانهم لا يكذبونك قرأ نافع والكسائي بالتخفيف
وقرأ الآخرون بالتشديد من التكذيب فالتكذيب هو ان تنسبه الى الكذب وتقول له كذبت
والاكذاب هو ان تجده كاذبا تقول العرب اجدبت الارض واخصبتها اذا وجدتها جدبة
ومخصبة ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون يقول انهم لا يكذبونك في السر لانهم عرفوا

صدقك فيما مضى وانما يكذبون وحيي ويجحدون آياتي كما قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ولقد كذبت رسل من قبلك كذبهم قومهم كما كذبتك قريش فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتاهم نصرنا بتعذيب من كذبهم ولا مبدل لكلمات الله لا ناقض لما حكم به وقد حكم
في كتابه بنصر انبيائه عليهم السلام فقال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وقال انا لننصر رسلنا وقال كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقال
الحسين بن الفضل لا خلف لعدته ولقد جاءك من نبأ المرسلين ومن صلة كما تقول اصابنا
من مطر وان كان كبر عليك اعراضهم اي عظم عليك وشق ان اعرضوا عن الايمان بك
وكان رسول الله صلعم يحرص على ايمان قومه اشد الحرص وكانوا اذا سألوا آية احب ان يريهم
الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل فان استطعت ان تبتغي ان تطلب وتتخذ نفقا
سربا في الارض ومنه نافقاء اليربوع وهو احد جحريه فتذهب فيه او سلما اي درجا و
ومصعدا في السماء فتصعد فيه فتأتيهم بآية فافعل ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فآ
منوا كلهم فلا تكونن من الجاهلين اي بهذا الحرف وهو قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
وان من يكفر يكفر لسابق علم الله فيه انما يستجيب الذين يسمعون يعني المؤمنين الذين
يسمعون الذكر فيتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على سمعه والموتى يعني الكفار
يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فيجزيهم باعمالهم وقالوا يعني رؤساء قريش لولا هلا انزل
عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون ما عليهم في
انزالها وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه قيد الطيران بالجناح تاكيدا كما
يقال نظرت بعيني واخذت بيدي الا امم امثالكم قال مجاهد اصناف مصنفة تعرف باسمائها
يريد ان كل جنس من الحيوان امة فالطير امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمائها
مثل بني آدم يعرفون باسمائهم يقال الانس والناس روي عن عبد الله بن مغفل عن النبي
صلعم قال لولا ان الكلاب امة لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم وقيل امم امثالكم يفقه
بعضهم عن بعض وقيل امم امثالكم في الخلق والموت والبعث وقال ابن قتيبة امم امثالكم في الغذاء
وابتغاء الرزق وتوقي المهالك وقال عطاء امثالكم في التوحيد والمعرفة ما فرطنا في الكتاب اي في
اللوح المحفوظ من شيء ثم الى ربهم يحشرون قال ابن عباس والضحاك حشرها موتها وقال
ابو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيأخذ للجماء من

القرناء ثم يقول كوني ترابا فحينئذ يتمنى الكافر ويقول يا ليتني كنت ترابا وروي عن ابي هريرة
ان رسول الله صلعم قال لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من
القرناء والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم لا يسمعون الخير ولا يتكلمون به في الظلمات في ضلا
لات الكفر من يشاء الله يضلله فيموت على الكفر ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم وهو الاسلام
قل ارأيتكم هل رأيتم والكاف فيه للتاكيد قال الفراء العرب تقول ارأيتك وهم يريدون
اخبرنا كما تقول ارأيتك ان فعلت كذا ماذا تفعل اي اخبرني وقرأ اهل المدينة ارأيتكم وارأيتم
وارأيت بتليين الهمزة الثانية والكسائي بحذفها قال ابن عباس قل يا محمد لهؤلاء المشركين
ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله قبل الموت او اتتكم الساعة يعني القيامة اغير الله تدعون في
صرف العذاب عنكم ان كنتم صادقين واراد ان الكفار يدعون الله في احوال الاضطرار كما
اخبر الله عنهم واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ثم قال بل اياه تدعون
اي تدعون الله ولا تدعون غيره فيكشف ما تدعون اليه ان شاء
قيد الاجابة بالمشيئة وتنسون تتركون ما تشركون ولقد ارسلنا الى امم من قبلك
فكفروا فاخذناهم بالبأساء بالشدة والجوع والضراء المرض والزمانة لعلهم يتضر
عون اي يتوبون ويخضعون والتضرع السؤال بالتذلل فلولا فهلا اذ جاءهم بأسنا
عذابنا تضرعوا فآمنوا فكشف عنهم اخبر الله تعالى انه قد ارسل الى قوم بلغوا من
القسوة الى انهم اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا فذلك قوله
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلما
نسوا تركوا ما ذكروا به وعظوا وامروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء قرأ ابو جعفر
فتحنا بالتشديد كل القرآن وقرأ ابن عامر كذلك اذا كان عقيبه جمعا والباقون بالتخفيف
وهذا فتح استدراج ومكر اي بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة حتى اذا فرحوا
بما اوتوا وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما اصاب من الدنيا اخذناهم بغتة فجاءة
آمن ما كانوا واعجب ما كانت الدنيا اليهم فاذا هم مبلسون آيسون من كل خير قال
ابو عبيدة المبلس النادم الحزين واصل الابلاس الاطراق من الحزن والندم روي
عقبة بن عامر ان رسول الله صلعم قال اذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته
فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الاية فقطع دابر القوم الذين ظلموا

اذا للمفاجاة وهي ظرف مكان والعامل فيها مبلسون

الى آخرهم الذي يدبرهم يقال دبر فلان القوم يدبرهم دبرا ودبورا اذا كان آخرهم
ومعناه انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية • والحمد لله رب العالمين • حمد الله
نفسه على ان قطع دابرهم لانه نعمة على الرسل فذكر الحمد تعليما لهم ولمن آمن بهم ان يحمدوا
الله على كفايته شر الظالمين وليحمد محمد واصحابه ربهم اذا اهلك المكذبين • قل ارايتم ايها
المشركون ان اخذ الله سمعكم • حتى لا تسمعوا شيئا اصلا • وابصاركم • حتى لا تبصروا شيئا • وختم
على قلوبكم • حتى لا تفهموا ولا تعرفوا مما تعرفون من امور الدنيا • من اله غير الله يأتيكم به
ولم يقل بها مع انه ذكر اشياء قيل معناه يأتيكم بما اخذ منكم وقيل الكناية ترجع الى السمع الذي
ذكر اولا ويندرج غيره تحته كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه فالهاء راجعة الى الله ورضا
الرسول يندرج في رضاء الله • انظر كيف نصرف الآيات • اي نبين لهم العلامات الدالة
على التوحيد والنبوة • ثم هم يصدفون • يعرضون عنها مكذبين • قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله
بغتة • فجأة • او جهرة • معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس والحسن ليلا ونهارا • هل
يهلك الا القوم الظالمون • المشركون • وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم • حين يخاف اهل النار • ولا هم يحزنون اذا حزنوا • والذين
كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب • يصيبهم العذاب • بما كانوا يفسقون • يكفرون • قل لا اقول
لكم عندي خزائن الله • نزل حين اقترحوا الآيات فامره الله ان يقول لهم لا اقول لكم عندي
خزائن الله خزائن رزقه فاعطيكم ما تريدون • ولا اعلم الغيب • فاخبركم بما غاب مما
مضى وما سيكون • ولا اقول لكم اني ملك • قال ذلك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي
ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي لا اقول لكم شيئا من ذلك فتنكرون قولي وتجحدون
امري • ان اتبع الا ما يوحى الي • اي ما آتيكم به فمن وحي الله وذلك غير مستحيل في العقل مع
قيام الدليل والحجج البالغة • قل هل يستوي الاعمى والبصير • قال قتادة الكافر والمؤمن
وقال مجاهد الضال والمهتدي وقيل الجاهل والعالم • افلا تتفكرون • انهما لا يستويان • وانذر
به • خوف به اي بالقرآن • الذين يخافون ان يحشروا • يجمعوا ويبعثوا • الى ربهم • وقيل
يخافون اي يعلمون لان خوفهم انما كان من علمهم • ليس لهم من دونه • من دون الله • ولي •
قريب ينفعهم • ولا شفيع • يشفع لهم • لعلهم يتقون • فينتهون عما نهيتهم عنه وانما نفى الشفاعة
لغيره مع ان الانبياء والاولياء يشفعون لانهم لا يشفعون الا باذنه • ولا تطرد الذين يد

عون ربهم بالغداة والعشي • قرا ابن عامر بالغدوة بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها
هاهنا وفي سورة الكهف وقرا الآخرون بفتح الغين والدال والف بعدها قال سلمان وخباب
بن الارت فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري
وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلعم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس
من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله حقروهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر
المجلس ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها لجا
لسناك واخذنا عنك فقال النبي صلعم لهم ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا
منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحي ان ترانا العرب مع هؤ
لاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا
اكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية
اذا نزل جبرائيل عم بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الى
قوله بالشاكرين فالقى رسول الله صلعم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تعالى واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فكان رسول الله صلعم يقعد معنا
بعد وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه
حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا
ومعكم الممات وقال الكلبي قالوا له اجعل لنا يوما ولهم يوما فقال لا افعل قالوا فاجعل
المجلس واحدا فاقبل علينا وول ظهرك اليهم فانزل الله هذه الآية قال مجاهد قالت قريش
لولا بلال وابن ام عبد لتابعنا محمدا فانزل الله هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي قال ابن عباس يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة
العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وذلك ان ناسا من الفقراء كانوا مع النبي
صلعم فقال ناس من اهل الاشراف اذا صلينا فاخرهم لا فليصلوا خلفنا فنزلت الآية
وقال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقا
ل سعيد ما اسرع الناس الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتاولون قوله يدعون ربهم
بالغداة والعشي قال افي هذا هو انما ذلك في الصلوة التي انصرفنا عنها الآن وقال ابراهيم النخعي
ان الاسراع

يعني يذكرونهم ربهم وقيل المراد منه حقيقة الدعاء يريدون وجهه اي يريدون الله بطاعتهم
وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم
من شيء اي لا تكلف امرهم ولا يتكلفون امرك وقيل ما رزقهم عليك فتملهم فتطردهم ولا رزقك
عليهم قوله عز وجل فتطردهم جواب لقوله ما عليك من حسابهم من شيء فتكون من
الظالمين جواب لقوله ولا تطرد فاحدهما جواب النفي والآخر جواب النهي وكذلك فتنا ابتلينا
بعضهم ببعض اراد ابتلاء الغني بالفقير والشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا نظر الى الوضيع
قد سبقه بالايمان امتنع من الاسلام بسببه فكان فتنة له فذلك قوله ليقولوا اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا فقال تعالى أليس الله باعلم بالشاكرين فهو جواب لقوله اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا فهو استفهام بمعنى التقرير اي الله اعلم بمن شكر الاسلام اذا هداه الله روى ابي
سعيد الخدري قال جلست في نفر من ضعفاء المهاجرين ان بعضهم ليستتر ببعض من العري وقا
رئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلعم فقام علينا فلما قام رسول الله صلعم سكت القاري فسلم
رسول الله صلعم فقال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ يقرأ علينا وكنا نستمع الى كتا
ب الله فقال رسول الله صلعم الحمد لله الذي جعل من امتي من امرني ان اصبر نفسي معهم قال ثم جلس
وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له قال فما رايت
رسول الله صلعم عرف منهم احدا غيري فقال رسول الله صلعم ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين
بالفوز التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة
سنة قوله عز وجل واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم قال عكرمة نزلت
في الذين نهى الله عز وجل نبيه صلعم عن طردهم وكان النبي صلعم اذا راهم بدأهم بالسلام وقال عطاء
نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وابي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان
بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن ابي الارقم وابي سلمة بن عبد الاسد كتب ربكم على
نفسه الرحمة اي قضى على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة قال مجاهد لا يعلم
حلالا من حرام فمن جهالته ركب الامر وقيل جاهل بما يورثه ذلك الذنب وقيل جهالته
من حيث انه آثر المعصية على الطاعة والعاجل القليل على الآجل الكثير ثم تاب من بعده
رجع عن ذنبه واصلح عمله وقيل اخلص توبته فانه غفور رحيم قرأ ابن عامر وعاصم
ويعقوب انه من عمل منكم فانه غفور رحيم بفتح الالف فيهما بدلا من الرحمة اي كتب على نفسه

انه من عمل منكم ثم جعل الثانية بدلا عن الاولى كقوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم
ترابا وعظاما انكم مخرجون وفتح اهل المدينة الاولى وكسروا الثانية على الاستئناف
وكسرهما الآخرون على الاستيناف وكذلك نفصل الآيات اي وهكذا وقيل معناه
وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا واعلامنا على المشركين كذلك نفصل الآيات
اي نميز ونبين لك حجتنا في كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين سبيل المجرمين
اي طريق المجرمين وقرأ اهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل نصب على خطاب النبي صلعم
ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين يقال استبنت الشيء وتبينته اذا عرفته وقرأ حمزة والكسا
ئي وابو بكر وليستبين بالياء سبيل بالرفع وقرأ الآخرون ولتستبين بالتاء سبيل بالرفع
اي ليظهر ويتضح والسبيل يذكر ويؤنث فدليل التذكير قوله عز وجل وان يروا سبيل الر
شد لا يتخذوه سبيلا الاية ودليل التانيث قوله عز وجل لم تصدون عن سبيل الله من آمن
به وتبغونها عوجا قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع
اهواءكم في عبادة الاوثان وطرد الفقراء قد ضللت اذا وما انا من المهتدين يعني
ان فعلت ذلك فقد تركت سبيل الحق وسلكت غير طريق الهدى قل اني على بينة اي على
بيان وبصيرة وبرهان من ربي وكذبتم به اي بما جئت به ما عندي ما تستعجلون
به قيل اراد استعجالهم العذاب كانوا يقولون ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة الاية وقيل اراد القيامة قال الله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ان
الحكم الا لله يقص الحق قرأ اهل الحجاز وعاصم يقص الحق بضم القاف والصاد
مشددا اي يقول الحق لانه في جميع المصاحف بغير ياء لانه قال الحق ولم يقل بالحق وقرأ
الآخرون يقض بسكون القاف والضاد مكسورة من قضيت اي يحكم بالحق بدليل انه قال
وهو خير الفاصلين والفصل يكون من القضاء وانما حذفوا الياء لاستقبال الالف واللام
كقوله صال الجحيم ونحوها ولم يقل بالحق لان الحق صفة مصدر كانه قال يقضي القضاء الحق
قل لو ان عندي وبيدي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم اي فرغ
من العذاب واهلكتكم اي لعجلته حتى اتخلص منكم والله اعلم بالظالمين وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها الا هو مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح واختلفوا في مفاتح الغيب
روي عن عبد الله بن دينار انه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله صلعم مفاتح الغيب خمس

لا يعلمها الا الله لا يعلم ما تغيض الارحام احد الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم
متى يأتي المطر احد الا الله ولا تدري نفس باي ارض تموت الا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة
احد الا الله وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء
ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل انقضاء الآجال وقيل احوال العباد من
السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هو ما لم يكن بعد انه يكون ام لا يكون وما
يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود اوتي نبيكم علم كل
شيء الا مفاتح الغيب ويعلم ما في البر والبحر قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى
والامصار لا يحدث فيها الا يعلمها وقيل هو البر والبحر المعروف وما تسقط من ورقة
الا يعلمها يريد ساقطة وثابتة يعني يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقى عليه
وقيل يعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان سقطت على الارض ولا حبة في ظلمات الارض
قيل هو الحب المعروف في بطون الارض وقيل تحت الصخرة في اسفل الارضين ولا رطب ولا
يابس قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا
ينبت وقيل ولا حي ولا موات وقيل هو عبارة عن كل شيء الا في كتاب مبين يعني ان الكل
مكتوب في اللوح المحفوظ وهو الذي يتوفاكم بالليل اي يقبض ارواحكم اذا نمتم بالليل
ويعلم ما جرحتم كسبتم بالنهار ثم يبعثكم اي يوقظكم فيه اي في النهار ليقضى اجل مسمى
يعني اجل الحيوة الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام ثم اليه مرجعكم في الآخرة ثم ينبئكم
يخبركم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة يعني الملائكة
الذين يحفظون اعمالهم اي بني آدم وهو جمع حافظ نظيره وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
حتى اذا جاء احدكم الموت توفته قرأ حمزة توفيه واستهويه بالياء وامالتهما
رسلنا اي اعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه الى ملك الموت فيقبض روحه كما قال
قل يتوفاكم ملك الموت وقيل الاعوان يتوفونه بامر ملك الموت فكان ملك الموت توفاه
لانهم يصدرون عن امره وقيل اراد بالرسل ملك الموت وحده فذكر الواحد بلفظ الجمع وجاء
في الاخبار ان الله جعل الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من هاهنا ومن
هاهنا فاذا كثرت الارواح يدعو الارواح فتجيب له وهم لا يفرطون اي لا يقصرون ثم ردوا
الى الله مولاهم الحق يعني الملائكة وقيل يعني العباد يردون بالموت الى الله مولاهم الحق

فان قيل الآية في المؤمنين والكفار جميعا وقد قال في آية اخرى وان الكافرين لا مولى لهم فكيف
وجه الجمع قيل المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار والمولى هاهنا بمعنى المالك الذي يتولى
امورهم والله عز وجل مالك الكل ومتولي الامور وقيل اراد هاهنا المؤمنين خاصة يردون
الى مولاهم والكفار فيه تبع الا له الحكم اي القضاء دون خلقه وهو اسرع الحاسبين اي
اذا حاسب فحسابه سريع لانه لا يحتاج الى فكرة وروية وعقد يد قل من ينجيكم قرأ
يعقوب بالتخفيف وقرأ العامة بالتشديد من ظلمات البر والبحر اي من شدائدهما واهوالهما
كانوا اذا سافروا في البر والبحر وضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين فينجيهم
فذلك قوله تدعونه تضرعا وخفية اي علانية وسرا قرأ ابو بكر عن عاصم وخفية بكسر
الخاء هاهنا وفي الاعراف وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان لئن انجيتنا اي يقولون لئن انجيتنا
وقرأ اهل الكوفة لئن انجانا اي لئن انجانا الله من هذه يعني من هذه الظلمات لنكونن من الشا
كرين والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها قل الله ينجيكم منها قرأ اهل الكوفة وابو جعفر
ينجيكم بالتشديد مثل قوله من ينجيكم وقرأ الآخرون هذا بالتخفيف ومن كل كرب والكرب
غاية الغم الذي يأخذ بالنفس ثم انتم تشركون يريد انهم يقرون ان الذي يدعونه عند الشدة
هو الذي ينجيهم ثم يشركون معه الاصنام التي قد علموا انها لا تضر ولا تنفع قل هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال الحسن وقتادة نزلت الآية في اهل الايمان وقال
قوم نزلت في المشركين قوله عز وجل عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان
كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط وقوم نوح او من تحت ارجلكم يعني الرجفة والخسف كما
فعل بقوم شعيب وقارون وعن ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم السلاطين الظلمة او من
تحت ارجلكم العبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم من قبل كباركم او من تحت ارجلكم اي من
اسفل منكم او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا ويبث فيكم الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم
بأس بعض يعني السيوف المختلفة يقتل بعضكم بعضا روي عن جابر قال لما نزلت هذه الآية
قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلعم اعوذ بوجهك قال او من
تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال رسول الله صلعم
هذا اهون او هذا ايسر روي عن ابي وقاص عن ابيه قال اقبلنا مع رسول الله صلعم حتى مررنا
على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين وصلينا معه فناجى ربه طويلا ثم قال سألت ربي

ثلثا سالته ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسالته ان لا يهلك امتي بالسنة فا
عطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها روى عن عبد الله بن عبد الرحمن الانصا
ري ان عبد الله بن عمر جاءهم ثم قال ان النبي صلعم دعا في مسجد فسال الله ثلثا فاعطاه
اثنتين ومنعه واحدة ساله ان لا يسلط على امته عدوا من غيرهم يظهر عليهم فاعطاه ذلك
وساله ان لا يهلكهم بالسنين فاعطاه ذلك وساله ان لا يجعل باس بعضهم على بعض
فمنعه ذلك انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالقرآن
وقيل بالعذاب وهو الحق قل لست عليكم بوكيل برقيب وقيل بمسلط الزمكم الاسلام
شئتم او ابيتم انما انا رسول لكل نبإ خبر من اخبار القرآن مستقر حقيقة ومنتهى ينتهى
اليه فيتبين صدقه من كذبه وحقه من باطله اما في الدنيا واما في الآخرة وسوف تعلمون
وقال مقاتل لكل خبر يخبره الله وقت وقته ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تاخير وقال
الكلبي لكل قول وفعل حقيقة اما في الدنيا واما في الآخرة وسوف تعلمون ما كان في الدنيا
فستعرفونه وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا
يعني في القرآن بالاستهزاء فاعرض عنهم فاتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث
غيره واما ينسينك قرا ابن عامر بفتح النون وتشديد السين وقرا الآخرون بسكون النون
وتخفيف السين الشيطان نهينا فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين يعني اذا
جلست معهم ناسيا فقم من عندهم بعدما تذكرت وما على الذين يتقون من حسابهم من
شيء روى عن ابن عباس انه لما نزلت هذه الآية واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض
عنهم قال المسلمون كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون ابدا وفي رواية قال
المسلمون فانا نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل الله عز وجل وما على الذين يتقون الخوض
من حسابهم اي آثامهم من شيء ولكن ذكرى ذكروهم وعظوهم بالقرآن والذكر
والذكرى واحد يريد ذكروهم ذكرى فيكون في محل النصب لعلهم يتقون الخوض اذا وعظتهم
ثم تخصص في بي التسهم على الوعظ لعله يمنعهم ذلك عن الخوض وقيل لعلهم يستحيون وذر الذين
اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعني الكفار الذين اذا سمعوا آيات الله استهزؤا بها وتلاعبوا
عند ذكرها وقيل ان الله تعالى جعل لكل قوم عيدا واتخذ كل قوم دينهم اي عيدهم لعبا ولهوا
وعيد المسلمين الصلوة والتكبير وفعل الخير مثل الجمعة والفطر والنحر وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به

اي وعظ بالقرآن ان تبسل نفس الا لان لا تبسل اي لا تسلم نفس للهلاك بما كسبت
قال مجاهد وعكرمة والسدي وقال ابن عباس تهلك وقال قتادة ان تحبس وقال الضحاك تحرق
وقال ابن زيد تؤخذ ومعناه ذكرهم ليؤمنوا كيلا تهلك نفس بما كسبت وقال الاخفش
تبسل تجازى وقيل تفضح وقال الفراء ترتهن واصل الابسال التحريم والبسل الحرام ثم
جعل نعتا لكل شديدة تتقى وتترك ليس لها لتلك النفس من دون الله ولي قريب ولا
شفيع يشفع لها في الآخرة وان تعدل كل عدل اي تفد كل فداء لا يؤخذ منها اولئك
الذين ابسلوا اسلموا للهلاك بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا
يكفرون قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ان عبدناه ولا يضرنا ان تركناه
يعني الاصنام ليس اليها نفع ولا ضر ونرد على اعقابنا الى الشرك مرتدين بعد اذ هدانا
الله كالذي استهوته الشياطين اي يكون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين اي
اضلته في الارض حيران قال ابن عباس كالذي استغوته الغيلان في المهامه فاضلوه
فهو حائر بائر والحيران المتردد في الامر لا يهتدي الى مخرج منه له اصحاب يدعونه الى
الهدى ائتنا هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن يدعو الى الآلهة ولمن يدعو الى الله عز وجل
كمثل رجل في رفقة ضل به الغول عن الطريق يدعوه اصحابه من اهل الرفقة هلم الى الطريق ويدعوه
الغول فيبقى حيران لا يدري اين يذهب فان اجاب الغول انطلق حتى تلقيه الى الهلكة وان
اجاب من يدعوه الى الطريق اهتدى قل ان هدى الله هو الهدى يزجر عن عبادة الا
صنام كانه يقول لا تفعل ذلك فان الهدى هدى الله لا هدى غيره وامرنا لنسلم اي ان
نسلم لرب العالمين والعرب تقول امرتك لتفعل وان تفعل وبان تفعل وان اقيموا
الصلوة واتقوه اي وامرنا باقامة الصلوة والتقوى وهو الذي اليه تحشرون اي تجمعون
في الموقف وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قيل بالحق يعني اللام اي اظهار الحق
لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته ويوم يقول كن فيكون قيل هو راجع الى خلق السموات
والارض والخلق بمعنى القضاء والتقدير اي كل شيء قضاه وقدره قال له كن فيكون وقيل
يرجع الى القيامة يدل على سرعة امر البعث والساعة كانه قال ويوم يقول للخلق موتوا
فيموتون وقوموا فيقومون قوله الحق اي الصدق الواقع لا محالة يريد ان ما وعده
حق كائن وله الملك يوم ينفخ في الصور يعني ملك الملوك يومئذ زائل كقوله مالك يوم الدين

وكما قال والامر يومئذ لله والامر لله في كل وقت ولكن الامر في ذكر اليوم لا حاكم مع الله والصور

قرن ينفخ فيه قال مجاهد كهيئة البوق وقيل بلغة اهل اليمن وقال ابو عبيدة الصور هو الصور

وهو جمع الصورة وهو قول الحسن والاول اصح والدليل عليه ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص

قال جاء اعرابي الى النبي صلعم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه وروي عن ابي سعيد الخدري

ان النبي صلعم قال كيف انعم وصاحب الصور قد التقمه واصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يومر

فقالوا يا رسول الله وما تامرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ابو العلاء عن عطية

متى يومر بالنفخ فينفخ عالم الغيب والشهادة يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه

لا يغيب عن علمه شيء وهو الحكيم الخبير واذ قال ابراهيم لابيه آزر قرأ يعقوب آزر بالرفع

يعني يا آزر والقراءة المعروفة بالنصب وهو اسم اعجمي لا ينصرف فينتصب في موضع الخفض قال

محمد بن اسحق والضحاك والكلبي آزر اسم اب ابرهيم وهو تارخ ايضا مثل اسرائيل ويعقوب

وكان من كوثا قرية من سواد الكوفة وقال مقاتل بن حيان وغيره آزر لقب لاب

ابرهيم واسمه تارخ وقال سليمان التيمي هو سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج

وقيل معناه الشيخ الهم بالفارسية وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم فعلى هذا

يكون في محل النصب تقديره اتتخذ آزر الها اتتخذ اصناما آلهة دون الله اني اراك

وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض اي كما اريناه البصيرة

في دينه والحق في خلاف قومه كذلك نريه ملكوت السموات والارض والملكوت الملك

زيدت فيه التاء للمبالغة كالجبروت والرحموت والرهبوت قال ابن عباس يعني خلق

السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني آيات السموات والارض وذلك

انه اقيم على صخرة وكشف له عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين ونظر الى

مكانه في الجنة فذلك قوله وآتيناه اجره في الدنيا يعني اريناه مكانه في الجنة وروي عن سلمان

ورفعه بعضهم على علي انه لما رأى ابرهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشة

فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فاراد ان يدعو عليه فقال له الرب

يا ابرهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فانما انا من عبدي على ثلث خلال

اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة يعبدني واما ان يبعث الي فان

شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وفي رواية واما ان يتولى فان جهنم من ورائه

قتادة

قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار

وليكون من الموقنين عطف على المعنى معناه نريه ملكوت السموات والارض ليستدل به

وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال اهل التفسير ولد ابرهيم في زمن

نمرود بن كنعان وكان نمرود اول من وضع التاج على راسه ودعا الناس الى عبادته

وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض

ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدي

رأى نمرود في منامه كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من

ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة فسألهم فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه

السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك واهل بيتك على يديه قالوا فامر بذبح كل غلام يولد

في ناحيته في تلك السنة وامر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا فاذا حاضت المرأة

خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا طهرت حال بينهما فرجع

آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابرهيم وقال محمد بن اسحق

بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من ام ابرهيم فانه لم يعلم

بحبلها لانها كانت جارية حديثة لم يعرف الحبل ببطنها وقال السدي خرج نمرود بالرجال

الى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود ان يكون فمكث بذلك ما شاء الله

ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها احدا من قومه الا آزر فبعث اليه ودعاه

وقال له ان لي حاجة احب ان اوصيك بها ولا ابعثك الا لثقتي بك فاقسمت عليك الا

تدنو من اهلك فقال آزر انا اشح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل المدينة

وقضى حاجته ثم قال لو دخلت على اهلي فنظرت اليهم فلما نظر الى ام ابرهيم لم يتمالك حتى

واقعها فحملت بابرهيم قال ابن عباس لما حملت ام ابرهيم قال الكهان لنمرود ان

الغلام الذي اخبرناك به قد حملته امه الليلة فامر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت

ولادة ام ابرهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل

ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء فرجعت فاخبرت

زوجها بانها ولدت وان الولد في موضع فانطلق ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له

سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه

فتن ضيعه وقال محمد بن اسحق لما وجدت ام ابرهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة وكانت
قريبا منها فولدت فيها ابرهيم واصلحت من شانه ما يصنع بالمولود ثم سدّت عليه
المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص ابهامه قال ابو
روق قالت ام ابراهيم ذات يوم لانظرنّ الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن
اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع سمنا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سال
ام ابرهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها فسكت عنها وكان
اليوم على ابرهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابرهيم في المغارة الا خمسة
عشر شهرا حتى قال لامه اخرجيني فاخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والارض
وقال ان الذى خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي الذى ما لى اله غيره ثم نظر في السماء
فراى كوكبا قال هذا ربي واتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما افل قال لا احب الا
فلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي واتبعه بصره حتى غاب ثم طلعت الشمس
هكذا الى آخره ثم رجع الى ابيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين
قومه الا انه لم يباديهم بذلك فاخبره انه ابنه واخبرته ام ابرهيم انه ابنه واخبرته بما
كانت صنعت في شانه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه كان في السرب سبع سنين
وقيل ثلث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابرهيم وهو في السرب قال لامه
من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت فسكت ثم رجعت
الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم
اخبرته بما قال فاتاه ابوه آزر فقال له ابرهيم يا ابتاه من ربي قال امك قال فمن رب
امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما
جن الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي ويقال
انه قال لابويه اخرجاني فاخرجاه من السرب فانطلق به حين غابت الشمس فنظر ابرهيم
الى الابل والخيل والغنم فسال اباه ما هذه فقال ابل وخيل وغنم فقال ما لهذه بد من
ان يكون لها رب وخالق ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة
في آخر الشهر فتاخر طلوع القمر فيها فراى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه
الليل اى دخل يقال جن الليل واجن واجنه الليل وجن عليه الليل يجن جنونا

وجنانا اذا اظلم وغطى كل شيء وجنون الليل سواده راى كوكبا قرا ابو عمرو راى بفتح الراء
وكسر الالف وبكسرهما ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر فان اتصل بكاف او هاء فتحهما
ابن عامر فان لقيها ساكن كسر الراء وفتح الهمزة حمزة وابو بكر وفتحهما الآخرون قال هذا
ربي واختلفوا في قوله ذلك فاجراه بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابرهيم مسترشدا طالبا
للتوحيد حتى وفقه الله واتاه رشده فلم يضره ذلك في حال الاستدلال وايضا كان ذلك
في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا وانكر الآخرون هذا القول وقالوا لا يجوز ان
يكون لله رسول ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل معبود
سواه برئ وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره واتاه رشده من قبل واخبر عنه فقال
اذ جاء ربه بقلب سليم وقال وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض افتراه اراه
الملكوت ليوقن فلما ايقن راى كوكبا قال هذا ربي معتقدا فهذا لا يكون ابدا ثم قالوا
فيه اربعة اوجه من التاويل احدها ان ابرهيم اراد ان يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم
خطاءهم وجهلهم في تعظيم ما عظموه وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويرون الامور
كلها اليها فاراهم انه معظم ما عظموه ويلتمس الهدى من حيث ما التمسوه فلما افل اراهم
النقص الداخل على النجوم ليثبت خطاء ما يدعون ومثل هذا الحواريّ الذى ورد على قوم
يعبدون الصنم فاظهر تعظيمه فاكرموه حتى صدروا في كثير من الامور من رايه الى ان دهمهم
عدو فشاوروه في امره فقال الراى ان ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد اظلنا فاجتمعوا
حوله يتضرعون فلما تبين لهم انه لا ينفع ولا يدفع دعاهم الى ان يدعوا الله فدعوه فصرف
عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا الوجه الثاني من التاويل انه قاله على وجه الاستفهام تقديره
اهذا ربي كقوله تعالى افان مت فهم الخالدون اى افهم الخالدون وذكره على وجه التوبيخ
منكرا لفعلهم يعني ومثل هذا يكون ربا اى ليس هذا ربي والوجه الثالث انه ذكره على وجه الا
حتجاج عليهم يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها لما غاب كما قال ذق انك
انت العزيز الكريم اى عند نفسك وبزعمك وكما اخبر عن موسى انه قال وانظر الى الهك الذى
ظلت عليه عاكفا لنحرقنه يريد الهك بزعمك والوجه الرابع فيه اضمار وتقديره يقولون
هذا ربي كقوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا اى
يقولان ربنا تقبل منا فلما افل قال لا احب الآفلين ربا لا يدوم قوله عز وجل فلما راى
القمر بازغا

يقول خزنة جهنم لابي جهل انك كنت عزيزا عند نفسك فاما عندنا فلست عزيزا ولا كريما

بازغا اى طالعا يقال بزغ اى ابتدا في الطلوع ماخوذ من البزغ وهو الشق كانه يشق بنوره الظلمة سمر

وجن

القمر بازغا اي طالعا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي قيل لئن لم يثبتني
على الهدى ليس انه لم يكن مهتديا والانبياء لم يزالوا ايضا يسألون الله الثبات على الايمان
وكان ابرهيم يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام لاكونن من القوم الضالين اي
عن الهدى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر اي من الكواكب والقمر ولم يقل
هذه مع ان الشمس مؤنثة لانه اراد هذا الطالع او رده الى المعنى وهو الضياء والنور لانه رآه
اضوأ من النجوم والقمر فلما افلت غربت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجو
ني في الله وقد هدان ولما رجع ابراهيم الى ابيه وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع
الذباحين وضمه آزر الى نفسه وجعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابرهيم ليبيعها فيذهب بها
ابرهيم وينادي من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت عليه ذهب
بها الى نهر فصوب فيه رؤسها وقال اشربي استهزاء بها لقومه وبما هم فيه من الضلالة
حتى فشا استهزاؤه بها في قومه واهل قريته فحاجه اي خاصمه وجادله قومه في دينه قال
اتحاجوني في الله قرأ اهل المدينة وابن عامر بتخفيف النون وقرأ الآخرون بتشديدها على
ادغام احدى النونين ومن خفف حذف احدى النونين تخفيفا يقول اتجادلونني في تو
حيد الله وقد هدان للتوحيد والحق ولا اخاف ما تشركون به وذلك انهم قالوا له احذر الا
صنام فانا نخاف ان تمسك بسوء من خبل او جنون لعيبك اياها فقال لهم ولا اخاف ما
تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وليس هذا باستثناء عن الاول بل هو استثناء منقطع
معناه لكن ان شاء ربي شيئا اي سوءا فيكون ما شاء وسع ربي كل شيء علما اي احاط علمه
بكل شيء افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم يعني الاصنام وهي لا تبصر ولا تسمع ولا
تضر ولا تنفع ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا حجة وبر
هانا وهو القادر القاهر على كل شيء فاي الفريقين احق اولى بالامن انا واهل ديني
ام انتم ان كنتم تعلمون فقال الله تعالى قاضيا بينهما الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
لم يخلطوا ايمانهم بشرك اولئك لهم الامن وهم مهتدون روى عن عبد الله قال لما
نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله فاينا
لا يظلم نفسه فقال ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا الى ما قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني

لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه حتى خصمهم
وغلبهم بالحجة قال مجاهد هي قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وقيل اراد
به الحجاج الذي حاج نمرود على ما سبق في سورة البقرة نرفع درجات من نشاء بالعلم قرأ
اهل الكوفة ويعقوب درجات بالتنوين هاهنا وفي سورة يوسف اي نرفع من نشاء درجات
بالعلم والفهم والفضيلة والعقل كما رفعنا درجات ابرهيم حتى اهتدى وحاج قومه في التوحيد ان
ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا وفقنا وارشدنا ونوحا هدينا
من قبل اي من قبل ابرهيم ومن ذريته اي ومن ذرية نوح ولم يرد من ذرية ابرهيم لانه
ذكر في جملتهم يونس ولوطا ولم يكونا من ذرية ابراهيم قوله داود وهو داود بن ايشا و
سليمان يعني ابنه وايوب وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن
اسحق بن ابرهيم ويوسف وهو يوسف بن يعقوب بن ابراهيم وموسى وهو موسى بن عمران
بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهارون وهو اخو موسى اكبر منه بسنة وكذلك
اي وكما جزينا ابرهيم على توحيده بان رفعنا درجته ووهبنا له اولادا انبياء اتقياء كذلك
نجزي المحسنين على احسانهم وليس ذكرهم على ترتيب ازمانهم وزكريا وهو زكريا بن آذن
ويحيى وهو ابنه وعيسى وهو ابن مريم بنت عمران والياس واختلفوا فيه قال ابن مسعود
هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل والصحيح انه غيره لان الله تعالى ذكره في ولد نوح
وادريس جد اب نوح وهو الياس بن يسن بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران
كل من الصالحين واسمعيل وهو ابن ابرهيم واليسع وهو ابن اخطوب بن العجوز وقرأ حمزة
والكسائي والليسع بتشديد اللام وسكون الياء هاهنا وفي ص ويونس وهو يونس بن متى
ولوطا وهو لوط بن هارون بن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين اي عالمي زمانهم
ومن آبائهم من فيه للتبعيض لان آباء بعضهم كانوا مشركين وذرياتهم اي ومن ذريا
تهم واراد ذرية بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من كان كا
فرا واخوانهم واجتبيناهم اخترناهم واصطفيناهم وهديناهم ارشدناهم
الى صراط مستقيم ذلك هدى الله دين الله يهدي به يرشد به من يشاء من عباده ولو
اشركوا اي هؤلاء الذين سميناهم لحبط لبطل وذهب عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين
آتيناهم الكتاب اي الكتب المنزلة عليهم والحكم يعني العلم والفقه والنبوة فان يكفر بها

يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني الانصار واهل المدينة قال ابن عباس ومجاهد وقال قتادة فان يكفر بها هؤلاء الكفار فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني الانبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم ههنا وقال ابو رجاء العطاردي معناه فان يكفر بها اهل الارض فقد وكلنا بها اهل السماء وهم الملائكة ليسوا بها بكافرين اولئك الذين هدى الله اي هداهم الله فبهداهم فبسنتهم وسيرتهم اقتده الهاء فيها هاء الوقف وحذف حمزة والكسائي الهاء في الوصل والباقون باثباتها وصلا ووقفا وقرا ابن عامر اقتده باشباع الهاء كسرا قل لا اسالكم عليه اجرا ان هو ما هو الا ذكرى اي تذكرة وعظة للعالمين وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته وقيل ما وصفوه حق صفته اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك ابن الصيف يخاصم النبي صلعم فقال له النبي صلعم انشدك بالذي انزل التورية على موسى اما تجد في التورية ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء وقال السدي نزلت في فنحاص بن عازوراء وهو قائل هذه المقالة وفي القصة ان مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس ان الله انزل التورية على موسى فلم قلت ما انزل الله على بشر من شيء فقال مالك بن الصيف اغضبني محمد صلعم فقلت ذلك فقالوا له وانت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فقال الله قل لهم من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يعني التورية تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا اي يكتبون عنه دفاتر وكتبا مقطعة تبدونها اي تبدون ما تحبون وتخفون كثيرا من نعت محمد صلعم واية الرجم قرا ابن كثير وابو عمرو يجعلونه ويبدونها ويخفون بالياء لقوله وما قدروا الله وقرا الاخرون بالتاء لقوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به وعلمتم ما لم تعلموا الاكثرون على ان هذا خطاب لليهود يقول علمتم على لسان محمد صلعم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلعم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان محمد صلعم قل الله هذا راجع الى قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى فان اجابوك والا فقل انت الله اي انزل الله ثم ذرهم في خوضهم

يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك اي القران كتاب مبارك انزلناه مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى اي لتنذر يا محمد وقرا ابو بكر عن عاصم ولينذر بالياء ولينذر الكتاب ام القرى يعني مكة سميت ام القرى لان الارض دحيت من تحتها وهي اصل الارض كلها كالام لانها اصل النسل واراد اهل ام القرى ومن حولها اي اهل الارض كلها شرقا وغربا والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بالكتاب وهم على صلاتهم يعني الصلوات الخمس يحافظون يداومون يعني المؤمنين ومن اظلم ممن افترى اي اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء قال قتادة نزلت في مسيلمة الكذاب الحنفي وكان يسجع ويتكهن فادعى النبوة وزعم ان الله اوحى اليه وكان قد ارسل الى رسول الله صلعم رسولين فقال النبي صلعم اتشهدان ان مسيلمة نبي قالا نعم فقال النبي صلعم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم بينما انا نائم اذ اتيت من خزائن الارض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فذهبا فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة اراد بصاحب صنعاء الاسود العنسي وبصاحب اليمامة مسيلمة الكذاب ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قيل نزلت في عبد الله بن ابي سرح وكان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلعم فكان اذا املى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاها رسول الله صلعم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي صلعم اكتبها فهكذا انزلت فشك عبد الله قال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله الى الاسلام قبل فتح مكة اذ نزل النبي صلعم بمر وقال ابن عباس قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله يريد المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى يا محمد اذ الظالمون في غمرات الموت سكراته وهي جمع غمرة وغمرة كل شيء معظمه واصلها الشيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب والضرب يضربون وجوههم وادبارهم وقيل بقبض الارواح اخرجوا اي يقولون اخرجوا انفسكم اي ارواحكم كرها لان نفس المؤمن تنشط للقاء ربها والجواب محذوف يعني ولو تراهم في هذه

لحالتهم لرأيت عجبا ❁ اليوم تجزون عذاب الهون ❁ اى الهوان ❁ بما كنتم تقولون على الله غير الحق
وكنتم عن آياته تستكبرون ❁ تتعظمون عن الايمان بالقرآن لا تصدقونه ❁ ولقد جئتمونا فرا
دى ❁ هذا خبر من الله انه يقول للكفار يوم القيمة ولقد جئتمونا فرادى وحدانا لا مال معكم
ولا زوج ولا ولد ولا خدم وفرادى جمع فردان مثل سكران وسكارى وكسلان وكسا
لى وقرأ الاعرج فردى بغير الف مثل سكرى ❁ كما خلقناكم اول مرة ❁ عراة حفاة غرلا ❁
وتركتم ❁ خلفتم ❁ ما خولناكم ❁ اى اعطيناكم من الاموال والاولاد والخدم ❁ وراء ظهور
كم ❁ خلف ظهوركم في الدنيا ❁ وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ❁
وذلك ان المشركين زعموا انهم يعبدون الاصنام لانهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده ❁ لقد تقطع
بينكم ❁ قرأ اهل المدينة والكسائي وحفص عن عاصم بينكم بنصب النون اى تقطع ما بينكم من الوصل
او تقطع الامر بينكم وقرأ الآخرون بينكم برفع النون اى لقد تقطع وصلكم وذلك مثل قوله وتقطعت بهم
الاسباب اى الوصلات والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا ❁ وضل عنكم ما كنتم
تزعمون ❁ ان الله فالق الحب والنوى ❁ الفلق الشق قال الحسن وقتادة والسدي معناه يشق
الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة فيخرجها منها قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة
اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر وقال مجاهد يعني الشقين اللذين فيهما اى يشق الحب عن النبات
ويخرجه منه ويشق النوى عن النخل ويخرجها منها والحب جمع الحبة وهي اسم لجميع البذور والحبوب
من البر والشعير والذرة وكل ما لم يكن له نوى والنوى جمع النواة وهي كل ما لم يكن حبا كالتمر والمشمش
والخوخ ونحوها وقال الضحاك فالق الحب والنوى يعني خالق الحب والنوى ❁ يخرج الحي
من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون ❁ اى تصرفون عن الحق ❁ فالق الاصباح ❁
شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه وقال الضحاك خالق النهار والاصباح مصدر كالاقبال
والادبار وهو الاضاءة واراد به الصبح وهو اول ما يبدو من النهار يريد مبدي
الصبح وموضحه ❁ وجاعل الليل سكنا ❁ يسكن فيه خلقه وقرأ اهل الكوفة وجعل على الماضي
الليل نصب اتباعا للمصحف وقرأ ابرهيم النخعي فلق الاصباح وجعل الليل سكنا
❁ والشمس والقمر حسبانا ❁ اى جعل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى
اقصى منازلهما والحسبان مصدر كالحساب ❁ ذلك تقدير العزيز العليم ❁ وهو الذي
جعل لكم النجوم ❁ اى خلقها لكم ❁ لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ❁ والله تعالى خلق النجوم

لفوائد احدها هذا ومواقيت راكب البحر والسائر في القفار يهتدى بها في الليالي الى
مقاصدهم والثاني انها زينة للسماء كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ومنها رمي
الشياطين كما قال وجعلناها رجوما للشياطين ❁ قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ❁
وهو الذي انشأكم ❁ خلقكم وابتدأكم ❁ من نفس واحدة ❁ يعني آدم عم ❁ فمستقر ومستود
ع ❁ قرأ ابن كثير واهل البصرة فمستقر بكسر القاف يعني فمنكم مستقر ومنكم مستودع وقرأ
الآخرون بفتح القاف اى فلكم مستقر ومستودع واختلفوا في المستقر والمستودع قال عبد
الله بن مسعود فمستقر في الرحم الى ان يولد ومستودع في القبر الى ان يبعث وقال سعيد بن
جبير وعطاء فمستقر في ارحام الامهات ومستودع في اصلاب الآباء وهو رواية عكرمة عن
ابن عباس وقال سعيد بن جبير قال لي ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال اما انه ما كان
من مستودع في ظهرك فسيخرجه الله عز وجل وروي عن ابي انه قال فمستقر في اصلاب الآباء
ومستودع في ارحام الامهات وقيل مستقر في الرحم ومستودع فوق الارض قال الله تعالى ونقر
في الارحام ما نشاء وقال مجاهد فمستقر على ظهر الارض ومستودع عند الله في الآخرة ويدل
عليه قوله عز وجل ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع
في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم انت وديعة في اهلك ويوشك ان تلحق بصاحبك وقيل
المستودع القبر والمستقر الجنة والنار لقوله تعالى في صفة اهل الجنة والنار حسنت مستقرا وساءت
مستقرا ❁ قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به ❁
اى بالماء ❁ نبات كل شيء فاخرجنا منه ❁ من الماء وقيل من النبات ❁ خضرا ❁ يعني اخضر مثل العور
والاعور يعني ما كان رطبا اخضر مما ينبت من القمح والشعير ونحوهما ❁ نخرج منه حبا
متراكبا ❁ اى متراكبا بعضه على بعض مثل سنابل البر والشعير والارز وسائر الحبوب
❁ ومن النخل من طلعها ❁ والطلع اول ما يخرج من ثمر النخل ❁ قنوان ❁ جمع قنو وهو العذق مثل
صنو وصنوان ولا نظير لهما في الكلام ❁ دانية ❁ قريبة المتناول ينالها القائم والقاعد
وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتزقة بالارض وفيه اختصار معناه ومن النخل
ما قنوانها دانية ومنها ما هي بعيدة فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لسبقه الى الافهام كقوله
سرابيل تقيكم الحر يعني الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما ❁ وجنات من اعناب ❁ اى واخرجنا
منه جنات وقرأ الاعمش عن عاصم وجنات بالرفع نسقا على قوله قنوان وعامة القراء على خلافه

وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ يعني وشجر الزيتون وشجر الرمان مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ قال قتادة
معناه مشتبها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وقيل مشتبه
في المنظر مختلف في الطعم انظروا الى ثمره قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم هنا وما بعده
ويس على جمع الثمار وقرأ الآخرون بفتحهما على جمع الثمرة مثل بقرة وبقر اذا اثمر وينعه
ونضجه وادراكه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن يعني الكافرين
جعلوا لله الجن شركاء وخلقهم يعني وهو خلق الجن قال الكلبي نزلت في الزنادقة اثبتوا الشركة
لابليس في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة
والسباع والحيات والعقارب وهذا كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وابليس من الجنة
وخرقوا له قرأ اهل المدينة وخرقوا بتشديد الراء على التكثير وقرأ الآخرون بالتخفيف اي اختلقوا
له بنين وبنات بغير علم وذلك مثل قول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن
الله وقول كفار العرب الملائكة بنات الله ثم نزه نفسه فقال سبحانه وتعالى عما يصفون
بديع السموات والارض اي مبدعهما لا على مثال سبق انى يكون له ولد اي كيف يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة زوجة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو
خالق كل شيء فاعبدوه واطيعوه وهو على كل شيء وكيل بالحفظ له والتدبير فيه لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار تمسك اهل الاعتزال بظاهر هذه الاية في نفي رؤية الله
عز وجل ومذهب اهل السنة اثبات رؤية الله عز وجل عيانا جاء به القرآن والسنة قال
الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال
مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب وقرأ النبي صلعم للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وفسره بالنظر الى وجه الله عز وجل روي عن جرير بن عبد الله قال قال
النبي صلعم ستروون ربكم عيانا واما قوله لا تدركه الابصار فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان
الادراك هو الوقوف على كنه الشيء والاحاطة به والرؤية المعاينة وقد تكون الرؤية بلا ادراك
قال الله تعالى في قصة موسى عم فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا
وقال لا تخاف دركا ولا تخشى فنفى الادراك مع اثبات الرؤية فالله تعالى يجوز ان يرى من
غير ادراك واحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به قال الله تعالى ولا يحيطون به علما فنفى
الاحاطة مع ثبوت العلم قال سعيد بن المسيب لا تحيط به الابصار وقال عطاء كلت ابصار

المخلوقين

المخلوقين قيل عن الاحاطة به وقال ابن عباس ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة
قوله عز وجل وهو يدرك الابصار لا يخفى عليه شيء ولا يفوته وهو اللطيف الخبير قال ابن عباس
اللطيف باوليائه الخبير بهم وقال الازهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل اللطيف الموصل
الشيء باللين والرفق وقيل اللطيف الذي ينسي العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا واصل اللطف دقة النظر
في الاشياء قد جاءكم بصائر من ربكم يعني الحجج البينة التي يبصرون بها الهدى من الضلالة والحق
من الباطل فمن ابصر فعرفها وآمن بها فلنفسه عمل ونفعه له ومن عمي فعليها اي من
عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعليها اي فبنفسه ضر ووبال العمى عليه وما انا عليكم بحفيظ
اي حفيظ عليكم اعمالكم انما انا رسول الله اليكم ابلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا
يخفى عليه شيء من افعالكم وكذلك نصرف الآيات نفصلها ونبينها في كل وجه وليقولوا در
ست قيل معناه لئلا يقولوا درست وقيل هذه اللام لام العاقبة اي عاقبة امرهم ان
يقولوا درست اي قرأت على غيرك وقيل قرأت كتب اهل الكتاب كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا ومعلوم انهم لم يلتقطوه لذلك ولكن اراد ان عاقبة امرهم
ان كان عدوا لهم قال ابن عباس وليقولوا يعني اهل مكة حين يقرأ عليهم القرآن درست
تعلمت من يسار وجبر كانا عبدين من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم انه من عند الله من
قولهم درست الكتاب ادرس درسا ودراسة وقال الفراء يقولون تعلمت من يهود
وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست بالالف اي قارأت اهل الكتاب من المدارسة بين اثنين تقول
قرأت عليهم وقرؤوا عليك وقرأ ابن عامر ويعقوب درست بفتح السين وسكون التاء اي
هذه الاخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست وانمحت من قولهم درس الاثر يدرس
دروسا ولنبينه لقوم يعلمون اي القرآن وقيل نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس
يريد اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل يعني ان تصريف الآيات ليشقى به قوم
ويسعد به آخرون فمن قال درست فهو شقي ومن تبين له الحق فهو سعيد اتبع ما اوحي اليك من
ربك يعني القرآن اعمل به لا اله الا هو واعرض عن المشركين فلا تجادلهم ولو شاء
الله ما اشركوا اي لو شاء لجعلهم مؤمنين وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا قال عطاء
وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني اي لم تبعث لتحفظ المشركين عن العذاب انما بعثت مبلغا
وما انت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله قال ابن عباس لما نزلت

انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا
او لنهجون ربك فنهاهم الله ان يسبوا اوثانهم وقال قتادة كان المسلمون يسبون اصنام
الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة وقال السدي لما حضرت ابا
طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن
اخيه فانا نستحيي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه عمه فلما مات قتلوه فانطلق
ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن
العاص والاسود بن ابي البختري الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا
وان محمدا قد آذانا وآلهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه والهه فدعاه
فقال هؤلاء قومك يقولون نريد ان تدعنا وآلهتنا وندعك والهك وقد انصفك قومك
فاقبل منهم فقال النبي صلعم أرأيتم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها
ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشر امثالها فما هي قال
قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فقال يا عم ما انا بالذي اقول
غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا او لنشتمنك ولنشتمن من
امرك فانزل الله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني الاوثان فيسبوا الله عدوا
اي اعتداء وظلما بغير علم وقرأ يعقوب عدوا بضم العين والدال وتشديد الواو فلما نزلت
هذه الاية قال رسول الله صلعم لاصحابه لا تسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب آلهتهم الاية
وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقته النهي عن سب الله لانه سبب لذلك كذلك زينا لكل
امة عملهم اي كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الاوثان وطاعة الشيطان بالحرمان
والخذلان كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم
ويجازيهم بما كانوا يعملون واقسموا بالله جهد ايمانهم قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت
قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كانت معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة
عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فأتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلعم اي شيء
تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا حتى نسأله عنك أحق ما تقول ام باطل
او ارنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله صلعم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا
نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعون وسأل المسلمون رسول الله صلعم ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا

فقام

ربع

فقام رسول الله صلعم يدعو الله ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبرائيل فقال له ما شئت ان شئت اصبح ذهبا
ولكن ان لم يصدقوا عذبتهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلعم بل يتوب
تائبهم فانزل الله عز وجل واقسموا بالله اي حلفوا بالله جهد اي بجهد ايمانهم يعني اوكد ما قدروا
عليه من الايمان واشدها وقال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه لئن جاءتهم
آية كما جاءت من قبلهم من الامم ليؤمنن بها قل يا محمد انما الآيات عند الله والله قادر
على انزالها وما يشعركم يدريكم واختلفوا في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقال بعضهم
الخطاب للمشركين الذين اقسموا وقال بعضهم الخطاب للمؤمنين وقوله انها اذا جاءت لا
يؤمنون قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام
عند قوله وما يشعركم فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم ايها المشركون انها
لو جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم ايها المؤمنون انها لو جاءت
آمنوا لان المسلمين كانوا يسألون رسول الله صلعم ان يدعو الله حتى يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا
فخاطبهم بقوله وما يشعركم ثم ابتدأ فقال جل ذكره انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا في قوم
مخصوصين حكم الله عليهم بانهم لا يؤمنون وقرأ الآخرون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب للمؤ
منين واختلفوا في قوله لا يؤمنون فقال الكسائي لا صلة ومعنى الاية وما يشعركم ايها المؤمنون ان
الآيات اذا جاءت المشركين يؤمنون كقوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي
يرجعون وقيل انها بمعنى لعلها وكذلك هو في قراءة ابي تقول العرب اذهب الى السوق انك تشتري
شيئا اي لعلك وقال عدي بن زيد اعاذل ما يدريك ان منيتي الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد
اي لعل منيتي وقيل فيه حذف وتقديره وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون او لا يؤمنون وقرأ ابن
عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء على خطاب الكفار واعتبروا بقراءة ابي اذا جاءتكم لا تؤمنون وقرأ
الآخرون بالياء على الخبر دليلها قراءة الاعمش اذا جاءتهم لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم
كما لم يؤمنوا به اول مرة قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالآ
يات التي سألوا ما آمنوا بها كما لم يؤمنوا به اول مرة اي كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات من
انشقاق القمر وغيره وقيل كما لم يؤمنوا به اول مرة يعني معجزات موسى وعيسى وغيرهم من الانبياء عليهم السلام
كقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل وفي الاية محذوف تقديره فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا اول
مرة وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الآخرة الى الدنيا

نخ

ما استفهام في محل نصب ... ضمير اي ما يدريكم ايمانهم فحذف المفعول

هذا ايضا مما يدل على ان الكفر والايمان بخلق الله وقدرته تعالى

ونقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتهم قيل كما قال ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه ونذرهم في طغيانهم يعمهون قال عطاء أخذ لهم وأدعهم في ضلالتهم
يتمادون ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة فرأوهم عيانا وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم
فشهدوا لك بالنبوة كما سألوا وحشرنا وجمعنا عليهم كل شيء قبلا قرأ أهل المدينة وابن
عامر قبلا بكسر القاف وفتح الباء أي معاينة وقرأ الآخرون بضم القاف والباء قيل هو جمع قبيل وهو
الكفيل مثل رغيف ورغف وقضيب وقضب أي ضمناء وكفلاء وقيل هو جمع قبيل وهو القبيلة
أي فوجا فوجا وقيل هو بمعنى المقابلة والمواجهة من قولهم أتيتك قبلا لا دبرا إذا أتاه من
قبل وجهه ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ذلك ولكن أكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا أي أعداء فيه تعزية النبي صلعم يعني كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل
نبي قبلك أعداء ثم فسرهم فقال شياطين الإنس والجن قال عكرمة والضحاك والسدي
والكلبي معناه شياطين الإنس التي مع الإنس وشياطين الجن التي مع الجن وليس للإنسان شياطين وذلك أن
إبليس قسم جنده فريقين فبعث فريقا منهم إلى الإنس وفريقا منهم إلى الجن وكلا الفريقين أعداء
للنبي صلعم ولأوليائه وهم يلتقون في كل حين فيقول شياطين الإنس لشياطين الجن
أضللت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثله ويقول شياطين الجن لشياطين الإنس كذلك فذلك
معنى قوله يوحي بعضهم إلى بعض قال قتادة ومجاهد والحسن إن من الإنس شياطين
كما أن من الجن شياطين والشيطان العاتي المتمرد من كل شيء قالوا إن الشيطان إذا أعياه
المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنسان وهو شيطان الإنس فأغراه
بالمؤمن ليفتنه يدل عليه ما روي عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلعم هل تعوذت بالله من
شياطين الجن والإنس قلت يا رسول الله وهل للإنسان من شياطين قال نعم هم شر من شيا
طين الجن وقال مالك بن دينار إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن وذلك
أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي قوله
تعالى يوحي بعضهم إلى بعض أي يلقي زخرف القول وهو قول مموه مزين بالباطل
لا معنى تحته غرورا يعني هؤلاء الشياطين يزينون الأعمال القبيحة لبني آدم ويغرونهم
غرورا والغرور القول الباطل ولو شاء ربك ما فعلوه أي ما ألقوه من الوسوسة
في القلوب فذرهم وما يفترون ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة أي تميل

إليه والصغو الميل يقال صغو فلان معك أي ميله والفعل منه صغى يصغى صغا وصغي يصغي
ويصغو صغوا والهاء في إليه راجعة إلى زخرف القول وليرضوه وليقترفوا ما هم
مقترفون يقال اقترف فلان مالا إذا اكتسبه وقال الله تعالى ومن يقترف حسنة وقال الزجاج أي
وليعملوا من الذنوب ما هم عاملون أفغير الله فيه إضمار أي قل لهم يا محمد أفغير الله أبتغي
أطلب حكما قاضيا بيني وبينكم وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلعم اجعل بيننا وبينك حكما فأجا
بهم به وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا مبينا فيه أمره ونهيه يعني القرآن وقيل مفصلا
أي خمسا خمسا وعشرا عشرا كما قال تعالى لنثبت به فؤادك والذين آتيناهم الكتاب يعني علماء
اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والإنجيل وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب وقال عطاء هم رؤوس
أصحاب النبي صلعم والمراد بالكتاب هو القرآن يعلمون أنه يعني القرآن منزل قرأ ابن عامر وحفص
بالتشديد من التنزيل لأنه أنزل نجوما متفرقة وقرأ الآخرون بالتخفيف من الإنزال لقوله عز وجل
وهو الذي أنزل إليكم الكتاب من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين من الشاكين أنهم يعلمون
ذلك وتمت كلمة ربك قرأ أهل الكوفة ويعقوب كلمة على التوحيد وقرأ الآخرون كلمات بالجمع
وأراد بالكلمات أمره ونهيه ووعده ووعيده صدقا وعدلا أي صدقا في الوعد والوعيد
وعدلا في الأمر والنهي قال قتادة ومقاتل صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم لا مبدل لكلماته
قال ابن عباس لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خلف لوعده وهو السميع العليم قيل المراد
بالكلمات القرآن لا مبدل له لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون وإن تطع أكثر من في الأرض
يضلوك عن سبيل الله عن دين الله وذلك أن أكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة وقيل أراد
أنهم جادلوا رسول الله صلعم والمسلمين في أكل الميتة وقالوا أتأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما
قتله الله فقال وإن تطع أي إن تطعهم في أكل الميتة يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا
الظن يريد أن دينهم الذي هم عليه ظن وهوى لم يأخذوه عن بصيرة وإن هم إلا يخرصون
يكذبون إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله قيل موضع من نصب بنزع حرف الصفة
أي بمن يضل وقال الزجاج موضعه رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والمعنى إن ربك هو
أعلم أي الناس يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين أخبر أنه أعلم بالفريقين بالضالين
والمهتدين فيجازي كلا بما يستحق فكلوا مما ذكر اسم الله عليه أي كلوا مما ذبح على اسم
الله إن كنتم بآياته مؤمنين وذلك أنهم كانوا يحرمون أصنافا من النعم ويحلون الأموات

فقيل لهم احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله ثم قال وما لكم يعني اي شيء لكم في الا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وقد فصل لكم ما حرم عليكم قرا اهل المدينة ويعقوب
وحفص فصل وحرم بالفتح فيهما اي فصل الله ما حرمه عليكم لقوله اسم الله وقرا ابن كثير وابن
عامر وابو عمرو بضم الفاء والحاء وكسر الصاد والراء على غير تسمية الفاعل لقوله ذكر وقرا حمزة
والكسائي وابو بكر فصل بالفتح وحرم بالضم واراد بتفصيل المحرمات ما ذكر في قوله حرمت
عليكم الميتة والدم الا ما اضطررتم اليه من هذه الاشياء فانه حلال لكم عند الاضطرار
وان كثيرا ليضلون قرا اهل الكوفة بضم الياء وكذلك قوله ليضلوا في سورة يونس بقوله يضلون
عن سبيل الله وقيل اراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحائر والسوائب وقرا
الاخرون بالفتح لقوله من يضل باهوائهم بغير علم حين امتنعوا من اكل ما ذكر اسم الله عليه
ودعوا الى اكل الميتة ان ربك هو اعلم بالمعتدين الذين يجاوزون الحلال الى الحرام وذروا
ظاهر الاثم وباطنه يعني الذنوب كلها لانها لا تخلو من هذين الوجهين قال قتادة علانيته
وسره وقال مجاهد ظاهره ما يعمله الانسان بالجوارح من الذنوب وباطنه ما ينويه ويقصده
بقلبه كالمصر على الذنب القاصد له قال الكلبي ظاهره الزنا وباطنه المخالة واكثر المفسرين على
ان ظاهر الاثم الاعلان وباطنه الاستسرار وذكر ان العرب كانوا يحبون الزنا وكان
الشريف منهم يتشرف فيستتر به وغير الشريف لا يبالي به فيظهره فحرمهما الله عز وجل وقال
سعيد بن جبير ظاهر الاثم نكاح المحارم وباطنه الزنا وقال زيد ظاهر الاثم التجرد من
الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وروى حيان عن الكلبي ظاهر الاثم طواف
الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة ان الذين يكسبون الاثم
سيجزون في الاخرة بما كانوا يقترفون يكتسبون في الدنيا ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم
الله عليه قال ابن عباس الاية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال
عطاء الاية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام واختلف اهل العلم في ذ
بيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليه فذهب قوم الى تحريمها سواء ترك التسمية عامدا
او ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي واحتجوا بظاهر الاية وذهب قوم الى تحليلها
يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك والشافعي واحمد وذهب قوم الى انه ان ترك التسمية
عامدا لا تحل وان تركها ناسيا تحل حكى الخرقي من اصحاب احمد ان مذهبه وهو قول

الثوري واصحاب الراي ومن اباحها قال المراد من الاية الميتات او ما ذبح على اسم غير الله بدليل
انه قال وانه لفسق والفسق في ذكر غير اسم الله كما قال في اخر السورة قل لا اجد فيما اوحي
الي محرما الى قوله او فسقا اهل لغير الله به واحتج من اباحها بما روي عن عائشة قالت قالوا
يا رسول الله ان هنا اقواما حديث عهدهم بشرك ياتوننا بلحمان لا ندري ايذكرون اسم الله
عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا ولو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في وجو
دها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم
اراد ان الشياطين ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد
اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها فقالوا اتزعم ان ما قتلت انت واصحابك
حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله هذه الاية وان اطعتموهم
في اكل الميتة انكم لمشركون قال الزجاج وفيه دليل على ان من احل شيئا مما حرم الله او حرم
شيئا مما احل الله فهو مشرك او من كان ميتا قرا نافع ميتا ولحم اخيه ميتا والارض الميتة
احييناها بالتشديد فيهن والاخرون بالتخفيف فاحييناه اي ضالا فهديناه كان ميتا با
لكفر فاحييناه بالايمان وجعلنا له نورا يمشي به في الناس على قصد السبيل قيل النور هو الا
سلام كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله بينة من الله مع المؤمن بها
يعمل وبها ياخذ واليها ينتهي كمن مثله في الظلمات اي كمن هو في الظلمات ليس بخارج
منها يعني في ظلمة الكفر قيل نزلت هذه الاية في رجلين باعيانهما ثم اختلفوا فيهما قال ابن عباس
جعلنا له نورا يريد حمزة بن عبد المطلب كمن مثله في الظلمات يريد ابا جهل بن هشام وذلك ان
ابا جهل رمى رسول الله صلعم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس
وحمزة لم يؤمن بعد فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا
يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه
منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله
هذه الاية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار
بن ياسر وابي جهل كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون من الكفر والمعصية وقال ابن
عباس يريد زين لهم الشيطان عبادة الاصنام وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
اي كما ان فساق مكة اكابرها كذلك جعلنا فساق كل قرية اكابرها اي عظماءها جمع اكبر مثل

افضل واقاضل واسود واساود وذلك سنة الله تعالى انه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفا
هم كما قال في قصة نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون وجعل فساقهم اكابرهم ليمكروا فيها
وذلك انهم اجلسوا على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلعم
يقولون لكل من يقدم اياك وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب وما يمكرون الا بانفسهم
لان وبال مكرهم يعود عليهم وما يشعرون انه كذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني مثل ما اوتي رسل الله من النبوة وذلك ان الوليد
بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا
فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف
حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا
ان ياتينا وحي كما ياتيه فانزل الله عز وجل واذا جاءتهم اية حجة على صدق محمد صلعم قالوا يعني
ابا جهل واصحابه لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني محمدا صلعم قال الله اعلم حيث
يجعل رسالته قرا ابن كثير على التوحيد وقرا الآخرون رسالاته بالجمع يعني الله اعلم بمن هو
احق بالرسالة سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله ذل وهوان عند الله اي من
عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون قيل صغار في الدنيا وعذاب شديد في الاخرة فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام اي يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الاسلام
ولما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلعم عن شرح الصدر قال نور يقذفه الله في قلب
المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن
دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا قرا
ابن كثير ضيقا بالتخفيف ههنا وفي جميع القرآن الباقون بالتشديد وهما لغتان ايضا مثل هين
وهين ولين ولين حرجا قرا اهل المدينة وابو بكر حرجا بكسر الراء والباقون بفتحها وهما لغتان ايضا
مثل الدنف والدنف قال سيبويه الحرج بالفتح المصدر كالطلب ومعناه ذا حرج وبالكسر الاسم وهو
اشد الضيق يعني قلبه ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ قال ابن عباس
اذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه واذا ذكر شيئا من عبادة الاصنام ارتاح الى ذلك وقرا عمر بن
الخطاب هذه الاية فسال اعرابيا من كنانة ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون
بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل

اليه

٦٤

اليه شيء من الخير كانما يصعد في السماء قرا ابن كثير يصعد بالتخفيف وقرا ابو بكر عن عاصم
يصاعد بالالف اي يتصاعد وقرا الآخرون يصعد بتشديد الصاد والعين اي يتصعد يعني
يشق عليه الايمان كما يشق عليه صعود السماء واصل الصعود المشقة ومنه قوله عز وجل
سارهقه صعودا اي عقبة شاقة كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون قال ابن
عباس الرجس هو الشيطان اي يسلط عليه وقال الكلبي هو المأثم وقال مجاهد الرجس ما لا
خير فيه وقال عطاء الرجس العذاب مثل الرجز وقيل هو النجس روي ان رسول الله صلعم كان
اذا دخل الخلاء قال اني اعوذ بك من الرجس النجس وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا و
العذاب في الآخرة وهذا صراط ربك مستقيما اي هذا الذي بينا وقيل هذا الذي انت عليه
يا محمد طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه مستقيما لا عوج فيه وهو الاسلام قد فصلنا الا
يات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم يعني الجنة قال اكثر المفسرين السلام هو الله
وداره الجنة وقيل السلام هو السلامة اي لهم دار السلامة من الآفات وهي الجنة وسميت دار
السلام لان كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة
بالسلام فقال في الابتداء ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم وقال لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقال تحيتهم فيها سلام سلام قولا من رب
رحيم وهو وليهم بما كانوا يعملون قال الحسين بن الفضل يتولاهم في الدنيا بالتوفيق
وفي الآخرة بالجزاء ويوم نحشرهم قرا حفص يحشرهم بالياء جميعا يعني الجن والانس يجمعهم
في موقف القيامة فنقول يا معشر الجن والمراد بالجن الشياطين قد استكثرتم من الا
نس اي استكثرتم من الانس بالاضلال والاغواء اي اضللتم كثيرا وقال اولياؤهم
من الانس يعني اولياء الشياطين الذين اطاعوهم من الانس ربنا استمتع بعضنا
ببعض قال الكلبي استمتاع الانس بالجن هو ان الرجل كان اذا سافر ونزل بارض قفر
فخاف على نفسه من الجن قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في جوارهم
آمنا واما استمتاع الجن بالانس هو انهم قالوا قد سدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون
شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وهذا كقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فزادوهم رهقا وقيل استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون اليهم من
الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الامور التي يهوونها وتسهيل سبيلها عليهم واستمتاع

الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي قال محمد بن كعب
هو طاعة بعضهم بعضا وموافقة بعضهم لبعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني القيمة
والبعث قال النار مثويكم مقامكم خالدين فيها الا ما شاء الله اختلفوا في هذه الاستثناء
كما اختلفوا في قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قيل اراد الا قدر
مدة ما بين بعثهم الى دخولهم جهنم يعني هم خالدون في النار الا هذا المقدار وقيل الاستثناء يرجع
الى العذاب وهو قوله النار مثويكم اي خالدين في النار سوى ما شاء الله من انواع العذاب
وقال ابن عباس الاستثناء راجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون فيخرجون من النار وما
بمعنى من على هذا التاويل ان ربك حكيم عليم قيل عليم بالذي استثناه وبما في قلوبهم من البر والتقوى
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون قيل اي كما خذلنا عصاة الجن والانس
حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضا اي نسلط بعضهم على بعض فنأخذ
من الظالم بالظالم كما جاء من اعان ظالما سلط الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم اولياء بعض
فالمؤمن ولي المؤمن اين كان والكافر ولي الكافر حيث كان وروى معمر عن قتادة نتبع
بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الجن ظلمة الانس ونولي ظلمة الانس
ظلمة الجن اي نكل بعضهم الى بعض كقوله تعالى نوله ما تولى وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
في تفسيرها هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى امرهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى امرهم
شرارهم يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم واختلفوا في ان الجن هل ارسل
اليهم منهم رسول فسئل الضحاك عنه فقال بلى الم تسمع الله يقول يا معشر الجن والانس
الم يأتكم رسل منكم يعني بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن قال الكلبي كانت الرسل
قبل ان يبعث محمد صلعم يبعثون الى الجن والى الانس جميعا قال مجاهد الرسل من الانس
والنذر من الجن ثم قرأ ولوا الى قومهم منذرين وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون
الجن ما سمعوا وليس للجن رسل فعلى هذا قوله رسل منكم ينصرف الى احد الصنفين وهم
الانس كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقال
وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في سماء واحدة يقصون عليكم اي يقرؤون عليكم آياتي
كتبي وينذرونكم لقاء يومكم هذا وهو يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا
انهم قد بلغوا قال مقاتل وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله

تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا حتى لم يؤمنوا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم اي لم يكن يهلكهم بظلم اي بشرك من اشرك و
واهلها غافلون لم ينذروا حتى يبعث اليهم رسلا ينذرهم وقال الكلبي لم يهلكهم بذنوبهم
من قبل ان تأتيهم الرسل وقيل معناه لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل فيكون
قد ظلمهم وذلك ان الله تعالى اجرى السنة ان لا يأخذ احدا الا بعد وجود الذنب وانما يكون
مذنبا اذا امر فلم يأتمر ونهي فلم ينته ويكون ذلك بعد انذار الرسل ولكل درجات
مما عملوا يعني في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا فمنهم من هو اشد عذابا ومنهم
من هو اجزل ثوابا وما ربك بغافل عما تعملون قرأ ابن عامر تعملون بالتاء والباقون
بالياء وربك الغني عن خلقه ذو الرحمة قال ابن عباس باوليائه واهل طاعته وقال الكلبي
بخلقه ذو التجاوز ان يشأ يذهبكم يهلككم وعيد لاهل مكة ويستخلف يخلق وينشئ
من بعدكم ما يشاء خلقا غيركم امثل واطوع كما انشأكم من ذرية قوم
آخرين اي آبائهم الماضين قرنا بعد قرن ان ما توعدون لآت اي ما توعدون من مجيء
الساعة والحشر لآت كائن وما انتم بمعجزين اي بفائتين يعني يدرككم حيث ما كنتم قل يا
محمد يا قوم اعملوا على مكانتكم قرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع حيث كان على مكانتكم قال
عطاء على حالاتكم التي انتم عليها قال الزجاج اعملوا على ما انتم عليه يقال للرجل اذا امرته ان
يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه وهذا امر وعيد على المبالغة
يقول اعملوا ما انتم عاملون اني عامل ما امرني به ربي فسوف تعلمون من تكون له عا
قبة الدار اي الجنة قرأ حمزة والكسائي يكون بالياء ههنا وفي القصص وقرأ الآخرون
بالتاء لتأنيث العاقبة انه لا يفلح الظالمون قال ابن عباس معناه لا يسعد من كفر بي
واشرك قال الضحاك لا يفوز وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا كان
المشركون يجعلون لله من حروثهم وانعامهم وثمارهم وسائر اموالهم نصيبا وللاوثان
نصيبا فما جعلوه لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه على
الاصنام وخدمها فان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله
غني عن هذا وان سقط شيء من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان و
وقالوا انها محتاجة وكان اذا هلك وانتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا هلك

او انتقص شي مما جعلوه للاصنام جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرا خلق
من الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار مجازه وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا فقالوا
هذا لله بزعمهم قرا الكسائي بزعمهم بضم الزاء والباقون بفتحها وهما لغتان وهو القول
من غير حقيقة وهذا لشركائنا ومعناه ما قلنا انهم كانوا يتمون ما جعلوا للاوثان مما
جعلوه لله ولا يتمون ما جعلوه لله مما جعلوه للاوثان وقال قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة
استعانوا بما جزؤوا لله واكلوا منه ووفروا ما جزؤوا لشركائهم ولم ياكلوا منه ساء ما يحكمون اي
بئس ما يقضون وكذلك زين لكثير من المشركين اي كما زين لهم تحريم الحرث والانعام كذلك زين
لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم قال مجاهد شركاؤهم اي شياطينهم زينوا
وحسنوا لهم وأد البنات خيفة العيلة سميت الشياطين شركاء لانهم اطاعوهم في معصية
الله واضيف الشركاء اليهم لانهم اتخذوها وقال الكلبي شركاؤهم سدنة آلهتهم هم الذين كانوا
يزينون للكفار قتل الاولاد فكان الرجل منهم يحلف لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن احدا
كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله وقرا ابن عامر زين بضم الزاء وكسر الياء قتل رفع اولادهم
نصب شركائهم بالخفض على التقديم كانه قال زين لكثير من المشركين قتل شركائهم اولادهم فصل
بين الفعل وفاعله بالمفعول به وهو الاولاد كما قال الشاعر فزججته متمكنا زج القلوص
ابي مزادة اي زج ابي مزادة القلوص واضيف الفعل وهو القتل الى الشركاء وان لم يتولوا
ذلك لانهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا اليه فكانهم فعلوه ليردوهم ليهلكوهم وليلبسوا
عليهم ليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين
اسمعيل فرجعوا عنه بلبس الشياطين ولو شاء الله ما فعلوه اي لو شاء الله لعصمهم حتى ما فعلوا
ذلك من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد فذرهم يا محمد وما يفترون يختلقون من الكذب
فان الله لهم بالمرصاد وقالوا يعني المشركين هذه انعام وحرث حجر اي حرام يعني ما جعلوا
لله ولآلهتهم من الحرث والانعام على ما مضى ذكره وقال مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسائبة
والوصيلة والحام لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم يعنون الرجال دون النساء وانعام حرمت
ظهورها يعني الحوامي كانوا لا يركبونها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها اي يذبحونها باسم
الاصنام لا باسم الله وقال ابو وائل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت العا
دة بذكر اسم الله على فعل الخير عبر بذلك عن فعل الخير افتراء عليه يعني انهم يفعلون ذلك ويزعمون

ان الله

ان الله امرهم به افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خا
لصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا اي نسائنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي اراد اجنة
البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد ميتا اكله
الرجال والنساء جميعا وادخل الهاء في الخالصة للتاكيد كالخاصة والعامة وكقولهم نسابة
وعلامة وقال الفراء ادخلت الهاء لتانيث الانعام لان ما في بطونها مثلها
فانثت بتانيثها وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وان يكن
ميتة قرا ابن عامر وابو جعفر تكن بالتاء ميتة رفع ذكر الفعل بعلامة التانيث لان الميتة
في اللفظ مؤنثة وقرا ابو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميتة نصب اي وان تكن الاجنة ميتة وقرا
ابن كثير يكن باليا ميتة رفع لان المراد بالميتة الميت اي وان يقع ما في البطون ميتا وقرا
الاخرون وان يكن باليا ميتة نصب رده الى ما اي وان يكن ما في البطون ميتة يدل عليه
قال فهم فيه شركاء ولم يقل فيها واراد ان الرجال والنساء فيه شركاء سيجزيهم
وصفهم اي بوصفهم او على وصفهم بالكذب على الله انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا
اولادهم قرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بتشديد التاء على التكثير وقرا الاخرون بالتخفيف
سفها بغير علم نزلت في ربيعة ومضر وبعض من العرب من غيرهم كانوا يدفنون
البنات احياء مخافة السبي والفقر وكان بنو كنانة لا يفعلون ذلك وحرموا ما رزقهم
الله يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام افتراء على الله حيث قالوا ان الله امرهم
بها قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي انشا ابتدع جنات بساتين
معروشات وغير معروشات اي مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات وقال
ابن عباس معروشات ما انبسط على وجه الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم
والقرع والبطيخ وغيرها وغير معروشات ما قام على ساق وبسق كالنخل والزرع
وسائر الاشجار وقال الضحاك كلاهما الكرم خاصة منها ما عرش ومنها ما لم يعرش
والنخل والزرع اي وانشا النخل والزرع مختلفا اكله ثمره وطعمه منها الحلو والحامض
والجيد والردي والزيتون والرمان متشابها في المنظر وغير متشابه في الطعم مثل الرما
نين لونهما واحد وطعمهما مختلف كلوا من ثمره اذا اثمر هذا امر اباحة وآتوا حقه يوم
حصاده قرا اهل البصرة وابن عامر وعاصم حصاده بفتح الحاء وقرا الاخرون بكسرها وهما
لغتان

واحد كالصرام والصرام والجزاز والجزاز واختلفوا في هذا الحق فقال ابن عباس وطاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب انها الزكوة المفروضة من العشر ونصف العشر وقال علي بن الحسين وعطاء ومجاهد وحماد والحكم هو حق في المال سوى الزكوة امر باتيانه لان الاية مكية وفرضت الزكوة بالمدينة قال ابرهيم هو الضغث وقال الربيع لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يعلقون العذق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان اهل المدينة اذا صرموا يجيئون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجيء المسكين فيضربه بعصاه فيسقط منه فيأخذه وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يؤمر باتيانه في ابتداء الاسلام فصار منسوخا بايجاب العشر قال مقسم عن ابن عباس نسخت الزكوة كل نفقة في القرآن ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قيل اراد بالاسراف اعطاء الكل قال ابن عباس في رواية الكلبي عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئا فانزل الله هذه الاية قال السدي لا تسرفوا اي لا تعطوا اموالكم فتقعدوا فقراء قال الزجاج فعلى هذا اذا اعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف لانه قد جاء في الخبر ابدأ بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة وتاويل الاية على هذا لا تجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وقال مقاتل لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وقال الزهري لا تنفقوا في المعصية قال مجاهد الاسراف ما قصرت به عن حق الله عز وجل وقال لو كان ابو قبيس ذهبا لرجل انفقه في طاعة الله لم يكن مسرفا ولو انفق درهما او مدا في معصية الله كان مسرفا وقال اياس بن معاوية ما جاوزت به امر الله فهو سرف واسراف وروى ابن وهب عن ابن زيد قال الخطاب للسلاطين يقول لا تأخذوا فوق حقكم ومن الانعام اي وانشأ من الانعام حمولة وهي كل ما يحمل عليه من الابل وفرشا وهي الصغار من الابل التي لا تحمل كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والانعام انه لكم عدو مبين ثم بين الحمولة والفرش فقال ثمانية ازواج نصبها على البدل من الحمولة والفرش اي وانشأ من الانعام ثمانية ازواج اصناف من الضأن اثنين اي الذكر والانثى الذكر زوج والانثى زوج والعرب تسمي الواحد زوجا اذا كان لا ينفك عن الآخر والضأن النعاج وهي ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن ومن المعز اثنين قرأ ابن كثير وابن عامر واهل البصرة من المعز بفتح العين والباقون

بسكونها والمعز والمعزى جمع لا واحد له من لفظه وهي ذوات الشعر من الغنم وجمع الماعز معيز وجمع الماعزة مواعز قل يا محمد آلذكرين حرم اي الله عليكم يعني ذكر الضأن والمعز ام الانثيين اي انثى الضأن والمعز ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين منهما فانه لا يشتمل الا على ذكر او انثى نبئوني خبروني بعلم قال الزجاج فسروا ما حرمتم بعلم ان كنتم صادقين ان الله حرم ذلك ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين وذلك انهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال فلما قام الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبي صلعم وكان خطيبهم مالك بن عوف ابو الاحوص الجشمي فقال يا محمد بلغنا انك تحرم اشياء مما كان آباؤنا يفعلونه فقال له رسول الله صلعم انكم قد حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جاء هذا التحريم من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير فلم يتكلم فلو قال جاء التحريم بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور وان قال بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان قال باشتمال الرحم عليه فينبغي ان يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر او انثى فاما تخصيص التحريم بالولد الخامس والسابع او بالبعض دون البعض فمن اين ويروى ان النبي صلعم قال لمالك يا مالك ما لك لا تتكلم قال له مالك بل تكلم واسمع منك ام كنتم شهداء حضورا اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم قيل اراد به عمرو بن لحي ومن جاء بعده على طريقته ان الله لا يهدي القوم الظالمين ثم بين ان التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما وروي انهم قالوا فما المحرم اذا فنزل قل يا محمد لا اجد فيما اوحي الي محرما اي شيئا محرما على طاعم يطعمه آكل يأكله الا ان يكون ميتة وقرأ ابو جعفر وابن عامر تكون بالتاء ميتة رفع اي الا ان تقع ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء ميتة نصب على تقدير اسم مؤنث اي الا ان تكون النفس او الجثة ميتة وقرأ الباقون يكون بالياء ميتة نصب يعني الا ان يكون المطعوم ميتة او دما مسفوحا اي مهراقا سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الحيوان وهن احياء وما خرج من الاوداج عند الذبح

٢٦٧

ولا يدخل فيه الكبد والطحال لانهما جامدان وقد جاء الشرع باباحتهما ولا ما اختلط باللحم
من الدم لانه غير سايل قال عمران بن حدير سالت ابا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن
القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا باس به انما نهي عن الدم المسفوح وقال ابرهيم لا باس
بالدم في عرق او مخ الا المسفوح الذي تعمد ذلك قال عكرمة لولا هذه الاية لاتبع المسلمون من العروق
ما يتبع اليهود او لحم خنزير فانه رجس حرام او فسقا اهل لغير الله به وهو ما ذ
بح على غير اسم الله فذهب بعض اهل العلم الى ان التحريم مقصور على هذه الاشيا ويروى
ذلك عن عايشة وابن عباس قالوا ويدخل في الميتة المنخنقة والموقوذة وما ذكر في اول سورة
المائدة واكثر العلما على ان التحريم لا يختص بهذه الاشيا فالمحرم بنص الكتاب ما ذكرنا
وذكر معنى قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما وقد حرمت السنة اشيا يجب القول بها منها
ما روي عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلعم عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير
وروي عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال كل ذي ناب من السباع حرام والاصل عند الشافعي ان
ما لم يرد فيه نص تحريم او تحليل فان كان مما امر الشرع بقتله كما قال خمس فواسق يقتلن
في الحل والحرم او نهي عن قتله كما روي انه نهى عن قتل النحلة والنملة فهو حرام وما سوى ذلك فا
لمرجع فيه الى الاغلب من عادات العرب فما ياكله الاغلب منهم فهو حلال وما لا ياكله الاغلب
منهم فهو حرام لان الله تعالى خاطبهم بقوله قل احل لكم الطيبات وثبت ان ما استطابوه فهو
حلال فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم اباح اكل هذه المحرمات عند
الاضطرار في غير العدوان وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا كل ذي ظفر وهو
ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهايم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط وقال
القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وحكاه عن بعض المفسرين
سمي الحافر ظفرا على الاستعارة ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما يعني شحوم الجوف
وهي الثروب وشحم الكليتين الا ما حملت ظهورهما اي ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما
او الحوايا وهي المباعر واحدتها حاوية وحوية اي ما حملته الحوايا من الشحم او ما اختلط
بعظم يعني شحم الالية هذا كله داخل في الاستثنا والتحريم مختص بالثرب وشحم الكلية روي
عن جابر بن عبد الله انه سمع رسول الله صلعم يقول عام الفتح وهو بمكة ان الله ورسوله حرم بيع الخمر
والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانها تطلى بها السفن ويدهن بها

الجلود

٦٨

الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلعم عند ذلك قاتل الله
اليهود ان الله لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه ذلك جزيناهم اي ذلك التحريم
عقوبة لهم ببغيهم اي بظلمهم من قتلهم الانبيا وصدهم عن سبيل الله واخذ الربا واستحلال
اموال الناس بالباطل وانا لصادقون في الاخبار عما حرمنا عليهم وعن بغيهم فان
كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة بتاخير العذاب عنكم ولا يرد باسه عذابه
عن القوم المجرمين اذا جا وقته سيقول الذين اشركوا لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان
ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله قالوا لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا
من قبل ولا حرمنا من شي من البحاير والسوايب وغيرها ارادوا ان يجعلوا قولهم لو
شا الله ما اشركنا حجة لهم على اقامتهم على الشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا
وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه رضي ما نحن عليه واراده منا وامرنا به لحال بيننا
وبين ذلك فقال الله تعالى تكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم اي من كفار الامم الخالية
حتى ذاقوا باسنا عذابنا ويستدل اهل القدر بهذه الاية يقولون انهم لما قالوا
لو شا الله ما اشركنا كذبهم الله ورد عليهم فقال كذلك كذب الذين من قبلهم قلنا التكذ
يب ليس في قولهم لو شا الله ما اشركنا بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم ان الله امرنا بها
ورضي ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا
والله امرنا بها فالرد عليهم في هذا كما قال قل ان الله لا يامر بالفحشا والدليل على ان التكذيب
ورد فيما قلنا لا في قولهم لو شا الله ما اشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد
ولو كان ذلك خبرا من الله عز وجل عن كذبهم في قولهم لو شا الله ما اشركنا لقال كذب الذين
من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب قال الحسين بن الفضل لو ذكروا
هذه المقالة تعظيما واجلالا لله ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك لان الله تعالى قال لو شا الله
ما اشركوا وقال ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله والمومنون يقولون ذلك ولكنهم قالوه تكذيبا
وتخرصا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون نظيره قوله عز وجل وقالوا لو شا الرحمن ما عبد
ناهم قال الله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وقيل في معنى الاية انهم كانوا يقولون الحق
بهذه الكلمة الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لانفسهم في ترك الايمان والرد
عليهم في هذا لان امر الله بمعزل عن مشيته وارادته فانه مريد لجميع الكاينات غير امر بجميع ما يريد

وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته لا يكون عذراً لأحد قل هل عندكم
من علم أي كتاب وحجة من الله فتخرجوه لنا حتى يظهر ما تدعون على الله من الشرك أو
تحريم ما حرمتم إن تتبعون فيما أنتم عليه إلا الظن من غير علم ويقين وإن أنتم إلا تخر
صون تكذبون قل فلله الحجة البالغة التامة على خلقه بالكتاب والرسول والبيان فلو
شاء لهداكم أجمعين فهذا يدل على أنه لم يشأ إيمان الكافر ولو شاء لهداه قل هلم
يقال للواحد والاثنين والجمع هلم شهداءكم الذين يشهدون أي ائتوا بشهدائكم الذين
يشهدون أن الله حرم هذا هذا راجع إلى ما تقدم من تحريمهم الأشياء على أنفسهم ودعوا
هم أن الله أمرهم به فإن شهدوا أي هم كاذبين فلا تشهد أنت معهم ولا تتبع أهواء
الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون أي يشركون
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وذلك أنهم سألوا وقالوا أي شيء
الذي حرم الله تعالى فقال تعالى قل تعالوا أتل أقرأ ما حرم ربكم عليكم حقاً يقيناً لا ظناً
وكذباً كما تزعمون فإن قيل ما معنى قوله حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به والمحرم هو الشرك لا ترك
الشرك قيل موضع أن رفع معناه هو أن لا تشركوا وقيل محله نصب واختلفوا في وجه انتصابه
قيل معناه حرم عليكم أن تشركوا ولا صلة كقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد أي ما منعك وقيل تم
الكلام عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ألا تشركوا به شيئاً على الإغراء قال الزجاج يجوز أن يكون
هذا محمولاً على المعنى أي أتل عليكم تحريم الشرك وجائز أن يكون على معنى أوصيكم أن لا تشركوا
وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق فقر نحن نرزقكم وإياهم أي لا
تئدوا بناتكم خشية العيلة فإني رازقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها
يعني العلانية وما بطن يعني السر وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا
يرون به بأساً في السر فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسر وقال الضحاك ما ظهر الخمر وما
بطن الزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق حرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد إلا
بالحق إلا بما يبيح قتله من ردة أو قصاص أو زنا يوجب الرجم روي عن عبد الله قال قال
رسول الله صلعم لا يحل دم امرئ يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب
الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ذلكم الذي ذكرت وصاكم به أمركم به
لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن يعني بما فيه صلاحه وتثميره قال

مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو أن يبتغي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً حتى يبلغ
أشده قال الشعبي ومالك الأشد الحلم حتى تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات قال أبو العالية
حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الأشد ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة وقيل إلى أربعين
سنة وقيل إلى ستين سنة قال الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال مجاهد الأشد ثلاثة
وثلاثون سنة والأشد جمع شد مثل قد وأقد وهو استحكام قوة شبابه وسنه ومنه شد النهار وهو
ارتفاعه وقيل بلوغ الأشد أن يونس رشده بعد البلوغ وتقدير الآية ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي
هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده فادفعوا إليه ماله إن كان رشيداً وأوفوا الكيل والميزان
بالقسط بالعدل لا نكلف نفساً إلا وسعها أي طاقتها في إيفاء الكيل والميزان لم يكلف المعطي
أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد
بما يسعه مما لا حرج عليه فيه وإذا قلتم فاعدلوا فاصدقوا في الحكم والشهادة ولو كان ذا
قربى ولو كان المحكوم والمشهود عليه ذا قرابة وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم
تذكرون تتعظون وقرأ حمزة والكسائي وحفص تذكرون خفيفة الذال كل القرآن والآخرون
بتشديدها قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شيء وهن
محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل
النار وأن هذا أي الذي وصيتكم به في هاتين الآيتين صراطي طريقي وديني مستقيماً
مستوياً قويماً فاتبعوه قرأ حمزة والكسائي وإن بكسر الألف على الاستئناف وقرأ الآخرون
بفتح الألف قال الفراء يعني وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيماً وقرأ ابن عامر ويعقوب
بسكون النون ولا تتبعوا السبل أي الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق مثل اليهودية
والنصرانية وسائر الملل وقيل الأهواء والبدع فتفرق فتميل وتشتت بكم عن
سبيله عن طريقه ودينه الذي ارتضى وبه أوصى ذلكم الذي ذكرت وصاكم به
لعلكم تتقون روي عن عبد الله قال خط لنا رسول الله صلعم خطاً ثم قال هذا سبيل الله
ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يد
عو إليه وقرأ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه الآية ثم آتينا موسى الكتاب فإن قيل
لم قال ثم آتينا وحرف ثم للتعقيب وإيتاء موسى الكتاب كان قبل مجيء القرآن قيل معناه
ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب فدخل ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول تماماً على الذي

أحسن اختلفوا فيه قيل تماماً على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من أي على من أحسن من قومه وكان فيهم محسن ومسيء يدل عليه قراءة ابن مسعود على الذين أحسنوا وقال أبو عبيدة معناه على كل من أحسن أي أتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين يعني أظهرنا فضله عليهم والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون وقيل الذي أحسن هو موسى والذي بمعنى ما أي ما أحسن موسى تقديره آتيناه الكتاب يعني التوراة إتماماً للنعمة عليه لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الأمر وقيل الإحسان بمعنى العلم وأحسن بمعنى علم ومعناه تماماً على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة أي آتيناه الكتاب زيادة على ذلك وقيل معناه تماماً مني على إحساني إلى موسى وتفصيلاً بياناً لكل شيء يحتاج إليه من شرائع الدين وهدى ورحمة هذا في صفة التوراة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون قال ابن عباس كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب وهذا يعني القرآن كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واعملوا بما فيه واتقوا وأطيعوا لعلكم ترحمون أن تقولوا يعني لئلا تقولوا كقوله يبين الله لكم أن تضلوا أي لئلا تضلوا وقيل معناه أنزلناه كراهة أن تقولوا قال الكسائي معناه واتقوا أن تقولوا يا أهل مكة إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يعني اليهود والنصارى وإن كنا وقد كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا نعلم ما هي معناه أنزلنا عليكم القرآن لئلا تقولوا إن الكتاب أنزل على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته فتجعلونه عذراً لأنفسكم أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك لو أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكنا خيراً منهم قال الله تعالى فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة بلغة تعرفونها وهدى بيان ورحمة نعمة لمن اتبعه فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف أي أعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون أي هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم وقيل بالعذاب قرأ حمزة والكسائي يأتيهم بالياء ههنا وفي النحل والباقون بالتاء أو يأتي ربك بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة أو يأتي بعض آيات ربك يعني طلوع الشمس من مغربها عليه أكثر المفسرين ورواه أبو سعيد الخدري

مرفوعاً

مرفوعاً يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أي لا ينفعهم الإيمان عند ظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان أو كسبت في إيمانها خيراً يريد لا يقبل إيمان كافر ولا توبة فاسق قل انتظروا يا أهل مكة إنا منتظرون بكم العذاب روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلعم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً روي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلعم يد الله بسطان لمسيء الليل ليتوب بالنهار ولمسيء النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها وروي مروي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلعم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه وروي عن زر بن حبيش قال أتيت صفوان بن عسال المرادي فذكر عن رسول الله صلعم أن الله عز وجل جعل بالمغرب باباً مسيرة عرضه سبعون عاماً للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله عز وجل يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل وروى أبو حازم عن أبي هريرة عن النبي صلعم قال ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها إن الذين فرقوا دينهم قرأ حمزة والكسائي فارقوا بالألف ههنا وفي سورة الروم أي خرجوا من دينهم وتركوه وقرأ الآخرون فرقوا مشدداً أي جعلوا دين الله وهو واحد دين إبراهيم الحنيف أدياناً مختلفة فتهود قوم وتنصر قوم يدل عليه قوله عز وجل وكانوا شيعاً أي صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي وقيل هم أهل البدع والشبهات من هذه الأمة وروي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلعم قال لعائشة يا عائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء من هذه الأمة وروي عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلعم الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة وروي عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلعم أن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفرق

امتي على ثلث وسبعين ملة كلهم في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما انا
عليه واصحابي قال عبد الله بن مسعود ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدي هدي محمد
صلعم وشر الامور محدثاتها ورواه جابر مرفوعا الى رسول الله صلعم قوله عز وجل لست منهم في
شيء قيل لست من قتالهم في شيء نسختها اية القتال وهذا على قول من يقول المراد من الاية
اليهود والنصارى ومن قال المراد من الاية اهل الاهواء قال المراد من قوله لست منهم في شيء
اي انت منهم بري وهم منك برآء تقول العرب ان فعلت كذا فلست مني ولست منك اي كل
واحد منا بري من صاحبه انما امرهم الى الله يعني في الجزاء والمكافاة ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون اذا وردوا القيمة من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثا
لها وقرا يعقوب عشر منون امثالها رفع ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
وهم لا يظلمون روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم اذا احسن احدكم اسلامه فكل
حسنة يعملها يكتب بعشرة امثالها الى سبعماية ضعف وكل سيئة يعملها يكتب له بمثلها حتى
يلقى الله عز وجل وروي عن ابي ذر قال قال رسول الله صلعم يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها وازيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها او اغفر ومن تقرب مني
شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي
اتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة
قال ابن عمر الاية في غير الصدقات من الحسنات فاما الصدقات فتضاعف سبعماية ضعف
قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما قرا اهل الكوفة والشام قيما بكسر القاف
وفتح الياء خفيفة وقرا الآخرون بفتح القاف وكسر الياء مشددا ومعناهما القويم المستقيم
وانتصابه على معنى هداني دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان
صلاتي ونسكي قيل اراد بالنسك الذبيحة في الحج والعمرة وقال مقاتل نسكي حجي وقيل ديني
ومحياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مت على الايمان لله رب العالمين وقيل طاعتي
في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين قرا اهل المدينة ومحياي بسكون الياء ومما
تي بفتحها وقراءة العامة محياي بفتح الياء لئلا يجتمع ساكنان لا شريك له وبذلك امرت
وانا اول المسلمين قال قتادة وانا اول المسلمين من هذه الامة قل اغير الله ابغي
ربا قال ابن عباس سيدا والها وهو رب كل شيء وذلك ان الكفار كانوا يقولون

[...] ارجع الى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي
[...] اوزاركم فقال الله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها لا تجني كل نفس الا ما كان
[...] ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حمل اخرى اي لا يؤخذ احد
[...] ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم
[...] الارض يعني اهلك القرون الماضية واورثكم الارض يا امة محمد من بعدهم فجعلكم
[...] منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم والخلائف جمع خليفة كالوصائف جمع
[...] من جا بعد ما مضى فهو خليفة لانه يخلفه ورفع بعضكم فوق بعض درجات
[...] احوالكم فجعل بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق والمعاش والقوة
[...] فيما اتاكم ليختبركم فيما رزقكم يعني يبتلي الغني والفقير والشريف
[...] والعبد ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب ان ربك سريع
[...] لان ما هو آت فهو سريع قريب قيل هو الهلاك في الدنيا وانه لغفور
[...] سريع العقاب لاعدائه غفور لاوليائه رحيم بهم

وهذا الجلد الاول من معالم التنزيل في التفسير الحمد لله على الانعام
والاختتام وصلى الله على سيدنا محمد خير الانام وقد وقع
الفراغ من تعليقه من العبد الفقير المذنب قليل الاحسان
كثير العصيان المحتاج الى مغفرة ربه اللطيف
طورش بن حاجي عواض عفى الله
عنه ولوالديه واحسن اليهما وبجميع من آمن
بالله اجمعين

في كتاب الديات اذا سقى رجل رجلا السم حتى [illegible] عن الغيبة الى البيت
[illegible] بوجه [illegible] او كل ... الطعام
او دفع اليه حتى شربه فمات لا شيء عليه ويورث
فان طبيب فاكله فانه مسموم فمات لا يحبس [illegible]

٢٧٦